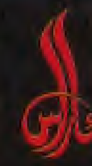
جوردي غورغاس

الحركة الكردية التركية في المنفى





جوردي غورغاس

الحركة الكردية التركية في المنفى

ترجمة: جورج البطل

دار الفارابي

أراس

الكتاب: الحركة الكردية التركية في المنفى

المؤلف: جوردي غورغاس

ترجمة: جورج البطل

الغلاف: فارس غصوب

الناشران: * دار الفارابي - بيروت - لبنان

ت: 301461(01) - فاكس: 307775(01)

ص.ب: 11/3181 - الرمز البريدي: 2130 1107

www.dar-alfarabi.com

e-mail: info@dar-alfarabi.com

* دار أراس للطباعة والنشر

شارع جولان - أربيل - اقليم كردستان العراق

www.araspublishers.com

e-mail:aras@araspress.com

الطبعة الأولى: آذار 2013

ISBN: 978-9953-71-875-0

مدخل

ارتبط نشوء الأمم في أوروبا الغربية بحركات التحديث الاقتصادي، والاجتماعي، ورافق التحولات في أساليب الإنتاج، وتوسّع الأسواق، واشتداد التبادل التجاري، وباختصار، بـ «توزيع العمل المتشعب» حسب التعبير الجلنري[1]. لكن ثمة خلل يبدو في اتخاذ العوامل الاجتماعية الاقتصادية مقياساً لتفسير القومية، لأن الشك يساورنا بلعب العوامل الاقتصادية، في الشرق الأوسط، دوراً مقرراً في بروز العقيدة القومية. بل خلافاً لذلك، تبدو الحداثة طموحاً عند النخب القومية أكثر مما هي شرطاً مسبقاً للنهوض القومي.

وبدا، في المقابل، دور المثقفين في انبعاث القومية، في الشرق الأوسط، الأوفر تأثيراً. وفي الحقيقة، كانت القومية، في بداية القرن العشرين، على الأقل، عقيدة النخب الشرقية الحاضرة لتبني الأفكار الغربية في «توزيع العمل المتشعب» من أجل الانتقال بجماعة كل منها إلى «المدنية الغربية»؛ وهو طموح لا يمكن تحقيقه إلّا بخلق دولة ـ أُمة. ولم يكن من باب الصدف ميلاد القومية الكردية، كعقيدة سياسية، بعد تفكك الامبراطورية العثمانية. وقد وفرت لها مبادئ الحق في تقرير مصير الشعوب، بشموليتها، مبرراً لبرنامجها ولعملها.

---

(1) جلنر أرنست، الأمة والقومية. ترجمه من الإنكليزية بينيدكت بينو (Pineau)، باريس بايو (1983) 1999، ص 2.

إن البرنامج القومي للنخب الشرقية هو شديد الالتصاق بواقع مجتمعات الشرق الأوسط رغم أن خطابها ينتمي إلى «العقلانية» الغربية. فكيف يمكن خلق أمة من الطراز الغربي، هذا الكيان الذي تتلازم فيه الوحدة السياسية بالوحدة القومية، في مجتمعات شديدة التنافر على الصعد الاجتماعية والدينية واللغوية؟ وكيف يمكن، بالتالي، خلق الأمة الكردية من عناصر، هي الأخرى، متنافرة، ومتعارضة مع فكرة الأمة. وبتعبير آخر، كيف يمكن بناء كيان خارج عن التاريخ (خالد) من عناصر، هي أيضاً، شديدة التنافر. الأمر هنا يتعلق بتناقض موجود ليس فقط في قلب القومية الكردية بل في قلب كل قومية.

تقوم النخب، التي تحولت إلى «ساسة محترفين» و«دعاة تغيير»، في مواجهة هذا التناقض، بالنطق باسم «الجماعة المتخيّلة» وتبني بفضل محمولها العقلي والتنظيمي المجتمع «القومي». وهي توغل البحث في المخزون المتوافر من ملامح ومؤشرات هوية لتحيي هوية كامنة وتحولها إلى إثنية، وتدفع بها أداة عمل في الحقل السياسي. غير أن تكون القومية بحاجة إلى معطيات أنتروبولوجية (علم الإنسان) تؤسس لوعي في التمايز ولشعور بضرورة استخدامه قاعدة لمشروع سياسي. لا بدَّ، إذن، من التعبئة حول هوية تقتحم، بعد المرور في مراحل البحث في المؤشرات الأولية للجماعة، الحقل السياسي الحديث كأداة عمل واع وعقلاني.

يقوم الساسة المحترفون، في المرحلة، الأولى بتنظيم وإعادة تنظيم الهوية. ويحاولون، في البداية، توضيح المستويات المختلفة لهوية الجماعات المتداخلة، وجعلها منطقية ومتماسكة. وهذا العمل لا يتم بالاستكفاء، ولا بتجاهل التاريخ. وتحاول الجماعات المختلفة وهي تستخدم الأيديولوجية القومية المأخوذة عن «العقل الغربي»، الإبقاء على مساحات مشتركة. على هذا الأساس برزت القومية الكردية كردة فعل على القومية الأرمنية، أولاً، ثم

التركية. وقد أخذت ستراتيجية تعبئة الهويات المحددة تترسخ وتتعمق مع انفجار الامبراطورية العثمانية وتقسيم الشرق الأوسط إلى كيانات دولية أو ما قبل دولية.

وقد أدى تدخل الدول الأوروبية الكبرى إلى تصلب مواقف النخب المتنافسة.

إن تدخل الدول الأوروبية الكبرى تم بدافع من رغبتها في التوسع السياسي والاقتصادي. وقد اصطدمت، من جراء ذلك، المطالب الإقليمية والمتعلقة بالهوية التي تعبّر عنها قوى الأقلية بمصالح الدول الكبرى والقوى الدولية الجديدة. وقد قبلت نخب الأقلية استخدامها من قِبل الحكومات الأوروبية، لشعورها بوضعها الهش، على أمل الحصول على جزء من برنامجها السياسي، مع المجازفة بالتسبب بحالة نزاع لا نهاية لها. وهكذا عرض المثقفون الكرد، المتجمّعون حول اللجان المتمركزة في اسطمبول، خدماتهم على بريطانيا العظمى بمراحل الأعداد لانتفاضة عسكرية ضد القوات الكمالية. بيد أن انبعاث القومية الكردية جاء متأخراً في مواجهة الأحداث التاريخية المتسارعة. ولم يكن في إمكان الحركة القومية الكردية، الفاقدة لزعامة واضحة وذات مصداقية، أن تواجه مفاعيل الدعاية الكمالية وسط القبائل الكردية، وانقسامات الدول الغربية، والمصالح الجيوستراتيجية لبريطانيا العظمى في العراق. ولقد كان على الحركة القومية، بعد التخلي عن مشروع إقامة دولة كردية، بدءاً من سنوات 1920، أن تتوحّد وتُطالب بالحق في الاستقلال ليس ضد امبراطورية، أو دولة كبرى استعمارية، بل ضد دول هي ذاتها خاضعة لنفوذ دول منتدبة (سوريا والعراق) أو أخرى خارجة من حرب استقلال (تركيا).

لقد تناست السلطات الكمالية في تركيا، وعودها بالأخوة بين الترك

والكرد لمصلحة الغلو في التريك. وتمت، في فترة وجيزة مصادرة ما سمي ثقافة مواطنية، من قبل الدولة التي فرضت «ثقافة قومية» وحيدة على مواطنيها[1]. وقد فرضت الحكومة، منذ أولى بوادر المقاومة، جواً حربياً. وتم اعتبار الكرد أعداءً للوطن، في حين كان مصطفى كمال يسعى إلى «تطبيع» علاقات تركيا مع البلدان المجاورة. فتحولت، بالتالي الكردية، أو الهوية الكردية، إلى ظاهرة اغتراب، وصارت عنواناً لمقاومة المشاريع القومية لتركيا الكمالية.

لقد لجأت النخب الكردية، عند بلوغ هذا الحد إلى استخدام لغة النفي. وصار «الآخر» (التركي بدءاً من عام 1925) العدو الوراثي عند القوميين الكرد، رغم قرون من التعايش بين الشعبين في الأطراف الشرقية للسلطنة العثمانية. وقد واجه القادة الكرد «الآخر»، بتعزيز الأنا، وبالشعور بالخسارة والتهديد، أي بمنظومة ذاتية مطبوعة بالقلق، حيناً، وباليأس حيناً آخر. إن هذه العناصر المتعارضة، في ستراتيجية «الهويات المتخيّلة» أدّت إلى رؤية محدودة ومختزِلة للعالم الحقيقي، تلبي الرغبة العاطفية. وهكذا طغت العاطفة على العقل[2].

وأصبح من الممكن في هذه الحالة، الاستنتاج بأن العلاقة المثلثة الأضلاع (الدول الكبرى، الدول الجديدة، والقوى المحلية) سوف تمتد إلى ما بعد تفكك الامبراطورية الراحلة وخلق دول جديدة. إن إقامة نظام الانتداب

(1) ظاهرة شبيهة حصلت في البلدان الغربية. «الدول والثقافة القومية: عودة إلى الأصول»، وفي: مجرة الانتماءات. قومية، حرية وتعددية، آلان ديسكوف (Dieskhoff)، باريس، الصحافة العلمية، PO. 2004, P. 101-104 .

(2) BESSON Yves, *Identités et conflits au Proche-Orient*, paris, L'Harmattan, 1990, P. 89.

بعد الحرب العالمية الأولى، أدى إلى بقاء فرنسا وبريطانيا العظمى، أيضاً، في الشرق الأوسط. وفي حين حققت فرنسا رغبتها في الحصول على الإنتداب على سوريا ولبنان، تمكنت بريطانيا من الانخراط في إدارة الدولة العراقية الجديدة.

لقد أتاحت المشاريع الاقتصادية والاجتماعية لإحياء الجزيرة السورية، والخلاف الفرنسي التركي على ترسيم الحدود التركية السورية، للمفوضية العليا الفرنسية المقيمة في بيروت استخدام الورقة الكردية. إن ألوف اللاجئين الكرد، بمن فيهم نشطاء الحركة الكردية، قد استقروا في سوريا. ورغم أن فرنسا لم تمارس، بصورة دائمة، سياسة ثابتة وواحدة إزاء هذه الأقلية، فقد تمكن محترفو السياسة الكرد، في حدود معينة، من تطوير ستراتيجيتهم لتعبئة مجتمعهم، بما في ذلك، تنظيم انتفاضة عسكرية ضد النظام الكمالي. ونعتقد أن العلاقات المتشابكة بين قوى الأقليات (كرد وأرمن)، والدول المنتدبة (فرنسا وبريطانيا العظمى) والدول المحلية (تركيا، العراق، إيران) تمكننا من فهم بعض الخيارات الستراتيجية للنخب الكردية ذات الأصل التركي المتعلقة بصنع الهوية. ومن المؤكد أن القوميين الكرد الناطقين باللهجة الكرمانجية يتمظهرون في رد فعل على القومية التركية. إلّا أن المثقفين الكرد المتأثرين بقوة بالثقافة الغربية، وعلى صلة مع بعض عملاء فرنسا المنتدبة، يطمحون بدورهم إلى تحويل الكردي (رجلاً كان أم امرأة) إلى شبيه بالغربي المعتبر نموذجاً للإنسان «المتمدن». وفضلاً عن أن المبادئ الولسنية حول تقرير المصير قد وفرت الشرعية للمطالب السياسية للقومية الكردية، فقد وفر تبني بعض المستشرقين للخطاب القومي الكردي شرعية «علمية» للقومية الكردية، التي استمرت في التكون حتى الحرب العالمية الثانية. كما أسهم أوائل المختصين بالكردية من الفرنسيين في صياغة الخطاب الكردي وأمدوه

بالأدوات الثقافية والمادية اللازمة. فالهدف من هذا العمل، إذن، هو تأكيد ضرورة تجاوز العلاقة الانشطارية بين النحن والآخر في صياغة خطاب الهوية عند الكرد، في بعض الحالات على الأقل.

ونظراً لغياب نموذج معترف به ومتحرر من الأحكام المسبقة للقوميات الشرقية، ولظاهرة الأقليات، فقد فضلنا في الثقافة واللغة، مقاربة عقلانية، فيها بعض من التباينات، لتحليل مرحلة تشكل القومية الكردية، وتكوّن الهوية الكردية بصورة خاصة؛ ولجأنا في بحثنا هذا إلى أعمال مختلفة في فروع علمية متنوعة مثل علم الاجتماع، والتاريخ، وعلم الأجناس البشرية، والألسنية الاجتماعية لتوضيح هذا المعطى المعقد في علم الاجتماع، القومية.

لا تبغي هذه الدراسة أن تكون عملاً مقارناً، دون أن نقلل من قيمة هذا النوع من العمل وضرورته، وخاصة بين تعارضات مختلفة لأقليات، لكننا نحاذر الوقوع الغالب في شرك التعميم. كما نعي تماماً بأن دراسة مقارنة بين تطور القومية الكردية في سوريا ولبنان وفي العراق، أخذين في الاعتبار نوعية السلطة في هذه البلدان الخاضعة للانتدابين الفرنسي والبريطاني، من شأنها أن تفتح آفاقاً جديدة لفهم صياغة خطاب الهوية الكردية في اللهجتين الكرمانجية والسورانية.

إن النطاق الجغرافي لهذا الكتاب هو أراضي المشرق وتركيا، وهي البلدان التي ينتمي إليها المثقفون الناشطون في بناء الهوية القومية الكردية والتي تواجه تحركات بعضها عسكري. وتوقفنا عند دراسة القصيدة القومية الكردية باللهجة الكرمانجية التي تغطّي بصورة عامة هذا الفضاء الجغرافي والثقافي. لقد تخلينا، إذن، عن الدينامية الخاصة بتطور القومية الكردية باللهجة السورانية في العراق وفي إيران. ومع ذلك فإن الطابع المتحول للـ «قضية الكردية» يعيدنا، أحياناً، إليها.

القسم الأول من هذا الكتاب مكرس لسياسة الانتداب بين أعوام 1925 و1946 إزاء الكرد المقيمين في بلدي المشرق (سوريا ولبنان) ففي حين كان النظام الكمالي يفضل، بصورة عامة الأسلوب القمعي في إدارة «القضية الكردية»، مارست فرنسا سياسة متناقضة تخللتها فترات دعم، نشط نسبياً، للحراك السياسي الكردي، وفترات أخرى للحد منه. فاصطدمت طموحات النخب الكردية في التطلع إلى إقامة حكم ذاتي في الشمال السوري، بتردد السرايا المنقسمة بين الإرادة في احترام التعهدات الدولية التي ينبغي بموجبها السماح لسوريا بأن تصبح دولة مستوفية، الشروط، وبين طموحات جزء من الإدارة الفرنسية، التي تكاد تكون معلنة، الراغبة في البقاء الدائم في المشرق.

ويركز الجزء الثاني من هذا الكتاب على تطور الحركة القومية الكردية تنظيمياً وأيديولوجياً. وندرس أسلوب العمل المفضل عند القوميين الكرد في التصدي للسياسة الكمالية بعد انتفاضة الشيخ سعيد، أي التصدي العنيف. لكن ذلك لم يمنع الزعماء الكرد من تنويع أساليب ردهم، الذي يتعلق الكثير منه بموقف القوى الأخرى، دولاً وأقليات: تفاوض مع المعارضة للكمالية (ملكيون ترك، قوميون أرمن، كرد العراق)، مفاوضات مع السلطة المركزية (1928)، دبلوماسية موازية (إيران) ونضال مسلح (انتفاضة آرارات).

والجزء الثالث والأخير يرصد حركة النهضة الثقافية للغة الكرمانجية. إن النخبة المسلحة بمحمول ثقافي، بعضه موروث من العصر العثماني، والبعض الآخر منقول عن مستشرقي ما بين الحربين، كانت تطمح إلى توطيد خطاب الهوية الكردي، وتجنب الاستيعاب الثقافي للاجئين الكرد في سوريا ولبنان، ومحاولة صياغة «كرد حقيقيين»، الهوية القومية عندهم تعلو على كل الانتسابات الأخرى، فالشعور القومي لا يكون عفوياً إلّا إذا كان مستبطناً. ينبغي، إذن، تعليمه مسبقاً. وقد أخذت النخبة الكردية المنفية في سوريا

ولبنان، هذه المهمة التثقيفية على عاتقها رغم أنها لا تمتلك المؤسسات التي تنجز الدول هذه المهمة من خلالها: مدارس عامة، جيش، أكاديميات ألسنية وتاريخية، إلخ.

يسمح لنا تحليل تطور القومية الكردية ما بين عام 1925 وعام 1946 في سوريا ولبنان، بملء بعض الفراغ. لقد قمنا، أولاً، بتوضيح عدد كبير من المعلومات الجديدة عن رابطة خويبون التي نشأت في قلب التغييرات التجريبية في القومية الكردية الناطقة بالكرمانجية في حقبة ما بين الحربين، رغم خطر إهمال التحليل، أحياناً، لمصلحة السرد. وقدمنا أيضاً، بعض الفرضيات حول أصول القومية الكردية، الموضوع المهمل تقليدياً من الباحثين، مثل إهمال التاريخ المعاصر لكرد سوريا ولبنان. وإذا كانت الأهمية العددية، والسياسية، يمكن أن تبرر عدم الاهتمام، فإن إنبعاث القومية الكردية في سوريا، يضعنا أمام حالة خاصة للبحث. والحقيقة أن وصول كرد تركيا الكثيف هرباً من القمع الكمالي، أضفى الطابع القومي على الهوية الكردية في أراضي سوريا ولبنان. إن لجوء «المحترفين السياسيين» الكرد قد تحول إلى مصدر معلومات على الصعيدين العابر للبلدان، والمحلي من جهة، ومن جهة أخرى، إلى منطلق لإعادة تشكيل الهويات، في عهد الدول ـ القوميات، العهد الجديد في الشرق الأوسط.

إن عملية التوحيد المعياري للغة الكردية على أساس اللهجة الكرمانجية تشكل حالة الفراغ الثالث الذي حاولنا أن نملأه، رغم حاجة هذه المسألة إلى بحث أعمق. وقد أثار توحيد اللهجة الكردية السورانية اهتمام بعض الباحثين، أما اللهجة الكرمانجية فلم يتم، حتى الآن، درسها من الناحية الاجتماعية اللغوية.

أخيراً، لقد حصلنا على مصادر من محفوظات دبلوماسية وخاصة، تفتح،

في اعتقادنا، آفاقاً جديدة انطلاقاً من مقاربتها، مقاربة متعددة الاختصاصات تجمع بين التاريخ الثقافي، وعلم الأجناس، والعلم الاجتماعي ـ لولادة علم كردي فرنسي ومعاصر، ولعلاقات بين المثقفين الكرد وأوائل المختصين الفرنسيين بالكردية، وللتأثيرات المتبادلة في صياغة العقيدة القومية. بهذا المعنى فإن المراد من هذا الكتاب تجاوز النظر إلى العلاقات على أنها علاقات صداقة عادية أو أنها علاقات بين «مسيطِر ومسيطَر عليه».



فصل تمهيدي

الكرد في تركيا الكمالية

لم تكن الهوية الكردية، في ظل الامبراطورية العثمانية، مهددة بصورة مباشرة. فقمع الإمارات الكردية والانتفاضات التي يقودها الشيوخ لم يرم إلى تتريك المنطقة بل كان لوضع حد لكل ميل انفصالي أو لكل نشوء سلطة في مواجهة السلطة المركزية. كانت الدولة والقبائل تتقاسم السلطة، وكان تصادمها ينتج عن صراع لإعادة تقاسمها. وإزاء طموح بعض الوجهاء إلى مزيد من الاستقلال، كانت السلطة تمارس ما يمكنها من الضغط لاستعادة السلطة المفقودة، وإذ تعذر ذلك، ترضى بدرجة من الحكم الذاتي مقابل الوفاء للدولة[1].

وطبعاً بدأت مرحلة الاتحاديين تشير إلى بداية تغيير، وعلى الأخص مع تعزيز أيديولوجية التتريك على حساب القوميات الأخرى. لكن المثقفين، والوجهاء، ورؤساء القبائل ورجال الدين، مما قبل الحرب، ظلوا متعلقين

---

(1) LAPIDUS Iram, «Tribes and State Formation on Islamic History», in: *Tribes and State Formation in the Middle East*, Philip S. Khoury & Joseph Kostiner (dir.), Londres & New York, I. B. Tauris, 1990, P. 42-34.

بوحدة عثمانية تكفلها مؤسسات الخلافة، وقد استمرت هذه الأمانة للرابطة العثمانية حتى بدء انهيار الامبراطورية. وخلال حرب استقلال تركيا أدى الاعتراف بالهوية الكردية في مؤتمري أرزوروم وسيفاس، وفي بروتوكول اسماسيا عام 1919، إلى قيام روابط بين الكرد والترك. وإلى ذلك فإن رئيس الدبلوماسية التركية، عصمت أنونو، قد نصب نفسه مدافعاً عن الأخوة الكردية التركية خلال المفاوضات مع بريطانيا العظمى من أجل تحديد وضع ولاية الموصل.

ويلاحظ منذ عام 1919، رغم هذه التصريحات عن النوايا الحسنة، تحول في التعاطي مع القضية الكردية. وكانت الإشارة الأولى منع الأندية الكردية[1]، في آخر العام نفسه، بتهمة التعاون مع الدول الكبرى. وقد عمقت الهوة بين القوميين الكرد ومصطفى كمال انتفاضة كوسجيري في منطقة درسيم، وقمعها الوحشي من جانب القوات الكمالية. وأحدثت نهاية حرب الاستقلال 1922 تحولاً جديداً في العلاقات بين مصطفى كمال والكرد. وقد أراد الكماليون، لشعورهم بهشاشة الحدود في شرق البلاد، إقامة سيطرة عسكرية وسياسية في المناطق الكردية. وكان الوضع الكردي، بالنسبة لأنصار التتريك، آخر عقبة بعد «حل» المسألة الأرمنية والمسألة اليونانية. وقد باشر القادة الكماليون، لتحقيق هذا الهدف، سياسة تتريك طاولت، في البداية، ملاكات الدولة وإدارتها.

---

(1) أهم الأندية الكردية في أسطنبول هو كردستان تيالي سيميتي (KTC)، («لجنة النهوض بكردستان») في 7 كانون الأول/ ديسمبر 1928.

تضم هذه الجمعية مثقفين سبق أن كانوا في منظمات كردية مثل (Kürt Teavün ve terakki Cemiyeti ou Hêvî)، يحاول قادة هذه اللجان في رسائلهم إلى ممثلي الدول العظمى، أن يبينوا فرادة القومية الكردية، وإعطاءها تاريخية لكي يبرروا ضرورة وحق الأكراد بإثنية مستقلة. وتملك هذه الجمعية أيضاً «جهاز الملاميا» (1918-1919) الذي سيلعب دوراً فاعلاً في صياغة قومية كردية حديثة، وهو مجلة (الحياة) (Jin).

وفي خلال انتخابات الجمعية الوطنية صيف 1923، أبعد عن الجمعية التأسيسية الجديدة النواب السابقون، أما المنتخبون الجدد فقد اختارتهم الحكومة. فاختار المعارضون طريق المنفى. كانت الأمكانية الوحيدة للبقاء في الإدارة، هي إنكار الهوية الكردية. وأخذ الشبان الأكراد الذين يخدمون في الجيش يشتكون من سوء المعاملة والاعتداءات والتمييز بسبب أصلهم الإثني. ووسعت السلطات، منذ عام 1924، تدابير التريك لتطاول الحقل الثقافي. وبالتالي، صارت التركية هي اللغة الرسمية في القضاء في حين منع تعليم الكردية في المدارس. وفرضت، منذ عام 1925-1926 غرامة على المواطنين الذين يتكلمون لغة غير اللغة التركية. وتوج القمع اللغوي بمصنفات «علمية» للبرهنة على الأصل التركي للغة الكردية، وحتى أصل كل اللغات والحضارات في العالم. وكانت المرحلة الأخيرة لهذا الانحراف الذي أقدم عليه النظام الكمالي، هو الانتقال، في عام 1930، إلى اعتماد قومية قائمة على الدم والعرق وليس على مبدأ المواطنة الذي حدده مصطفى كمال بالذات سابقاً.

السلطة الكمالية في مواجهة الكردية

منذ عام 1924 تصادم النظام الكمالي، مع الهوية الكردية، لأنهما يقومان على أسس متعارضة. إن نشوء ثقافة وهوية قومية لكل الأتراك هو في نظر الكماليين الشرط المسبق لتشكل وتصليب المواطنة التركية[1] فتركيا هي، في الواقع، الدولة الأولى المولودة من الحرب العالمية الأولى التي بنت شرعيتها

---

(1) IÇDUYGU Ahmet & YILMAZ Çolak & SOYARIK Nalan, «What is the Matter with Citizenship? A Turkish Debate», *Middle Eastern Studies*, Vol. 35, nº 4, 1999, P. 194.

على أساس أيديولوجيا قومية صرفة، وعلى «تحويل الكرد إلى أقلية». ولأن الواقع الاجتماعي للبلاد يتعارض مع طموحات نخبها كان لا بدَّ من تغيير وجهها الإثني لغوياً والتأكيد، بمختلف الوسائل، بأن الترك يؤلفون الإثنية الوحيدة لسكان تركيا. كان الشيء الوحيد الذي تطلبه الدولة من الكرد قبول الاندماج أو على الأقل، تأكيد الإذعان السلبي.

إلى ذلك فعلى «الإنسان الجديد» أو المواطن التركي، غير المرتاح من التحول إلى التركية أن يصير وطنياً، أن يصبح عصرياً، «متحضراً».

لكن تطبيق الإصلاحات «العمومية» أثار مواجهة عنيفة مع الماضي والهياكل التقليدية. وكان زعماء القبائل والطرق أول من ثار لشعورهم بالتهميش. وصار الفارق عن العصر العثماني يتمثل بكون العلاقة بين المركز والأطراف لم تعد قائمة على النظام والاستقرار، بل على أساس برنامج بناء دولتي.

لذلك لم يعد قمع الحركة الكردية المعترضة يعتبر فقط مسألة داخلية بل حرباً من أجل مثال أعلى، من أجل بناء أُمة «تركية» و«متحضرة»، الأمر الذي يؤكد رأي عباس فالي بأن هوية الدولة الجديدة تقوم على السلطة العسكرية، كما تقوم على أساس أيديولوجية «رسمية/ قومية»[1]؛ ولم يتم التعامل مع سكان المناطق الكردية كما يتم التعامل مع «المواطنين الأتراك» في المناطق الأخرى من البلاد. ووضعت الحكومة الكمالية المناطق الكردية تحت سلطة إدارة استثنائية يقودها مفتشون عامون لا يخضعون للجمعية الوطنية، بل يخضعون مباشرةً لسلطة مصطفى كمال. ولم يحاول الحزب الواحد، في

---

(1) VALI Abbas, «The Kurds and Their Others. Fragmented Identity and Fragmented Polotics», *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, Vol. XVIII, 1998, P. 84.

السنوات الأولى للجمهورية أن يرسخ وجوده في كردستان التركية وفضل أن يتمثل بالإدارة العسكرية. واقترح بعض المنظرين (الأيديولوجيين) الكماليين حتى اعتبار المنطقة الكردية مستعمرة.

قضى مصطفى كمال، بإلغائه الخلافة وهجومه على الطرق، على القاعدة الأخرى التي كانت تقوم عليها الوحدة الكردية التركية. وكان الدين، في الواقع، يشكل الرابط الذي يبرر اتحاد جميع الشعوب الإسلامية في ظل الامبراطورية العثمانية بمعزل عن اختلافها الإثني. وكان أيضاً، المبرر لتضامن المسلمين في مواجهة التهديدات الخارجية والداخلية، ولاسيما «خيانة» الملل المسيحية مثل الأرمن. كان دور الخليفة هاماً لحماية الوحدة الإسلامية، وخاصة بالنسبة للجماعات الإسلامية الساكنة في أطراف الامبراطورية. وأصبحت المناطق الكردية وبفقدان هذه الروابط الموغلة في القدم بين المركز والأطراف، محط الاستهداف السياسي التسلطي للمركز. وقد رفض الإسلام الكردي الملتف حول الطرق ذات الاستقلال النسبي، القبول بسيطرة الدولة على الشؤون الدينية.

لم يكن لسياسة المركز العدوانية، ضد الأطراف أبعاداً سياسية فقط، ذلك أن الاندماج الاقتصادي لكردستان، الذي بدأ في ظل الإدارة العثمانية، قد دخل مرحلة تطور جديدة مع إقامة «حدود وطنية»، «وأسواق وطنية» بالتالي. فقد كانت المراكز التقليدية للنشاط الاقتصادي الكردي، في المرحلة العثمانية، في مدن مثل حلب ودمشق وبغداد. وأصبح الوصول إلى هذه الأسواق متعسراً بعد ترسيم الحدود الجديدة، في حين أخذت الحكومة التركية، توجه الكرد إلى غرب البلاد. وقد حقق هذا التوجه الجديد للاقتصاد المناطقي الكردي نجاحاً نسبياً لأن المناطق المتاخمة للحدود اتجهت في طرائقها الاقتصادية التقليدية إلى درجة أن التهريب صار نشاطاً اقتصادياً كبير الأهمية في الأطراف

الكردية. غير أنه لا ينبغي قراءة التهريب كمحاولة لإنشاء «سوق كردي قومي»، بل بوصفه رفضاً لتأميم (تتريك) فضاءٍ اقتصادي غير قومي[1]. ورغم ذلك تحول تدريجياً إلى فضاء حماية للهوية الكردية في مواجهة ضغوط الحكومة.

إن ما صاغ الهوية الكردية في السنوات الأولى لتركيا الكمالية هو، إذن، المواجهة بين تعدد اللغات أو أحاديتها، وبين الأطراف والمراكز، وبين التقليد والعصرنة، وبين الإسلام والعلمانية الجمهورية.

وأخيراً، كان على النظام الكمالي، أيضاً، أن يتعامل مع «القضية الكردية» في أبعادها الدولية. لقد كان بالنسبة لأنقرة الخطر من إمكانية توحيد كرد العراق، وسوريا، وتركيا، موضوعاً حاضراً منذ تأسيس الجمهورية التركية. إن الحكومة والإعلام التركيين كانا شديدي الحساسية من أي تدخل محتمل من الدول المجاورة أو الغربية في شؤون كرد تركيا. وكانت المفاوضات التي جرت بين تركيا وبريطانيا العظمى حول مستقبل ولاية الموصل هي المثال الأول. وقد أكدّ من جديد الموقف السلبي للسلطات الإيرانية من ثورة أرارات (1927-1931)، البعد العابر للحدود «للقضية الكردية».

القومية الكردية في مواجهة إقامة الجمهورية التركية

عند استيلاء أنصار مصطفى كمال على السلطة دخلت القومية الكردية التي بالكاد كانت قد ظهرت، في أزمة. فقد غادر القادة الكرد اسطمبول إلى الخارج أو إلى العمل السري. وبدأت الفئات المدنية المتأثرة بالأفكار الكردية، تشعر تدريجياً أنها صارت «يتيمة من الوجهة الأيديولوجية». في مواجهة هذا

(1) YEGEN Mesut, «The Turkish State Discourse and the Exclusion of Kurdish Identity», in: *Turkey. Identity, Democrocy, Politics*, Sylvia Kedourie (dir.), Londres, Franlk Cass, 1996, P. 223.

الفراغ. التحق العديد من وجهاء المدن الكردية بالكمالية التي بدت، مع تأسيس الجمهورية التركية، وكأنها توفر لهم آفاقاً سياسية واقتصادية. ولم يؤدِ تردّد القوميين الكرد بين المواقف المطالبة بالاستقلال الذاتي والأخرى الاستقلالية الواضحة، إلّا إلى تعزيز حالة فقدان التوجه. ومذاك لم يعد يمكننا إلّا الإشارة إلى قيام بعض المبادرات التي، وإن دلت على مؤشرات عن تطور القومية الكردية، فلا يمكن اعتبارها صادرة عن عقيدة ثابتة.

المبادرة الأولى قام بها جلادت وكاميران بدرخان من أنصار الخط الاستقلالي لكردستان تيالي سيمييتي (KTC) اللذان بعثا برسالة إلى الوفد البريطاني في لوزان حيث كانت تجري المفاوضات مع تركيا حول مصير ولاية الموصل. كانت مبادرة خاصة من عائلة بدرخان ولا تلزم إلّا موقعيها. وهي تندرج، بمعنىً ما، باستمرارية لأن جلادت وكاميران بدرخان قد اتخذا عام 1919 جانب البريطانيين بغية الإعداد، تحت قيادتهم، لانتفاضة عسكرية في منطقة كهتا لإنشاء دولة كردية. وقد أدان حفيد أمير كردي مقيم في ميونيخ موقف النواب الأكراد في الجمعية الوطنية التركية، بصفتهم لا يمثلون الأمة الكردية بل مجرد موظفين مساكين عينهم مصطفى كمال. ولقد ادعى جلادت وكاميران بدرخان أنهما يمثلان الأماني «الحقيقية» لِـ «الأمة الكردية» وأعلنا للمندوبين البريطانيين بأنهما وعائلتهما على «استعداد لمساندة بريطانيا العظمى في مواجهة محتملة مع الترك» وذلك بفضل «نفوذهما» المفترض بين القبائل الكردية[1].

إن آل بدرخان، الراغبون في «استعادة» السيطرة على منطقة جزيرة ابن عمر، يرون أن أية محاولة لإقامة استقلال ذاتي كردي ينبغي أن تتم بقيادتهم.

---

(1) PRO, FO 371/9004/E2244. Lettre des petits-fils du feu Emir Bedir Khan à Son Altesse Lord Curzon. Munich, le 14 Janvier 1923, P. 1.

وقد وفرت المبادئ الولسونية حول تقرير المصير مشروعية لطموحاتهم في «إحياء سلالتهم». ولم يكن آل بدرخان يطمحون، شأنهم شأن النخب الكمالية، لأن يكونوا داعين إلى حركة قومية منبثقة من المجتمع المدني الكردي. بل ينبغي إقامة الدولة الكردية باعتماد القوة المستندة إلى مساندة القبائل ودولة كبرى أجنبية.

من ناحية مغايرة تماماً كتب شكرو محمد سكبان[1]، وهو عضو أيضاً في (KTC)، رسالة مفتوحة بعنوان: ماذا ينتظر الكرد من الترك؟ وهي موجهة إلى النائب الكردي والوزير الكمالي فوزي بك بيرنسي زاده 1879-1933، من ديار بكر، وذلك قبل شهرين من توقيع معاهدة لوزان. وقد سرت هذه الرسالة الهجائية في تركيا وفي أوساط الكرد المنفيين. إنها الوثيقة الأولى العلنية التي كتبها قومي كردي ضد السياسة الكمالية إزاء الكرد. سكبان اقترح أربعة خيارات على حكومة أنقرة: إهمال الكرد كما فعل العثمانيون سابقاً، التتريك، قتل الكرد وطردهم، أو الاعتراف بالكرد كأمة (ملة) وإعطاؤهم الحق في تعليم لغتهم في المدارس إضافة إلى استقلال ذاتي إداري.

وقدّم سكبان طائفة من البراهين ليؤكد أن الاستيعاب ليس ضرورياً ولا عقلانياً، ولا أخلاقياً، ولا يمكن تطبيقه. ويذكر الكاتب، من ناحية ثانية، الوفاء الذي عبّر عنه الكرد إزاء مصطفى كمال، في حين كانت اتفاقية سيفر تنص على إنشاء دولة كردية. وقد شبه سكبان الكرد بالبولونيين والترك بالألمان، ليؤكد فشل مشاريع استيعاب أمة. والواقع أن الألمان عجزوا، رغم معارفهم

---

(1) ولد في مادن. بعد إنهاء دراسته في كردستان، استقر في اسطمبول للالتحاق بمدرسة الطب العسكرية. وبصفته أستاذاً، تقرّب من الطلاب الآخرين القادمين إلى العاصمة العثمانية وأصبح مرجعاً للشباب الأكراد. غادر تركيا بعد قيام الجمهورية بسبب نشاطاته إلى جانب الحلفاء.

العلمية و«ثقافتهم المتفوقة»عن استيعاب البولونيين فكيف يمكن للترك أن يطمحوا إلى تتريك الكرد. ويطالب المثقف الكردي، بلهجة ساخرة، فوزي بك أن يستخدم نفوذه لإقناع مصطفى كمال بالتخلي عن تلك المشاريع وأن يعترف رسمياً بوجود الكرد في تركيا.

ورغم أن هذه الوثيقة لا تحمل جديداً أيديولوجياً هاماً، إلّا أن اللافت بقاء سكبان، حتى بعد قيام الجمهورية التركية، حذراً ومن أنصار تفاهم مع الترك شرط الاعتراف بوجود «أمة كردية» في تركيا. وإضافة إلى ذلك، حافظ سكبان على الموقف في الزمن العثماني من أن الكرد والترك لا يشكلون إلّاّ:

[1] Kürt Türk birdirve Kürt Türk demektirt.

يعتقد مارتان ستروهمير أن لهجة الرسالة المعتدلة يمكن أن تفسر برغبة القادة الكرد في المنفى بإجراء حوار مع السلطات بغية البحث عن تفاهم جديد[2]. ويمكننا، أيضاً، أن نعتبر أن التناقض في الخطاب القومي الكردي يعود إلى التباس السياسة الكمالية إزاء الكرد. إن سياسة مصطفى كمال بين عامي 1919 و1923 لم تكن معادية للكرد بصورة حاسمة. فقد ترك بروتوكول أماسيا ورسائل مصطفى كمال إلى الأغوات والشيوخ الكرد وأيضاً خطب رئيس الجمهورية الباب مفتوحاً لإقامة حكم ذاتي محلي في مختلف الأقاليم الكردية. بيد أن الأخوة التركية الكردية التي كانت ترددها السلطات الكمالية يمكن تفسيرها إلى حد بعيد، بالظروف الدبلوماسية المتعلقة بالمفاوضات القائمة مع البريطانيين حول مستقبل شمال العراق ذي الأكثرية الكردية. ورغم

(1) Voir la lettre «Kürdker Türkler'den ne istiyorlair» de Chukru Sekban dans BAYRAK Mehmed, *Kürdoloji begeri*, Ankara, Oz-Ge, 1994, P. 26-39.

(2) STROHMEIER Martin, *Crucial Images in the Presentation of a Kurdish National Identity. Heroes and Patriots, Traitors and Foes*, Leiden & Bostin, Brill, 2003, P. 82.

ذلك فإن هذه الستراتيجية قد حيرت القوميين الكرد الذين كانوا يترددون بشأن الموقف الذي ينبغي اتخاذه في مواجهة السلطة الكمالية.

وأخيراً، إن العامل الثالث الذي أضعف القومية الكردية تمثل بمعارضة القبائل الكردية ومعظم القوميين الكرد، معارضة شديدة لإنشاء دولة أرمنية في مناطق شرق تركيا كما نصت معاهد سيفر عام 1920. «فالتهديد الأرمني، وحَّد بهذا المعنى الترك والكرد في مواجهة الخطر الخارجي». لم يكن إذن، إنشاء دولة كردية، من الأولويات الحاسمة للنخب الكردية في بداية سنوات 1920. وقد شكلّت انتفاضة كوشجيري عام 1921، استثناءً.

إعلان كوشجيري[1]

عام 1920، انقسم أعضاء كردستان تيالي سيمييتي (KTC) في أعقاب مناقشات طويلة، بعضهم فضّل البقاء في اسطمبول وآخرون اتجهوا إلى كردستان التركية للإعداد لانتفاضة عامة[2]. كان بين هؤلاء الآخرين نوري درسيمي وحيدر بك، وأصلهما من منطقة درسيم. وقد أسس حيدر بك، زعيم قبائل كوشجيري، فرعاً للـ KTC في العمرانية وانضم إليه العديد من الشخصيات النافذة في كوشجيري وفي درسيم. غير أن الشخصية المفتاح في إثارة التحركات الكردية في منطقة كوشجيري ـ درسيم هو علي شاه شقيق حيدر بك الذي كافح خلال الحرب العالمية من أجل الاستقلال الذاتي.

في تشرين الثاني/ نوفمبر 1920 تواعد زعماء قبائل الحوزات وسيميشعيزك على إنشاء جيش من 45 ألف رجل مستعدين للقتال من أجل استقلال كردستان.

لكن القادة الثائرين أرسلوا، قبل البدء بالقتال، برقية إلى القوات الكمالية

---

(1) انتفاضة كوشجيري حصلت في مناطق كوشجيري في ولاية سيفاس والجزء الغربي من درسيم. كان الكوشجيريون من الطائفة العلوية ويتكلمون الكرمانجية، وبعضهم الزازائية والتركية.

(2) DERSIMI Nuri, *Hatiratim. Dersim ve Kürt Milli Mücadelesine Dair*, Ankara, Oz-Ge, 1992 (nouvelle édition), P. 105.

لمعرفة نوايا الحكومة المؤقتة حول جملة قضايا الاستقلال الذاتي الكردي، وتحرير السجناء الكرد في خربوت وملاطيا وسيفاز وارزندجان، وسحب الموظفين الترك من المناطق التي فيها أكثرية كردية، وأخيراً سحب القوات العسكرية التي أرسلت إلى كوشجيري[1].

لقد بحثت الجمعية الوطنية اضطرابات درسيم في تشرين الأول/ أكتوبر 1920. وإذ طالب عدد من النواب برد حازم وأساليب قوية، فقد طالب النواب الكرد تأليف لجنة مصالحة بشأن إدارة كردستان. وفي البداية تفوّق النواب المعتدلون على دعاة الحزم. وحاولت حكومة أنقرة تهدئة الوضع وربح الوقت بتثبيت حيدر وعلي شاه بك في مطالبهما (الموروثة من الزمن العثماني). إلى ذلك عينت الحكومة المؤقتة أربعة نواب في الجمعية الوطنية، من أبناء درسيم، الأمر الذي أدّى إلى مشاركة محدودة لقبائل درسيم في انتفاضة عام 1921. لكن التوتر في المنطقة استمر يتصاعد وفي آذار/ مارس وقع الصدام العسكري.

احتل المنتفضون مدينة العمرانية في 7 آذار/ مارس ورفعوا علم كردستان في الساحة الرئيسية. وردت أنقرة بإعلان حالة الطوارئ في المنطقة. إن هذا القرار هدأ من اندفاع أنصار الاستقلال الذاتي: وترك استقلال كردستان جانباً مقابل ولاية ذات حكم ذاتي فقط في أقضية كوشجيري وديفريجي، ورفاعية وكوروشي، وكيماش. لكن القادة الكماليين قرروا القمع، بدون أي تنازل لحركة الاستقلال الذاتي. وحوالى نهاية أيار/ مايو 1920 تم قمع الانتفاضة.

إن انتفاضة كوشجيري تمت بفعل تلاقي الرفض القومي الكردي الممثل

---

(1) MCDOWALL David, *A Modern History of the Kurds,* Londres & New York, I.B. Tauris, 1996, P. 185.

بأعضاء KTC والرفض العلوي الممثل بقبائل كوشجيري ضد الكلام المنمق الكمالي عن الوحدة التركية الكردية القائمة على الإسلام السني.

هذا الرفض المزدوج يفسّر لماذا كان العلويون وحيدين في التمرد على حكومة أنقرة قبل عام 1923. لقد ثار سكان كوشجيري ليدافعوا عن كرديتهم في وجه «المغول» (الترك) بمستوى دفاعهم عن تراثهم العلوي. فالعلوية وفرت «الأرضية» للتعبئة وكانت منطلقاً لكل خطاب كردي جديد وفرت له معاهدة سيفر المشروعية[1]. وفي حين نجح أعضاء KTC في تعبئة القبائل ضد القادة الكماليين، فإنهم عجزوا عن تعبئة القبائل السنية المتجاوبة مع خطاب مصطفى كمال الداعي إلى المصالحة. وتحولت حركة كوشجيري بالتدريج، إلى المطالب المحلية، رغم استمرار التمسك بالمسلمة المطلقة وهي استقلال كردستان. وقد انعكس الطابع الانقسامي الكردي في الأدبيات الكردية أيضاً. فقد كان القوميون الكرد المتحدرون من KTC عاجزين عن صياغة عقيدة قومية تتعدى الافتراق اللغوي والديني من أجل تعبئة أكبر قطاعات المجتمع الكردي.

إن سحق انتفاضة كوشجيري، والتحاق عدد كبير من زعماء القبائل السنية بحكومة أنقرة، والانتصارات العسكرية على اليونانيين، جعلت الكماليين يعتقدون أنهم قد أمنوا القاعدة للاستقرار الداخلي والخارجي في تركيا. ويؤكد ذلك عدم اهتمام حكومة أنقرة في بداية انتفاضة الشيخ سعيد. بيد أنه كان على مصطفى كمال أن يواجه، بعد وقت قصير، أول انتفاضة كردية كبيرة منذ قيام الجمهورية.

---

(1) KIESER Hans-Lukas, «Les Kurdes alévis et la question identitaire: le soulèvement du Koçgiri-Dersim (1919-21)», *Les Annales de l'Autre Islam*, n° 5, 1998, P. 309.

يمكن اعتبار انتفاضة الشيخ سعيد[1]، بشكلها وبدوافع القوى التي شاركت فيها، انتفاضة من النوع الكلاسيكي. وكان هدف معظم الزعماء القبليين والدينيين التفاوض من أجل تعاقد واضح مع المركز أكثر منه إقامة كردستان مستقلة. كانت أكثرية الزعماء «التقليديين» تعتبر بأن التخلي عن الإرث العثماني، وعلى الأخص، إلغاء الخلافة، خيانة للعهود الكمالية التي قدمت في مؤتمري سيفاس وأرزوروم عن أخوة تركية كردية تقوم تحديداً على الإسلام. ويمكن أن تدرج هذه الانتفاضة في نسق الانتفاضات الكردية زمن الحكم العثماني، رغم الدور، الذي لا يمكن الاستهانة به، الذي لعبته فيها المنظمة القومية آزادي («الحرية»).

وفي كل حال، إن انخراط المنظمة القومية آزادي في الانتفاضة فتح آفاقاً جديدة في النضال الذي كان يخوضه الزعماء القبليون والدينيون. فقد أسست هذه المنظمة السرية شبكة من القواعد في المدن الرئيسية في كردستان التركية. واتسعت قاعدتها في مؤتمرها الأول، عام 1924، بانتساب زعماء دينيين مثل الشيخ سعيد. وقد اتخذ المشاركون في المؤتمر قرارين: القيام بانتفاضة عامة في كردستان التركية ومن ثم إعلان الاستقلال. إلّا أن قادة

---

(1) وُلِد الشيخ سعيد في بالو عام 1865. بعد ولادته بفترة قصيرة استقر والده الشيخ علي مع العائلة في هينيس حيث أسس طريقة دينية. ترأس الشيخ سعيد بعد وفاة والده الطريقة واتبع التقليد العادي بتزويج أولاده بأولاد مشايخ وزعماء قبائل آخرين لتوسيع نفوذ العائلة. وكان الشيخ سعيد نفسه متزوجاً من امرأة من قبيلة جبران، وكان له بالتالي، صلات قربى مع أحد مؤسسي منظمة أزادي خالد بك جبران. كان الشيخ سعيد يعتبر في عصره من أغنى الأشخاص في كردستان التركية، بسبب علاقات التزاوج، ومقامه الديني. أولسن (Olson) روبير، نشوء القومية الكردية وانتفاضة الشيخ سعيد 1880-1925 جامعة أوستن في تكساس 1989.

آزادي اشترطوا دعماً خارجياً لضمان نجاح هذا المخطط. وقد مارس الشيخ سعيد ضغطاً، بعد استبعاد مساندة فرنسا، لطلب مساعدة السوفياتيين، كما لم يستبعد الاتصال بالبريطانيين.

ورغم أن زعماء آزادي أعلنوا رغبتهم في تنظيم انتفاضة جيدة الحضير فقد أثبت الواقع أن الأمر أكثر تعقيداً مما كان يعتقد. فالجهود التي بذلت في الدعاية والتنظيم لم تكن، كما بدا، تنطلق من ستراتيجية واضحة ومحددة جيداً. كان القادة، كما ظهر، يعتقدون أن قيام الانتفاضة وإعلان الاستقلال كافيان للحصول على دعم الكرد. لكن بان أخيراً أن النقص في التنسيق وفي الانضباط في صفوف المنتفضين كان واضحاً حتى قبل بداية التحرك المقرر في أيار/ مايو 1925.

في آب/ أغسطس 1924 تحركت بعض الكتائب من اللواء الثامن عشر من الفيلق السابع إلى بيت الشباب، في منطقة هاكاري حيث حاولت قبائل نسطورية تنظيم حركة ثورية ضد النظام الكمالي. بين قادة هذه الحملة كان يوجد بعض من قادة آزادي، مثل إحسان نوري وراسم خورشيد، وتوفيق جميل ورضا. وقد تلقى هؤلاء في نهاية شهر آب/ أغسطس برقية مشفرة من اسطمبول من قبل عضو آخر في المنظمة، يوسف ضيا. وقد عبر هذا الأخير عن خيبة أمله في إلغاء الخلافة ومن التصرفات الدكتاتورية لمصطفى كمال، وقد اعتبر إحسان نوري ورضا الرسالة المشفرة ضوءاً أخضر لإعلان الانتفاضة المسلحة بدعم متوقع من المعارضين الترك، وقد نظم الضابطان الكرديان عصياناً في بيت الشباب ليل 3 و4 أيلول/ سبتمبر. لكنهما لم ينجحا في كسب قبائل هاكاري.

أدّى هذا الفشل الأول لآزادي إلى اعتقال عدد كبير من القادة وإلى مفاقمة مسائل تنسيق نشاطات المنظمة القومية. وكان بين المعتقلين شخصيات هامة

مثل مؤسسي المنظمة خالد بك جبران، ويوسف ضيا، وأيضاً حاج موسى بك موتكي من بتليس. وقد عوض النقص بغياب الأعضاء المؤسسين قدوم الشيخ سعيد القائد غير المنازع للثائرين الكرد بفعل جاذبيته وموارده الاقتصادية. وفي حين كانت تجري محاكمة خالد بك ويوسف ضيا في بتليس كان الشيخ سعيد يجوب مناطق خاربوت ودياربكر، وجنج وداراهيني لإقناع السكان الناطقين بالزازائية[1] بالانتفاضة على النظام الكمالي. إلاّ أن الطابع غير الناضج للانتفاضة، وفقدان التضامن بين الكرد (بين علويين وسنّة وبين ناطقين بالزازائية والكرمانجية)، وانضباط القوات المنتفضة، وعدم القدرة على كسب السكان إلى جانب الانتفاضة، والتعبئة العامة، وإن المتأخرة، للجيش التركي، كل ذلك شكل العوامل التي تمكننا من فهم فشل الانتفاضة التي عرفت بانتفاضة الشيخ سعيد.

كردستان التركية بعد انتفاضة الشيخ سعيد

لقد أدّى الفشل على أبواب دياربكر، وتقدم الجيش التركي في أثره، إلى نهاية الانتفاضة. وأعقب اعتقال الشيخ سعيد اعتقالات أخرى في المناطق الكردية وفي اسطمبول أيضاً. وقد أعطى سن القانون الرامي إلى «إعادة النظام» (تالربر، أي سكون كانونو)، بعد الانتفاضة الكردية، للسلطة التنفيذية الصلاحيات المطلقة لتمنع، بتدابير إدارية، كل تنظيم، وكل حركة، وكل توجه، وكل نشر من شأنه تعكير الأمن، والسلم، والنظام الاجتماعي في البلاد قد تستفيد منه المعارضة والانتفاضة.

---

(1) تحكى الزازائية أو الدملي في شمال غرب كردستان، لكن فيها بعض التقارب مع الغوراني المحكية في شرق منطقة السليمانية، في كردستان العراق. لكن القرابة بين الزازائية والغوراني لم تحظَ باهتمام كبير عند اللغويين، وأثارت عند القوميين الكرد جدالاً حاداً حول كردية هذه اللغة.

وقد حكمت محكمة دياربكر ذات النهج المتشدد، والخاضعة لأوامر أنقرة، بالإعدام على الشيخ سعيد و46 سجيناً آخر في 29 حزيران/ يونيو 1925. وفي المحصلة حاكمت محاكم الاستقلال 7440 شخصاً أعدم منهم 600.

أثارت التدابير القمعية في كردستان سخطاً عاماً إثر سحق انتفاضة الشيخ سعيد[1]. وتم اعتقال ونفي الكثير من الآغوات بتهمة ميولهم الانفصالية، بين عامي 1925-1926. ولم توفر حملة الحكومة التركية الواسعة على غير المرغوب فيهم، أي مواطن من أصل كردي. ويمكن اعتبار الريبة من الانفصاليين «وراء سحب القوات، ضباطاً وجنوداً، من ذوي الأصل الكردي التي كانت متمركزة في الطرف الجنوبي لكردستان التركية»[2].

في هذا الوضع المتأزم انتشرت أعمال التمرد في الولايات الشرقية. وقامت في ربيع عام 1926، اضطرابات في مناطق فان (Van) ودرسيم (Dersim)، رغم بعض الإعدامات التحذيرية. وفي الجنوب، انتفضت قبيلة هفركان (Heverkan) بزعامة الحاجو آغا، ضد أنقرة، في حين رفعت قبائل دجيلالي (Djelali) وهيدرام (Haydaram)، التي ظلّت على الحياد خلال انتفاضة الشيخ سعيد، سلاحها في وجه الحكومة بسبب الإعلان عن نفي زعمائها إلى غرب الأناضول.

وكانت مدينة بتليس (Bitlis) في أيلول/ سبتمبر مسرحاً لانتفاضة محدودة.

---

(1) قال «زعيم كردي مستاء» للسلطات الفرنسية: «لو أن الحكومة لم تعاقب سوى المذنبين، لخضع الكرد، لكن رجال أنقرة قتلوا الأبرياء، وصار، بيننا وبينهم، صراع حتى الموت».

(2) *CADN, Fonds Ankara, Ambassade*, n° 92. Consulat de France à Mossoul, n° 1. M. F. Puech, Consul de France à son Excellence M. Albert Sarraut, Ambassadeur de la République en Turquie. Mossoul, le 26 mars 1926, P. 1.

وقد أحدث إبرام قانون النفي، عام 1927، تغييراً كبيراً في سياسة النظام الكمالي في كردستان. ورأى السفير البريطاني، سير جورج كلارك (Clark) في هذا القرار استمراراً لستراتيجة إجلاء العناصر غير التركية من الولايات الشرقية، وهو إجلاء سبق ومورس ضد الأرمن عام 1915 [1]، رداً على ادعاء السلطات التركية أن الهدف هو إبعاد بعض الشخصيات الكردية تجنباً لقيام اضطرابات محتملة في شرق تركيا.

وامتد القمع إلى ميادين أخرى. فإن مشاركة العديد من الشيوخ في الانتفاضة قد اتخذ مبرراً لمنع كل الطُرق، وإغلاق كل الأضرحة وأمكنة الحج. إن القمع الجسدي للكرد استند إلى شرعية طابع الدولة القمعي، لإجبارهم على قبول الاندماج القسري. وقد شجع المراقب العام إبراهيم تالي (Tali)، إنشاء مدارس تركية لهذا الهدف في جميع المدن المتوسطة والكبيرة في كردستان باستثناء منطقة، هاكاري (Hakkari). وارتبط تريك المدارس بتريك الجيش «المدرسة الممتازة» فالجنود الكرد يرسلون إلى الغرب من الأناضول ليتعلموا كيف يصبحون «تركاً جيدين». كما ارتبط التريك بإنشاء المراكز الثقافية، حيث يجرى العمل بإصرار على نشر المدنية بين الكرد[2].

غير أن نجاح الإصلاحات السياسية والاجتماعية التي باشرتها الحكومة التركية يتطلب زمناً طويلاً من الازدهار الاقتصادي والهدوء الداخلي. وأي شرط من هذين الشرطين غير متوافر.

فتركيا تعاني من أزمة مالية شديدة الحدة، زاد من وطأتها جفاف صيف

---

(1) *PRO, FO 371/12255*, Lettre de Sir George Clark à Sir Austen Chamberlain. Constantinople, le 22 juin 1927.

(2) 22(*PRO, FO 371/14579/E2678/1279/44*. Notes du Voyage de W.S. Edmonds à A. Henderson. Constantinople, le 21 mai 1930, P. 7-8.

عام 1929، الذي أدى إلى خراب الكرد، الذين ذهب بعضهم لتعزيز صفوف «قُطاع الطرق والثائرين»[1].

كانت كل الشروط السياسية والاجتماعية، في نهاية عشرينيات القرن العشرين، متوافرة، إذن، لقيام انتفاضة كردية كبيرة.

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Rapport du Consul français à Adana. Direction d'Affaires Politiques. Paris, le 30 juin 1930, P. 1.



الجزء الأول

ديناميـة الانـدماج الكـردي
فـي الـسيـاسة الانـتـدابيـة



إن دخول الامبراطورية العثمانية في الحرب قد مسّ مباشرة منطقة المشرق بفعل فتح جبهة قناة السويس. لكن مطامح الدول الأوروبية (بريطانيا العظمى، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، وروسيا) في بلدان الشرق الأوسط كانت أكثر تأثيراً. وفي النهاية انفصلت كل المناطق العربية عن الدولة التركية الجديدة، بعد أربعة قرون من السيادة العثمانية.

كانت المصالح الفرنسية في منطقة المشرق تستند إلى تقليد قديم في حماية الطوائف المسيحية، وتعزز خلال القرن التاسع عشر عن طريق جهد مثابر وقوي لتعزيز الإرساليات الدينية والمؤسسات التعليمية. وفي حين كان الرأي العام الفرنسي قليل الحماس للاهتمام بسوريا، كان رجال الأعمال الليونيين قد نجحوا بفرض رأيهم بفضل العمل المنسق للتجار والجامعة والكنيسة، من أجل سياسية استعمارية النوع في منطقة المشرق[1].

كما أن فرنسا كانت ترغب في توطيد موقعها كدولة كبرى استعمارية في حوض البحر الأبيض المتوسط انطلاقاً من منطقة المشرق (فلسطين، سوريا، لبنان)، وحتى شمال العراق (ولاية الموصل)، دون التخلي عن جنوب شرق الأناضول (كيليكيا)[2]. غير أن المصالح الفرنسية بدأت تتشكّل في الوقت

(1) Voir SEURAT Michel, L'Etat de la barbarie, Paris, Seuil, 1989, P. 173-220.

(2) RAYMOND André, «La Syrie, du royaume arabe à l'indépendance (1914-1946)», in: *La Syrie d'aujourd'hui*, André Raymond (dir.), Paris, CNRS, 1980, P. 56

الذي بدأت تتبلور فيه الطموحات القومية العربية في ظل الامبراطورية العثمانية.

ولما كانت روحية الانتدابات، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، تفترض تحضير الأمم «الأقل تطوراً» للاستقلال من خلال مرحلة انتقالية تحت وصاية دولة كبرى «متمدنة»، فإن شرعة الانتداب التي أقرت عام 1923 وضعت سوريا ولبنان تحت وصاية فرنسا. ومذاك صار المنتدب يتمتع عن طريق ممثليه بكل الحقوق والمبادرات وكل السلطة دون استثناء. وأضحى المفوض السامي المقيم في السرايا الكبيرة في بيروت الممثل الأول للدولة المنتدبة في بلدان المشرق، والقائم، في الوقت نفسه، بوظيفة الوساطة بين وزارة الخارجية الفرنسية والدول الخاضعة للانتداب[1]. وكان يتمتع بسلطة مطلقة في حقول التشريع والتنفيذ. وصار بموجب المادة 3 من وثيقة الانتداب ينوب عن السلطات السورية في علاقاتها مع الدول الأجنبية.

ويعتقد بيير روندو أن الأخطاء الأصلية في مفهوم الانتداب كانت أخطر أخطاء الدول المنتدبة. في الواقع، لم تطبق فكرة «الانتداب» التي أقرتها عصبة الأمم بطريقة واحدة من قبل كل الدوائر الفرنسية التي قامت بما كانت تقوم

---

(1) Longtemps délaissé par l'historiographie, le Mandat français en Syrie et au Liban bénéficie depuis quelques années d'un regain d'intérât. Pour une étude approfondie du Mandat français, nous nous en remettons aux très bons ouvrages de MEOUCHY Nadine (dir.), *France et Liban 1918-1946. Les ambiguïtés et les dynamiques de la relation mandataire*, Damas, Institut Français d'Etudes Arabes de Damas, 2002; MEOUCHY Nadine & SLUGLETT Peter (dir.), *Les Mandats français et anglais dans une perspective comparative*, Leiden & Boston, Brill,. 2004; MIZRAHI Jean-David, *Genèse de l'Etat mandataire. Service des Renseignements et bandes armées en Syrie et au Liban dans les années 1920*, Paris, Publications de la Sorbonne, 2003.

به في أمكنة أخرى: الإدارة المباشرة عوض إعداد وتعليم الموظفين من أهل البلاد.

وإلى ذلك فإن فرنسا كانت قليلة المعرفة بالبلاد، في حين كانت تتعامل مع المشرق بوصفه بلاداً تعرفها جيداً.

وقد أدى هذا الجهل إلى إعداد مشاريع محلية تتجاوز قدرة القائمين بها، المنعزلين في الغالب، وإلى قلة الانتباه إلى ظواهر اجتماعية وسياسية هامة مثل تعزز الشعور القومي العربي. وكان ينبغي انتظار انتصار الجبهة الشعبية في فرنسا عام 1936 لإقامة مؤسسة مختصة، مركز الدراسات الإدارية العليا (CHEAM) من أجل إعداد الموظفين الفرنسيين العاملين في سوريا ولبنان وفي بلدان المغرب.

وقد تجلت هذه المشكلات، حسب روندو، باضطراب وعدم تماسك في السياسة الفرنسية في المشرق في مواجهة خيارات مهمة مثل التوزيع الجغرافي والسياسي للمناطق، وتحديد طبيعة النظام السياسي (جمهوري أم ملكي) أو مسار تطور الانتداب ومحطاته الزمنية[1].

إن عدم ثبات السياسة الفرنسية عززه عدم ثبات الرجال المكلفين بتنفيذ الانتداب. وبين عام 1920 وعام 1928، بدلت فرنسا ست مرّات المفوض السامي، دون أن تتابع، بالضرورة، الخط السياسي نفسه الذي تعهدت به بصفتها دولة منتدبة.

وقد لجأت السلطات المنتدبة إلى اللعب على حبال التناقض بين النخب الريفية (زعماء العشائر والشيوخ) والنخب المدنية. واستندت فرنسا، في الوقت نفسه، إلى فريق من النخب المدينية (برجوازية مسيحية، ونخب

(1) RONDOT Pierre, «L'expérience du mandat français en Syrie et au Liban (1918-1945)», *Revue générale de droit international public*, T. XIX, 1948, P. 387-409.

تقليدية) من أجل تشديد عزلة القوميين العرب، ممارسة، إلى حد ما، ما يعرف بـ «أسلوب ليوتي»[1]. لكن هذه الستراتيجية التي أعطت بعض ثمارها، لم تؤدِ إلى منع نمو الحركة القومية العربية. إلى ذلك فإن سياسة المواجهة بين النخب السورية قد أدّت إلى منع قيام مجتمع مدني، أقله في المدن السورية[2]. إلاّ أن الطابع الأكثر عرضة للانتقاد في السراتيجية الفرنسية. هو المتعلق، بدون شك، في توزيع الأراضي بين دول المشرق، والتنازلات في إعطاء الحكم الذاتي المحلي لها.

وقد أرادت السلطات الفرنسية الإيحاء بأنها مجرد حكم بين الأقليات الإثنية والدينية وبين الأكثرية الإسلامية السنية. وميثاق الانتداب لا يؤدي إلّا إلى تقوية هذه الذريعة، لأنه وضع بين أهداف الانتداب حماية الاستقلال الذاتي لبعض الطوائف الدينية والإثنية. وتعتقد فرنسا أن الوحدة السورية ليست سوى بدعة قومية عربية ودعوة اصطنعها البريطانيون للضرر بالمصالح الفرنسية في الشرق الأدنى، ونتيجة، أيضاً، للتعصب الإسلامي.

وفي حينه، لم تقم فرنسا إلّا بالاستجابة لمطالب الأقليات الدينية،

---

(1) لقد كرر ممثلو فرنسا، جزئياً، المخطط السياسي والإداري عن زمن الحماية الذي رسمه المارشال ليوتي. إن نظام ليوتي لا يسعى إلى استيعاب السكان الموضوعين تحت الحماية، بل إشراكهم في إدارة البلاد مع احترام الدين، واللغات والعادات والتقاليد المحلية. إلّا أن معرفة واحترام اللغات المحلية، والبنى الاجتماعية للبلاد، قد وضعت في مصلحة الدولة الحامية. كان المارشال ليوتي يهدف إلى توتر بين المدينة والريف، وبين الأقليات الإثنية والطائفية، وأكثرية السكان، أو، أيضاً، بين القوى التقليدية والنخب المدينية.

(2) HINNEBUSCH Raymond A, «State, Civil society, and Political change in Syria», in: *Civil society in the Middle East*, Richard Norton (dir.), Vol. I, Leiden & New York & Cologne, E.J. Brill, 1995, P. 216-217.

وخاصة طلبات العلويين الذين يطمحون إلى تمثيل سياسي أكبر. وكما تذكر لينكاباكوفا، فإن هذه الذرائع تستند إلى حقائق المجتمع السوري، إلّا أنها ليست، في الواقع، هي التي استوحتها، فعلاً، السياسة الفرنسية. فالواقع مغاير بالكامل.

ذلك أن سياسة باريس كانت تلبي هدفين يرتبط واحدهما بالآخر: البقاء أطول مدة ممكنة في المشرق «ومن أجل ذلك جعل وجودها وسلطتها ضرورة لا غنى عنها، ومن ثم طبع جسم اجتماعي غريب عنها بنظامه وهياكله بطابعها من جهة، ومحاربة الوحدوية القومية من جهة أخرى»[1].

ويسلط جان دافيد مزراحي، بمقاربة تجديدية، الضوء على السياسة الانتدابية وإقامة السلطات المحلية. فيقول: إن هدف السرايا كان، قبل أي شيء آخر، إقامة سلطات ضعيفة في مواجهة الآلة الإدارية الانتدابية. وعلى أساسه، تعجز السلطات الهشة التي أقامتها الدولة المنتدبة محلياً عن الطموح إلى مستوى دولة. هنا، إذن، «قلب الستراتيجية المنتدبة بالذات». حيث فرضت المفوضية العليا نفسها أمراً واقعاً، بوصفها الهيئة المشتركة لهذا التعدد من الاستقلالات الذاتية، والهيئة الواحدة والوحيدة التي تمتلك آليات دولة: في سوريا وفي لبنان، في بداية سنوات 1920. فسلطة الدولة هي السلطة المنتدبة[2]. إلاّ أن هذه السلطة لا تمارس الستراتيجية السياسية والإدارية

---

(1) BOKOVA Lenka, *La Confrontation franco-syrienne à l'époque du mandat, 1925-1927*, Paris, L'Harmattan, 1990, P. 51.

(2) MIZRAHI Jean-David, *Genèse de l'Etat mandataire. Service des Renseignements et bandes armées en Syrie et au Liban dans les années 1920*, Paris, Publbications de la Sorbonne, 2003, P. 82.

نفسها، إزاء مختلف الأفرقاء الإثنيين والدينيين في المشرق. وبناءً على ذلك يمكن تحليل الدولة المنتدبة كنموذج فاعل وحيد، نظراً لأن مختلف قطاعاتها تتنافس وتسهم، بأشكال مختلفة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في نشوء مختلف الحركات التعبوية.

ويمكننا التأكيد، باتباع نموذج رونالد روبنسون[1]، أن بروز «سياسة كردية» في ظل الانتداب يندرج في سياق محاولة كسب زبائن من الأفرقاء والوسطاء المحليين المفترضين أنهم يدافعون عن مصالح فرنسا. لكن هذا التحليل لا يغطي كل الحقيقة. فالتعاون الفرنسي الكردي الذي بدأ عام 1925 ليس خالياً من نقاط الضعف ذلك أنه لا الدعم المحلي ولا دعم السلطات المنتدبة كان مضموناً بصورة نهائية. والفريق الكردي، من جهته، لم يكن يشكل كتلة متراصة. كانت بعض القبائل تلعب الورقة التركية (في الجزيرة وفي كرد داغ أيضاً) وآخرون الورقة العربية، والأغلبية الورقة الفرنسية دون نسيان الانقلابات المفاجئة لبعض زعماء القبائل طوال عهد الانتداب. وأخيراً، فإن جميع اللاعبين كانوا عاجزين عن الإفلات من الطابع العابر للحدود لـ«القضية الكردية». على العكس كان كل واحد منهم يحاول استثمارها لصالحه مع خطر مفاقمة التوتر الإقليمي وفقدان السيطرة على القضية الكردية.

---

(1) ROBINSON Ronald & GALLAGHER John & DENNY Alica, *Africa and the Victorians: The Official Mind of Imperialism*, Londres, Macmillan Press, 2e édition, 1981.

الفصل الأول

توطيد سلطة الانتداب في الشمال السوري

كان للاتفاقيات والمعاهدات التي وقعها الحلفاء بعد انهيار الامبراطورية العثمانية نتائج أدّت إلى تصغير هام لمنطقة النفوذ الفرنسي في الشرق الأوسط. واختزلت المناطق التي عهد بها إلى فرنسا المنتدبة عام 1920، إلى خط عينتاب بروجيك (Bregick)، ماردين وجزيرة ابن عمر. وحّد الاتفاق الفرنسي التركي الموقع في العشرين من تشرين الأول / أوكتوبر 1921، أيضاً، من النفوذ الفرنسي في المناطق الكردية وأوصلها إلى خط بياس (Payas) ميدان أكبس (Ekbès) وجندب كيليس، وتشوبان (tchoban) بك وسكة حديد بغداد نصيبين، حتى الطريق القديم بين نصيبين وجزيرة ابن عمر باستثناء هاتين المدينتين الأخيرتين. وخسرت فرنسا من جديد جزءاً من الأرض الكردية في سنجار يسكنها كرد يزيديون، وتمّ إعطاؤها للعراق بموجب اتفاق سوري عراقي في 3 تموز/ يوليو 1933.

لقد أثرت هذه «الخسائر التدريجية» للمناطق الكردية في السياسة الفرنسية إزاء الكرد، وقد اضطرت السلطات المنتدبة إلى الانتظار حتى عام 1933 لمعرفة الكرد، الخاضعين لسلطتها بدقة. ولم تسيطر الدولة المنتدبة على

كامل الجماعات الكردية إلّا على امتداد احتلال القوات الفرنسية للمناطق المختلقة التي تسكنها قبائل كردية. وقد استمرت هذه العملية الاستعمارية عقداً من السنين الأمر غير العادي في نظام الانتداب.

القبائل الأولى التي أنزلتها فرنسا في مناطق احتلالها في سوريا كانت قبائل كرد كرد داغ منذ نهاية عام 1919. وقد تمّ دخول القوات الفرنسية إلى هذه المناطق الجبلية بصورة سهلة نسبياً. وأعلن كرد دمشق ولاءهم لفرنسا بعد سقوط حكومة فيصل في تموز/ يوليو 1920 [1]. في المقابل اتخذت قبائل جرابلس موقفاً ملتبساً. فقد خضعت قبائل كيكان وبيجان منذ وصول الجيوش الفرنسية عام 1920 كما بدت قبائل ميليس متعاونة في منطقة أورفا. لكن عصابات كردية كثيرة، بينها جماعات مرتبطة بقبائل ميليس، اعتمدت جانب الترك خلال المعارك بين القوات الفرنسية والكتائب الموالية لمصطفى كمال حول مرعش، وعنتاب وأورفا. وكان تعاون قبائل الكيكان أساسياً في فرض السيطرة على منطقة الفرات.

حاول الضباط الفرنسيون، بهذا القدر من النجاح أو عدمه، إقناع القبائل بحسنات التحالف العسكري. وقدمت فرنسا نفسها كعامل «أمن، وتقدم، وعدالة في مصلحة كل سكان المنطقة». وقد اضطرت القوات الفرنسية إلى إطلاق وعود لتأكيد أن الانسحاب من كيليكيا لم يكن نتيجة فشل، بل على العكس تم اختياراً، وفي كل حال، لن يؤدي إلى التخلي، عن البلاد، بل على العكس يلبي، روح معاهدة السلام التي تنص على إقامة كردستان ذي استقلال

---

(1) FUCCARO Nelida, «Ethnicity and the city: the Kurdish quater of Damascus between Ottoman and French rule, c. 1724-1946», *Urban History,* Vol. 30, n° 2, 2003, P. 218-219.

ذاتي[1]. بيد أن السلطات العسكرية الفرنسية واجهت في آخر قطاع يسكنه أكراد، الجزيرة العليا، المقاومة الأشد كما سنرى لاحقاً.

1ـ لمحة جغرافية وبشرية

يسكن السكان الكرد الخاضعين للانتداب الفرنسي ثلاث مناطق ضيقة ومنفصلة عن بعضها، على طول الحدود التركية. لذلك لا يمكن الكلام عن «كردستان سورية» بل عن «مناطق كردية في سوريا»، بيد أن هذه الأراضي الحبيسة الكردية تشكل امتداداً طبيعياً للأقاليم الكردية في تركيا والعراق.

الأولى، في الجزيرة العليا بين دجلة والضفاف الغربية لحوض الخابور، طولها 250 كيلومتراً وعرضها، في بعض الأمكنة، 30 كيلومتراً. وهي شمال سهل الجزيرة ويحدها جبل نورالدين، وفي الجنوب مرتفعات جبل عبد العزيز. وسلسلة الجبال الوحيدة التي تغير هذا المنظر الرتيب هي كراتشوك داغ (769 متراً) الممتدة غرباً من ليلك (Lailak) داغ (710). وتشكل التلال الصغيرة القائمة على أطلال قُرى قديمة، جزءاً آخر من طبيعة المكان. وفي حين لا يوجد في الجزيرة السفلى زراعة إلّا على ضفاف الخابور، فإن الجزيرة العليا، المعروفة من الانتداب الفرنسي بـ «منقار البط» السوري تمتلك، بفضل طبيعة أراضيها، أفضليات لتربتها الجيدة، ومياهها، ومناخها[2]. وبفعل هذه

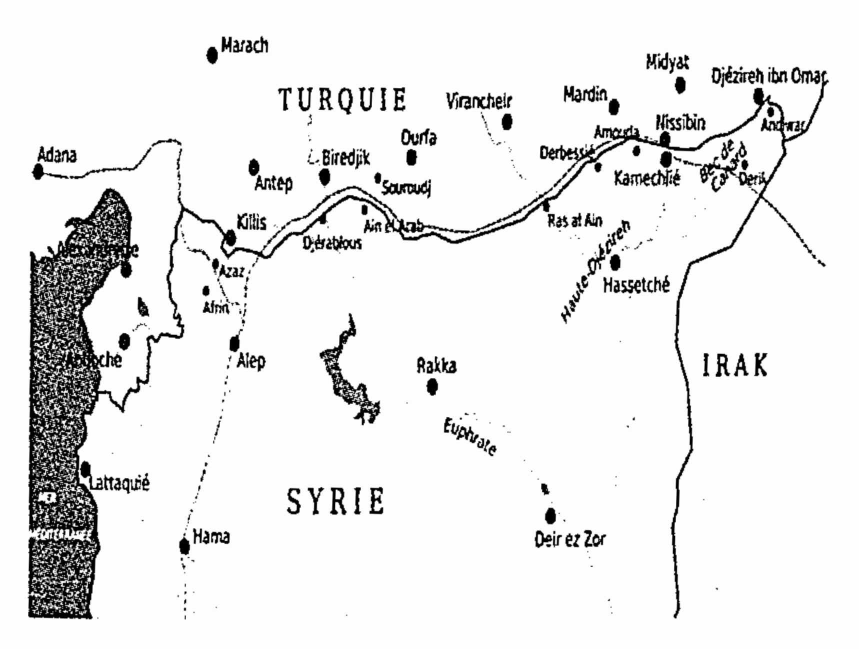
---

(1) Colonel Andréa, cité par MAHMOUD Akil, *Le Mandat français et la politique des minorités en Syrie. Le cas Kurde (1918-1940)*. Mémoire de Diplôme de l'EHESS, sous la direction de Robert Paris, 1993, P. 97.

(2) GIBERT André & FEVRET Maurice, «La Djézireh syrienne et son réveil économique», *Revue de Géographie de Lyon*, T. XXVIII, 1953, P. 1-15; DILLEMANN Louis, *Haute Mésopotamie orientale et pays adjacents*, Paris, Paul Geuthner, 1962, P. 27-54; *L'Asie française*, n° 268, 1929, P. 90-94.

الأفضليات تعيش هذه المنطقة منذ الانتداب وفيما بعد استقلال سوريا نهضة اقتصادية هامة تحولت معها إلى «إهراء». وتنتج الجزيرة، إلى ثروتها الزراعية، كامل النفط السوري منذ 1956.

الثانية، على ضفاف الفرات، طولها ستون كيلومتراً وعرضها أربعون. والثالثة في كرد داغ (جبل الأكراد)، وفي لتشي (Letché) غرب حلب، طولها أربعون كيلومتراً. وعرضها أكثر قليلاً وهي منطقة جبلية يبلغ ارتفاع بعضها إلى 1200 متر. ويتصل كرد داغ من جهة الشمال بالسلسلة المقابلة لطوروس في كردستان التركي. وينعم كرد داغ بمستوى هام من الأمطار، وبمجاري مياه سيلية. وتنتج هذه المنطقة كمية وافرة من الفواكه المتوسطية (التين والرمان، والتفاح، والزيتون) ومن الحبوب (قمح وشعير). وتلعب تربية الماشية، في المنطقة الشمالية الغربية من الجبل، دوراً هاماً في الاقتصاد المحلي.



خريطة رقم (1) لمناطق سكن الأكراد في سوريا

يتكلم معظم كرد سوريا اللهجة الكرمانية (لهجة الأكثرية في تركيا) وهم في أكثريتهم مسلمون سنة، باستثناء اليزيديين[1] المبعثرين بين الجزيرة العليا ومنطقة جبل سمعان، ووادي عفرين وكرد داغ. ولم تكن العلاقات سهلة دوماً بين الكرد والعرب على الحدود التركية السورية، وكان العنف يسود أحياناً أيام العثمانيين. لكن حسب ملاحظة بيير روندو لم تكن الروابط الكردية العربية متوقفة عند الحدود التركية السورية. فقد أبعد الكرد، في الواقع، بإعداد كبيرة إلى مسافات بعيدة في داخل البلدان العربية وذلكد لسببين: بتدبير عقابي، أو لخدمة الملوك في مهام إدارية وعسكرية. في الفريق الأول: الرازيون من سكان الضفة اليسرى من الفرات، وجنوب عرب بونار (Arab poonar) وقبائل كرد داغ. وهناك، في المقابل، الجماعات الكردية ذات الأصول العسكرية المستوطنة في دمشق، وحوران، والجليل الأعلى والأردن، وعلى طول طريق الحج حيث كانوا يؤمنون حمايتها[2].

كرد شمال سوريا

كانت الجزيرة، في العهد العثماني مكان تنقل القبائل العربية من شمر وطي وبكاره في جوار القبائل الكردية نصف البدوية، من مربي الأغنام، من ملّس، ودكورية وهفركان (Millis, Dokkourie Heverkain) التي كانت تنزل

---

(1) Par dédinition, tous les yézidis sont ethniquement kurdes, La religion de yézidis est une synthèse de croyances préislamiques (Zoroastrisme, manichéisme, judaïsme, christianisme) et d'éléments musulmans.

(2) ZELTER Moshe, «Minorities in Iraq and Syria», in: *Peoples and Cultures of the Middle East*, Ailon Shiloh (dir.), New York, Random House, 1969, P. 18-19.

من الجبال لتمضية فصل الشتاء. وتعيش إلى جانب القبائل البدوية ونصف البدوية بين دجلة، وتلال كراتشوك (Karatchok)، جماعتان مستقرتان من أصل كردي، الحسنان والميرامس (Hassenan et Mirames). وقد تعزز الوجود الكردي في الجزيرة بوصول الفلاحين الجبليين، وسكان المدن الهاربين من كردستان التركية بعد فشل ثورة الشيخ سعيد عام 1925. وقد استقر هؤلاء السكان الكرد الجدد خلال الانتداب الفرنسي، ومارسوا تعايشاً هشاً مع القبائل العربية، التي ظلت بأكثريتها من البدو الرحل، ومطارحها جنوب القامشلي، وزورس شمر خورسا (Khorsa). وسوف نتحدث بمزيد من التفصيل عن القبائل الكردية التي كانت تقيم في الجزيرة العليا في زمن الانتداب الفرنسي على سوريا(1).

السكان	النشاط الرئيسي	الدين	العدد	اسم القبيلة
عامودا	زراعة	إسلام ويزيدية	7100	دكورية
آنديوار	زراعة	إسلام	5000	حسنان
كامشلي اندوار	زراعة	إسلام ويزيدية ومسيحية	3500	هنركان

(1) La liste est élaborée à partir de différents articles et documents: RONDOT Pierre, «Les Kurdes de Syrie», *France Méditerranéenne et Africaine*, Vol. II, fasc. 1, 1939, P. 90-49; RONDOT Pierre, «Les tribus montagnardes de l'Asie antérieure. Quelques aspects sociaux des populations Kurdes et assyriennes», *Bulletin d'études orientales*, T. VI, 1937, P. 10-14; *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 413, «Rapport (non daté) sur les populations des cazas de Hassetché, Kamechlié et du Tigre». Les chiffres avancés en parenthèse correspondent à des estimations réalisées en 1940. *SAULCHOIR, Haute Djézireh, D 56 et D 45 Vol. I*, «Tribus kurdes de la Djézireh», 12 et 15 pages respectivement.

درباسية	زراعة ـ تربية ماشية	إسلام ومسيحية	6500	كيكييس
عامودا	زراعة ـ تربية ماشية	إسلام	3900	مرسيمان
عامودا	زراعة	إسلام ويزيدية	8000	ميلان (ملس)
كراتشوك	بداوة	إسلام	1280	ميرانس
رأس العين	زراعة ـ وتربية ماشية	إسلام ويزيدية	7000	ملّس
كامشلي نصف	بداوة	إسلام	4000	عاليان
عزنافور	زراعة	إسلام	7890	تشيتيس

جدول رقم (1) عن القبائل الكردية في الجزيرة العليا

كورد داغ

إن كورد داغ هي الأكثر اكتظاظاً بالسكان في المناطق الكردية الثلاث في شمال سوريا. ويصعب تحديد تاريخ وصول الكرد إلى هذه المنطقة؛ ويعتقد روجيه لسكوت أن الكرد الذين كانوا موجودين في ظل الانتداب الفرنسي، هم من هجرات قريبة[1]. وتتقاسم منطقة كورد داغ خمس قبائل كبرى[2].

(1) LESCOT Roger, «Le Kurd Dagh et le mouvement Mouroud», *Studia Kurdica*, n° 1-5, 1988 (1940), P. 102.

(2) LESCOT Roger, «Le Kurd Dagh et le mouvement Mouroud», *art, cit.*, P. 117-123; RONDOT Pierre, «Les Kurdes de Syrie», *art. cit.*, P. 89-99; MAHMOUD Akil, *Le Mandat français et la politique des minorités en Syrie. Le cas Kurde (1918-1940), op. cit.*, P. 71-73.

اسم القبيلة	العدد	الدين	النشاط الرئيسي	الإقامة السكن
أميكان	6000	إسلام	الزراعة	غرب سلسلة الجبال
بيان	10000	إسلام	الزراعة	شمال سلسلة الجبال
شيخان	12000	إسلام	تربية الماشية	رادجو
شيكاكان	8000	إسلام	الزراعة	شرق سلسلة الجبال
دجومز	12000	إسلام	الزراعة	عزاز

جدول رقم (2) القبائل الرئيسية في كورد داغ

ونجد بين القبائل الأقل أهمية الروبارية (Robariya)، والخارزيان (Khasrian)، والكوشر (Kotcher) والهشتيان (Hachtian) والخاستيان (Khastian). وتخضع القُرى اليزيدية البالغ عدد سكانها 1140 نسمة[1] لزعماء الروبارية (Robariya)[2].

جرابلس

لقد احتل الكرد في أوائل القرن السابع عشر الضفة اليسرى من الفرات وبعض أراضي من الضفة اليمنى وذلك بعد تهجير السلطان لهم وتشكّل،

---

(1) Selon le recensement effectué par les autorités mandataires en 1939, la communauté yézidi se répartit comme suit: ville de Damas: 2; caza du Kurd Dagh: 1'135; caza d'Azaz: 8 caza central d'Hassetché: 123; caza de Kamechlié: 838. *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 608. «Inscription des Yézidis à l'état civil syrien», Beyrouth, le 1 er octobre 1940, P. 1.

(2) Voir LESCOT Roger, *Enquête sur les Yézidis de Syrie et du Djebel Sindjar*, Damas, Institut Français de Damas, 1975, P. 65-268.

على هذا النحو، التجمع البرازي الكردي الذي كان يضم في الواقع جماعات متنوعة، بعضها يدعي الأصل العربي. كان البرازيون، قبل وصول الفرنسيين وترسيم الحدود التركية السورية، يمارسون البداوة بين سهل سيرودج (Seroudj) وجرابلس، وهي منطقة جبلية قليلاً. ليس في حوزتنا الكثير من المعلومات عن هذا الموطن، لكن يمكننا أن نقسِّم الجماعة الكردية في جرابلس، البالغ عدد سكانها 16000 نسمة، على الشكل التالي[1]:

ـ عليّديناں (Alaedinan). هذه القبيلة (5000) تمثل الفريق البرازني الذي تنتمي إليه، أيضاً، البيجان والشدادان.

ـ شدادان (Chadadan). في شرق جرابلس، وهي القبيل الأصغر 500 عضو.

شيخان. الشيخان (6000) هم أقدم من انفصل عن البرازيين.

ـ كتكان (Kitkan). في الغرب الأقصى لضفة الفرات. وقد انفصل الكتكان (2500) عن البرازيين بعد الشيخان.

ـ بيبان (Piyan). البيبان (2000) يقيمون على حافة الحدود التركية السورية.

كرد المدن الكبرى في سوريا ولبنان

تركز كرد دمشق، حوالى 12000 نسمة في الثلاثينيات من القرن الماضي، في حي منعزل في المدينة، هو حي الأكراد. وقد بني هذا الحي شأنه شأن حيي الصالحية والمهاجرين على سفوح جبل قاسيون. إلّا أن حي الأكراد ينفرد عن الآخرين بطابع خاص فيما يتعلق ببناء المنازل (الواطئة) وفي النمو المديني

---

(1) Pour une liste des villages de cette enclave Kurde, voir *Shat, 4H 420, Dossier* n° 1c. «Renseignements sur les villages de la caza d'Ain el Arab, 1941-1942."

(الأكثر اكتظاظاً)[1]. أما في الجانب اللغوي فإن كل زاوية تتميز عن الأخرى بمستوى الاندماج في الثقافة العربية المحيطة. واستناداً إلى ملاحظة للمفوضية البريطانية في دمشق، فإن اللغة الكردية هي الأكثر استعمالاً للتواصل بين الناس في ناحية جسر نحاس. في المقابل، لا يسود في ناحية شمدين لا اللغة الكردية ولا اللغة العربية، لكن سكان الزينبية قد تعربوا بأكثريتهم.

تعود الجالية الكردية في دمشق إلى أصل عسكري.

لقد تشكلت عناصرها الأولى، في الواقع، من كتائب كردية رافقت، في القرن الثالث عشر، صلاح الدين الأيوبي، وهو نفسه من أصل كردي، وذلك في قتاله للصليبيين. وقد استقرت هذه الكتائب الأولى في سوق ساروجا لترحل فيما بعد إلى جبل قاسيون. وقد تعزز الدور العسكري لكرد دمشق في ظل الامبراطورية العثمانية. وقد فرض عسكريون ودركيون كرد الأمن في المدينة، كما قاموا بحماية طريق الحجاج إلى مكة.

إن تماثل الكثير من كرد دمشق مع المهام التي كانوا يقومون بها قد أسهم، في الحفاظ على شعور عميق بالانتساب إلى مجموعة إثنية متميزة.

وقد جاء، فيما بعد، مهاجرون كرد من أصول مختلفة (ديار بكر، الموصل، كركوك) ملتحقين بالعناصر العسكرية، وأدى وصولهم إلى توسيع الحي. ولم يندمج حي الأكراد تماماً، مع مدينة دمشق، إلّا في ظل الانتداب الفرنسي بفضل إنشاء جادة مظللة تربط حي الأكراد بسائر أحياء المدينة. لكن قبل هذا التجاور المديني المتأخر، نجحت عائلات من الوجهاء الكرد،

---

(1) voir THOUMIN R., «Deux quartiers de Damas. Le quartier chrétien de Bâb Mushallâ et le quartier Kurde», *Bulletin d'études orientales*, T. I, 1931, P. 116-135.

خلال القرن التاسع عشر، من احتلال أهمية سياسية واقتصادية في العاصمة السورية. فقد سمحت الإصلاحات المعروفة بالتنظيمات، وقانون الأرض على الأخص، لوجهاء محليين بتملك مساحات واسعة في الريف المحاذي لدمشق. كما أن إعادة تنظيم الإدارة في المدينة بين أعوام 1840-1860، قد سمحت بتعزيز مواقع الأرستقراطية المالكة للأراضي على حساب السلطة التقليدية للرؤساء والدينيين[1].

وقد برزت عائلتان من الوجهاء المقيمين في الحي الكردي في مطلع القرن التاسع عشر وهما اليوسفيين والشمدينيين. الأول من تجار المواشي أصلهم من ديار بكر، أما أصل الآخرين فليس واضحاً. ورغم أن العائلتين قد اختارتا الإقامة في سوق ساروجا تأكيداً لصعودهما الاجتماعي، فإنهما حافظتا على شبكة علاقاتهما الزبائنية مع حي الأكراد في دمشق. أما العائلة الثالثة من وجهاء دمشق من ذوي الأصل الكردي، فهي عائلة العبيد التي لا تمتلك قاعدة سلطوية في حي الأكراد.

الوجود الكردي في لبنان ينحصر في العاصمة بيروت، وحول سوق النجادين بخاصة. وفي ما بعد، أقام كرد في أحياء أخرى من العاصمة مثل المصيطبة، وباب إدريس، وزقاق البلاط. وتعود أصول الجالية الكردية في بيروت إلى حركة الهجرة الموسمية، لقبيلة عمران من منطقة ماردين، في أواخر القرن التاسع عشر. وقد كانت هذه الحركة سهلة في ظل الأمبراطورية العثمانية لعدم وجود حدود. فمنذ ذلك الحين، كان بعض الكرد يعملون خلال

---

(1) KHOURY Philip S. *Urban notables and Arab Nationalism. The Politics of Damascus 1860-1920*, Cambridge & Londres & New York, Cambridge University Press, 1983, P. 26-46.

الخريف والشتاء حمالين في بيروت، ويعودون لأسابيع إلى منطقة ماردين لقطاف العنب. وقد تعززت هذه الجالية الصغيرة بقدوم كرد من تركيا، بعد انتفاضة الشيخ سعيد[1]. ويقول نور الدين زازا: إن الصراع بين جناحين من قبيلة عمران نشط مغادرة الكرد إلى بيروت حيث كانت عندهم روابط قربى[2].

لقد أضيفت إلى معاناة المهاجرين الكرد الاقتصادية مشكلات تتعلق بنيلهم الجنسية اللبنانية، ولم تحل هذه المشكلات لا في عهد الانتداب ولا في السنوات التي أعقبت استقلال لبنان. نالت قلّة منهم، فقط، الجنسية اللبنانية أما أكثرية الطلبات فقد ظلّت معلقة، لأن تجنيس الكرد المسلمين يهدد التوازن الطائفي في لبنان على حساب المسيحيين[3].

إن الجالية الكردية في بيروت التي لا روابط لها مع زعماء العشائر ورجال الدين، أدت إلى قيام بعض النشطاء منها، ككاميران بدرخان، المنفي هو الآخر، بدور الوسيط بينها وبين السلطات اللبنانية من أجل الحصول

---

(1) Alors qu'en 1927 il y a environ 300 Kurdes à Beyrouth, en 1936 ils atteignent le chiffre de 1500 âmes et en 1944 on calcule qu'ils sont 7'000. *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. Note du Service des Renseignements n° 954. Beyrouth, le 16 novembre 1927, P. 1; *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. Sûreté aux Armées, Information spéciale n° 2794. Beyrouth, le 25 octobre 1944, P. 1.

(2) ZAZA Noureddine, *Ma vie de Kurde ou le cri du peuple Kurde*, Lausanne, Favre, 1982, P. 200.

(3) En effet, des notables maronites font part aux autorités mandataires de leur opposition à la naturalisation des Kurdes en arguant que «Les Kurdes, êtres sans culture, dont le nombre augmenterait sensiblement». *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1097. Sûerté Générale. Beyrouth, le 2 décembre 1942, P. 2.

على الجنسية[1]. وبالمقابل سمحت المطالبة بتجنيس كرد بيروت لكاميران بدرخان أن يصبح ناشطاً سياسياً في العاصمة، وأن يقيم علاقات مميزة مع السلطات العليا اللبنانية، مع سامي بك الصلح رئيس مجلس الوزراء مثلاً[2]. لكن الكرد لم يشاركوا بأي نشاط سياسي قبل أعوام 1950 رغم محاولات وجهود كاميران بدرخان المتكررة.

2 ـ الجزيرة العليا في كنف سلطات الانتداب

ظل الوجود العسكري التركي في الجزيرة العليا العقبة الكبرى أمام بسط فرنسا سلطتها على كامل التراب السوري. فقد كان دور الضابط التركي إسماعيل حقي غوندوز حاسماً، طوال سنوات، في إعاقة احتلال الجزيرة العليا. وقد استخدم بنجاح القبائل الكردية والعربية في المنطقة، لعلمه باستحالة شن حرب، ما حال دون سيطرة القوات الفرنسية على الحسكة حتى أيار/ مايو 1922.

بعد ذلك اقتحم طابور يقوده الجنرال بيغو (Bigault) قاعدة بهندور (Behendaur) غرب ساموريسي (Samnureè). ملجأ إسماعيل حقي، الذي بادر إلى البحث عن دعم بين القبائل الكردية في محيط الجزيرة العليا، كما فعل سابقاً في منطقة الفرات. وكان حاجو بن حاجو من هفركان يمثل الصورة المثلى بين المرشحين للحصول على دعم القائد التركي، للقائد الطموح المستعد مجدداً للقيام بمغامرات حربية.

---

(1) Voir les propositions de Kamuran Bedir Khan présentées aux autorités mandataires concernant les «700 Kurdes indésirables» de Beyrouth en 1937, *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 572, note de la Délégation du Haut Commissariat de la République Française. Beyrouth, février 1937, P. 1.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth. Services Spéciaux*, n° 2202. Information sprciale n° 1899, «La nationalité libanaise et les Kurdes». Beyrouth, le 31 août 1944.

وقد تقرر، بعد عدّة مصادمات، مضاعفة عدد حامية بيهندور، فألحق بها ضابط مخابرات من دير الزور هو الملازم الأول ريغار (Regard)، الذي تسلم منصبه في فصيل الملازم الأول روبرتو. وقد أثارت بعض الأعمال الطائشة التي قام بها الأول السكان المحليين، وأدّت إلى ردّ فعل تركي باعتبار أن قرار الضابط ريغار يشكل تغييراً في السياسة الفرنسية في الجزيرة العليا. وقد دخل إسماعيل حقي بصحبة عدد من الفرسان، إلى الأراضي التي صارت رسمياً سورية وفرض ضرائب في بعض القُرى.

وقد فضلت فرنسا الحفاظ على موقف متأنٍ في مواجهة الاستفزاز التركي. لكن الملازم روبرتو قرر تشديد الاحتلال الكامل للجزيرة العليا. مستنداً إلى خبرته الاستخبارية. فتوجه من بيهندور إلى جزيرة ابن عمر مع مجموعة من 95 رجلاً. وقد وصلت المجموعة إلى ضفاف دجلة لعدم وجود مقاومة حقيقية. في هذه الأثناء هاجم رجال إسماعيل حقي، قاعدة بهندور ما دفع بالمسؤول عن المركز الفرنسي، إلى إرسال كتاب يطلب فيه رجوع الملازم روبير بأسرع ما يمكن. ودون انتظار جواب روبرتو قرر الضابط موريل (Maurel) الجلاء عن بيهندور فكانت خسارته تسعة رجالٍ و14 جريحاً ومفقوداً واحداً.

وفي موازاة ذلك، تعرضت مجموعة روبرتو وهي تهم بالرجوع، لهجوم من تحالف قبائل كردية (هفركان، وتشيتييس Tchitiès) بقيادة حاجو. وقد انتهت مغامرة الملازم روبرتو بالتوافق مع الضابط ريغار إلى فشل ذريع وفقدان 21 جندياً. إن عملية بيهندور، بمعزل عن طابعها العسكري التام، قد أدّت إلى زيادة الفرنسيين من اهتمامهم بأراضي وسكان الجزيرة العليا. ورغم أن المفوضية العليا لم ترسل إمكانيات عسكرية ومالية إضافية للمناطق

المتمردة، فإن الضباط الفرنسيين أدركوا أن رفض الانخراط بصورة واضحة في أراضي الشمال الشرقي السوري يجعل كل الجهود الرامية إلى احترام الإدارة الانتدابية، غير ذات جدوى[1].

إسكان لاجئين في الجزيرة

في حين كان الوجود الفرنسي في المشرق موضع جدل من قِبل الفرنسيين أنفسهم، رأت المفوضية العليا في إطلاق برنامج للإنماء الاقتصادي في سوريا أداة تتيح لها تبرير مهمتها «التمدينية». إن ثلثي سوريا مكونان من سهوب قائمة إلى هذا الجانب أو ذاك من وادي الفرات ومعروفة باسم الشامية في الضفة اليمنى، والجزيرة في الضفة اليسرى. إلى ذلك فإن اعتبار الثقل السكاني المحلي في الجزيرة، المؤلف من بدو كرد وعرب، غير كاف للقيام بتوسيع مفترض للأراضي الصالحة للزراعة، قد دفع المفوضية العليا إلى مواجهة هذا الواقع، فقررت وضع سياسة استقبال لاجئين من البلدان المجاورة وتوطينهم، مع تفضيل، واضح، للعناصر المسيحية؛ (الآشوريون من العراق، والأرمن والسريان من تركيا)[2].

---

(1) قدم حاجو للفرنسيين الأدلة عن تورط الترك في الاضطرابات التي حصلت في الجزيرة العليا منذ بداية العشرينيات. وتفيدنا الرسائل (13) الموجهة إلى حاجو آغا وزعماء عرب من النقيب محمد شوقي، والتي تتهم بشدة حاجو بأنه فوت موعداً مع مقاتلي قبيلته. وينصحه شوقي ببذل المزيد من «الاهتمام» مقابل تزويده بالسلاح. وأخيراً فإن الرسائل من 5 إلى 7 تؤكد بأن إسماعيل حقي هو الذي أثار أحداث بيهندور عام 1923.

(2) VELUD Christian, «La politique mandataire française à l'égard des tribus et des zones de steppe en Syrie: L'exemple de la Djézireh», in: *Steppes d'Arabie, Etatsm pasteurs, agriculteurs et commerçants: le devenir des zones sèches*, Riccardo Bocco & Ronald Jaubert & Françoise Métral (dir.), Paris, P.U.F., 1993, P. 70-71.

أمن هذا الخيار للسلطات المنتدبة ثلاث فوائد هامة. الأولى: أملت فرنسا في الاعتماد على الولاء السياسي للاجئين من تركيا ومن العراق. فرغم خيانة الفرنسيين للأرمن في كيليكيا، فإن المفوضية العليا كانت لا تزال تعتقد بأنه يبقى لفرنسا بعض من المكانة لدى المسيحيين الشرقيين. وكانت تتكّل، من جهة ثانية، على خبرة السكان المسيحيين ذوي التقاليد الزراعية. وقد كانت السلطات المنتدبة ترى أن على فرنسا، بالتعاون مع اللاجئين المسيحيين، إعمار (استعمار) «منقار البط». في مصلحة سوريا.

إلى ذلك كانت السرايا تنظر بارتياح إلى النمو السكاني بين الأقليات في سوريا لمواجهة المطالب القومية العربية. فإن خليطاً معززاً من السكان المشرقيين يتيح للسلطات المنتدبة تبرير سياسة تقسيم البلاد، ويجعل وجود فرنسا لا غنى عنه لحماية حقوق الأقليات الإثنية والدينية، في مواجهة الخطاب القومي المستند إلى عروبة سوريا. وأياً كان الأمر، فقد اتخذت سياسة توطين اللاجئين، المسيحيين أولاً، ثم الكرد، بعداً أدّى في مدى عقدين إلى تغيير وجه الجزيرة الإثني والديني تغييراً عميقاً.

اللاجئون المسيحيون

إن أول أفواج المسيحيين اللاجئين وصل إلى سوريا ولبنان بعد فترة قصيرة من عملية إبادة الأرمن في عام 1915. وبعد بضع سنوات استوطن الألوف من الناجين الأرمن في بلدي المشرق بعد انسحاب القوات الفرنسية من كيليكيا، وهكذا، اجتاز الحدود بين عامي 1922 و1923 حوالى أربعين ألف أرمني للإقامة في سوريا ولبنان. وتمت موجة لجوء أرمنية ثالثة إلى سوريا بين عامي 1929-1930 عندما فرّ من تركيا إلى سوريا 4700 أرمني بضغط من

السلطات الكمالية في المناطق الريفية ذات الأكثرية الكردية خلافاً لأحكام اتفاقية جنيف التي تنص على حماية الأقليات الدينية. وقد استقر معظم هؤلاء اللاجئين في الجزيرة العليا وشكلوا طائفة يقرب تعدادها من عشرة آلاف نسمة. أما الأرمن الأكثر يسراً فقد ذهبوا إلى حلب.

والجماعة الثانية من اللاجئين المسيحيين تشكلت من السريان وأصل معظمهم من طور عابدين (Tour Abdin)، وهو مرتفع جبلي قرب الحدود الشمالية لسوريا. لم يكن السريان أكثرية، مثلهم مثل سائر الطوائف المسيحية، في المناطق الشرقية الأخرى. وكان سكان المنطقة معظمهم ريفيون. وهي تتكون من قُرى زراعية وبلدات صغيرة. في طور عابدين (Tour Abdin) طور المسيحيون نمط حياة ونظام عشائر شبيهين بالكرد.

وقد أدّى تعايشهم، الذي كان صعباً أحياناً، إلى تحالفات بين عشائر وعائلات سريانية وكردية. في الحرب العالمية الأولى تعرضت القُرى والمدن ذات الوجودِ السرياني القوي مثل ماردين (Mardin) لهجمات من القوات العثمانية المتواطئة مع بعض العشائر الكردية. وقد تمّ طرد الألوف من السريان أو تم قتلهم، كما حصل مع أرمن الولايات الشرقية[1].

إن واقع ارتباط بعض العشائر السريانية برابطة هفركان (Heverkan) يفسر مشاركتهم في الانتفاضة ضد الحكومة المركزية عام 1926 وهو ما سوغ دخول الحكومة التركية، القوي إلى طور عابدين (Tour Abdin). ويمكن أيضاً، بالنظر لقرب طور عابدين من ولاية الموصل المتنازع عليها، فهم موقف الكماليين العدائي من السريان باعتبارهم حلفاء محتملين لبريطانيا العظمى في حال نشوب نزاع مفتوح بين تركيا وبريطانيا العظمى، وقد بدأت حركة نزوح

(1) TERNON Yves, «Mardin 1915. Anatomie patholiogique d'une destruction», *Revue d'Histoire Arménienne Contemporaine*, T. IV, numéro spécaial, 2002.

السريان إلى الجزيرة العليا مع التسهيلات التي وفرتها السلطات الفرنسية. وفضل الألوف من اللاجئين السريان، يُضاف إليهم يهود المدن، مثل يهود نصيبين (Nissibin)، الإقامة في المدن الجديدة الجاري بناؤها مثل القامشلي.

وقد حصلت الموجة الأخيرة من الهجرة المسيحية باتجاه سوريا بين عامي 1933 و1934 عندما استقر آشوريون قادمون من العراق في حوض الخابور. لقد أصبحت هذه المنطقة الواقعة بين دير الزور والقامشلي الموطن الدائم للآشوريين، رغم احتجاج تركيا والعراق، وحصلوا على الجنسية السورية بين عامي 1939 و1940.

اللاجئون الكرد

لقد تحول موقف السلطات المنتدبة إزاء الكرد من نوع من الرفض في عام 1925، إلى قبول فتشجيع للإقامة في الجزيرة العليا، في كورد داغ (Kurd Dagh). وهذا ما قام به ألوف اللاجئين الهاربين من قمع النظام الكمالي. فبعد قمع انتفاضة الشيخ سعيد في عام 1925 قامت السلطات التركية بحملة لمعاقبة السكان الكرد في المناطق التي لاقى فيها المنتفضون بعض التواطؤ من المقيمين. وفي كل الأحوال، فقد أثارت التدابير الحكومية الرامية إلى تحضير السكان الكرد البدو، وفرض الضرائب على الزعماء الإقطاعيين، ردة فعل حادة في المناطق الجبلية وصارت كردستان، بالتالي، مسرحاً لانتفاضات متواصلة، ولارتفاع هام في نشاط قطاع الطرق واللصوص.

ومذاك لم يعد هناك من تجانس بين اللاجئين الكرد من دياربكر، وبتليس (Bitlis) وميديات (Midyat) وماردين، وإن كان يمكن اعتبار بعض هؤلاء لاجئين سياسيين «حقيقيين» فالآخرون عوقبوا لارتكابهم جرائم مثل السرقة والتهريب. وأخيراً، فإن البعض من اللاجئين الكرد سبق وتعاملوا مع السلطات التركية.

لقد أجبرت السلطات الفرنسية، اللاجئين الكرد الأول على الإقامة على بعد 30 كيلومتراً، على الأقل عن الحدود التركية السورية مراعاة لعلاقاتها الطيبة مع تركيا. إن عدم الثقة الفرنسية باللاجئين الكرد يمكن تفسيره بعوامل مختلفة. ولا بدَّ، في البدء، من التذكير أن السلطات الفرنسية عام 1925 لم تكن ترى أية مصلحة لها بلعب «الورقة الكردية» خلال المفاوضات الدبلوماسية المتعلقة بترسيم الحدود النهائية بين تركيا وسوريا. وكان الفرنسيون يفضلون، من ناحية ثانية توطين سكان مسيحيين في سوريا لإقامة توازن ديموغرافي مع المسلمين. وإلى ذلك فإن إسكان قبائل كردية نصف بدوية في الجزيرة العليا كان يتعارض مع برنامج الاستعمار الزراعي في هذه المنطقة. وفي النهاية، لم يكن في وسع الضباط الفرنسيين الاطمئنان إلى «الولاء السياسي» للقبائل الكردية.

لكن انتفاضة حاجو آغا (Hadjo Agha) في آذار/ مارس 1929 ضد حكومة أنقرة ودخوله إلى سوريا غيرت المعطيات. وأتاحت المحادثات بين الملازم الأول تريي (Terrier) وبين الهفركان (Heverkan) وضع أسس لتحالف ستراتيجي أكده الطرفان على امتداد سنوات. فغادر زعماء ميلس (Millis) برفقة قسم من قبيلتهم منطقة فيرانشير (Virancheir) مخلفين قراهم وممتلكاتهم للتوطّن نهائياً في رأس العين[1]. وأقام بعض الوجهاء الكرد من منطقة ميديات (Midiat)، أيضاً، في المدينتين الصغيرتين القامشلي وعامودا (Amouda).

---

(1) عرض الأتراك العفو على زعماء ملّيس، رغم قتالهم إلى جانب الفرنسيين، وعاد هؤلاء الزعماء عام 1922 إلى ديارهم الأصلية في تركيا، وأخيراً طلب حوالى خمسة آلاف عائلة مليسية من الحكومة السورية أن تستقبلهم وتعطيهم أراضي لزراعتها.

ولقد فرض ازدياد عدد اللاجئين الكرد، إضافة إلى غياب المؤسسات الخاصة أو المنظمات الدولية لرعاية اللاجئين، أعباء إنسانية جدية على السلطات الفرنسية. وحتى عام 1927 رفضت الدولة المنتدبة، عملياً، تحمل مسؤولية مصير اللاجئين الكرد، ودفعت حالة الفقر الشديد لبعض العائلات المسؤولين عن الانتداب إلى اتخاذ تدابير استثنائية[1]. «إذا كانت روح الاتفاقات الفرنسية التركية، ووضع علاقاتنا مع جيراننا في الشمال تحتّم علينا أن نحافظ على أقصى درجات الحياد في القضية الكردية [...] فلا يمكننا، كما أرى، أن نبقى غير معنيين أمام حالة البؤس الشديد لهؤلاء اللاجئين. لم يعد الأمر، في الواقع، سياسياً، بل هو يتعلق بعمل إنساني [...]»[2].

بيد أن مساعدة اللاجئين الكرد كان يجب أن تتم بحذر كي لا تثير حساسية حكومة أنقرة. والحقيقة أن هذا الموضوع كان شبه غائب عن اللجنة الانتدابية الدائمة، خلافاً لما هو الأمر بالنسبة للاجئين الأرمن[3]. وقد ابتدعت عصبة الأمم بالتواطؤ مع فرنسا، تعبيراً غامضاً عند الكلام عن اللاجئين الكرد

---

(1) حسب تقارير السلطات الفرنسية، بلغ عدد اللاجئين في الجزيرة، في 28 تموز/يوليو 1926 تسعة آلاف إلى عشرة آلاف: 3850 من المسيحيين وحوالى خمسة آلاف من الكرد. وهي أرقام تقريبية لأن الإحصاء الدقيق تم في الثلاثينيات.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055, Lettre du Lieutenant Ripert, Délégué Adjoint du Haut Commissaire pour le sandjak de Deir ez Zor, à M. le Haut Commissaire de la République Française. Deir ez Zor, le 23 décembre 1927, P. 2.

(3) La 22e session de la C.P.M constitue l'un des rares cas où le sort des réfugiés Kurdes est traité de manière ouverte. La question est néanmoins réglée très rapidement. Voir *Sdn, C.P.M.*, C. 772. M. 364. 1932. VI. «Procès-verbal de la 22e session tenue à Genève du 3 novembre au 6 décembre 1932», P. 279. La question des réfugiés kurdes est également mentionnée lors de la 20e session de la C.P.M.

وعن جماعات أخرى «غير مرغوب فيها» من قبل حكومة أنقرة: «اللاجئون المندمجون»[1].

وفي مطلق الأحوال، إن لم يكن يوجد سوى زهاء 45 قرية كردية في هذه المنطقة عام 1927، فقد كان يمكن، عام 1939، إحصاء بين 700 و800 بلدة بأكثرية كردية. وكانت الجزيرة تضم عام 1939، حسب إحصاء رسمي 158550 نسمة منهم 81450 كردياً مسلماً، و2150 كردياً يزيدياً[2].



صورة رقم (I) كردي من الجزيرة العليا. مصدره سولشوار (Saulchoir)

(1) Cette catégorie recouvre en fait différents groupes. D'une part, des «réfugiés politiques» d'origine turque et grecque qui ont participé à des activités anti-kémalistes. D'autre part, elle englobe des réfugiés Tcherkesses et enfin des réfugiés kurdes. SIMPSON Jahn Hope, *The Refugee problem. Report of a Survey*, Londres & New York & Toronto, Oxford University Press, 1939, P. 60.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 1367. «Répartition de la population de la Haute Djézireh». Beyrouth, avril 1939.

3 ـ الخلاف الفرنسي التركي الحدودي و«القضية الكردية»

خلّف ترسيم الحدود بين دول المنطقة آثاراً كثيرة على الحياة الاقتصادية، والسياسية والثقافية لسكان الشرق الأوسط. فهو قد فرّق بين جماعات إثنية واحدة. وقضى على شبكات اقتصادية تقليدية، وسبب، أحياناً، انحطاطاً في المدن القديمة النشطة، وفي شبكات ثقافية مرتبطة بالأخيرة. وإضافة إلى ذلك، أثارت الحدود الجديدة مشكلات للدول الجديدة على الصعيد الدبلوماسي، ذلك أن عدم الاستقرار السياسي الناتج عن تفتت الامبراطورية العثمانية جعل كل طرف إقليمي يحاول الإفادة من الوضع للحصول على أراضٍ جديدة وأضحت «القضية الكردية» بمداها العابر للحدود رهينة دول متعددة في لعبة المطالبة بالأراضي، ووسيلة، في الغالب، للضغط الدبلوماسي. ودخلت، بسبب ذلك العلاقات التركية البريطانية في حالة توتر في بداية سنوات 1920 نتيجة المطالبة بولاية الموصل.

وتكرر هذا النزاع بين تركيا وسوريا، فيما يتعلق بترسيم الحدود بين نصيبين (Nissibin) وجزيرة ابن عمر بصورة خاصة. فهذه المنطقة الحدودية بين تركيا والعراق وسوريا تحظى بأهمية ستراتيجية لدى الدول الثلاث. ففرنسا، كما سبق وذكرنا، تخطط لمشروع استعمار واستثمار زراعي في «منقار البط». وتريد فرنسا، إضافة للمصالح الاقتصادية، السيطرة على قطاع يمكن أن يوفر لها تعدداً في طرق المواصلات مع ولاية الموصل. بالإضافة إلى أن بعض الضباط الفرنسيين يرون أن من الضروري الحفاظ على موقع قريب من كردستان، المنطقة التي تعيش حالة شديدة من الاضطراب.

كان وجود موقع عسكري تركي على حدود المنطقة المتنازع عليها يثير قلق بريطانيا العظمى. فيمكن لتركيا في حالة نزاع عسكري، استخدام الجزيرة العليا لإقامة جبهة عسكرية ثانية. لذلك أخذت بريطانيا العظمى بين أعوام

1920 و1926، تتابع باهتمام المفاوضات الفرنسية التركية، واتخذت موقفاً في صالح فرنسا آملة في أن السيطرة الفرنسية على «منقار البط» يؤمن لها استمرار انتدابها في العراق. لكن الموقف البريطاني صار أكثر التباساً بعد السيطرة البريطانية على شمال العراق، وعندما نجحت فرنسا في استمالة بعض القبائل الكردية، في الجزيرة العليا، ازدادت الرغبة التركية في السيطرة على هذه المنطقة خشية من قيام بؤرة ثورية أرمنية كردية ضد أنقرة.

إن العقبات التي واجهت أعمال ترسيم الحدود ترتبط، حسب كريستيان فيلود (Veloud)، بمطامع دول الجوار، وبالدرجة الأولى بمطامع تركيا والعراق بمزيد من الأراضي بصورة دائمة. إن الوضع الملتبس لهذه المنطقة دقيق لأن «منقار البط»، وهو الإسم المعطى للجزيرة العليا، لم يكن جزءاً من سوريا، وهو بعيد من الناحية الجغرافية، والناحية الاقتصادية بصورة خاصة، عن المراكز المدينية الكبرى في سوريا.

وحسب الكاتب نفسه، فإن الصعوبة في التوصل إلى تسوية بين مختلف الأفرقاء هو وجود سكان قبليين ينبغي، بفعل قيام دول ـ أمم، إلحاقهم «بهذه الدولة أو تلك من الدول الجديدة في الشرق الأوسط»[1]. لذلك صارت «جنسية» القبائل موضع اهتمام السلطات المنتدبة، كما إدارة السهب، والسيطرة على القبائل وتحديد السيادة على الأراضي السورية التي تمّ ضمها عام 1920، إلى مشروع وضع سياسة بدوية عام 1920.

اتفاق أنقرة 1921

استهدفت الدبلوماسية الفرنسية، منذ خريف عام 1920، فكرة إعادة

(1) VELUD Christian, «Syrie. État mandataire, mouvement national et tribus (1920-1936)», *Maghreb-Machrek*, n° 147, 1995, P. 48.

النظر بمعاهدة سيفر (Sevres) في مصلحة تركيا. وقد تم في الواقع، في 11 آذار/ مارس في لندن توقيع اتفاق بين فرنسا وتركيا ينص على تحريك الحدود التركية السورية جنوباً، على مستوى سكة حديد بغداد تماماً، والتخلي لتركيا عن كلّيس (Killis)، وبيردجيك (Biredjik)، وأورفا وعينتاب مقابل الحصول على مصالح اقتصادية.

ولم يبق تابعاً لسوريا من كيليكيا سوى سنجق إسكندرون، وقد تعهدت فرنسا، «إقامة نظام إداري خاص فيه» نظراً لوجود أقلية تركية كبيرة.

يعود أصل النزاع حول الأراضي في الجزيرة العليا، إلى البند 8 من اتفاق أنقرة. تبدأ الحدود، بموجب هذا البند، بالقرب من المدينة الساحلية بآياس (Payas)، ثم تمتد نحو الشرق، وتمر جنوب كلّس لتصل إلى محطة سكة الحديد في تشوبان بك (Tchoban). ثم تتبع خط سكة حديد بغداد التي تظل مارة في الأراضي التركية حتى نصيبين. وتتبع من هناك، «الطريق القديمة» الرومانية حتى جزيرة ابن عمر حيث تلتقي بدجلة. وكانت نصيبين وجزيرة ابن عمر باقية في تركيا، لكن كان يحق للبلدين استخدام هذه الطريق. ونص هذا البند، أيضاً، على تأسيس لجنة مشتركة فرنسية تركية للترسيم الصحيح للحدود بين البلدين.

بدأت الصدامات الأولى منذ اللقاءات الأولى بين أعضاء اللجنة الفرنسيين والترك. فالأُوَل اعتبروا أن «الطريق القديم» هي الطريق التي تقود مباشرة إلى نصيبين وجزيرة ابن عمر (الرسم رقم واحد) والآخرون اعتبروا أن هذه «الطريق القديمة تتبع خطاً أبعد إلى الجنوب (الرسم رقم 2) وأخيراً اقترح الترك طريقاً ثالثة (الرسم رقم 3) خطها إلى مزيد من البعد من ناحية الجنوب. والواقع، كما ذكر كريستبان فيلود (christian Velud) فإن هذه البنود التي كتبت لأهداف سياسية، ليست صالحة قانونياً، وخاصة فيما يتعلق باستثمار السكك

الحديدية من قبل الشركة الفرنسية (B.A.N.P) (بوزنتي (Bozanti)، حلب، نصيبين، وامتداداتها)[1]. وقد ظل ترسيم الحدود بين نصيبين وجزيرة ابن عمر مجمداً مدة أربع سنوات نظراً لاستحالة الاتفاق على الترسيم النهائي.

استفاد الترك، في هذا الوقت، بخبرتهم المتقدمة بالأرض، من عدم وضوح البند 8 من اتفاق أنقرة. ومثالاً على ذلك عدم معرفة الفرنسيين موقع مدينة نصيبين، بصورة صحيحة، وهي المركز الاقتصادي للمنطقة وكان لهذا الخطأ في التقدير عواقب خطيرة، لأن اتفاق أنقرة ينص على أن الحدود بين تركيا وسوريا تتبع خط سكة حديد بغداد. وقد علم الفرنسيون، فيما بعد، أن مدينة نصيبين تقع على بعد كيلومترين جنوب سكة الحديد، وينبغي بالتالي، أن تكون في سوريا[2]. لكن اتفاق أنقرة لعام 1921 نص على التنازل عنها لتركيا.

وينبغي أن نضيف إلى هذا الجهل في معرفة المواقع الستراتيجية، العدوانية التي اتبعتها حكومة أنقرة. فقد أنشأ الضباط الترك عدة مواقع عسكرية على خط نصيبين جزيرة ابن عمر تتعدى حدود الطريق التي تمت المطالبة بها في اللجنة المشتركة. كانوا يأملون، بهذه الطريقة، منع تقدم القوات الفرنسية نحو دجلة. وبعد أحداث عامي 1925 و1926، صارت رغبة الترك في السيطرة على الجزيرة العليا، أكثر وضوحاً. فمن جهة، عنى لهم ضم الموصل نهائياً إلى العراق، خسارة أراضٍ بأكثرية كردية، لم يعد في استطاعة تركيا السيطرة الفعلية عليها. ومن جهة أخرى، زادت انتفاضة الشيخ سعيد من مخاوف الحكومة التركية التي كانت تظن أن بريطانيا قدمت بعض الدعم للمتنفضين

(1) VELUD Christian, Une expérience d'administration régionale en Syrie durant le mandat français: conquête, colonisations et mise en valeur de la Gazîra, 1920-1936. Thèse de doctorat, Université de Lyon 2, 1991, P. 327.

(2) DILLEMANN Louis, «Les Français en Haute Djézireh», *Revue Française d'Histoire d'Outre-mer*, T. LXVI, 1979, P. 26.

الكرد. إلى ذلك، فإن استقبال السلطات الفرنسية للاجئين الكرد الفارين من قمع النظام الكمالي، اعتبرته تركيا يشكّل خطراً عليها لأن أنقرة فقدت السيطرة على سكان كرد جدد[1].

نحو اتفاق نهائي

في هذا الوضع الدولي الجديد تم توقيع «ميثاق الصداقة وحسن الجوار» بين تركيا وسوريا في أيار/ مايو 1926. وأكد الميثاق ضرورة العمل على تسوية النزاعات الحدودية بالوسائل السلمية، وإيقاف أعمال الشقاوة التي تقوم بها القبائل الكردية على جانبي الحدود. وينص الميثاق في (الملحق 2) على تسليم «الأشخاص»، من هذا الجانب أو ذاك، الملاحقين بجرائم أو جنح حق عام تتجاوز عقوبتها ستة أشهر سجن، واللاجئين إلى هذا البلد أو ذاك. إلّا أن الزعماء الكرد لا يطاولهم هذا القرار لأن «التسليم» لا يتم بسبب جرائم أو جنح سياسية»[2].

ويتجنب الميثاق، مرة أخرى، تحديد المسافة المختلف عليها بين نصيبين وجزيرة ابن عمر. لذلك عهد في لجنة مشتركة (المادة الثانية) يرأسها الجنرال الدانماركي أرنست (Ernst)، بطلب من عصبة الأمم، لترسيم الحدود من البحر المتوسط إلى جزيرة ابن عمر. وقد قرر رئيس اللجنة. حسم الخلاف لمصلحة المطالب الفرنسية، أي باعتماد الخط رقم I كخط فاصل. وكان الرد

(1) في تقرير للمفوضية العليا موجه إلى وزارة الخارجية اعترفت السلطات المنتدبة بأن انتفاضة الشيخ سعيد كان لها ارتدادات «عميقة»، لأن زعماء القبائل المقيمين في سوريا لا يشعرون إلّا بالحقد على الذين يعتبرونهم مضطهدي جنسهم، وقد تقرّب كرد سوريا مجدداً منا.

(2) Convention d'amitié et de bon voisinage entre la République Française et la République turque», reproduite dans la *Revue générale de droit public*, 1927, P. 258.

التركي سريعاً. وتوقفت أعمال اللجنة من جديد عام 1928. وقد اختارت المفوضية العليا، شعوراً منها بأن الوضع صار لمصلحة فرنسا، عدم الرد على الاستفزازات التركية:

«رغم أن الحدود لم تكن دقيقة كثيراً ناحية نصيبين فإنها أتاحت للمعارضين الكرد الإفادة من هذه الحدود ليحتموا من الملاحقة والإعداد لإقتحامهم الأراضي التركية. استناداً إلى ذلك طالبنا جيراننا احتلال المنطقة التي تعود لنا لكي نؤمن لهم الأمن والحماية من عواقب عداء الكرد لهم في هذه المنطقة. أما الإنكليز المهتمين بتغطية، الضفة اليمنى من دجلة في تقدمهم إلى الموصل، كانوا معهم أيضاً يضغطون علينا لنؤمن لهم بشكل ما، غطاءً في مواجهة عودة هجومية محتملة للترك»[1].

ويبدو أن المواقع العسكرية في القامشلي، وعامودا والدرباسية، كانت تؤمِّن نوعاً من الاستقرار الإقليمي رغم التهديدات الحربية من الجانب التركي»[2].

وفي الجانب الدبلوماسي، أكثر السفير التركي في باريس من محاولاته مع السيد بريان (Briand) وزير الخارجية لجعل فرنسا ترضى بخط جديد أبعد جنوباً من الخط رقم 1، لضم حوالى 80 قرية تعتبرها أنقرة قُرى «ملجأ» للعصابات العاملة ضد تركيا. وقد عاودت المفاوضات على أساس هذه المقترحات التركية، وأدت إلى ميثاق جديد، في حزيران/ يونيو 1929 يحدد بالتفصيل خط الحدود بين نصيبين وجزيرة ابن عمر.

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 549, Beyrouth , le 28 avril 1927, *doc. cit.*, P. 4.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 549. Direction du Service de Renseignements du Levant. Beyrouth, le 20 mai 1927, P. 1.

وبموجب هذا الميثاق المستجيب للشروط التركية، دفعت الحدود جنوباً ببعد يتراوح بين 5 كيلومترات عند تل حسن، في منطقة هفركان و500 متر في منطقة جزيرة ابن عمر.

ويرى ديلليمان أن الاتفاق مع تركيا ليس نصراً دبلوماسياً فرنسياً، بل عودة باريس إلى «سياسة التنازلات المتبادلة القديمة». لقد حصلت فرنسا على 85 قرية تتيح لها الوصول إلى دجلة. مقابل التخلي عن 80 قرية كردية «عاصية» لتركيا. ويمضي ديللمان قائلاً: إن الرهان لم يكن الحصول على قرى كردية جديدة، بل على ضمان مكاسب هامة لشركة سكة حديد بوزنتي، حلب، نصيبين (B.A.N)[1].

إن تسوية النزاع الحدودي في هذه المنطقة من «منقار البط» لم تعنِ بأي شكل، نهاية لاجتماعات اللجنة المشتركة. فقد تم إنشاء لجنة حدود دائمة بموجب البند 13 من الميثاق الموقع في أنقرة في 9 حزيران/ يونيو 1929. وقد ظلّت المسألة الأمنية الشغل الشاغل في مختلف الاجتماعات، ذلك أن الفريقين، التركي والفرنسي، كانا يلعبان «الورقة الكردية» لإضعاف بعضهما بعضاً[2].

نشوء «سياسة كردية»

لقد ظلّت السياسة الفرنسية في أكثرية مناطق المشرق، في بداية الانتداب على الأقل، أمينة على تقليدها في الحفاظ على «التعدد الهيكلي»[3] لكنها،

(1) DILLEMANN Louis, «Les Français en Haute Djézireh», *art. cit.*, P. 54.

(2) A titre d'exemple, voir «3e session de la Commission Permanente de Frontière turco- syrienne», le 24 février 1931. *CADN, Fonds Ankara, Ambassade*, n° 120; «5e session de la Commission Permanente de Frontière turco-syrienne», le 21 juin 1935. *CADN, Fonds Ankara, Ambassade*, n° 120.

(3) Expression empruntée à Laurent Chabry et Annie Chabry dans *Politique et*

على العكس من ذلك، لجأت في شرق سوريا إلى تقسيم المدى الوطني السوري استناداً إلى مشروع الـ «دولة البدوية»[1] أولًا، ثم وضع المنطقة تحت السيطرة المطلقة لجهاز المخابرات.

لو أراد الفرنسيون إصدار قانون حكم ذاتي للكرد لكان ذلك مستحيلاً قبل عام 1927، تاريخ السيطرة الكاملة للقوات الفرنسية على الجزيرة العليا، وذلك بسبب هذه السيطرة المتأخرة. غير أن المفوضية العليا عمدت بعد 1925 إلى ممارسة سياسة «استقلال ذاتي ارتدادي» ترمي إلى اندماج تدريجي للأقليات في الدولة السورية الجاري بناؤها. وفي النتيجة لم يكن هناك أي قانون يرمي إلى حكم ذاتي للكرد. بل كان في مقدورهم الاستفادة من الحقوق الشخصية المعطاة لجميع السكان بموجب الدستور الذي أصدرته المفوضية العليا عام 1930، وبموجب صك الانتداب.

كانت المطالب الأولى الصادرة عن مختلف الأوساط الكردية، المتعلقة بتوسيع حقوق الأكراد، أي بحكم ذاتي، تعود إلى عام 1924. فقد قدم النائب الكردي نوري كندي (Kandy)، وأصله من كرد داغ، إلى السلطات المنتدبة مذكرة تطالب بالاستقلال الإداري لجميع المناطق ذات الأكثرية الكردية. أي على طول الخط الفاصل بين تركيا وسوريا. وما يلفت النظر، أن نوري الكندي كان يعي بصورة شديدة الوضوح الدور الذي يمكن أن يلعبه الكرد لمصلحة الانتداب الفرنسي. من جهة أخرى، «إن المنطقة الكردية تقع على

---

minorités au Proche-Orient. Les raisons d'une explosion, Paris, Maisonneuve, 1984, P. 57.

(1) Le projet d'Etat bédouin prévoit principalement une administration directe des tribus d'obédeince syrienne, réparties sur la base de trois mouvances: sud, nord et est. La mouvance sud est constituée de tribus arabes, celle du nord des tribus kurdes du Kurd Dagh et de Djérablous, et celle de l'est des tribus de la Djézireh.

حدود تركيا ومن الواجب الطبيعي أن يعهد إلى هذا الشعب بالحفاظ على الحدود السورية، ما يؤدي إلى قيام «دولة فاصلة»، هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى، فإن الاستقلال الذاتي الكردي يفيد في صدّ القوميين العرب، الذين يمكن بغض النظر عنهم، أن «يقيموا وحدة عربية ويطيحوا بإدارة الانتداب»(1).

وصدرت العريضة الثانية المطالبة بالاستقلال الذاتي الكردي من القبائل المتحالفة بزعامة علاء الدينان (Alaadinan) من تجمع البرازي، ومن بوزان (Bozan) ومحمد شاهين. وهي تحتوي على الاعتبارات نفسها المتعلقة «بالهوية والستراتيجية»(2). والأخيرة صدرت عن زعماء من جرابلس أيضاً تطالب بالاستقلال الذاتي، ولهذا القضاء بصورة خاصة حيث «الكرد [...] يشكلون الأكثرية الساحقة»(3).

والحال، إن هذه العرائض الثلاث كانت تعبر عن رغبة الموقعين في أن يشكلوا السند المحلي القوي للإدارة الفرنسية، أكثر من تعبيرها عن الرغبة في الحصول على حقوق ثقافية وسياسية للسكان الكرد. وقد تغير طابع المطالب الكردية بعد قدوم مثقفين كرد من أصول تركية. فقد نجح الزعماء السابقون للأندية الكردية في اسطنبول في اكتساب عدد كبير من القبائل الكردية لقضيتهم، وخاصة تلك اللاجئة في سوريا منذ العام 1920. فهذه الأخيرة

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1054. Pétition adressée à M. le Général Billotte, Délégué du Haut Commissaire en syrie. Alep, le 9 mai 1924, P. 1.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1054. Pétition adressée à son Excellence le Général Billotte, Délégué du Haut Commissaire. Alep, le 1er avril 1924, P. 1-2

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 569. Pétition su 28 mars 1924 adressée au Haut Commissaire, par les chefs des tribus des tribus kurdes de Djézireh. Beyrouth, le 17 mai 1924, P. 1-3.

تساند. في الحقيقة، الطابع السياسي والثقافي للمطالب. وعلى هذا الأساس، قدمت مذكرة إلى السلطات المنتدبة في آب/ أغسطس 1928، بالاستناد إلى صك الانتداب وإلى الالتزامات الخاصة بإلزام الدولة المنتدبة بتشجيع الاستقلالات الذاتية المحلية. وكانت المذكرة تطالب بالآتي:

- استخدام اللغة الكردية مع اللغات الأخرى الرسمية في مناطق سكن الكرد.
- إدخال تعليم الكردية إلى مدارس هذه المناطق.
- إبدال جميع موظفي هذه المناطق بموظفين كرد.
- إنشاء لواء كردي يختص فقط بحماية الحدود الشمالية.
- المساعدة الفرنسية لتسهيل الإقامة للاجئين الكرد في منطقة الحسكة حيث سيعملون في الزراعة وتربية المواشي[1].

بالمقابل، عبّر كرد سوريا للسلطات الفرنسية عن تعاونهم الكامل. وتعهدوا بدعم سياسة السلطات المنتدبة وشجعوا على التحاق الكرد في الجيش الفرنسي (بدأ ذلك سابقاً في كورد داغ). إلّا أن جواب المفوضية العليا لم يكن يترك مجالاً للغموض. يلزم التوقف عن تشجيع التعدد والخصوصية الطائفية. والمفارقة أن هذا التشجيع هو الذي اعتمد أساساً لسياسة التنظيم الإقليمية في أراضي المشرق. فلم يعد وارداً إقامة استقلال ذاتي كردي، يمكن أن يثير اعتراضات القوميين السوريين والسلطات التركية: «إنكم تقدرون عدم صواب قبول هذه الرغبات الخصوصية التي لا يبررها لا عدد العناصر الكردية

---

(1) *MAE, Quai d'Orsay, série Levant 1918-1940, sous-série Syrie-Liban*, n° 181. Mémorandum présenté par Sureya Bedir Khan, délégué de Khoyboun pour l'Europe et l'Amérique à Philippe Berthelot, secrétaire général au ministère des Affaires Etrngères. Paris, le 7 août 1928, P. 6-9.

ولا نفوذها في أراضي الدول الخاضعة للانتداب [...]. والوزارة ليس عندها رأي مختلف»[1].

إن جواب وزارة الخارجية الفرنسية هذا قد أدخل عنصراً جديداً هاماً. فالكرد برأي الفرنسيين لا يشكلون «أقلية متماسكة»[2]. (أهمية عددية وتمركز في نطاق جغرافي محدد) على عكس العلويين والدروز. كان على المفوضية العليا التزام الحذر الشديد في مواجهة المطالب الكردية. كما أن السلطات الفرنسية بدأت ترى احتمال نهاية للانتداب شاء من شاء وأبى من أبى. غير أن جميع دوائر الإدارة المنتدبة في المشرق لم تكن مع هذا الاحتمال. كان قسم من العسكريين، الذين يعملون، بخاصة، تحت نفوذ ضباط المخابرات، يرفضون القبول بالطابع الموقت للانتداب، كما أن بعض الضباط العاملين في المناطق البعيدة عن المركز، كانوا يمارسون سياسة تتناقض أحياناً مع تعليمات بيروت[3].

يعود أصل جهاز المخابرات (SR) إلى جهاز آخر، «الأجهزة الإدارية في المشرق». وهي تتألف، أساساً، من ضباط سبق وعملوا في أجهزة شؤون السكان الأصليين في الجزائر وتونس، وفي جهاز المخابرات في المغرب. إن مهمة جهاز المخابرات هي القيام بالبحث وجمع المعلومات لحساب المفوضية العليا وللقيادة العسكرية، وكذلك الاشتراك في الرقابة السياسية

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Le Ministre des Affaires Etrangères à M. Gaston Maugras, Haut Commissaire de la République Française. Paris, le 3 novembre 1928, P. 1.

(2) Expression emprunyée a RABINOVIC Itamar, «The Compact Minorities and the Syrian State», *Journal of Contemporary History*, Vol. 14, n° 1-4, 1979, P. 693-709.

(3) THOMAS Martin C, «French Intelligencee-Gathering in the Syrian Mandate, 1920-40», *Middle Eastern Studies*, Vol. 28, n° 1, 2002, P. 3-4.

والإدارية للسكان الخاضعين للانتداب. كما أعطيت له مهمات إدارية في المناطق التي يعتبر من المبكر إرسال موظفين مدنيين إليها، أو في المناطق المتمردة، وفي غياب أشخاص مدنيين مناسبين.

وقد أخذ جهاز المخابرات يلعب دوراً أساسياً في الجزيرة العليا مما أثار نقداً شديداً، بفعل احتلاله، بصورة متصاعدة، استقلالاً داخل إدارة الانتداب. وكان النقد يتعلق بأساليبه في الإدارة المباشرة. وتجلى ذلك، في الأساس في أعمال عسكرية بمنأى عن السلطة المدنية. وقد قررت المفوضية العليا، أمام هذه الحالة، إعادة هيكلة جهاز المخابرات عام 1930 وقد سمي الجهاز الجديد باسم «الأجهزة الخاصة في المشرق»، وتنحصر مهماته بالقضايا الإدارية والمدنية. إلّا أن العاملين في الجهاز الجديد ظلوا نفس العاملين في جهاز المخابرات وتابعوا سياسة مستوحاة من تجاربهم السابقة.

«مشروع تريي» (Terrier)

لقد أعطى استقلال جهاز المخابرات في الأجهزة الإدارية الانتدابية، نتائج مدهشة في الجزيرة العليا. فقد تحول هؤلاء إلى شكل من أشكال الفاتحين يملكون حرية مطلقة في منطقة كانت لا تزال مجهولة من قبل الفرنسيين. وكان من بين ضباط جهاز المخابرات الملازم أول بيير تريي الذي تميز بمشاريعه في الجزيرة العليا. فقد وصل إلى هذه المنطقة عام 1924، فقلب رأساً على عقب، على امتداد سنوات ثلاث وأكثر، سياسة جهاز المخابرات، بشأن الكرد. وبالأخص اللاجئين الكرد من تركيا. فتحول تريي فوراً إلى نصير للاجئين «الكرد وللتوصل إلى اتفاق مع زعمائهم، لوعيه ما يمثله الكرد من ثقل في سياسة استعمار الجزيرة، وفي حلّ النزاعات الحدودية مع تركيا. إلّا أن مقاربة تريي الجديدة، تطلبت جهداً لنسيان فصول مؤلمة من الاحتلال

الفرنسي في منطقة «منقار البط» أو بالأخص «قضية بيهندور» (Behendaur). وقد حاول تربي إيجاد تسوية مع «أبغض الناس» إلى القوات الفرنسية حاجو آغا.

إن ضابط المخابرات هذا هو صاحب المشروع الذي يحمل اسمه. فبعد أن غادر الجزيرة عام 1927، ألحق بالمكتب السياسي في المفوضية العليا، حيث حصر كل المسائل المتعلقة بالعلاقات الفرنسية الكردية، وأطلق اقتراحاً بديلاً، في مواجهة المطالب التي تزداد إلحاحاً من أجل الاستقلال السياسي للمناطق الكردية، المنفصلة الواحدة عن الأخرى في شمال سوريا. فالظروف الجغرافية للمناطق الكردية، لا تسمح بتحويل كامل لهذه المناطق إلى ولايات ذات حكم ذاتي. وعلى هذا الأساس اقترح تربي على الزعماء والوجهاء الكرد التركيز على الجزيرة حيث يمكن وجود أمل بتطور إلى وطن كردي مستقل ذاتياً. أما بخصوص قضائي كرد داغ وجرابلس فينبغي الاكتفاء ببعض الصلاحيات»[1].

وقد بدأت السلطات الفرنسية، عملاً بمشروع تربي بالسماح لزعماء الحركة القومية الكردية بالإقامة في مدينة الحسكة، مركز الجزيرة. وكان من المفترض اتخاذ تدابير أخرى ذات طابع ثقافي وإداري حتى الوصول إلى استقلال ذاتي شبيه بدولتي العلويين والدروز. وقد تمّ إنجاز جزء من التدابير التي نص عليها مشروع تربي بين عامي 1928 و1936 حسب تقرير للأمن

---

(1) *SHAT, 4H 319, Dossier* n° 3. «Les Kurdes». Le Directeur de la Sûreté Générale aux Armées, Inspecteur général des polices, à M. le chef de Service de presse et de la Propagande de la France Combattante au Levant, n° 465/C.E/R. Beyrouth, le 19 Janvier 1943, P. 21.

العام كتب عام 1943. ويمكن أن نذكر من تلك التدابير تعيين موظفين كرد في الجزيرة وتشكيل فوج في جيش المشرق يضم كرداً ومسيحيين يتكلمون الكردية، وفتح صف كردي في المعهد العالي العربي في دمشق، وإنشاء صف ليلي لتعليم الكردية في بيروت، والاستحصال على رخصة لصدور مجلة كورد هاوار (Hawar)، وتدخل جهاز المخابرات لإلزام الحكومة السورية بإعطاء بطاقات هوية للاجئين كرد يسكنون البلاد منذ سنين عديدة[1].

كان مشروع تربي، صياغة «سياسة كردية»، يستجيب لطموحات فرنسا في الجزيرة العليا، أي إكمال احتلالها وخلق منطقة عازلة موالية لفرنسا. فالدعم الفرنسي كان حتى العام 1928 ينحصر بزعماء القبائل، فحوله مشروع تربي إلى دعم للمجتمع الكردي، أيضاً، في مسار أهداف السياسة الفرنسية في المشرق.

لقد توقف التعاون الفرنسي الكردي منذ عام 1936، تاريخ توقيع المعاهدة الفرنسية السورية، التي كانت تنص على استقلال البلدان السورية وانسحاب القوات الفرنسية إلى خارج أراضيها. فقد دقت ساعة توحيد المناطق تحت سلطة الحكومة المركزية، إلى ذلك خفت الحاجة إلى استخدام الكرد في مواجهة الجار الشمالي بفعل الاتفاق الحدودي مع تركيا. حينذاك توقف مشروع تربي وجرى التراجع عن بعض التدابير التي كانت في مصلحة الكرد.

وفي الوقت الذي كانت المفوضية العليا تعمل على وقف كل دعم للقوميين الكرد، حاول ضباط من جهاز المخابرات إبقاء روح مشروع تربي حية في الجزيرة العليا لتدارك، أو لتأخير نهاية الانتداب على الأقل.

---

(1) Ibid.

لنغير السياق[1]، ذلك أن اختيارنا مقاربة محددة في مكان معين يتيح لنا فهم الرهان على المشاريع الفرنسية لفرض الاستقرار في الجزيرة، ولحدود أساليب عمل المرتبطين بها. في هذا السياق يبدو لنا تعاون ضباط جهاز المخابرات، وبالأخص الملازم أول تربي، مع حاجو آغا زعيم قبائل الهفركان، مثالياً. ذلك أن عدد الملاحظات الصادرة عن السلطات الفرنسية والبريطانية، حول هذا الزعيم العشائري، تشير إلى الأهمية الستراتيجية للتحالف الذي أقامه تربي في الجزيرة العليا. كما أن انتقال قسم من قبائل هفركان إلى سوريا يظهر الطابع العابر للحدود للقضية الكردية، وقد أدى الترسيم النهائي للحدود التركية السورية إلى انقسام، في تجمع قبائل هفركان، وبفعل ذلك قيام سلطة قبلية بزعيمين، واحد في الأراضي التركية وآخر في الأراضي السورية.

يشكل الهفركان، وأصلهم من بوتان (Botan) (ميديات) اتحاداً مؤلفاً من أديان مختلفة، مسلمين، ويزيديين، ومسيحيين (يعقوبيين). كان الهدوء مستتباً زمن إمارة البوتان (1821-1845) حسب قول مارتان فان بروينسن (Maetin van Bruinessen). وعندما قضى السلطان على الإمارة، أدّى النزاع بين القبائل إلى حالة فوضى في المنطقة. وظلّت المنطقة، بالتالي، لمدة طويلة بدون زعيم محترم من قبل كل قبائل الاتحاد. رغم أن حاجو الثاني قد نجح في توسيع المنطقة التي تسيطر عليها الهفركان، وقمع منطقة طورعابدين بالنهب والمجازر. وفي عام 1896 اغتيل حاجو الثاني، وقد اغتاله ابن عم له يسمى

---

(1) REVEL Jacques (dir.), *Jeux d'échells. La Micro-analyse à l'expérience*, Paris, Gallimadr/Le Seuil, 1996.

سرحان، وانتقلت السلطة إلى أيليك بتّى وتشلبي (Elik Bette et Tchelebi) وفي سن الخامسة عشرة اغتال حاجو الثالث (حاجو آغا) سرحان ابن التشلبي ثأراً لوالده وفر إلى الجبل[1]. وبدأت بذلك، مرحلة صراع طويل بين التشلبي وحاجو الثالث للاستيلاء على السلطة في الاتحاد، وفي النهاية تم الاعتراف بالأخير زعيماً للهفركان بعد الموت الغامض لأيليك بتي[2].

عند انطلاق انتفاضة الشيخ سعيد في شمال ديار بكر عام 1925 لجأت الحكومة التركية لطلب العون من الهفركان لقمع الانتفاضة. وكان على حاجو إظهار حسن النية لارتباطه بالنظام الكمالي من خلال التحالفات التي سمحت له باستعادة زعامة الاتحاد القبلي. فتوجه، إلى ديار بكر مع حرصه على تحاشي صدام حقيقي مع المنتفضين، أو مع قبائل أخرى معادية لمصطفى كمال. كان يمكنه، بالتأكيد، الالتحاق بالمنتفضين وفتح جبهة في الجنوب الشرقي من كردستان التركية ضد الحكومة التي ظهرت مؤشرات عن عدائها للعالم القبلي الكردي. إلّا أن حاجو فضّل البقاء على ولائه، ولم ينتفض على مصطفى كمال إلّا بعد عدة أشهر. ويمكن رغم ذلك، أن نجد للسلوك المتناقض لزعيم الهفركان بعض التفسيرات.

أثار الموقف الملتبس لحاجو خلال انتفاضة الشيخ سعيد ارتياب الحكومة التركية التي قررت القطيعة معه. وهو في الواقع صار أقل ضرورة بعد فرض «الأمن» على كردستان التركية. وإضافة إلى ذلك انحازت أنقرة إلى الكتل المعادية لحاجو، وبهذا بدأ صراع جديد للحصول على السلطة في

---

(1) ZAZA Noureddine, *Ma vie de Kurde ou le cri du peuple kurde, op. cit.*, P. 71.

(2) BRUINESSEN Martin van, *Agha, Shaikh and State. The Social and Political Structures of Kurdistan*, Lonres & New Jersey, 1992, P. 101-104.

اتحاد الهفركان. وعنما قرر النظام التركي إرسال فوجين من الجيش لإسناد خصوم حاجو، لجأ هذا الأخير إلى التمرد في أواسط آذار/ مارس 1926، وهاجم المواقع التركية الممتدة على خط نصيبين ـ مصطفوية. وكان زعيم الهفركان يعتمد على دعم القبائل الكردية المحلية تشيتييس (Tchitiés) وآليانس (Alianes) وميران (Miranes). إلّا أن النقص في التنظيم وفي الإمكانيات جعل القضاء على الانتفاضة سهلاً. ويمكن أن تدرج انتفاضة حاجو، في هذا السياق، بمنطق الصراع التقليدي من أجل السلطة القبلية. ولا يجوز استبعاد أسباب أخرى لتفسير انتفاضة حاجو. فحكومة أنقرة قامت سابقاً بحملة نزع سلاح كل القبائل في طور عابدين والهفركان أيضاً، حسب قول البريطانيين. إن هذه التدابير التي اتخذت في مناطق كردية أخرى أثارت، أيضاً، انتفاضات القبائل المتعلقة بشدة باستقلالها العسكري. في السياق نفسه دفعت تدابير مصطفى كمال، ضد المؤسسات الدينية، إلى اتحاد القبائل المحلية بزعامة حاجو[1]. ورغم أن صلات حاجو آغا مع المنظمات القومية الكردية ليست مؤكدة قبل آذار/ مارس 1926، فثمة وثائق تشهد بأن زعيم الهفركان قد شارك في نوع من الشبكات الكردية المناهضة لمصطفى كمال.

وإذا كان يمكن تفسير انخراط حاجو آغا في لجنة إنقاذ كردستان بأنه انخراط تثيره الرغبة في الثأر من سلطات أنقرة، فقد أتاحت له هذه المؤسسة رغم إبعاده ونفيه تأكيد زعامته للهفركان. وفي الواقع فإن لجنة إنقاذ كردستان[2]

---

(1) *PRO, AIR 23/238*, Special Service Officer. Mossoul, le 22 mars 1926, P. 1-3.

(2) لم نجد لائحة كاملة لأعضاء «لجنة إنقاذ كردستان». لكن يمكننا، على أساس عدد من التقارير، ذكر بعض الزعماء والشخصيات الذين أقاموا علاقات مع اللجنة: الدكتور أحمد صبري، حاجو آغا من الهفركان، أمين آغا من رمّان، الشيخ علي رضا، الشيخ مهدي، الشيخ برزان (بوتان) يعقوب سمكو، سيد طه، إسماعيل حقي من هسّاري (ميديات)، يوسف ضيا، محمد وإبراهيم زعيمي هياني (ميديات).

هي شبكة من زعماء القبائل بدون برنامج سياسي مفصل ما عدا الطموح إلى الحكم الذاتي، الأمر الذي ينسجم بصورة أفضل مع العقلية القبلية لحاجو آغا. وفي مطلق الأحوال، فإن جميع زعماء العشائر الذين انفضوا عن مصطفى كمال لم يلتحقوا باللجان التي ترمي إلى «إقامة حكومة كردية» تضم الأراضي الكردية في تركيا والعراق، وإيران[1].

في تشرين الثاني/ نوفمبر 1926 كتب زعيم الهفركان شخصياً إلى الزعماء الكرد اللاجئين في العراق ليذكرهم بواجبهم إزاء «الأمة الكردية»: نحن بحاجة للنجاح إلى الاتحاد والتضحية لإنقاذ وطننا من استعباد هؤلاء الأوغاد الترك، هذا هو دورنا، وإنني من جهتي أعمل ليلاً ونهاراً لهذا الهدف[2]، وبعد أن استقر حاجو آغا في سوريا، أخذ يبتعد بالتدريج عن نشاط لجنة إنقاذ كردستان ليقترب من رابطة خويبون (Khoyboun) التي سنتحدث عنها لاحقاً.

تربي و«ورقة حاجو»

لقد دفع فشل انتفاضة حاجو آغا ضد الحكومة التركية زعيم الهفركان إلى الطلب من السلطات المنتدبة السماح له بالإقامة في سوريا[3]. لم يكن رد المفوضية العليا السلبي الأول مفاجئاً أبداً إذا ما أخذ في الاعتبار دور حاجو في قضية بيهندور (Behendour). وقد أرسل زعيم هفركان رسالة مماثلة إلى

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Bureau Diplomatique n° 659. Le Haut Commussaire de la République Française à Son Excellence, M. le Ministre des Affaires Etrangères. Beyrouth, le 21 octobre 1926, P. 1.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1054. Direction du Service des Renseignements du Levant, n° 153. Beyrouth, le 5 janvier 1927.

(3) *SHAT, 4H 69*, dossier n° 1. Compte-rendu n° 109. Beyrouth, le 1 er mai 1926, P. 11.

السلطات العراقية[1]. وقد وافقت السلطات البريطانية المنتدبة من حيث المبدأ لكنها اشترطت نزع سلاح أعضاء قبيلته، وإقامته في بغداد بعيداً عن المنطقة الكردية في العراق. فاستدار حاجو من جديد مصحوباً بزعماء كرد لاجئين، ومنهم أمين آغا، ناحية فرنسا رغم عروض السلطات التركية للمصالحة[2] فسمح له أخيراً بالإقامة في المناطق الخاصة بالانتداب الفرنسي. وقد تعهد حاجو والزعماء الكرد الآخرون بـ «الرضوخ لكل الأوامر التي تعطى لهم»[3]، في مقابل الحماية الفرنسية. وقد تعاون في تأمين الأمن في منطقة داغ داغ (Djagh Djagh) وفي منطقة تشيتييس (Tchitiés) وخاصة في منطقة دوغير (Dogheur)، وأعطاه الفرنسيون، بعد ذلك نظراً لموالاته أربعة قُرى بعيدة في الجنوب منها قبور البيض[4] (Kubur et Bid) شرط عدم القيام بأي عمل في الأراضي التركية.

إن التغير في موقف السلطات المنتدبة من حاجو آغا والحماية الفرنسية التي أعطيت له هما على ارتباط مباشر بالعمل في كواليس الملازم الأول تريي.

---

(1) *PRO, AIR 23/240.* Mémoradum de l'Inspectorat administratif du vilayet de Mossoul nº 1528. Mossoul, le 8 avril 1926.

(2) *PRO, AIR 23/170.* Special Service Officer. Mossoul, le 2 août 1926, P. 6.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 549. Campte-rendu du lieutenant Terrier. Kamechlié, le 11 août 1926.

(4) En 1940, on relève en Syrie 685 familles réparties dans 29 villages dont 25 entièrement occupés par les Heverkan. Dans le caza de Kamechlié, il y a 570 Familles avec 2780 habitants, et dans le caza du Tigre 115 familles avec 620 habitants. *SAULCHOIR, Haute Djézireh*, Dossier nº 56. «Tribus kurdes de la Djézireh», P. 7.

فهو قد نجح بفعل عدة مذكرات إقناع المفوضية العليا بفائدة «ورقة حاجو» في الجزيرة العليا. فالهدوء الذي ساد المنطقة، وخضوع القبائل الكردية للسلطة المنتدبة منذ عام 1926، كانا البرهان على صحة رهانه. وقد تحملت المفوضية العليا، بدورها، مسؤوليتها في حالة زعيم الهفركان، ودافعت بحزم أمام وزارة الخارجية، عن السياسة التي اقترحها الملازم أول تربي[1].

إن التقارير والبرقيات عن أعمال زعيم الهفركان في المنطقة الحدودية تؤكد استخدامه من قبل جهاز المخابرات كأداة للضغط على تركيا على أرضية الخلاف الحدودي بين تركيا وسوريا. وقد أثارت السلطات التركية مراراً، العلاقات القائمة بين جهاز المخابرات وحاجو، وكان واضحاً لها أن «حاجو لا يطير بجناحيه الخاصين». كما أن تركيا قد اشتكت، أكثر من مرة، من دعم تربي بالسلاح والرجال للزعيم الكردي[2]. وقد هددت الحكومة التركية، في مواجهة تواطؤ الضباط الفرنسيين، باتخاذ تدابير وقائية وبملاحقة حاجو في الأراضي السورية إن دعت الحاجة. ومرة أخرى ظهر تربي بوصفه المدافع الرئيسي عن حاجو وذكّر المفوضية العليا بأن تركيا تلعب أيضاً بـ «الورقة الكردية» لخلق مصاعب لفرنسا في المنطقة المتنازع عليها في الجزيرة العليا، أي على طول الحدود المشتركة. ولأن الحكومتين متورطتان في السياسة

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* nº 1055. Direction du Service des Renseignements du Levant nº 674. Le Haut Commissaire de la République Française à son Excellence M. le Ministre des Affaires Etrangères. Beyrouth, le 29 septembre 1927, P. 8.

(2) *MAE, Quai d'Orsay, série Levant 1918-1940, sous-série Syrie-Liban,* vol. 179. Lettre de A. Chevki, ministère des Affaires Etrangères de Turquie, à E. Daeschner, Ambassadeur de France en Turquie. Ankara, le 2 avril 1927, P. 1.

القبلية الكردية فهما تتفقان على أن الضغط الشديد على الآخر قد يولد ردة فعل دبلوماسية من المستوى نفسه[1].

إن تحالفاً استراتيجياً يفترض أن القائمين به يتأملون الحصول على منافع قريبة ومتوسطة البعد، وبعيدة. وعلى هذا الأساس، حصلت فرنسا، وحاجو آغا، أيضاً، على منافع هامة. وهذا ما يفسّر طول زمن التعاون بين الفريقين، رغم ضغط الحكومة التركية، الشديد أحياناً، على المفوضية العليا، وعلى الزعيم الكردي. ولم تتخل حكومة أنقرة، في الحقيقة، عن محاولة التحالف مع حاجو[2] ما يؤكد الدور الكبير الذي لعبه زعيم الهفركان في الجزيرة العليا حتى وفاته عام 1940.

إن التهديد بالمصالحة مع تركيا هو أمر لا يمكن التغاضي عنه وعلى الأخص في سنوات 1920 عندما كانت فرنسا تجهد لاحتلال «منقار البط». وقد حصل حاجو، إضافة إلى الحصول على أراض لإسكان أعضاء قبيلته، على مبالغ من السلطات المنتدبة[3]، أولًا، ومن السلطات السورية فيما بعد شأنه شأن زعماء البدو الآخرين. إلى ذلك، فإن تعاون حاجو مع الدولة المنتدبة قد سمح له بتعزيز نفوذه في داخل قبيلته، وكذلك في «منقار البط». وقد تمكن حاجو بفعل حماية تربي، من التسلح والاستقواء على القبائل المنافسة الكردية والعربية. وحسب نيليدا فوكارا (Nelida Fuccara) فإن القبيلة

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 549. Note du lieutenant Terrier du Service de Renseignements. Kamechlié, le 20 avril 1927.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 120. Ambassade de France en Turquie. Télégramme à l'arrivée. Beyrouth, le 13 octobre 1931, P. 1.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 549. Direction du SR, Région de l'Euphrate. Deir ez Zor, le 12 juin 1928.

ظلت أساس قوته السياسية والاقتصادية، وموقع نفوذه الاجتماعي. ولم تؤد نشاطات حاجو في لجنة خويبون ومختلف المنظمات الكردية، إلّا إلى تعزيز سمعته بين قبائل الكرد في الجزيرة[1].

---

(1) FUCCARO Nelida, «Dir Kurden Syriens: Anfnge der nationalen Mobilisierung unter franzsischer Herrschaft», in: *Ethnizitt, Nationalismus, Religion und Politik in Kurdistan*, Carsten Borck & Eva Savelsberg & Siamend Hajo (dir.), Münster, LIT, 1997, P. 232.

الفصل الثاني

حركة الاستقلال الذاتي في الجزيرة

كانت حركة الاستقلال الذاتي في الجزيرة، التي يشار إليها غالباً بالكتلة الكردية المسيحية، تطمح إلى الحصول على استقلال ذاتي إداري شبيه بالذي أعطته فرنسا للدروز وللعلويين. وقد أثر التحالف بين الوجهاء المدينيين المسيحيين والوجهاء الكرد في ريف الجزيرة وأسس لعلاقات اجتماعية جديدة وإعداد من قبل النخب للتحرك السياسي، في هذه المنطقة المسكونة منذ زمن قريب جداً. وقد تم التخلي بالتدريج عن الشقاوة الاقتصادية والسياسية التي كانت تمارسها القبائل الكردية على الحدود التركية السورية، لينشأ بالتدريج بدلاً منها «مجتمع مدني» يستخدم أدوات جديدة للتعبير دون التخلي، بصورة عامة، عن السلاح للدفاع عن المطالب عند الضرورة.

وقد صار عند القوى السياسية الجديدة مخزون من أساليب المطالبة ينطلق من التظاهرات الشعبية، إلى إغلاق الأسواق، إلى كتابة العديد من البيانات والعرائض، إضافة إلى خلق رمز للهوية مثل علم الاستقلال الذاتي، أو إقامة احتفالات محلية. إلّا أن الكتلة الكردية المتحالفة مع الوجهاء

المسيحيين لم تكن تضم جميع الزعماء القبليين. وكان البعض منهم من أنصار التفاهم مع القوميين العرب السوريين ولا يتوانون عن استخدام السلاح ضد العناصر المسيحية في الجزيرة.

وحسب نيليدا فوكارو، لا تجوز دراسة التعبئة الشعبية والسياسية في مرحلة الانتداب الفرنسي بقراءة تبسيطية تقوم على تعارض ثنائية: أكثرية/ أقلية (كرد/ عرب) لأن كليهما كانا لا يزالان يشكلان كيانين اجتماعيين سياسيين هجينين. وبتعبير آخر، إن كانت الدولة السورية لا تزال في طور النشوء في ظل الانتداب الفرنسي، فالجماعة الكردية، هي الأخرى، كانت في دينامية تكوّن خاصة، إلاأن الدولة المنتدبة كانت لا تسيطر على مجمل الأكراد إلّا على قدر سيطرة القوات الفرنسية على المناطق التي تعيش فيها القبائل الكردية.

إن نتيجة عملية إدماج السكان الكرد في سوريا الانتدابية كانت، في الواقع، إعادة لتحديد الهويات الكردية على صعيد محلي «خلافاً للوحدانية الشمولية الإثنية الكردية، التي يعبر عنها، في آن، المؤرخون القوميون، والتأويلات التاريخية المتركزة على الدولة»[1]. فقد أتاح تمدين الجزيرة، كما هو حاصل في المدن السورية ذات الأكثرية العربية، بروز وجهاء مدينيين كرد سيطروا على المشهد السياسي المحلي والمناطقي. وإلى ذلك شارك هؤلاء، بالاتفاق مع الفرنسيين، في السياسة الوطنية، ومنها التمثيل السياسي في البرلمان، في دمشق، عاملين بذلك على «سورنة» الـ «جماعة الكردية».

---

(1) FUCCARO Nelida, «Mionorities and Ethnic moblisation: the Kurds in Northern Iraq and Syria», in: *Les Mandats français et anglais dans une perspective comparative*, Nadine Méouchy & Peter Sluglett (dir.), Leiden & Boston, Brill, 2004, P. 595.

1 ـ تعبئة مدينية

رغم أن معظم سكان المدن كانوا مسيحيين في بداية عملية تمدين الجزيرة، فإن تطور المدن الصغيرة يثير اهتمامنا لأسباب عديدة. أولاً، لأن العلاقات بين المراكز المدينية والريف الكردي كانت نشطة. كان الفلاحون الكرد والعرب، الأكثرية في المناطق الريفية، يذهبون إلى أسواق المدن لبيع منتجاتهم، وتبادل البضائع، ولتمضية بعض الوقت في المقاهي، ما جعل المراكز المدينية تتعيش من الريف، بشكل من الأشكال. وكانت المدن، مثل القامشلي والحسكة مراكز إدارية هامة يذهبون إليها لتسوية المشكلات المختلفة المتعلقة، مثلاً، بامتلاك الأراضي. ورغم صغر حجم القامشلي بالمقارنة مع دمشق وحلب أو حماة، فقد تحولت هذه المدينة إلى ما يشبه «العاصمة» بالنسبة لكرد الجزيرة العليا، تعوض المراكز القديمة التي بقيت في تركيا مثل ماردين أو نصيبين اللتين كانت ترتبط بهما منطقة «منقار البط» تقليدياً.

وقد تعززت علاقة الكرد بالمدينة بفعل التوطن التدريجي للملاكين الكبار، الآغوات، وزعماء القبائل الكردية في المراكز المدينية. فحاجو آغا، على سبيل المثال، سكن في الحسكة في حين سكن محمود بك زعيم الملّي في القامشلي. لقد استقر النفوذ الاقتصادي والسياسي، في الجزيرة العليا، في المدن التي تحولت إلى مصدر للنفوذ و«للمدنية». ومن المدن يحافظ الآغوات والزعماء الكرد على السيطرة المحكمة على أراضيهم وعلى الفلاحين الذين يعملون فيها. أما الملاكون الصغار فيحافظون، على العكس، على نمط حياة شبيه إلى حدّ بعيد، بالنظام الإقطاعي في الولايات الشرقية من الامبراطورية العثمانية. وصار الفلاحون الكرد يسرعون في الذهاب إلى المدينة طلباً لحماية الآغوات، ولتقديم مطالب، أو شكاوى.

وتعززت تلك العلاقة، أيضاً، بفعل قيام طوائف كردية مدينية في مدن الجزيرة الصغيرة. ففي القامشلي نشأ حي كردي بالكامل، وآخر مختلط إسلامي مسيحي. ورغم إعادة إنتاج أحياء طائفية على أساس الأصل الجغرافي في مدن الجزيرة فقد ظلّت المراكز المدينية مساحات علاقات اجتماعية بين مختلف الطوائف المسيحية أو أيضاً بين الكرد والمسيحيين. هذا التقارب انعكس في تنوع سكان الأحياء (مسيحيون ـ يهود، مسيحيون كرد) وأيضاً في الاحتفالات المناطقية، والأحداث الاجتماعية ـ الاقتصادية مثل معرض القامشلي عام 1935. وكان الوجهاء الكرد على تواصل دائم مع الوجهاء المسيحيين لإدارة الشؤون المناطقية والمحلية. ويمكننا التأكيد، إذن، بأن السياسة الفرنسية اتبعت مساراً خاصاً: فمركز المقاومة الكردية إزاء السلطة المركزية في سوريا ليس في الريف، كما هو الحال في كردستان التركية والإيرانية، بل في المدن مع امتداداته الريفية[1]. وتبدو التعبئة في الجزيرة شبيهة، بعض الشيء، بالتجارب المناطقية الأخرى في سوريا، بمعنى أن الدور النشط للمدن، وعلى وجه الخصوص، في المقاومات الريفية، ورغبة نخب المدن الإفادة من هذه الحركات، هي سمات عامة[2].

---

(1) رغم الحجم المتواضع لمدن الجزيرة، ينبغي التذكير بأن مدن كردستان التركي ليست أكبر بكثير. لذلك يصبح من الممكن مقارنة التطور الاجتماعي والسياسي بين مدن الجزيرة وتركيا، فالقامشلي، مثلاً، كانت تعد عام 1927، 3000 ساكن، ووصلت إلى 7000 عام 1930. في تركيا، في أواخر العشرينيات، كان في بتليس (9050) وفي الازيغ (19216) وفي أرغاني (2995) وفي ليس (6846) وفي نصيبين (2851).

(2) MEOUCHY Nadine, «Introduction thématique», in: *France, Syrie et Liban 1918-1946. Les ambiguïtés et les dynamiques de la relation mandataire*, Nadine Méouchy (dir.), Damas, Institut Français d'Etudes Arabes de Damas, 2002, P. 31.

إن نمو المدن الصغيرة في الجزيرة هو نتيجة لإرادة سياسية للدولة المنتدبة: إعمار وإصلاح الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة وفرض الأمن فيه. وكانت فرنسا تأمل من تطوير المدن الصغيرة والقرى وإجبار قبائل البدو على التحضّر للخلاص من النزاعات الكثيرة حول ملكية المراعي. لقد اختارت فرنسا، بالاستناد إلى السياسة التي اتبعها سابقاً الباب العالي، التوجه مباشرةً إلى الزعماء، جاعلة منهم الطرف المحاور المميز، من أجل بسط الأمن، والحد من ترحال البدو في البادية.

وقد حصل زعماء القبائل الذين تحضروا إلى جانب حقهم في التملك على مكاسب أخرى مثل التعويضات، والتمثيل النيابي، وتدابير عقارية وتشريعية تؤمن مصالحهم. بالمقابل شجعت السلطات المنتدبة الزعماء على استصلاح أراضيهم الصالحة للزراعة كشرط لتسجيلها لهم فلجأ زعماء القبائل، القليلي الاهتمام بالزراعة، إلى استخدام الفلاحين الكرد والمسيحيين للعمل في أراضيهم. وكانت المراكز المدينية في الجزيرة، في الأصل، مدناً عسكرية نمت حول الثكنات. ويظهر النمط العسكري في هذه المراكز المدينية في هندستها؛ ذلك أن ضباطاً من جهاز المخابرات، كانوا هم الذين رسموا ونفذوا الخطوط الأساسية لمدن مثل الحسكة. (النقيب مولر Muller) والقامشلي (الملازم أول تربي). إلى ذلك فإن اختيار مواقع هذه المدن كان يلبي شروط السلطات الفرنسية المحددة: تحويل معمري (مستعمري) الجزيرة عن المراكز التقليدية الموجودة في تركيا، في الاتجاه السوري بإنشاء شبكات تجارية تضمن ازدهار هذه المدن القائمة على السفح التركي.

يشير كريستيان فيلود، إلى وجود الأنهر والينابيع ودلائل أخرى تُضاف إلى الاعتبارات الجغرافية، تسمح لنا بتصنيف مدن الجزيرة كالآتي:

ـ المدن التي أقيمت إلى جانب سكة الحديد كحال رأس العين (1922-1926) والدرباسية (1926-1930) وعامودا (1926). فالدرباسية مركز منطقة ناهي (Nahié) كانت مقر المديرية مع جميع المصالح التابعة لها، من درك، وبريد،وبلدية. وعامودا هي مركز زراعي كبير.

ـ المدن التي أنشئت بفعل رهان سياسي: القامشلي (1929) واندیوار (Andiwar) (1929). كانت فرنسا ترغب في خراب المركزين التركيين الحدودين: نصيبين وجزيرة ابن عمر. لذلك بنت فرنسا المدينتين، القائمتين قرب المدينتين التركيتين اللتين سبق ذكرهما حجراً فوق حجر. وإذ شكلت القامشلي نجاحاً، فإن اندیوار كانت فشلاً للاستراتيجية الفرنسية. ورغم ذلك فإن مدينتي نصيبين وجزيرة ابن عمر أخذتا بالتراجع وأغلقت أسواقهما خلال بضع سنوات كما تمنى الفرنسيون.

ـ المدن التي أقيمت بفعل «ابتعاد ستراتيجي: الحسكة (1922) وديريك (Derik) (1930)، فكان موقعهما يستجيب لرغبة العسكريين الفرنسيين في إقامة مدن يمكن التراجع إليها لأسباب أمنية»[1]. وهي ذات الاعتبارات التي دفعت إلى جعل الحسكة مركزاً للجزيرة رغم دينامية القامشلي الكبيرة. ففي الحسكة، بوصفها مركز محافظة الجزيرة، يقيم المحافظ مع كل ما يتبع موقعه من دوائر: الدرك والبريد، والمالية. كما يقيم فيها أيضاً المفتش العام للتعليم الرسمي في الجزيرة.

إن التطور الاقتصادي والديموغرافي في مدن الجزيرة يتشابه بأمور كثيرة. وباستثناء القامشلي، كانت باقي المدن في المنطقة تعاني من أزمة

---

(1) VELUD Christian, *Une expérience d'administration régionale en Syrie durant le mandat français: conquête, colonisation et mise en valeur de la Gazîra, 1920-1936, op. cit.*, P. 461-464.

في بداية سنوات 1930. ويفيد تقرير سري للمخابرات (1933) بأن «الحالة الاقتصادية سيئة بالإجمال»[1].

إن مكافحة السلطات التركية للتهريب الذي كان مصدر رزق حقيقي لمدن الجزيرة شكّل ضربة موجعة. إلى جانب تأخر الإعمار الريفي وازدياد تدفق السكان بفعل الأزمة الاقتصادية، الدولية في عامي 1929-1930، وبالموقف اللامبالي للسلطات السورية، وتوقف هجرة اللاجئين من تركيا[2].

البلدة	حسب المخاتير والروايات	حسب سجل النفوس
الحسكة	7266	5708
رأس العين	1781	1781
الدرباسية	1109	1912
القامشلي	5228	4901
ديرك	1730	1730
المتجمد	30100	33160

جدول رقم (3) السكان المدينيون في الجزيرة (1938)

فلو أخذنا في الاعتبار أن عدد سكان الجزيرة كان يقدر في العام نفسه بـ (141390) فإن النسبة المئوية للسكان ذوي الطابع المديني يناهز الواحد

(1) *SHAT, 7N 4173, Dossier* n° *1*. Section de Renseignements. «Situation des Minorités en Djézireh sous Mandat Français: répercussions sur les Minorités des pays voisins», 3 octobre 1933, P. 1-2.

(2) VELUD Christian, *Une expérience d'administration régionale en Syrie durant le mandat français: conquête, colonisation et mise en valeur de la Gazîro, 1920-1936, op. cit.*, P. 464.

والعشرين في المئة. يعيش معظم سكان الجزيرة، إذن، في الريف وخاصة أن حركة نزوح مسيحيين، من الجزيرة إلى مدن أكبر مثل حلب ودمشق بدأت في سنوات 1930. ووفقاً للإحصاءات فإن مجموع سكان الجزيرة، الريفيين والمدينيين هي التالية[1].

القضاء	السكان	الكرد	العرب	المسيحيون واليهود	المجموع
الحسكة	ريفية	5,720	27,480	10,200	52,460
	مدينية	59	2,070	6'931	
القامشلي	ريفية	38,470	11,910	820	70,500
	مدينية	1,200	3,109	14,991	
دجلة	ريفية	12,150	4,180	370	18,430
	مدينية	400	0	1,330	
المجموع والنسبة المئوية	ريفية	(94) 56,340	(83) 43,570	(23) 11,390	141,390
	مدينية	(6) 1,659	(17) 5,179	(77) 23,252	

جدول رقم (4) السكان الريفيون والحضر في الجزيرة العليا (1940)

اجتماعيات جديدة وسلطات محلية جديدة

كانت القامشلي تمثل النجاح الكبير في سياسة التمدين التي انتهجتها السلطات المنتدبة أكان ذلك من ناحية الكمية (نمو اقتصادي وديموغرافي) أو من الناحية النوعية (تطوير أماكن جديدة). كانت السياسية الفرنسية من الناحية الرسمية صارمة بخصوص موضوع استقبال المهاجرين. لكن

(1) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, D 45, Vol. I*, «Rapport Général de reconnaissance foncière de la Djézireh (1939-1940)», P. 12.

الأهداف السياسية للدولة المنتدبة في الجزيرة كانت تقتضي إسكان مهاجرين من مختلف الإثنيات والأديان. وهكذا فقد استقرت في القامشلي عام 1927، 150 عائلة من الطائفة الإسرائيلية من نصيبين، وبالأخص من يعمل منهم في التجارة. ومثلهم جاءت 300 عائلة أرمنية من ديار بكر، وكانوا أول الحرفيين. أما اليعقوبيون القادمون من ميديات وكاربولان (Karbolin) فكانوا أول المزارعين[1]. أدى تزايد هجرة السكان الكرد المتحضرين، إلى تطور هام مواز لتطور المدينة الجديدة.

لقد صارت المدينة التي أسسها تربي مركزاً تجارياً للمنطقة بفضل التهريب.

إن التهريب المسكوت عنه والمشجع من قِبل الضباط الفرنسيين والذي عززته رسوم الجمارك التركية العالية جداً، أدى إلى انتقال الشبكات التجارية التقليدية في المدن التركية إلى المراكز الحدودية في الجزيرة العليا. وحلّت القامشلي محل غريمتها نصيبين وقضت عليها وصارت أهم سوق لتصدير الحبوب في سوريا الشمالية. وظهر ازدهار المدينة من نمو ميزانية البلدية التي ارتفعت من 32764 فرنكاً عام 1927 إلى 1271000 فرنك عام 1939 ومن تصنيفها، أيضاً، في عداد المدن الكبيرة في سوريا.

كان الطابع التعددي للمدينة ينعكس في الإدارة المحلية رغم سيطرة العناصر المسيحية فيها، أصحاب السلطة الحقيقيين الدينية، والعسكرية، والاقتصادية، والسياسية في المنطقة. كان المجلس البلدي عام 1939، على

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 981. «Etude sur la ville de Kamechlié». Beyrouth, le 21 mars 1936, P. 4.

سبيل المثال، يتألف من أرمني كاثوليكي، وسرياني كاثوليكي، واثنين من السريان الأورثوذكس، وأرمني أورثوذكسي، ومسلمين (كرد) وإسرائيلي. وكانت جميع الطوائف موجودة في كامل المحيط المديني الشديد التناثر. وكان لكل طائفة، على الصعيد الديني، مكان عبادة ومدرسة. وكان المسيحيون يشكلون على الصعيد العسكري، الأكثرية في الجيش الفرنسي الموجود في المدينة، لحماية أمن سكانها في وسط محيط إسلامي[1].

وعلى الصعيد الاقتصادي كان وجهاء المدن، بأكثريتهم المسيحية، يفرضون أنفسهم بوصفهم ملاكاً عقاريين أو تجاراً، ووسطاء لا يزاحمون، بين العالم الريفي والعالم الخارجي. كانوا يمارسون الربا، والمضاربة العقارية، مقيمين نسيجاً من التحالفات والزبائنية الشخصية في الوسط الريفي، مكنهم بالتدريج، من السيطرة الحقيقية على الريف. وإذا كان هذا النموذج «الأقلوي المسيحي» يذكر بشدة بالوضع الذي كان قائماً في ظل الامبراطورية العثمانية، فالعامل الجديد في الجزيرة هو ممارسة هذا الفريق من الأقلية المسيحية العديد من السلطات في المدينة، وخارجها أيضاً، باسم التضامن الديني والتحالف مع العديد من القبائل الكردية.

في الواقع كان ثمة سلطة مزدوجة في الجزيرة: السلطة الفعلية يمارسها الوجهاء (المسيحيون، والكرد أيضاً) والسلطة الشكلية للموظفين السوريين التابعين لدمشق والمعينين في المدينة نفسها. ويعتقد كريستيان فيلود أن روح «التمرد» في الجزيرة تفسّر في الطابع غير المتجانس لسكان القامشلي، ولمدن الجزيرة بشكل عام. فتعدد الأصول الجغرافية والأديان والمذاهب، «يخلق

(1) *PRO, AIR 23/90.* Special Service Officer. Mossoul, le 18 octobre 1926, P. I.

وسطاً اجتماعياً مدينياً غير منضبط، مشكل من أقليات تناضل ضد كل شكل من أشكال الاندماج، وتحافظ بشدة على لغتها، وسلوكها الاجتماعي ولا تخضع، إلّا بصعوبة، لضرورات التنظيم الاجتماعي»[1].

إن مختلف السلطات الإقليمية (الدولة المنتدبة، وضباط جهاز المخابرات، وحكومة دمشق، ورؤساء الدين الكاثوليك، والقوميون الكرد) تحاول، بوعي منها لهشاشة التوازن الإثني والديني في الجزيرة، استخدام مختلف الجماعات في الجزيرة، دفاعاً عن مصالحها الخاصة.

2ـ تعدّد لاعبين وتنوع رهانات

لقد أرسيت، إذن، أسس ثورة الجزيرة (1934-1937) على تعدّد القوى الفاعلة وتنوع الرهانات. إن الاستقلال الذاتي للجزيرة، كما مرّ بنا، يبدو غير مؤات، بمقدار ما هو غير مبرر، ذلك أن المسيحيين والكرد لا يشكلون كتلة متجانسة شأن الدروز والعلويين. وإلى ذلك؛ يمكن أن تتحول هذه المنطقة، لانفصالها الواضح عن سوريا، موضوعاً لمطامع البلدان المجاورة، وقد حذرت المفوضية العليا منذ عام 1932، بشكل واضح، الضباط الفرنسيين العاملين في الجزيرة بأنه: «من غير المسموح به لهؤلاء اللاجئين القيام بأي تعديل للوضع السياسي الحالي، وينبغي إيقاف ذلك، وقمعه عند الضرورة منذ بدايته. فالكرد، على وجه الخصوص، الذين بإعطائهم بعض الحقوق: (إصدار مجلة وتأليف جمعية خيرية)، قد فسروا بشكل خاطئ معنى هذه المبادرات الليبرالية»[2].

---

(1) VELUD Christian, «L'émergence et l'organisation sociale des petites villes de Djézireh, en Syrie, sous le mandat français», in: *Petites villes moyennes dans le monde arabe*, URBAMA, n° 16-17, T. I, Tours, 1986, P. 95.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 413. «Campagne politique en =

لكن دعوات السرايا إلى الانضباط لم تجد أذناً صاغية، لا عند الزعماء الكرد والوجهاء المسيحيين، المحليين، ولا عند ضباط أجهزة المخابرات في الشمال السوري، الذين استمروا يعملون معاً من أجل تشكيل حركة استقلال ذاتي، وقد كان تحالفهم الستراتيجي يلبي المصالح الخاصة لكل فريق منهم، لكن ليس من الممكن اختزال حركة الاستقلال الذاتي في الجزيرة بمناورة خبيثة من جانب الضباط الفرنسيين، الذي يعتبرهم سكان شمال سوريا الأصليين شديدي القدرة.

«الكتلة الكردية ـ المسيحية»

لقد ابتكر الضباط الفرنسيون تعبير «كتلة كردية ـ مسيحية» ليقدموا تقاريرهم إلى السرايا بدءاً من عام 1936، لكنه، في الواقع، لا يعكس تعقيد العلاقات التي تمّ نسجها بين مختلف الفرقاء المنخرطين في حركة الاستقلال الذاتي ولا التباينات الداخلية عند كل منهم. في الحقيقة كانت التناقضات بين المركز والمحيط، والكرد والعرب، والمسيحيين والمسلمين، والمدينة والريف، تحجب الانقسامات الداخلية لدى الأقليات، لذلك علينا، الآن أن نهتم بقوى حركة الاستقلال الذاتي لنكتشف، بصورة أفضل، الدوافع الحقيقية التي تقود هذه القوى إلى الدفاع عن المطالب المناطقية.

إن المحركين الكرد(1) لحركة الاستقلال الذاتي هم حاجو آغا قدري بك،

= Djézireh». Le Conseiller du Haut Commissariat, Délégué du Haut Commissaire auprès du Gouvernement de l'Etat de Syrie à M. le Délégué adjoint à Deir ez Zor. Note n° 1516/SP/2 du 18 août 1932, P. 2-3.

(1) Parmi les tribus Kurdes partisanes des nationalistes syriens, nous pouvons citer le=

وخليل بك إبراهيم باشا[1]. فالأول ادعى تمثيل كرد الجزيرة وأقام التحالف مع الوجهاء المسيحيين. وشغل حاجو، أيضاً، في داخل حركة الاستقلال الذاتي منصباً رفيعاً، هو رئاسة إدارة محلية ـ اللجنة العليا للجزيرة ـ التي نظمت مؤتمر الجزيرة العام الأول عام 1938، المكلف صياغة نظام أساسي مناطقي مؤقت.

وكان قدور بك، القائم المقام السابق لنصيبين، يتمتع ببعض النفوذ في القامشلي، المدينة التي أقيمت على أراضٍ كان يملكها. وكان يمتلك قطعة أرض هامة نشأ حولها الحي الكردي في القامشلي. وحرصاً منه على الحفاظ على علاقات طيبة مع الفرنسيين موّل عام 1931، بناء محطة صغيرة للكهرباء أمنت إنارة المدينة. وقد ترشح للانتخابات النيابية عام 1936 وأصبح نائباً إلى جانب خليل بك إبراهيم باشا وسعيد إسحاق. وقد اعتبر الاستقلاليون الذاتيون قدور، منذ انتخابه معتدلاً جداً.

واتهم قدور بالخيانة لمحاولته إيجاد تسوية بين رغبات الفرنسيين ورغبات القوميين العرب. ورفض البعض شرعية الوجيه الكردي في تمثيل المصالح المناطقية[2]. فأخذ قدور بالانسحاب التدريجي، بعد إنذار «المتشددين» له بالتنحي، وذلك حتى وفاته عام 1938.

= clan Tchitié de Hadji Ali, la tribu Pinar Ali de Hussein Ali et la tribu Dakkourié de Saïd Agha et Chukri bey.

(1) بين زعماء القبائل «الاستقلاليين الذاتيين» يمكن لنا أن نذكر خليل بك إبراهيم باشا (ملّي) محمود بك إبراهيم باشا (ملّي) حاجو آغا (هفركان) نايف مصطفى باشا (ميران) عبده ميري (آليان) عبده آغا خالو (مرسينية) نايف حسن عبد العزيز حسين (تشيتيي). وفي قضاء جرابلس مثّل الأخوان شاهين بك خيار الاستقلال الذاتي، وحصلا على مقعدين في البرلمان السوري.

(2) *SDN, C.P.M, R 449*, n° 2038. Télégramme des populations de la Djézireh retirant la confiance aux députés Kaddour bey et Saïd Ishak. Kamechlié, le 23 novembre 1937.

لقد ساند، ابن إبراهيم باشا، أيضاً، التحالف مع العناصر المسيحية في الجزيرة لكن خليل بك اعتبر ممثلاً لأنصار الشرعية[1]. وكان يأمل بقيام منطقة استقلال ذاتي بحماية فرنسا، وأن تجري فيها انتخابات من أجل أن يختار السكان ممثليهم «الحقيقيين» وكان أبناء إبراهيم باشا يطالبون ببسط سلطتهم على عموم الكرد نظراً للمكانة المفترضة، لقبيلة ملّي، منافسة مع زعماء قبائل أخرى مثل حاجو آغا.

وقد ساند مثقفون قوميون كرد، أيضاً، حركة الاستقلال الذاتي. فوافق جلادت بدرخان على التعاون مع أنصار الاستقلال الذاتي، وكتب مذكرات قدمتها وفود الجزيرة إلى الحكومة، وإلى المفوضية العليا[2]. أما موقف قدري جميل باشا من المطالب الكردية بالاستقلال الذاتي فيشوبها بعض الغموض. فهو ساند المطالب الكردية بالاستقلال الذاتي عام 1932، وظهر اسمه بين المندوبين الإقليميين الذين ذهبوا إلى دمشق في نيسان/ أبريل 1937. ثم اختفى عن المسرح ليظهر في عام 1940 مرشحاً للنيابة عن الجزيرة. وأخيراً وحسب توماس بوا (Bois) فإن الدكتور نافذ عضو خويبون، عمل هو الآخر، في ظل جبهة الاستقلال الذاتي[3].

إن تحالف الزعماء الكرد مع الوجهاء المسيحيين الذي سمح لهم بتوسيع نفوذهم في المدن كما في الريف، كان أيضاً، فرصة للحفاظ على سيطرتهم

---

(1) VELUD Christian, *Une Expérience d'administration régionale en Syrie durant le mandat français: conquête, colonisation et mise en valeur de la Gazîra, 1829-1936, op. cit.*, P. 574.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 503. Information. Damas, le 19 avril 1937, P. 2.

(3) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 45, II Vol.* «Mon journal» par le Père Thomas Bois, n° 62, juillet 1937, P. 3.

على الشؤون المحلية، من جهة، ولتأمين مستقبل الأقلية المسيحية في سوريا المحاطة بأقليات (الكرد)، من جهة أخرى. وبتعبير آخر لم يكن أمام هؤلاء وأولئك من خيار سوى خيار الدعم غير المشروط لقضية الانتداب.

كانت الجماعة المسيحية تستند إلى الوجهاء ورجال الدين في الكنائس المختلفة الموجودة في الجزيرة. وكان الأكثر نشاطاً أتباع الكنائس الكاثوليكية. وكان المطران حنا هبة وميشال دوم المحركين الأساسيين لجبهة المتشددين. وكان الأول يشغل منصب النائب العام لبطريرك السريان الكاثوليك في الجزيرة منذ عام 1932 ويقيم في الحسكة. وكان يحظى بدعم الكاردينال تبوني، بطريرك السريان الكاثوليك المتمتع بعلاقات مميزة مع بعض الأوساط الفرنسية الراغبة في ديمومة الانتداب، كما كان يحظى بدعم الفاتيكان. وكان يساند السريان الكاثوليك زعماء الآشوريين والأرمن الكاثوليك. أما ميشال دوم فهو رئيس بلدية القامشلي.

بالمقابل اختار السريان الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس، الحياد بين أنصار الاستقلال الذاتي والحكومة المركزية. ورغم هذا الموقف الرسمي، فإن عدداً وازناً من السريان الأرثوذكس تقرب من حركة الجزيرة، وبعضهم، مثل سعيد إسحاق، شغل مسؤوليات هامة فيها. في عام 1939 وفي الانتخابات النيابية، انتخب سعيد إسحاق بوصفه مرشحاً عن أنصار الاستقلال الذاتي، لكنه ابتعد عنهم معتبراً أنه تطرف كثيراً. واستمر مع ذلك في خوض السياسة المحلية، وأُعيد انتخابه عام 1943، وعام 1949. ولعب سعيد إسحاق المذكور، دوراً هاماً في الحياة السياسية السورية عام 1951 بوصفه نائباً لرئيس مجلس النواب.

واتبع حزب الطاشناق، الحاضر في الجزيرة، خطاً محايداً بدقة، وعلى

الآخص، في الأحداث التي عرفت بـ«ثورة 1937» التي حصلت في الحسكة[1] والقامشلي، إذْ فضل الأرمن عدم التدخل منعاً لتعرضهم لتدابير انتقامية. إذْ إن ذكرى السياسة الحكومية التركية خلال الحرب العالمية الأولى، و«خيانة» فرنسا في كيليكيا، كانتا لاتزالان حادتين، وبالتالي فإن الكتلة المسيحية لم تكن سوى مظهر، «وطنهم هو طائفتهم، أمتهم كما يقولون. فالمسيحي الشرقي هو، أولاً، كلدانياً، وسريانياً كاثوليكياً أو أرثوذكسياً، قبل أن يكون سورياً أو عراقياً»[2].

انقسمت معظم القبائل العربية في الجزيرة بين الجبهتين. وأساس هذا الانقسام يظهر، خاصة، في الكفاح من أجل السلطة داخل القبيلة والسيطرة على الأرض. وتبدو حالة شمر الأكثر تعبيراً. ففي حين كان دهّام الهادي ملتزماً جانب دمشق، وقدم مرشحاً ضد أنصار الاستقلال الذاتي، انحازت شمر سنجار (Sindjara) إلى زعيم إقليمي هو الشيخ عبد الكريم محمد. كان شخص الشيخ دهّام الهادي مركزياً في أحداث الجزيرة أعوام 1936-1939. فرغم خسارته في الانتخابات النيابية عام 1936، أمام المرشح الوحيد للاستقلاليين الذاتيين، فقد حصل على مغانم في المدى القريب؛ ذلك أن أقساماً من القبائل العربية والكردية تخلت عن مواقفها السابقة والتحقت بأنصار دمشق. كان مفتاح نجاح الشيخ دهام الهادي استخدامه للدعاية الدينية

(1) TATCHJIAN Vahé, *Minorités, Etats-nation, Expansionnisme occidental. La Zone frontière turco-syrienne dans l'entre-deux-guerres*. Thèse de doctorat sous la direction de Lucette Valensi, Paris, EHESS, 2002, P. 422; TATCHJIAN Vahé, *La France en Cilicie et en Haute-Mésopotamie. Aux confins de la Turquie, de la Syrie et de l'Irak (1919-1933)*, Paris, Karthala, P. 401.

(2) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 54, II Vol.* «La question de la Djézireh. Quelques caractères de la Révolte de la Djézireh. Titre VII», P. 4.

المعادية للمسيحيين، في وقت بدأ فيه بعض الخلاف بين الكرد وجيرانهم المسيحيين، الأمر الذي تم التعبير عنه بلجوء الطرفين إلى التسلح توقعاً لنزاع بين الطائفتين.

دور «القوى الخارجية»

لقد أظهرت، دراسات جامعية مختلفة بصورة واسعة، تدخل بعض ضباط جهاز المخابرات، الذي صارت تسميته منذ عام 1930، بالأجهزة الخاصة في المشرق، في تطور حركة الاستقلال الذاتي في الجزيرة[1]. وهذه الدراسات تعتمد على مصادر المحفوظات العائدة إلى السلطة المنتدبة[2]. لم تكن الأجهزة الخاصة، في نزاعها المتكرر، مع السلطات المدنية، تريد فقدان سيطرتها المباشرة في هذه المنطقة الحدودية. وقد شكّل إعلان المعاهدة الفرنسية ـ السورية عام 1936، وما تحويه من أحكام، تهديداً لهذه الأجهزة.

(1) Voir Les thèses de Jean-David Mizrahi (2002), Vahé Tatchjian (2002) et Christian Velud (1991).

(2) A titre d'exemple, nous reproduisons-ici la note personnelle de l'Inspecteur de la Sûreté en Djézireh: «Au départ de M. le Haut Commissaire, le Général Délégué se rendit à Beyrouth. A son retour, il dit [...] que les mazbatas des minoritaires étaient à l'ordre du jour et qu'il lui en fallait en Djézireh. Cette idée ne fut pas approuvée. Mais sans en tenir compte, le Général Délégué donna l'ordre aux officiers du SS de Djézireh de faire établir des mazbatas pour demander l'autonomie; en donnant cet ordre, il ajouta: N'en parlez pas au Capitaine Chauvin. Les officiers du SS se mirent à l'oeuvre, et immédiatement fin mars des mazbatas et télégrammes furent lancés par les notables chrétiens, druzes et israélites et quelques musulmans d'ailleurs peu convaincus». *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 413. «De la situation en Djézireh». Note personnelle de l'Inspecteur de la Sûreté, le 3 mai 1936, P. 1-2.

منذ ذلك الحين، حاول بعض الضباط، بمختلف الطرق، منع أو تأخير إبرام فرنسا للمعاهدة الفرنسية السورية. وقد انخرطوا في الحركة الإقليمية في الجزيرة، ودعوا إلى بعض المبادرات في «ثورة 1937» وهي الحقبة الأكثر حماوة في احتجاجات الاستقلاليين الذاتيين، وفي سيل المذكرات (مضبطة) المطالبة بالاستقلال الذاتي إلى عصبة الأمم، كان رجال الأجهزة الخاصة يرون أن الخطر المحدق بالطوائف المسيحية يبرر تأخير إبرام المعاهدة الفرنسية السورية ويرون، أخيراً، أن تحالف الأجهزة مع الطوائف المسيحية، وخاصة الكاثوليكية منها، من شأنه دفع الأكراد إلى الاهتمام بالشؤون الداخلية السورية، وترك المشاريع السياسية العابرة للدول في المرتبة الثانية من اهتمامهم.

وقد وجد الاستقلاليون الذاتيون، منذ ذلك الحين، الدعم والمساندة في العديد من المسائل ومنها: مثلاً، إيصال المذكرات إلى عصبة الأمم، من جانب ضباط الأجهزة الخاصة، وفي طليعتهم الجنرال جاكو (Jacquot) قائد القوات، والنقيب بلونديل (Blandel) المفتش العام للأجهزة الخاصة في الجزيرة. إن محفوظات الإرسالية الدومانيكية في الجزيرة تشير إلى ضباط فرنسيين آخرين غيروا موقفهم المشجع لحركة الاستقلال الذاتي، بفعل ضغوط المفوضية العليا.

رغم ذلك استمر بعض ضباط الأجهزة الخاصة في تشجيع الاستقلاليين الذاتيين في الجزيرة. وقد أسف المندوب المساعد للمفوض السامي «لأن ممثلينا لم يستطيعوا التخلي عن المواقف التي كانوا يتخذونها في ظل حكومة الكتلة الوطنية، ويستمرون في تشجيع تقسيم السكان، لمصلحة جزء منهم، لا يشكل، في الواقع إلّا أقلية (الكاثوليك)»[1].

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 505. Note du Cabinet POlitique n° 918. Damas, le 13 juin 1939, d*oc. cit.*, P. 4.

ولم يؤدِ قيام الحكم البيتاني، والحرب العالمية الثانية، إلّا إلى زيادة الفوضى وفقدان التوازن في مبادرات الضباط الفرنسيين في الجزيرة.

لقد لعب الدومانيكيون الفرنسيون، الذين حلوا في الجزيرة منذ عام 1936، دوراً كبيراً في تقوية الحركة المناطقية. وقد مكنتهم الخبرةَ التي اكتسبوها في شمال العراق، ومواقعهم الاقتصادية المهمة، ودعم الكاثوليك الفرنسيين والفاتيكان لهم، من التصدر السريع للطوائف المسيحية الأخرى. وكانت لمدارسهم هيبة لدى جميع الطوائف من أي مذهب كانت. وكان الوجهاء المسيحيون والمسلمون يفضلون إرسال أبنائهم إلى المدارس الداخلية التي يديرها آباء دومينيكان. كانت المهمة الأولى لهذه الرهبانية دعوة المؤمنين من المذاهب الأخرى إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية، الأمر الذي أثار الريبة. وعليه يمكننا أن نفهم بصورة أفضل عدم رغبة بعض رؤساء الدين المسيحيين، في مزيد من الانخراط في حركة يسيطر عليها المسيحيون من المذهب الكاثوليكي.

وقد اكتشف بعض الضباط الفرنسيين الذين كانوا على صلة دائمة مع الدومانيكيون، مع بعض الارتباك، إن الرهبان الكاثوليك لديهم ستراتيجيتهم الخاصة، ومصالحهم الخاصة (على الأخص بقاء بعثتهم في سوريا) التي لا تنسجم أحياناً مع ستراتيجية هؤلاء الضباط ومصالحهم. فالدومانيكيون انخرطوا في المسائل السياسية للمنطقة، دفاعاً عن مصالحهم، وبدأ بذلك تعاونهم مع الفرنسيين الذي لم يخل من صدام[1].

وقد عمل بعض الآباء الدومانيكيون، يداً بيد، مع ضباط الأجهزة الخاصة. وأوحى هؤلاء للاستقلاليين الذاتيين، بأن إقامة إدارة خاصة لا تزال واردة، فضللوا بذلك الزعماء المناطقيين.

---

(1) Voir *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 45 Vol. I.* Lettre de R. P. de Rudder au Frère Landry. Mission Dominicaine. Derbessié, le 29 avril 1940, P. 2.

«وقد استقبلت المفوضية العليا الحاجو آغا، الزعيم الكردي الذي يشكل بعد المطران هبة، السند الثاني للكتلة الكردية المسيحية في الجزيرة، وكان، في رفقة الحاجو آغا، جلادت بدرخان الذي كان يحرك، من دمشق، كامل الحركة الكردية. وقد طرح الزعيمان بحزم السؤال التالي: ماذا تريد فرنسا بالنهاية. فأنتم هنا تنصحوننا بالحذر والاعتدال وتدعوننا إلى إيجاد تفاهم مع دمشق. وفي مكان آخر ينصحوننا بشيء آخر. من علينا أن نصدق؟ أعتقد أن الحاجو آغا وجلادت بدر خان كان يشيران إلى الآباء الدومانيكيين في القامشلي الذين يستقوون بما لهم من علاقات في فرنسا، وبالتوجهات التي يبدو أنها تصلهم ويقيمون علاقات وثيقة مع الزعماء المناطقيين. ولم يكن لدى المفوضية إلّا تكرار النصيحة لحاجو آغا بالبقاء هادئاً [...]»[1].

إن رصد ما في داخل جبهة الاستقلاليين الذاتيين سمح لنا بالكشف عن تعدد القوى المنخرطة في هذا العمل، وبالتالي تعدد الرهانات في هذه الحركة. مع ذلك لا يمكننا تفسير مشاركة جميع القوى فقط من خلال قراءة منتقاة. فزعماء القبائل الاستقلاليون الذاتيون، أو الآخرون الوحدويون يمكن أن يتأثروا بمصالح قبلية، أو شخصية أو بالريبة من أجهزة الدولة، أو بالسعي إلى حيازة الأرض، وبالدعاية الدينية. وهذه اللائحة ليست ـ في مطلق الأحوال ـ كاملة للتعبير عن جميع العوامل التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في الخيارات السياسية.

وليس سراً شراء القوميين العرب السوريين وضباط الأجهزة الخاصة،

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 494. L'Ambassadeur de France, Damien de Martel, à Son Excellence M. le Ministre des Affaires Etrangères. Beyrouth, le 3 mai 1938, P. 4.

أيضاً، بعض الزعماء مما سبب «حركة ذهاب وإياب» في الاتجاهين. وهكذا أصبح سعيد آغا، زعيم الدكورية (Doukourić) من منطقة عامودا الذي كان من أوائل الاستقلاليين الذاتيين، مدافعاً حاراً عن التفاهم مع دمشق. إلى ذلك فإن اختيار السلطة المنتدبة لبعض زعماء القبائل قد أثار الغيرة لدى الزعماء الذين استبعدتهم سياسة فرنسا القبيلة. هذا، وإن تقلبات سياسة الانتداب وعدم تماسكها أثار ردة فعل معادية لفرنسا، أو البقاء على الحياد، بين من خاب أملهم بالانتداب.

كما لا يجوز التغاضي عن تأثيرات الدعاية التركية على القبائل الكردية. كان العملاء الترك يحاولون، خاصة في أوقات التوتر الشديد، إقناع الكرد بإدارة الظهر لفرنسا قبل أن تقوم هي بذلك.

وقد تم استخدام الأخوة الإسلامية بين الترك والكرد للحصول على ولاء قبائل الشمال السوري لسياسة أنقرة. وتجلّت المفارقة بدعوة المسيحيين للعودة إلى مواطنهم. وزادت الطين بلة الدعاية العربية التي لجأت إلى إثارة الغرائز الدينية، مستغلة وصول اللاجئين الآشوريين إلى الجزيرة عام 1933، وطلب العديد من اليهود الإقامة في سوريا، للقول بأن فرنسا تسعى إلى إقامة وطن (غريب) في البلاد، على صورة المشاريع الصهيونية في فلسطين. وكان طبيعياً أن يستمع عرب الجزيرة لهذه الدعاية، وهم المستبعدون عن «تقدم» المنطقة.

إن تعدد الرهانات التي تعبئ القوى في جهة أو أخرى، يقودنا، إذن، إلى عدم معارضة المصالح الخاصة بمصالح الجماعة، أو إلى تخيلات للوضع السياسي. إن حالة حاجو آغا، القاعدة الكردية لحركة الاستقلال الذاتي، والتي تابعنا تطورها حتى هنا، تساعد على رؤية كيف يمكن للأيديولوجيا والتراتب القبلي أن يترافقا مع منطق الزبائنية، وكيف أن الستراتيجيات السياسية، على

المستوى المحلي أو على المستوى العابر للدول، ليست متناقضة بالضرورة.

فكما رأينا، صار زعيم الهفركان من محاسيب المفوضية العليا، لقاء تعاونه في فرض الأمن، وفي إحياء الجزيرة. كما صار، بدعم من ضباط جهاز المخابرات، وجيهاً في المجتمع المتعدد الإثنيات والمتعدد الأديان. وحاول شخصياً، من جهة أخرى، أن يضم الزعماء القبليين إلى حركة الاستقلال الذاتي، وشغل مواقع مفتاحية في الإدارة البديلة التي أسسها المناطقيون عام 1938. وقد تخلى تدريجياً عن موقعه لنجله حسن كي يتسلم هذا الأخير المسؤوليات، بوصفه زعيماً للهفركان، في حركة الاستقلال الذاتي. لكنه لم يقطع علاقاته مع الأوساط القومية الكردية في دمشق. وأعلن استعداده، أيضاً، لإقامة صلات بين حركة الاستقلال الذاتي وممثلي القومية الكردية في بلدي المشرق. وهكذا فإن عائلة حاجو تسعى في مختلف مجالات العمل المشترك، فهي تلتزم العمل، في آن، في الحقل المحلي وفي الحقل «العابر للدول» (كردي) دون أن تتصادم مباشرة بالسياسة الفرنسية، أو تنسىَ مصالح قبيلة الهفركان. هل هناك تناقض في هذا الموقف؟

في البداية، اكتسب حاجو آغا نفوذه في سوريا بصفته زعيم الهفركان. وقد سمحت له قيادة القبيلة بالتفاوض حول وضع محسوبيته للدولة المنتدبة. مذاك صار عليه، ليعبئ الجماعة التي ينتمي إليها (الهفركان)، أن يقوم بأعمال «شبكية»[1] فعالة إزاء الإدارة المالكة للموارد، أي الأجهزة الخاصة، والمفوضية العليا. لكن هذين الوضعين «زعيم قبلي ومحسوب» لا يوفران له، فرض موقعه المتقدم في الجهة الكردية في الجزيرة العليا. إن ما يوفر له شرعيته كركن كردي لحركة الاستقلال الذاتي، هو ما يبذله في الحركة القومية

(1) On peut parler d'«action réticulaire» lorsqu'un acteur fait jouer son réseau social pour entreprendre une action.

الكردية. ولم يتردد زعيم الهفركان عن استخدام الرموز القومية لتعزيز موقعه في المجتمع الكردي. وعلى هذا الأساس رفع علماً كردياً فوق منزله في الحسكة، وكانت «الأناشيد القومية» تتلو خطبه العامة في الجزيرة. وسمحت له مكانته في قبيلة الهفركان، أن يكون مفيداً في المشاريع السياسية الكردية، وعلى الأخص انضمام زعماء القبائل إلى القضية القومية، كما أن نشاطه في الحركة القومية يسمح له بتعزيز نفوذه في القبيلة، وعلى الصعيد المحلي (الجزيرة العليا) والعابر للدول (كردستان).

3 ـ مطالب الجزيرة

يمكن اختصار مطالب الاستقلال الذاتي في الجزيرة، بالأمور الثلاثة الآتية:

1) نظام خاص تضمنه عصبة الأمم يشبه نظام العلويين، والدروز، كما يشبه نظام الإسكندورن؛

2) إبقاء القوات الفرنسية لتأمين سلامة الأقليات.

3) تعيين حاكم فرنسي تحت وصاية عصبة الأمم.

ويؤكد المناطقيون في الوثيقة، الأفضل صياغة، إنهم مقابل هذا النظام الخاص يقبلون «أن يكونوا مواطنين سوريين» ويسهمون في «نفقات الدولة» ويدافعون بكل ما أوتوا من قوة عن «الحدود السورية»[1]. أما المطالب الثانوية، التي تتصل في بعض الحالات، بالمطالب الثلاثة الرئيسية فيمكن جمعها في الحقل الاقتصادي (إعطاء اعتمادات لإصلاح البنية التحتية في الجزيرة، ومخصصات لزعماء القبائل الموالين للانتداب)، وثقافية (تعليم اللغة الكردية) وإدارية (اختيار موظفين ورجال شرطة، من أهل البلاد) وقضائية

(1) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 54 Vol. II.* «Le Manifeste de la Djézireeh», élaboré par le Comité de Défense de la Djézireh en avril 1938, nº 112, P. 3.

(عودة جميع الزعماء من أنصار الحكم الذاتي الذين أبعدتهم السلطات المنتدبة)[1].

ويبدو من الواضح أن الوجهاء المسيحيين زعماء القبائل الكردية، المشاركين في حركة الاستقلال الذاتي، يسعون، بالدرجة الأولى، إلى الحفاظ على وضعهم المميز في الجزيرة. لقد حصلوا على أراض وعلى مرتبة وسطاء مع السكان المحليين وصاروا مفيدين لمشاريع المفوضية العليا في إعمار هذه المنطقة الصحراوية (بادية). وكان الكرد والمسيحيون، بتعاونهم الوثيق مع ضباط الأجهزة الخاصة، يضمنون أمن هذه المحافظة الطرفية الخارجة «عملياً» عن سيطرة دمشق. فصاروا بالتالي، ضرورة، لا غنى عنها، للمفوضية العليا وللسكان المسيحيين والمسلمين. وراحوا، استناداً إلى وعيهم هذا الواقع وآفاق إقامة دولة مركزية، يلعبون ورقة الاستقلال الذاتي دفاعاً عن مكاسبهم.

بيد أن مطالب حركة الاستقلال الذاتي التي عبر عنها بكلام عن هوية، نسميها نحن «قومية البادية» والذي لا يمكن، في رأينا أن نهمله عند تحليل هذه القومية، هو ما يعطي هذا التعبير عناصر عديدة، تظهّر صورة لهوية جديدة غامضة بالتأكيد، لكنها تتعزز في مواجهة أهداف دمشق الوحدوية.

يعتبر قسم من القبائل الكردية الجزيرة مكان سكنهم التقليدي. الأمر الذي يفسر مطالبة بعض زعماء حركة الاستقلال الذاتي بكردية المنطقة، بعد تشكيل الكتلة الكردية المسيحية[2]. تمايز هذا الخطاب، بعض الشيء

---

(1) Pour passer en revue les différentes revendications des habitants de la Djézireh voir les pétitions recueillies par la Commission Permanente des Mandats, n° 1881, n° 1953, n° 2038, n° 2089, n° 2127, n° 2169.

(2) *FONDS RONDOT, Dossier Presse Orientale*. «Les réfugiés kurdes travaillent à fonder un home national en Syrie.» Extrait du journal *Al Ayam* du 11 juillet 1932, P. 1.

مع السكان التقليديين. فأنصار الاستقلال الذاتي (من الكرد والمسيحيين) يعترفون بأنهم قدموا حديثاً إلى الجزيرة. غير أن إعمار منطقة كانت تعتبر صحراوية يعطي «حقوقاً» للسكان الجدد. لقد طالبت نخب «معمري» الجزيرة، مستوحين وضع المعمرين الأوروبيين الذين استقروا في أميركا، بسلطة القرار في المسائل المحلية باسم «التضحية» و«العمل» المبذولين منذ الوصول إلى سوريا. وهم يعتبرون أنفسهم الخالقين الحقيقيين للجزيرة الحديثة. وكما أشار فاهي تشجيان (Tachnjan)، عن حق، فإنهم يعتبرون أنفسم بكل إنصاف، أصحاب حق في تقرير المصير[1].

إن كتاب «الحقيقة وأحداث الجزيرة»، يشكل مثالاً عن «قومية البادية»:

> «تسمينا دمشق، باحتقار، لاجئين. [...] ليعرف العالم بأن هؤلاء اللاجئين هم الذين عملوا وصنعوا، وقاموا بالجهود، وبذلوا أنفسهم لتحويل هذه البلاد الصحراوية، التي كانت سابقاً ملجأ للنهابين، وصحراء يسكنها البدو، وأرضاً للسطو والسلب وقطاع الطرق، إلى بلاد مسكونة ومركزاً مزدهراً للزراعة وللتجارة [...]»[2].

يعطي سكنى المدن، مثال التمدن، للمعمرين حقوقاً، على حساب البدو ممثلي التخلف، وفقدان الثقافة. بيد أن الكرد والمسيحيين، خلافاً لطلاب الحكم الذاتي الأميركيين، لم يكونوا يطالبون بالاستقلال الذاتي في مواجهة بلدان المنشأ، بل يطالبون، على العكس، بحماية الدولة الكبرى التي دعتهم إلى إعمار الأرض «المتروكة» لقبائل البدو.

إلى ذلك لا يسعنا تجاهل التغيرات الناجمة عن تفكك الامبراطورية

---

(1) TATCHJIAN Vahé, *Minorités, Etats-nation, expansionnisme occidental. La zone frontière turco-syrienne dans l'entre-deux-guerres, op. cit.*, P. 424-425.

(2) *FONDS CHEAM*, ANONYME, «La vérité sur les événements de la Djézireh. Aperçu historique par un témoin oculaire», n° 212.078, P. 10-11.

العثمانية، في تكوين هويات جديدة في إطار كيانات سياسية، محددة، هي بالذات، تكونت بتفكك الامبراطورية نفسها. لم يكن للدولة السورية وجود في الجزيرة. وظلت فرنسا، باستثناء بضعة رجال درك وموظفين عرب، هي المرجع الرئيسي للسكان المسيحيين والكرد، إضافة إلى أن الهوية السورية للجزيرة كانت مفهوماً ملتبساً لا ينسجم مع الحقيقة اليومية لسكانها. كما أن الإدارة المباشرة للجزيرة من قِبل فرنسا حالت دون اندماجها الوطني (السوري) يضاف إلى ذلك، النظرة إلى الجزيرة بوصفها «فضاءً امبراطورياً»، كاستمرارية لكردستان تحت سيطرة الدولة المنتدبة. لذلك لوحظ شعور بالغربة إزاء حكومة دمشق، في خطاب الاستقلاليين الذاتيين. في عام 1937، عبر رئيس بلدية القامشلي ميشال دوم في مقابلة مع المفوض السامي الكونت دي مارتيل (de Martel)، عن هذا الشعور بالغربة، بالشكل التالي: «الجزيرة العليا لم تكن أبداً جزءاً من سوريا في ظل الترك. فالعادات، والتقاليد، والسكان، كل شيء يختلف عن سوريا الداخلية. كانت الجزيرة تابعة لولاية ديار بكر»[1].

وتذهب لجنة الدفاع عن الجزيرة إلى حد التأكيد بعدم وجود صلات «جغرافية، وتاريخية، وخلقية» بين سكان هذه المنطقة وحكومة دمشق، يُضاف إلى ذلك دأب دمشق «على العمل لإثارة الصراعات الإثنية والطائفية في الجزيرة»، في حين أن موظفيها: «قد راكموا في بضعة أشهر كماً غير معقول من المضايقات، ومخالفة العدالة، وأيضاً من جرائم القتل والمجازر»[2]. ويشعر

(1) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 45,Vol. II.* «Déclaration de Michel Dôme, Président de la Municipalité de Kamechlié, à S.E. Monsieur le Comte de Martel, Haut Commissaire» du 23 Juillet 1937, P. 1.

(2) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 45, II Vol.* «Le manifeste de la Djézireh» d'avril 1938, P. 2.

سكان الجزيرة، أخيراً، بأنهم «مهملون» من قبل المركز السياسي، فالطرق سيئة، ولا يوجد مستشفيات، والمدارس الرسمية نادرة، في هذه المنطقة الطرفية الموالية للسلطة المنتدبة، والتي تنظر إليها دمشق، بالتالي، بعين الريبة. ويتشكى قادة الجزيرة، شأنهم شأن الحركات المناطقية الأخرى، من الإدارة المركزية التي ينظرون إليها بوصفها غريبة وفاسدة وعاجزة. وبالطبع فالحل هو إقامة إدارة مستقلة يقودها «السكان الأصليون»[1].

وهكذا فإن وطنية الأرض تتحول إلى دعوة للاستقلال الذاتي، بفعل الاتصال بالثقافة القومية، و«التأطير» الانتدابي[2]. وتقع على عاتق زعماء الحركة، مهمة كسب أفراد الجماعة ليصبح خطاب الاستقلال الذاتي قابلاً، فعلاً، للتحقق، وينجح في فرض رؤية وحيدة لهويته ووحدته.

وقد حاول الخطاب المناطقي في الجزيرة، انطلاقاً من حال تشرذم الحركة، أن يعكس هذا التنوع رغبة في كسب أكبر عدد من الأنصار.

إضافة إلى ذلك فإن نصوصاً عن الاستقلال الذاتي لا يجوز عدم الاكتراث بتأثيرها، إذْ نجد أن كثيراً من المبادرات قد اختارت أشكالاً أخرى للتعبير. من ذلك، صنع الزعماء الاستقلاليين الذاتيين علماً يحمل عناصر رمزية لكل طائفة. ولأنه لا يوجد شكل وحيد لعلم الاستقلال الذاتي، فمن المرجح أن الزعماء كانوا يعدلون في الرموز مع تقدم الحركة وتطورها. وفي كل الأحوال، كانت جميع مشاريع الإعلام تستند إلى العلم الفرنسي المثلث الألوان (اعترافاً بالحماية الفرنسية) يُضاف إليه سنبلتان متقاطعتان (رمزاً للخصب والغنى). وأشكال أخرى، منها ما صنعه توماس بوا (Bois)، بإضافة

---

(1) *SDN, C.P.M, R 448*, document n° 1881. «Pétition, en date du 5 avril 1936, de M. Tallal, chef de la tribu Tay et d'autres chefs et notables de la Haute Djézireh, Kamechlié», transmise le 12 novembre 1936 par le Gouvernement français avec ses observations. Geneve, le 12 décembre 1936, P. 5.

(2) *Les Rites d'interaction*, Paris, Ed. de Minuit, 1974.

صليب (تمثيلاً للعنصر المسيحي)، وهلال (تمثيلاً للعنصر المسلم): الكرد والعرب، ونجمة[1] (تمثل الجماعة الكردية). كان الاستقلاليون الذاتيون يبغون، من هذه الرموز والشعارات، تأكيد التفاهم بين مختلف الجماعات بمعزل عن الاختلافات الإثنية والدينية. وعُلقت، إضافة إلى هذا العلم[2]، لافتات تحمل شعارات، مشتركة مع القوميين العرب، مثل الدين للّٰه والوطن للجميع[3].

وابتدع الزعماء الاستقلاليون الذاتيون، أعياداً محلية تظهر تقاليد سكان المنطقة بإقامة علاقات اجتماعية متعددة الإثنيات والطوائف في الساحات العامة. وقد أقام الزعماء الاستقلاليون الذاتيون، تأكيداً على الوحدة بين مختلف الطوائف في الجزيرة، في وجه دمشق وعملائها، ذكرى سنوية تكريماً لبعض القتلى المسيحيين على يد أنصار دمشق فيما عرف بـ «مسألة عامودا». وقد تخلل هذه الذكرى، حسب جريدة البشير، احتفالات دينية مشتركة بين الطوائف، وخطب بالكردية والعربية ألقاها حاجو آغا وأبناؤه؛ وتم تأليف النشيد المناطقي: «الجزيرة هي لنا» إضافة إلى «أغان قومية كردية»[4].

وقد تغذت «قومية البادية» أيضاً من تفهم ملموس بين السكان غير

---

(1) نعتقد أن الأمر يتعلق بشمس تحولت إلى شعار للكردية من قِبل القوميين الأكراد. كان بإمكان توماس بوا أيضاً أن يفسر هذا الشعار بشكل غير صحيح. وبالفعل، بما أن بعض الحاخامات يلتحقون بمعسكر الاستقلاليين، فمن الممكن أن تُنسب نجمة العلم الاستقلالي إلى نجمة داود لتمثل بذلك الجالية اليهودية في الجزيرة العليا.

(2) حسب القنصل البريطاني في حلب، يتشكل العلم الاستقلالي من مثلثي ألوان صغيرين وصليب وهلال وسنبلتين من القمح على خلفية بيضاء.

(3) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 45, II Vol.* «Mon Journal» par le Père Thomas Bois, Juillet 1937, n° 63, P. 3.

(4) Chronique du journal *Al Béchir* (14-18 août 1938) reproduite par *Oriente Moderno*, «La situazione nell'el-Gezirah. Commemorazione dell'eccidio di'Amudah», XVIII, n° 5, 1938, P. 505.

العرب في الجزيرة. فأنصار الاستقلال الذاتي خافوا من أن يكون لإقامة دولة أمة عربية عواقب تتمثل في سياسة عدوانية ضد الأقليات كما حصل في تركيا والعراق. فمصير الآشوريين والكلدانيين في العراق وتهديدات كبار المسؤولين المتكررة في دمشق، ضد السكان المسيحيين في المنطقة، كل ذلك أدى إلى تغذية قلق هذه الطوائف التي كانت حتى ذلك الحين تحت «حماية الفرنسيين»[1].

يمكن تفسير مطالب الكرد في الجزيرة الموجهة إلى فرنسا بشأن الحماية المباشرة، وخاصة الذين فروا من تركيا هرباً من القمع الكمالي، بالطابع العابر للحدود لـ «القضية» الكردية. ففي الواقع ورغم الاتفاقات المعقودة بين فرنسا وتركيا حول ترسيم الحدود، تلمح حكومة أنقرة، إضافة للرغبة في ضم الإسكندرون إلى الأراضي التركية، إلى احتمال مواجهة أجزاء من سوريا المصير نفسه. بدأت الحملة الإعلامية ضد فرنسا، منذ العشرينيات، بسبب دعمها المفترض للقوميين الكرد والأرمن، تحضر الأرضية لمشاريع اجتياح للجيش التركي للمطارح الكردية في شمال سوريا: كرد داغ، وجرابلس، والجزيرة العليا. كان احتلال هذه المطارح بالنسبة لتركيا الطريق الأمثل للحل الثاني «للمسألة الكردية» المسببة للنزاع الدبلوماسي مع فرنسا.

ثورة الجزيرة

رغم العرائض التي وجهها الزعماء الكرد في الجزيرة، منذ عام 1932، مطالبين بالاستقلال الإداري الذاتي، فإن العدد الأكبر منها الذي وجه إلى السلطات المنتدبة وعصبة الأمم، تم إرساله عام 1936. وكان العامل الذي

---

(1) يقول الأب درابيه: «في حال استقلت سوريا لن يبقى المسيحيون في الجزيرة التي ستعود صحراء».

فجّر الهجوم السياسي للاستقلاليين الذاتيين، هو المفاوضات حول الاتفاقية الفرنسية السورية، فحسب هذه الاتفاقية يتم الاعتراف بسوريا دولة مستقلة، تنتسب إلى عصبة الأمم في فترة ثلاث سنوات منذ التوقيع على الاتفاقية. إلى ذلك ترتبط فرنسا وسوريا بمعاهدة تحالف لمدة 25 سنة. وفيما يتعلق بالإقليمين الدرزي والعلوي، فيلحقا بدولة سوريا، مع محافظتهما على نظام إداري خاص. لكن الاتفاقية لا تنص على أي تدبير خاص بالجزيرة رغم العرائض التي أرسلها الاستقلاليون الذاتيون منذ بداية المفاوضات بين القوميين العرب السوريين والفرنسيين.

وأعطت الانتخابات النيابية لعام 1936 حجة إضافية لغضب الزعماء الاستقلاليين الذاتيين. فقد قررت الكتلة اللوطنية تشكيل لائحة مقابلة للائحة التي ألفها وجهاء الجزيرة العميقي الشبهة بالمناطقية، وبمساندة السلطات المنتدبة لهم. لكن المرشحين الاستقلاليين الذاتيين في الجزيرة وفي جرابلس أيضاً، نجحوا نجاحاً بارزاً. فشغل الأخوان شاهين مركزي جرابلس، وشغل قدور بك، وخليل بن إبراهيم باشا، وسعيد إسحاق المراكز الثلاثة في الجزيرة. وكانت ردة الكتلة الوطنية المنتصرة في الانتخابات، في باقي مناطق سوريا، شديدة السلبية إزاء تلك النتائج، واتجه زعماؤها إلى إلغاء نتائج جرابلس والجزيرة.

وأخيراً، أقرت الكتلة الوطنية النتائج، بضغط من المفوضية العليا التي خافت من أن يؤدي عدم الإقرار إلى تدخل تركي في المناطق التي يسكنها كرد. مع ذلك أثار تردد الكتلة، استياءً كبيراً في وسط وجهاء الجزيرة. وعندما شكلت الكتلة الوطنية الحكومة استمرت في سياستها العدوانية إزاء المناطق التي تطالب بالاستقلال الذاتي الإداري. وكان ممثلو دمشق يتصرفون أحياناً، كفاتحين حقيقيين.

لقد اقتصرت «ثورة 1937» على بعض تبادل لإطلاق النار، وإغلاق الأسواق في المدن الرئيسية في الجزيرة، ومغادرة المحافظ الذي عينته دمشق، واستسلام الدرك السوري وكان السبب المباشر انتفاضة أهالي الحسكة ضد قرار السلطات السورية اعتقال إلياس مرشو، أحد وجوه المدينة، وعبد اللّٰه كريو رئيس البلدية، واتهم الرجلان بمخالفات. وعندما كان رجال الدرك يتأهبون للدخول إلى منزليهما هب المسيحيون إلى السلاح، في حين فتح الدرك النار. وقد تم حصار رجال الدرك الذين نزلوا إلى المدينة، في أحد المنازل، وأوقف رجال الشرطة في مراكزهم. كانت حصيلة خسائرهم قتيلاً من الدرك وأربعة جرحى من الشرطة. وعند المساء عرض النقيب توماس من ضباط الأجهزة الخاصة الوساطة.

وصلت أخبار الانتفاضة إلى القامشلي حيث حرّض بعض ضباط الأجهزة الخاصة الوجهاء على الاقتداء بالانتفاضة المفتوحة في الحسكة[1]. وبعد تبادل قصير للنيران فرض الجيش الأمن. وحصلت أحداث مماثلة في سائر مناطق الجزيرة. وتمّ في جميع الأمكنة نزع سلاح الدرك، وفرض الاستسلام على الموظفين، ولم يعد لدمشق من سلطة إلّا في منطقة عامودا. خلال شهر تموز/ يوليو 1937، فر الموظفون الحكوميون، أو تمّ استدعاؤهم إلى العاصمة. وعيّنت دمشق بدلاً عنهم بالتكليف، لكن القليل منهم التحق

---

(1) إن بعض الوجهاء، بتشجيع من ضباط المخابرات، كما يعتقد توماس بوا، «هددوا ميشال دوم بمصير سيئ إن لم يعطِ الأمر ببدء حركة القامشلي لإسناد مطالب الحسكة. وقد استقبل ميشال دوم، الذي كان لا يزال متردداً، جوزف معمر باشي، وخرج هذا الأخير مع ميشال دوم الذي أعطاه مسدسه. فأطلق جوزف الطلقة الأولى، وهي إشارة الثورة».

بمركزه. في المقابل حجزت المفوضية العليا المطران هبة في لبنان وأبعدت عن الجزيرة الذين حرضوا على الحركة: إلياس مرشو، وعبد اللّه كريو من الحسكة، وميشال دوم وجوزف معمر باشي من القامشلي، وحبيب ماريانو من رأس العين. وفي حين كان هؤلاء الوجهاء في المنفى وصلت لجنة تحقيق من دمشق إلى الجزيرة بالاتفاق مع المفوضية العليا.

إن أهمية انتفاضة صيف 1937 لا تكمن في أحداثها بالذات، بل خاصة، بعواقبها. ويمكننا، في الحقيقة، أن نستخلص بعض العبر من انتفاضة الجزيرة.

أولاً، ما أبداه الاستقلاليون الذاتيون من قدرة في استخدام السلاح للدفاع عن مطالبهم. وقد اكتشفت المفوضية العليا والقوميون العرب السوريون أيضاً، باستغراب، الكمية الكبيرة من السلاح المتداول في الشمال السوري، واعترفوا بضرورة أن يستمعوا، في المستقبل القريب، إلى احتجاجات الأقليات بانتباه أكبر.

وثانياً، ازدياد التصلب في الجزيرة. وخاصة، بعد أن تمكن المنتفضون من انتزاع رسالة موجهة من فخري البارودي أحد قادة الكتلة الوطنية، يقول فيها للمحافظ: «عندما يصبح الجيش عندنا سنفعل بمسيحيي الجزيرة ما فعله العراقيون بالآشوريين.[...] وهذا وعد [...]»[1].

---

(1) ce sujet, Voir *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 45, Vol. II.* Lettre de Thomas Bois du 4 août 1937, n° 79 (1); *PRO, FO 271/20849/E6059.* Lettre de Sir Davis, Consul britannique à Alep au Foreign Office. Alep, le 17 mars 1937, f 61.



صورة رقم II الجماهير في إحدى التظاهرات، القامشلي 1937.

لقد تسببت الكتلة الوطنية بسقوط المحافظ، فعين الكونت أوستروروغ (Ostrorog)، شخصياً، محافظاً جديداً، وقائم مقام جديداً استقبلته الجماهير بالصراخ والاستنكار. وتمّ الإفراج عن الزعماء المنفيين لتهدئة النفوس. ولم يحل ذلك دون استمرار المناطقيين بالمطالبة بحكومة مستقلة ذاتياً.

يضاف إلى ذلك خطف المحافظ توفيق شامية في سيارته في البادية، وقام بذلك أربعة مناضلين استقلاليين ذاتيين. اثنان من الأرمن واثنان من اليعقوبيين. وتم تعيين حيدر مردم بك، قريب جميل مردم بك، محافظاً جديداً. واضطر إلى ترك منصبه أمام الموقف الحازم لسكان الجزيرة. وأقام الوجهاء الاستقلاليون الذاتيون، من جهتهم، إدارة محلية بديلة في مواجهة دمشق.

ثالثاً، أوصلت ثورة 1937، التدخل المباشر لضباط الأجهزة الخاصة

في حركة الاستقلال الذاتي إلى حده الأقصى، كما زادت من حدة التنافس بينهم وبين رجال المفوضية العليا في الجزيرة. ويرى المطران هبة أن ارتباط انتفاضة القامشلي بتشجيع مباشر من بعض ضباط الأجهزة الخاصة والعمل الدعائي لضباط إدارة البدو، كانا سبباً للموقف العدائي لبعض القبائل العربية والكردية إزاء المسيحيين[1]. وصارت الجزيرة، من حينه، مركز صراع بين المؤسستين، في وقت صارت فيه الجبهتان: جبهة الاستقلال الذاتي، وجبهة القوميين، حجري شطرنج في لعبة السيطرة على السلطة مما أدى إلى إضعاف التعايش بين الجماعات الإثنية والدينية.

رابعاً، إن انتفاضتي الحسكة والقامشلي أعطتا قوة وزخماً لدور المدن والوجهاء المسيحيين في جبهة الاستقلال الذاتي. فقد قامت «الثورة» في الواقع، بدعوة من الوجهاء المسيحيين دون التشاور مع زعماء القبائل. إلى ذلك، فإن انطلاق الانتفاضة حصلت في وقت كان يمر فيه التحالف الكردي المسيحي في ظروف صعبة، وذلك لحصول نزاع بين قائدي التحالف الأساسيين، حاجو آغا والمطران هبة. ولم تتم المصالحة بين حاجو آغا والمطران هبة إلّا عند انضمام مدينة القامشلي إلى الانتفاضة، والتحاق الكرد بالحركة التي انطلقت في شهر تموز/ يوليو 1937 [2].

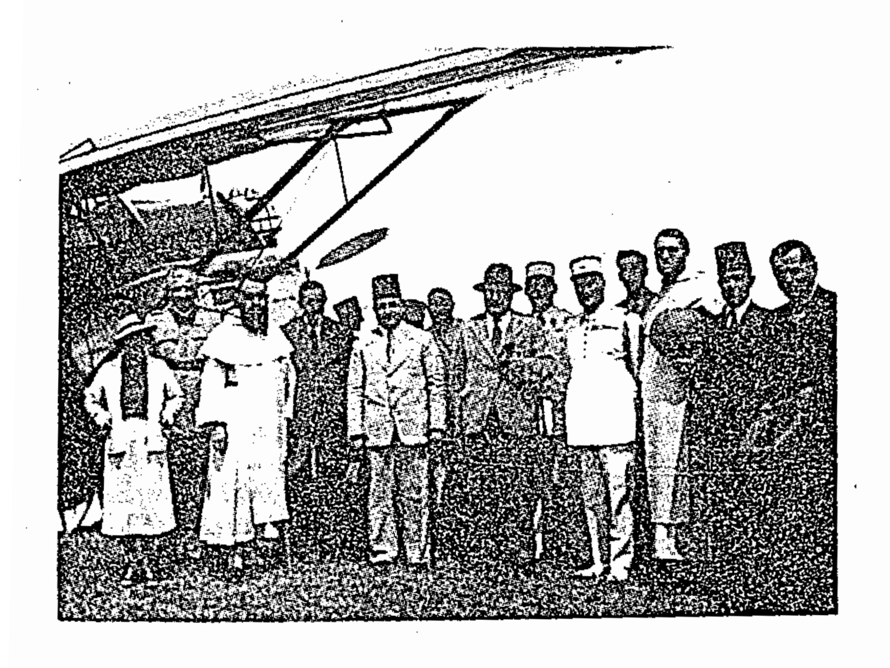
خامساً وأخيراً، فإن تدخل المفوضية العليا لفرض الأمن في الجزيرة قد زاد من التوجس المتبادل بين الوجهاء المسيحيين والفرنسيين. وفي حين وعد

---

(1) يقول المطران هبة «المأساة حالياً، بوجود خلافات في وجهات النظر بين ضباط المخابرات الفرنسية وضباط مراقبة البدو الفرنسيين، الذين جروهم إلى هذا الموقف». [دعاية مناهضة للاستقلاليين الذاتيين]، وذلك في رسالة موجهة إلى الكاردينال تبوني بطريرك السريان الكاثوليك، في 2 مايو 1936.

(2) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 45, Vol. II.* «Mon journal» par le père Thomas Bois, Juillet 1937, doc. cit., P. 3.

الكونت أوستروروغ بقبول مطالب الاستقلاليين الذاتيين في أيلول/ سبتمبر 1937، كانت السرايا قليلة الاهتمام بالرضوخ لمطالب الأقليات. ومارست المفوضية العليا ضغطاً شديداً على ضباط الأجهزة الخاصة لتغيير موقفهم وتنفيذ تعليمات بيروت. كان بين هؤلاء الضباط الرائد بونّو (Bonnot) والنقيب لاكروا. وهذا الأخير حصل على عفو المفوضية العليا عن تشجيعه السابق لحركة الجزيرة، وبذل الحماس نفسه للقضاء عليها[1]. وجرت إقالة ضباط آخرين من مناصبهم. وعينت السرايا أحد أنصار دمشق النقيب مير (Meyer) ممثلاً لفرنسا في الجزيرة العليا.



صورة رقم (III) زيارة المفوض السامي الفرنسي دومارتل إلى القامشلي عام 1937.

(1) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 45, Vol. II.* «Les fonctionnaires français: février-avril 1938», n° 104, P. 1-2.

كان للصراع بين الاستقلاليين الذاتيين والوحدويين عواقب محلية في العلاقات بين طوائف الشمال السوري. فالتوتر بين الجبهتين أثار تدهوراً في العلاقات الكردية المسيحية، إضافة إلى النزاع بين القبائل الكردية والعربية، استقلاليين ذاتيين وقوميين، للاستحواذ على الأرض.

فقد نشأت في عامودا وفي القرى المجاورة حركة لأنصار القومية السورية. وقد انحاز الزعيم الكردي سعيد آغا من دكورية وزعماء آخرون لأقسام من قبائل مليس وكيلكييس إلى دمشق وأيدوا مرشح الكتلة الوطنية دهّام الهادي. وقام رؤساء دينيون من المنطقة بحملة دعاية إسلامية ضد السريان الأرثوذكس في عامودا، بلدة مرشح الاستقلاليين الذاتيين سعيد إسحاق[1]. وكانت انتفاضة 1937 التي قامت في الحسكة والقامشلي قد مهدت لثأر أنصار دمشق. فقام سعيد آغا وحلفاؤه بإخافة المسيحيين بإطلاق تهديدات مصحوبة بإطلاق للنار.

وقام وفد يضم سعيد إسحاق بالطلب من الضباط الفرنسيين حماية مسيحيي عامودا، لتوقعهم انفجار النزاع الكامن. لكن الفرنسيين أجابوا بعدم وجود ما يكفي من الرجال ليرسلوا قوة لحمايتهم. وقد استمر سعيد آغا وجماعته، مستفيدين من سلبية الفرنسيين، بالاعتداء على السكان المسيحيين. وفي الوقت ذاته تداعى الزعماء الكرد والعرب القوميون في منطقة القامشلي

(1) يقول المطران هبة في رسالة إلى الكاردينال تبوّني في 4 أيار/ مايو 1936. إن الزعماء الدينيين الذين يقومون بالدعاية الدينية ضد المسيحيين هما: الشيخ بكر والشيخ بشير اللذان أكدا ضرورة قتل المسيحيين، وأن على دين محمد أن ينتصر، وجميع المسلمين أيدوهما، وجاؤوا لنصرتهم من سوريا، والعراق، وفلسطين، ومصر، والحجاز وحتى من الهند.

ودجلة، لمقاتلة المسيحيين ولاقوا بعض النجاح عند زعماء القبائل. ونشطت، في المقابل، تجارة السلاح وتهريبه في تلك المناطق بدءاً من أواسط تموز/ يوليو، وتوجه هذا السلاح الآتي من حلب، ومن القبائل البدوية في تدمر،ومن العراق، إلى منطقة عامودا. وأضيف إلى الإعداد للهجوم القومي في عامودا، نقل الكرد «الجياع» المستخدمين في دير الزور، في أشغال شاقة (حملة مياه)، ليشاركوا في نهب المدينة[1].

بدأت الاشتباكات بشجار في السوق افتعله الكرد من أنصار دمشق في آب/ أغسطس 1937. ولجأ الكرد والمسيحيون إلى السلاح وتواجهوا طوال اليوم. وتعززت جبهة القوميين بحوالى 500 رجل من قبائل دكورية، ومليس وكيكيس وغابارا. وسمح تدخل عبد آغا خالو، زعيم المرسينيين، ونايف آغا، زعيم المليس، وخلف آغا، وحميد آغا عبدو زعيم اليزيديين، لمسيحيي عامودا بالهروب من المدينة واللجوء، أولاً، إلى هزْدي قرية عبد خالو، ليتجهوا فيما بعد إلى القامشلي[2]. وكانت نتيجة هجوم أنصار سعيد آغا تدمير الحي المسيحي في عامودا ونهبه، وموت 17 شخصاً بينهم عشرة من الكرد[3]. وثقلت الحصيلة، في صفوف القوميين، بفعل تدخل الطيران

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 503. Rapport du Colonel Sarrade, Commandant les Troupes du Territoire de l'Euphrate et Délégué adjoint du Haut Commissaire pour le Territoire de l'Euphrate, sur la rébellion d'Amouda et sa répression. Deir ez Zor, le 30 août 1937, P. 4.

(2) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 45, Vol. II.* «L'affaire d'Amouda. Relation sur l'attaque kurde d'Amouda par un témoin (Samuel Sabbagh)» n° 80. Beyrouth, le 26 août 1937, P. 1-4.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 503. Télégramme du Délégué Général (Beyrouth) à Diplomatie (Paris). Note n° 3389. Beyrouth,. le 12 août 1937, P. 4.

الفرنسي الذي جاء يقمع قرى القبائل ومواقع المهاجمين لعامودا، فانهزم المهاجمون لاجئين إما إلى تركيا أو إلى العراق.

بعد ثلاثة أيام من الأحداث التي افتعلها القوميون، عاد المسيحيون إلى المدينة لإحراق الحي الكردي انتقاماً لقتل سعيد آغا أربع رهائن مسيحيين وجدت جثثهم ممزقة ومحروقة على الحدود. ودفع القمع الفرنسي معظم الزعماء المتورطين إلى الاستسلام للسلطات المنتدبة. إلّا «أن الأمن لن يستتب»، كما اعترف الضباط الفرنسيون، ما لم يضرب رأس الفتنة، أي الشيخ دهام الهادي. إلى ذلك تمّ تحميل الكتلة الوطنية المسؤولية عن كل ما جرى، وما يُتوقع من اضطرابات جديدة يفتعلها القوميون العرب السوريون في الجزيرة[1].

كان عند مسيحي عمودا شعور بأنهم ضحايا دسائس فرنسية، رغم تقاطع الاتهامات المتبادلة بين القوميين العرب السوريين والسلطات المنتدبة. ذلك أن عدم الاحتياط لنزاع عامودا الذي كان متوقعاً من السلطات ومن السكان في الجزيرة، وعدم السرعة في تدخل القوات الفرنسية، ورخاوة التدابير المتخذة بحق الزعماء القوميين، كل ذلك أثار شكوكاً في أوساط السكان المسيحين. هل كان سبب ذلك تصرف متهاون من قِبل الفرنسيين ليظهروا للمسيحيين أنهم بلا دعمهم يصبحون معزولين؟ أم على العكس من ذلك، تأخر الضباط الفرنسيون في التدخل ليؤكدوا للمفوضية العليا ضرورة بقاء الفرنسيين في الجزيرة؟ إن التقارير الرسمية لا تسمح لنا أن نرى في هذا التهاون تواطؤاً بين رجال الأجهزة الفرنسيين والذين قاموا بالهجوم في عامودا.

لكن، ثمة تقرير سري لقوات المشرق يعترف ببعض الخروقات: «لم

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* nº 503. Rapport du Colonel Sarrade. Deir ez Zor, le 30 août 1937, doc. cit., P. 16.

يكن جهاز المخابرات التابع لنا على المستوى المطلوب [...] إني أعتقد، أن كلاً منهم يقوم بأفضل قدراته، لكن هذا الأفضل لا يلبي حاجاتنا الراهنة».

ونصح كاتب التقرير «أنه في حال حدوث اضطرابات ولا يتحرك ضدها الجيش فوراً، يستحيل أن نستمر طويلاً خارج المعمعة، حتى ولو بذلنا كل جهودنا للوقوف على الحياد»[1]. وفي كل حال صارت مواقف الفريقين غير قابلة للمصالحة، إثر أحداث صيف 1937، «ثورة» المسيحيين ومعركة عمودا، فالفريق المسيحي في جبهة الاستقلاليين الذاتيين بصورة خاصة، يشترط قبل كل شيء بقاء القوات الفرنسية في الجزيرة لحماية الأمن.

نهاية التحالف الكردي المسيحي

كان موقف السلطات المنتدبة من مطالب حركة الاستقلال الذاتي الثلاثة، ملتبساً. فهي تنصح، من جهة بالاعتدال، وتشعر بالإحراج إزاء النشاطات المتمردة لفريق من ضباط الأجهزة الخاصة في الجزيرة. كما أنها، من جهة ثانية، لم تتحرك بحزم لوقف الانتفاضة في بداياتها. ومع أنها لم تكن تحبذ إقامة نظام خاص في الجزيرة، فإنها كانت تعتقد أن ضغط الاستقلاليين الذاتيين، ووضعهم المتفوق في المنطقة يضعف الحركة ـ القومية العربية. في الوقت ذاته، كانت سياسة الكتلة الوطنية، تواجه الاعتراض من عدد من القوى القومية العربية، معتبرة أن الحكومة متراخية جداً مع المفوضية العليا. وقد دفعت ضغوط هذه القوى القومية جميل مردم بك إلى الاستقالة وأدى قيام ذلك إلى قيام أزمتين في سوريا: فالنزاع بين دمشق والسلطة الفرنسية تزامن

---

(1) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 51.* «Opérations en Djézireh (8-18 août 1937)». Le Général Noiret, Commandant les Troupes des Territoires Nord Syrie à M. le Général Commandant les Troupes du Levant (Etat-major 3° Bureau). Note n° 145/3. Alep, le 19 août 1937, P. 1-2.

مع النزاع بين دمشق والأقليات. لقد بدت الكتلة الوطنية في مواجهة هاتين الجبهتين المفتوحتين، عاجزة عن تأمين سلطة حكومة دمشق في الجزيرة، فأعطت لفرنسا الفرصة لفرض سلطتها المباشرة على المنطقة منذ تموز/ يوليو 1939، منعاً لبقائها في حالة فوضى.

لقد علّق المفوض السامي الجديد، غابريال بيو (Puaux) الدستور السوري، وحل مجلس النواب، وأقام إدارات ذات استقلال ذاتي (مع حكام ومجالس مناطقية) في جبل الدروز، واللاذقية وفي الجزيرة. ونقلت سلطات المحافظ في الجزيرة إلى مندوب للمفوض السامي. وقد وعد بيو، في اجتماعه مع الوجهاء المسيحيين والكرد في القامشلي، بالدفاع عن إبقاء القوات الفرنسية في الجزيرة، وعن الضرورة في نوع من اللامركزية الإدارية، أي بتلبية مطلبين أساسيين للحركة المناطقية[1].

وضع دخول فرنسا الحرب حداً للنشاط المستقر للانتداب في بلدي المشرق. وجاء انهيار فرنسا في حزيران/ يونيو 1940 بممثلي حكومة فيشي لترؤس السلطة في البلدين وطرد العناصر المشتبه بموالاتها لديغول. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1940، تم استدعاء بيو إلى فرنسا وإحلال الجنرال دانتز (Dentz) محله في نهاية كانون الأول/ ديسمبر. ولاحقاً استعاد أنصار ديغول السلطة بعد طرد الفيشيين.

وسلمت فرنسا الحرة بمبدأ استقلال سوريا ولبنان رغبة في الحصول على تأييد السكان. ومهدت، بضغط من بريطانيا العظمى، لإعادة الحياة السياسية طبيعية في بلدي المشرق، بما في ذلك الدعوة إلى انتخابات تشريعية في عام 1943.

---

(1) *PRO, FO 371/23276/E1894*. Lettre de Sir Davis, Consul britannique à Alep au Foreign Office. Alep, le 6 mars 1939, *doc. cit.*, ff. 272-273.

ساند الفرنسيون، كما فعلوا في انتخابات عام 1936، قوائم القوميين المعتدلين. ففرنسا التي قبلت رغماً عنها، إجراء انتخابات لا تريد مفاجآت، وبدا كل شيء معداً سلفاً[1]. ولم يأخذ وجهاء الأطراف، مثل الجزيرة، حرية الانتخابات التي وعد بها الجنرال كاترو على محمل الجد، رغم أن جميع المرشحين المحتملين في الجزيرة حاولوا معرفة رأي الأجهزة الخاصة، بصورة مسبقة[2].

بيد أنه كان من غير الممكن الحديث عن تشكيل كتلة استقلال ذاتي كردية مسيحية في عامي 1943-1944 على غرار ما كان قائماً عام 1930.

ورغم أن بعض الشخصيات الهامة في حركة الاستقلال الذاتي في الجزيرة، مثل ميشال دوم، ظلّت على نشاطها في بداية سنوات 1940، فقد انخفضت مبادراتها السياسية والدعائية. ولم تعد النشاطات الوحدوية موجودة تقريباً. ولم يعد يوجد أيضاً، إرادة للكلام عن هوية مشتركة للجزيرة. وأدت معارضة قسم من الطوائف المسيحية والقبائل الكردية للقومية السورية، إلى انكشاف خصوصية كل فريق من الفرقاء المنخرطين في جبهة الاستقلال الذاتي. ورغم استمرار استخدام الرموز المناطقية، كالكلام عن الهوية المناطقية للجزيرة، فإن هوية الجزيرة باتت قليلة القبول لدى السكان الذين صاروا يتماهون، بالدرجة الأولى، بدينهم، وإثنيتهم، وقبيلتهم. وبدأ المسيحيون يشعرون بخطر جيرانهم المسلمين بعد حادثة عامودا، وانضمام بعض القبائل الكردية إلى الجبهة الوحدوية باسم الأخوة الإسلامية بين العرب

---

(1) OLMERT Yossi, «A False Dilemma Syria and Lebanon's Independence during the Mandatory period», *Middle Eastern Studies*, Vol. 32, nº 3, 1996, P. 52-55.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 1270. «Mémorandum sur la situation électorale en Djézireh». France Combattante au Levant. Services Spéciaux de Kamechlié, nº 837/KA/6. Kamechlié, le 24 avril 1943, P. 4.

والكرد. ولم تؤدِ ضغوط الضباط الفرنسيين، المتعاونين سابقاً مع حركة الاستقلال الذاتي، على الوجهاء المسيحيين للتخلي عام 1938 عن المطالب المتعلقة بالجزيرة، إلّا إلى تعزيز الشعور بعزلة المسيحيين الاستقلاليين الذاتيين.

في نهاية الحرب العالمية الثانية تمّ تقاسم ثقل السياسة المحلية بين الكرد والعرب، في حين كان الوجهاء المسيحيون يتمتعون بنفوذ كبير عام 1937.

وسعى الوجهاء العرب مع اقتراب جلاء الفرنسيين للاصطفاف إلى جانب حكومة دمشق.

من الجانب الآخر وضعت القوى الكردية في مقدمة اهتماماتها مسألة تكريد السواد الأعظم من سكان الجزيرة العليا بغية تعزيز اللحمة بين السكان وتعزيز تمايزهم عن سكان باقي البلاد. وشعر المثقفون الكرد بخطر الدعاية التركية والعربية، فشنوا هجوماً دعائياً مضاداً لتذكير اللاجئين الكرد بأصولهم الإثنية.

وعلى هذا الأساس أسس وجهاء دمشق والجزيرة ـ علي آغا زلفو، وعمر آغا شامدين وجلادت بدرخان من دمشق، وحاجو آغا قدري بك من الجزيرة ـ جمعية هيفي («القمر») بهدف الحفاظ على اللغة والعادات الكردية، ولمنع امتصاص هذه الإثنية من جانب العرب والترك[1]. وظهرت إلى الوجود، بعد سنة، المدرسة الخاصة الكردية الأولى في الجزيرة، مدرسة الصبيان الكرد في عامودا. وصار تعليم اللغة الكردية في مدارس الجزيرة في طليعة مطالب حركة الاستقلال الذاتي.

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 572. Direction de la Sûreté Générale, n° 3164. Beyrouth, le 21 juin 1937, P. 1.

وقد أثار تأكيد الهوية الكردية للجزيرة العليا، هواجس بعض الوجهاء المسيحيين الذين اعتقدوا أنهم قد اكتشفوا المشاريع الكردية الحقيقية المتعلقة بمستقبل الجزيرة. فالمطران هبة، أحد أركان الكتلة الكردية المسيحية، قطع علاقاته مع الكرد حوالى نهاية الثلاثينيات، واشتكى لدى السلطات المنتدبة من «الخطر الكردي».

وقال «إن الحركة الكردية» بعد أحداث عام 1937، تقوّت خاصة بدعم المسيحيين لها ومساندتهم لفريق من الزعماء اللاجئين (وليس للكرد المحليين الموالين للحكومة). فالمسيحيون «كانوا يأملون بتأسيس حركة مناطقية هامة قادرة أن تقودهم إلى استقلال ذاتي محلي ومالي» [...] لكن «زعماء الكرد جاء معظمهم من تركيا فاستفادوا من هذا الوضع للقيام بدعاية نشطة بين أبناء دينهم في الجزيرة، لتحويل هذه المنطقة إلى مركز ملحق بكردستان عندما يتم إعلانها دولة مستقلة». وكان المقصود، بوضوح، زعيم الهفركان حاجو آغا «الذي كان يدعو إلى علاقات أكثر تضامناً مع مختلف الجماعات الكردية المنتشرة في سوريا». ويقترح رجل الدين المسيحي على الفرنسيين «بعثرة الجماعات الكردية وفصلها عن الجماعات الأخرى من أصل البلاد؛ ذلك أن الكرد من أهل البلاد لا يتفقون مع القادمين الجدد»، و«إبدال الموظفين الكرد الذين صار عددهم كبيراً جداً»[1].

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 571. «Le mouvement kurde en Djézireh». Le Conseiller d'Ambassade, Délégué du Haut Commissaire auprès du Gouvernement syrien à M. Gabriel Puaux, Ambassadeur, Haut Commissaire de la République Française en Syrie et au Liban. Damas, le 19 mars 1940, P. 1-2.

إن التقرير المقدم إلى السلطات المنتدبة يشير في أكثر من عنوان، بمعزل عن الخلاف الشخصي بين المطران هبة وحاجو آغا، الذي تكرر على الدوام بين أعوام 1936 و1939، والذي قاد الأسقف الكاثوليكي إلى موقف متطرف من الكرد، يشير أولاً، إلى كشف الستراتيجيات المتعلقة بهوية كرد دولتي المشرق. ففي حين يهتم اللاجئون الكرد بالشعارات القومية، فإن الكرد الموجودين في سوريا، منذ عدة أجيال، هم أقل تجاوباً، مبدئياً، مع الدعوة الكردية.

ثم يكشف المطران هبة عن وجود مشاريع تعاون كردي عابر للحدود من أجل إقامة كيان مستقل ذاتياً. فقد تمّ توقيف نور الدين زازا عضو لجنة خويبون وحكم عليه بالموت في العراق. والتهمة الرئيسة الموجهة إليه هي صلاته الدائمة مع بعض الزعماء الكرد العراقيين المنتفضين على الحكومة. وحسب المصادر الفرنسية. فإن نور الدين، حضر، قبل اعتقاله، اجتماعين مع بعض الزعماء الكرد العراقيين[1]. ويبدو أن الوجهاء الكرد كانوا يلعبون ورقتين، في آن معاً. يحافظون، من جهة، على أمل إلحاق الجزيرة بكردستان ذي استقلال ذاتي تحت حماية دولة كبرى، أو حماية دولية. ولا يريدون، من جهة أخرى، التصادم، بصورة مباشرة، مع حكومة دمشق، في حال بقي الكرد تابعين للدولة

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Servies Spéciaux*, n° 2202. Délégation Générale de France au Levant. Poste fomtalier d’Andiwar, n° 3/AN/29. Andiwar, le 25 janvier 1945, P. 1.

السورية بعد الحرب[1]، من الضروري تدارك نزاع يمكن أن تكون له عواقب غير مرئية[2].

في النهاية ظل الأخوان شاهين وأفراد عائلة حاجو في سوريا، محافظين على امتيازاتهم بوصفهم نواباً سوريين ووجوهاً من الجزيرة حتى آخر الخمسينيات. فبعد استقلال سوريا عام 1946، تحالف الوجهاء الكرد مع الزعماء العرب الذين أثاروا، ببراعة، مسألة الأخوة الإسلامية. فالتنقل بين الكردستانية والسورنة سهل في نظام سياسي لا أيديولوجيا رسمية له من شأنها أن تهدد الهوية الكردية.

وإذا تركنا جانباً الوجهاء فيبدو لنا، بصور مختلفة، تمسك المهاجرين الكرد بجماعتهم المنتشرة في العديد من البلدان. والواقع، أن متاخمة الجاليات الكردية في الشمال السوري لتركيا يتيح للمهاجرين الكرد إقامة شبكات عابرة للحدود، رغم الترسيم الجديد لها، وضعف وسائل الاتصال في تلك الحقبة. فالقبيلة، والعائلة، والطريقة[3] تشكل وسائل عديدة للحفاظ على العلاقات مع البلد الأصلي. وعزز التهريب عبر الحدود التركية السورية

---

(1) عام 1946، ظل النواب الكرد في البرلمان السوري، يتأملون بإمكانية العودة إلى تركيا شرط تغيير حكومة أنقرة سياستها إزاء الكرد. ومن أجل ذلك اتصلوا بممثلي بريطانيا للطلب منهم التدخل مع الحكومة التركية كي تعطي بعض الحقوق للكرد. وقد تمّ إبلاغ مصطفى شاهين بأن حكومة أنقرة لا تستطيع أخذ هذا الطلب بالاعتبار.

(2) وجّه وجهاء الجزيرة الأكراد، بدعم من جلادت بدرخان، تحذيراً إلى الرئيس السوري يفيد أنه إذا لم تؤخذ مطالبهم بعين الاعتبار سيقع السكان الأكراد تحت تأثير الدعاية الأجنبية.

(3) Voir ZARCONE Thierry, «Réseaux confrériques et guides charismatiques dans les relations turco-arabes (héritage de l'histoire et situation actuelle)», *Anatolia moderna. Yeni Anadolu*, Vol. Iv, 1992, P. 99-107.

والسورية العراقية، الحركة الرافضة لمفهوم الدولة، ووطد علاقات كرد سوريا مع كرد تركيا، ومع كرد العراق أيضاً.

وقد سمحت دعاية عملاء تركيا الناشطين في الشمال ـ الشفهي منها والمكتوب ـ متابعة كرد سوريا لتطور الحياة السياسية والاجتماعية في الولايات الشرقية من تركيا، وكان التجار الذين يتجولون بين تركيا وسورياينقلون أخبار البلاد الأصلية، وكان كرد تركيا الآتون من المناطق الحدودية حساسيين أيضاً بالنسبة للأخبار الآتية من سوريا. وبفضل إنشاء برنامج إذاعي باللغة الكردية في بيروت، صار بمقدور كرد بلدي المشرق الوصول إلى كرد تركيا، ما سمح للاجئين اكتساب نفوذ في بلدهم الأصلي.



الجزء الثاني

الحركة القومية الكردية في سوريا ولبنان



بعد تفكّك الامبراطورية العثمانية اضطرت الحركة الكردية إلى إدراج نشاطها في إطارات دولتية متنوعة، مختلفة الأنظمة والممارسة السياسية. ورغم حرصها على الحفاظ على برنامجها السياسي ـ استقلال كردستان ـ يهمها أيضاً أن يتم الاعتراف بها كممثل شرعي للفضاء السياسي الكردي. وقد تركت الإدارة، جزئياً، تأثيرها في نوعية احتجاجات الحركة الكردية. فطبيعة النظام الذي تواجهه، وحركات المعارضة في المناطق غير الكردية في هذه البلدان، هي عوامل تؤثر تأثيراً أكيداً في نوعية الاحتجاج، ذلك أن الحركة الكردية تتطور على وقع صلتها بما يجري في البلدان التي تعيش فيها. ولذلك لم يكن في مقدور الحركة الكردية أن تتطور إلّا بأشكال مختلفة بدءاً من عام 1923 في العراق وفي إيران، وفي سوريا، وتركيا.

وفي كل حال، ظلّت لوحة خيارات الحركة الكردية السياسية محدودة: مشاركة سياسية، ونضال مسلح، أو مفاوضات. الخيار الأول يدل على إرادة للاندماج في النظام السياسي للبلد. الخيار الثاني، كان الخيار السائد في الاحتجاجات الكردية منذ القرن التاسع عشر. الثالث ينجم، في الغالب، عن الثاني، فالعنف يهدف إلى التفاوض للوصول إلى القبول بهم كقوى سياسية لا يمكن تجاوزها، ولمحاولة كسب أكثر ما يمكن من التنازلات من جانب الحكومة المركزية. وقد دفع الوضع السياسي الخاص للسنين الممتدة من

عام 1920 إلى عام 1940، الحركة الكردية إزاء تركيا إلى استخدام الخيارات الثلاثة، لأنها تعمل في إطارين دولتيين مختلفين، وفي ظروف اجتماعية سياسية مختلفة.

في تركيا، كانت طبيعة النظام الكمالي تمنع كل معارضة منظمة، وخاصة معارضة قومية كردية يمكن أن تتصدى لمشروع النخب التركية القومي. وفي المقابل، كان يمكن للزعماء القوميين الترك، في الأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي، الاتصال مع القوى المعارضة الأخرى للكمالية، مثل أنصار الملكية الترك، والقوميين الأرمن، ومتابعة نشاطاتهم السياسية. وقد اندمج بعض أعضاء الحركة الكردية، في النظام السياسي السوري وصاروا نواباً، في حين كانت قيادة الحركة القومية تحاول الحصول من فرنسا على الدعم لنشاطاتها السياسية والعسكرية الموجهة ضد تركيا.

الفصل الثالث

الخويبون ونشوء القومية الكردية العصرية

كانت رابطة الخويبون («كن أنت نفسك») أساساً لتكوّن فكر القومية الكردية المعاصرة في تركيا. فهذه اللجنة التي تشكلت عام 1927 تهدف إلى جمع الكرد كلهم في كردستان مستقل، دون تمييز ديني، ولهجوي، أو طبقي اجتماعي، وإلى تبنيهم هدفاً جديداً: تكييف الخطاب الغربي مع عقلية زعماء العشائر[1].

وتكمن عصرية رابطة خويبون، أيضاً، في الاهتمام الذي أعطاه قادتها للدعاية السياسية. هذا النشاط ترافق مع بذل جهد هام في الصلات الدبلوماسية، معظمها شبه رسمي مع قوى دولتية (إيران، فرنسا، بريطانيا العظمى، إيطاليا، الاتحاد السوفياتي) وغير دولتية في المنطقة (الأرمن، والمعارضة الكردية). وقد نجحت خويبون، من جراء ذلك، في دخول منظومة تحالفات سياسية

(1) FUCCARO Nelida, «Die Kurden Ayriens: Anfnge der nationalen Mobilisierung unter franzsischer Herrschaft», *op. cit.*, P. 307-308; FUCCARO Nelida, «Kurds and Kurdish Nationalism in Mandatory Syria: Politics, Culture and Identity», in: *Essays on the Origins of Kurdish Nationalism*, Abbas Vali (dir.), California, Mazda Publishers, 2003, P. 201.

عسكرية، وأن تصبح قوة إقليمية لا يمكن تجاهلها، كما حصل مثلاً، خلال ثورة أرارات. ورابطة خويبون «عصرية» أيضاً باستخدامها الرموز «القومية» لتعبئة الكرد. وهكذا عمل إحسان نوري، رئيس الإدارة العسكرية في جبل أرارات، على جعل العلم الكردي يخفق في وسط الثائرين. وأخيراً فإن «عصرنة» اللجنة الكردية تجد تعبيرها في رغبة قادتها عدم استخدام الدين كأداة لتعبئة السكان الكرد. وهو أمر يفهم من التوجه الغربي للمثقفين المنتسبين لها، ومن التحالف القائم بين اللجنة الكردية وحزب الطاشناق الأرمني، أي مع المسيحيين. كان لا بدَّ من تشريع هذا التحالف الستراتيجي. وقد تمّ لهذا الهدف استخدام لجنة خويبون، لمقولات عن الأصل المشترك للكرد والأرمن، كبرهان لتبرير الاتفاق مع حزب الطاشناق، «العدو اللدود» لأغوات الكرد، منذ نهاية القرن التاسع عشر. ومع ذلك فإن خويبون التي كانت تسعى إلى تعبئة الكرد باسم الأمة، استمرت دعايتها في أوساط كرد تركيا مع أخذها في الاعتبار العامل الديني، وصاغت نوعاً من التوليفة القومية الدينية، وانطلقت من ذلك إلى استخدام مفاتيح عديدة، بما في ذلك المفتاح الديني، لتعبئة مختلف أوساط المجتمع الكردي.

والرابطة الكردية هي أيضاً، أساس الجمعيات واللجان الكردية التي نشأت في الشمال السوري، وفي مدن المشرق الكبرى مثل حلب، ودمشق، وبيروت، كما يمكن اعتبارها «مدرسة» للقومية الكردية، والفريق الحامل للثقافة الغربية، المتصل بجيل جديد من القوميين الكرد المنبثقين من أوساط متعددة.

إلى ذلك لعبت رابطة الخويبون، وعلى الأخص الأخوان جلادت وكاميران بدر خان، دوراً حاسماً في حركة النهضة الثقافية في اللهجة الكرمانجية. فبعد الفشل العسكري لانتفاضة أرارات، حرص المثقفون الكرد

الملتفون حول الخويبون، منذ عام 1932، على تعزيز النزعة القومية الكردية بعث اللغة، وتطوير تعليم الكرد، والحفاظ على الآداب الشعبية بفضل نشر المجلات الثنائية اللغة الكردية الفرنسية، مثل هوار («النداء») وروزانو (النهار الجديد). ورغم معوقات الجهود الواعدة للأخوين بدر خان بجلاء الفرنسيين عن المشرق واستقلال سوريا، فالعمل الذي تمّ على اللغة والثقافة الكردية بين أعوام 1930-1940، يرتدي أهمية فائقة لأنه وضع الأساس لمرحلة جديدة من تطور اللغة منذ عام 1980، في أوروبا الغربية هذه المرة.

إن كثافة النشاطات الدعائية للجنة وتحول قسم هام من أعضاء رابطة خويبون إلى مؤرخين قد أسس ما يمكن تسميته بـ «المحفوظات الكردية»[1]

---

(1) Les publications de la Ligue Khoyboun qui ont été coservées sont: «Les Massacres des Kurdes en Turquie», n° 2, Le Caire, 1928; «The Case of Kurdistan Against Turkey» (Sureya Bedir Khan), by Authority of Hoyboon, Supreme Council of the Kurdish Goverment; «La question kurde, ses origines et ses causes», (Bletch Chriguh: alias Sureya Bedir Khan), n° 6, Le Caire , 1930; «El Qeziye'l Kurdiye», Bleç Shêrko, Kahire, 1930; Parmi les ouvrages publiés par les membres du comité kurde, l'on peut souligner les suivants: BEDIR KHAN Djeladet, *Gazi Mustafa Kemal Pasha Hazretlerine Açik Mektup*, Edité par Nouri Dersimi, s.l., 1973 (1934); AZIZAN Herekol (alias Djeladet Bedir Khan), *De la question kurde. la loi de déportation et de dispersion des Kurdes,* n° 8, Damas, 1934. Certains membres de l'intelligentsia kurde out livré des renseignements dans leurs mémiores: CEMIL PACHA, Kadri (Zinar Silopî), *Doza Kurdistan. Kürt Milletinin 60 Yillik Esaretten Kurtulus Savasi Hatiralari*, Beyrouth, 1969 (1ère édition), Ankara, z-Ge, 1991 (2e éditio); DERSIMI Nuri, *Hatiratim. Dersim ve Kürt Milli Mücadelesine Dair.* Ankara, z-Ge, 1992 (2ème édition); ZAZA Noureddine, *Ma vie de Kurde ou le cri du peuple kurde*, Lausanne, 1982; NOURI PACHA Ihsan, *La révolte de l'Agri Dagh*, Genève, éditions kurdes, 1986; CIGERXWIN, *Jînenîgariya min*, Stockholm, APEC, 1995; HISYAR Hesen, *Dîtin û Birhatinên min I.* Beyrouth, 1993; CEMIL =

للمرحلة اللاحقة بتأسيس الجمهورية التركية. وتشهد هذه الوثائق على تطور الحركة القومية الكردية، وعلى أحداث هامة، أيضاً، في التاريخ المعاصر لكرد تركيا. وهي تشكل، إذن، مصدراً لا غنى عنه للبحث، حتى ولو كان الحذر ضرورياً في تحليل هذه الوثائق المتسمة بالأيديولوجيا القومية، والتي هدفها الأساسي تبيان شرعية الكفاح الذي قامت به خويبون.

وينحو قسم هام من التقارير البريطانية والفرنسية، منحى معلومات قادة خويبون أنفسهم. وفي حين أن بعض التقارير تتضمن تعليقات حول صحة هذه المعلومات، فالغالب منها خال من كل نقد. لذلك عالجنا عناصر تدعو إلى إعادة قراءة الإسهام الفعلي لنشاطات الخويبون في تطور القومية الكردية في مرحلة ما بين الحربين. بذلك نأمل بأن نكون قد أسهمنا في وضع الأسس لمعرفة أفضل، وأقرب للحقيقة وأبعد عن الأساطير، للمنظمة التي غيّرت بصورة كاملة الحركة القومية الكردية في تركيا.

1 ـ نشوء الخويبون في لبنان

بعد القضاء على انتفاضة عام 1925، قررت حكومة أنقرة إجلاء بعض القبائل إلى غرب البلاد بغيةِ «إفراغ» الولايات الكردية من عناصرها الأكثر خطورة. وقد أصاب هذا الإجراء، بين عام 1925 وعام 1928 حوالى مليون شخص، مات منهم عشرات الألوف، على الطريق، بسبب عدم وجود الغذاء، والعناية، وبسبب المسافة التي كان عليهم اجتيازها في الظروف القاسية للشتاء

= PACHA EKREM, *Muhtasar Hayatim*, Bruxelles, Institut kurde de Bruxelles, 1989. Quant aux ouvrages consacrés uniquement la Ligue Khoboun nous devons mentionner: MELE EHMED Mihemedê, *Xoybûn. Civata «Serxwebûna» Kurdi (1927-946)*, Damas, 1993; ALAKOM Rohat, *Hoybûn rgütü ve Agri ayaklanmasi*, Istanbul, Avesta, 1998.

الأناضولي[1]. وفي الوقت ذاته اضطر أعضاء الأندية الكردية في اسطنبول للذهاب إلى المنفى هرباً من قمع النظام التركي الجديد. بعضهم لجأ إلى العراق، وآخرون إلى الحماية الفرنسية في بلدي المشرق.

وعمل بعض المثقفين الكرد، في المنفى، على إعادة تشكيل جمعيات كردية. إن الجهود التي بذلها ممدوح سليم القائد السابق للحزب الوطني الكردي (كورت مللت ميركازي) كانت، بهذا المعنى، حاسمة. فقد التقى بشخصيات كردية في مختلف مناطق كردستان والشرق الأدنى مثل: إحسان نوري (القائد السابق لآزادي) والدكتور محمد شكري سكبان، ورسيم فان، وعلي رضا (ابن الشيخ سعيد) وزعيم البرازيين مصطفى شاهين، وأيضاً خورشيد بك.

لقد عقد المؤتمر التأسيسي للرابطة القومية الكردية، خويبون، في مدينة بحمدون اللبنانية[2] في تشرين الأول/ أوكتوبر 1927، وجمع ممثلي أربعة أحزاب ومنظمات كردية. وكان بين المشاركين، حسب فيدات سادللي: جلادت بدر خان، وكاميران بدرخان، ومحمود سليم، ومصطفى شاهين، وفهمي لدجي، ومهدي (أخو الشيخ سعيد) وكريم سليمان، وأمين آغا من رامان، وحاجو آغا، وخورشيد بك[3]. وإثر بعض النقاشات قرر زعماء جمعية

---

(1) RAMBOUT Lucien (Thomas Bois), *Les Kurdes et le droit*, Paris ,Éd. du Cerf, 1947, P. 29.

(2) Contrairement à ce qui est affiirmé dans l'une des brochures de la Ligue Khoyboun où l'on peut lire que «ce Congrès commença ses travaux à la date fixée, sur une des montagnes du Kurdistan». CHIRGUH Bletch (alias Sureya Bedir Khan), «La question kurde, ses origines et ses causes», *Khoyboun*, n° 6, Le Caire, 1930, P. 34.

(3) SORAN Zinar, «Rêxistina Xoybûnê û tevgera Agrî», *Berbang*, n° 81, 1992, P. 18.

إنهاض كردستان، والحزب القومي الكردي، ولجنة استقلال الكرد، واللجنة الاجتماعية الكردية، في 5 تشرين الأول/ أوكتوبر الاندماج في منظمة «قومية» واحدة: رابطة خويبون.

إن مهمة خويبون عام 1927 «كانت منحصرة فقط بجمع الأموال لنجدة المبعدين واللاجئين الكرد، وإنشاء جريدة باللغتين الكردية والفرنسية». وقال، في المعنى ذاته، مصطفى شاهين، أحد مؤسسي اللجنة: «الأمر يتعلق فقط بعمل اجتماعي، يهدف إلى تخفيف البؤس الناجم عن النزاع التركي الكردي، دون أي عمل في السياسة، ودون القيام بدعاية ضد الترك، والتخلي عن العمل السري»[1].

بيد أن عدم ثقة السلطات المنتدبة نمت بسرعة بعد إصدار اللجنة الكردية أول نشرة دعائية معادية للكمالية، بصورة واضحة، إضافة إلى معلومات شبه رسمية تمّ الحصول عليها من أجهزة المخابرات عن المؤتمر التأسيسي للخويبون. وحسب هذه المعلومات، يمكن اختصار برنامج الخويبون كالتالي[2]:

الكفاح ضد الترك لإقامة وطن قومي كردي على أرضهم، القيام بعمل مشترك مع الأرمن، عدم التواطؤ مع خصوم الكمالية من أنصار الخلافة، لأن انتصارهم لا يوفر ضمانات كافية للاستقلال الكردي، وإقامة علاقات جيدة مع الاتحاد السوفياتي وبلاد فارس، والعراق بغية توفير حياد هذه البلدان، والسعي إلى الحصول على دعم من دولة كبرى (فرنسا، وفي حال الفشل، بريطانيا العظمى).

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 1055, Note du Bureau de Renseignements d'Alep n° 227. Alep, le 19 novembre 1927, P. 1.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 569. Rapport sur «Les Kurdes et le Kurdistan», Chapitre VIII. Beyrouth, le 1er février 1929, P. 3-4.

لقد سلكت المعارضة التركية (ملكيون واشتراكيون) وكذلك الأحزاب الممثلة للأقليات الإثنية الأخرى مثل الأرمن، طريق المنفى، أيضاً، لمتابعة نشاطاتها السياسية بعد إقامة الجمهورية بقيادة مصطفى كمال. وفي المرتبة الأولى يمكننا أن نسمي لجنة الثورة المقدسة، أنصار إعادة الخلافة في تركيا، وعلى رأسها محمد علي بك، الوزير السابق للداخلية في تركيا اللاجئ إلى باريس.

كانت الصلات بين الملكيين ومختلف اللجان التركية موجودة قبل تأسيس الخويبون. لكن الخلافات في الجبهة الكردية شكلت حاجزاً لمنع تفاهم حقيقي.. فـ«الكرد المتعلمون، الذين يشكلون الأقلية، كانوا يعملون لإقامة كردستان (مملكة كردية) مستقلة. أما زعماء العشائر فكل منهم يرغب في أن يصبح الزعيم الأعلى. ولأن أهداف الأول تتعارض مع مشروع الثورة المقدسة، كان لا بدَّ من التوجه، بالتالي، نحو القبائل الكردية[1].

كان ممثلو حزب الطاشناق في بلدي المشرق يعملون للعودة إلى تركيا لتشكيل حكومة مستقلة ذاتياً، وهم أعداء للنظام السوفياتي الذي أسقط في القفقاس الجمهورية الأرمنية الفتية، وللنظام الكمالي في آن معاً. والحال إن الأرمن لا يملكون، بمفردهم، وسائل النضال ضد تركيا. وقد وعد وزير الخارجية السابق لتركيا، نظراً لضآلة عدد المعارضين الترك في المنفى، بإعطاء

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* nº 1055. Lettre de Radi Azmi Bey à Mohamed Ali Bey du 15 décembre 1927. Bureau de Renseignements d'Alep, nº 275. Alep, le 28 décembre 1927, P. 4.

الكرد والأرمن ما يريدون في حال «فزنا بقضيتنا»[1]. وكان محمد علي بك يرغب في عقد مؤتمر يجمع بين الشعوب الثلاثة: الترك، والكرد، والأرمن. وسرت في باريس عام 1929، شائعات عن احتمال اتفاق بين الملكيين والخويبون[2]. غير أن التحالف بين المعارضة التركية والأرمن والكرد قد فشل[3]. وإن كان ثمة شك بأن خويبون قد شُكلت بـ «إلحاح» من الأرمني فاهان بابازيان 1868-1973، فمن الأكيد أن التقارب بين الكرد والأرمن قد تم بمبادرة من المناضل الأرمني المنفي، إلى باريس[4]. إن بابازيان، النائب السابق لفان، وهو عضو في اللجنة المركزية للطاشناق في باريس، قد اختاره الحزب الأرمني كمحاور مفضّل مع اللجان الكردية في بلدي المشرق وفي العراق أيضاً. وقد دعي إلى المؤتمر التأسيسي للخويبون، وضم أيضاً إلى هيئات اللجنة الكردية ما أعطاه، منذ الساعة الأولى، صفة الكردي الأرمني، إلى درجة أنه يمكننا الافتراض بأن المبادرة الأرمنية أطلقت توحيد مختلف اللجان الكردية.

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Lettre de Mohamed Ali Bey à Radi Azmi Bey. Paris, le 11 février 1928, P. 3.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 571. Rapport de la Sûreté Générale sur l'activité kurde, n° 777/S.G.K. Inspecteur spécial Chef de la Brigade de Sûreté Générale de Kamechlié à M. le Chef de la Sûretè Générale du vilayet d'Alep Kamechlié, le 17 septembre 1931, P. 9.

(3) إن أسباب هذا الفشل متعددة. أولاً، ضعف عدد المعارضين الترك في المنفى وفي داخل تركيا، جعل من اللجان التركية فاق سفر يمكن الاستغناء عنهم. ثم لعجزهم عن جمع المبالغ اللازمة لتمويل الانتفاضة العامة التي من المفترض أن يلعب فيها الكرد الدور المركزي. كما أن بعض فصول الخيانة وسرقة الأموال التي طاولت شخصيات تركية أضعفت إمكانية التوافق بين الفرقاء الثلاثة.

(4) *PRO, CO 730/133/6*. Rapport secret. Air Headquarters. Iraq Command, Bagdad, le 14 juin 1928, P. 3.

تجسّد رابطة الخويبون «زواجاً ضد الطبيعة» بين مثقفين مغربين من جهة، وبين ممثلي العالم التقليدي الكردي، من جهة ثانية.

وإن كان هذا التحالف الستراتيجي قد عقد سابقاً بين زعماء اللجنة القومية آزادي وبين زعماء مناطق ريفية كردية أيام انتفاضة الشيخ سعيد، فإن الاختلاط بين الوسطين لم يكن، كما يظن، حقيقة في اللجنة. في حين كان الضباط الكرد في الجيش العثماني يسيطرون على اللجنة القومية، كان الزعماء القبليون والدينيون القادة الفعليين للانتفاضة المسلحة. في المقابل سمح المنفى، لقاء «العالمين، مع مصالح تبدو متعارضة، في منظمة واحدة»، ففي داخل خويبون تجاور، في الواقع، مثقفون، وضباط سابقون، وآغوات، وشيوخ، وزعماء قبائل وصاغوا لغة قومية مشتركة للكفاح ضد النظام الكمالي.

غير أن هذا التحالف لم يتم بسهولة. فقد استلزم جهوداً كبيرة من جانب المثقفين الكرد لتكييف الخطاب الغربي الطابع مع التكوين الذهني لممثلي العالم التقليدي الكردي. كان على النخبة الكردية المستغربة أن تقنع الزعماء التقليديين أن يكفوا عن النضال من أجل المصالح المحلية فقط، بل يتحدوا في النضال من أجل التضامن القومي. لقد حاولت النخبة الكردية بهذا المسعى أن تستبدل الولاء، القبلي بالولاء القومي لتدارك انقسام القبائل الكردية أمام الحكومة التركية كما حصل عام 1925. لقد أعطى قَسَم الأمانة للقضية الكردية الذي أعدته رابطة الخويبون، المثال الناجح لمحاولة تكييف الإثني القومي مع خصائص الأوساط القبلية:

> «أقسم بسعادتي وشرفي من الآن ولمدة سنتين، أن لا أحمل سلاحاً ضد كردي، إلّا في حالة تهديده حياتي وشرفي، أو حياة وشرف من هم تحت مسؤوليتي بروابط عائلية، أو التزامات قومية.

أتخلى لمدة سنتين عن كل ولايات الدم وغيرها من النزاعات، وأسعى بكل جهدي لتدارك سفك دماء بين كرديين بسبب مسائل خاصة. وأي كردي يعمل عكس هذا التعهد يعتبر خائناً للأمة وإعدام كل خائن هو واجب»[1].

وكانت جهود قادة رابطة خويبون الدعائية منصبة، بصورة خاصة، على الكرد اللاجئين إلى سوريا ومن أصل تركي، اعتقاداً بأنهم الأكثر تأثراً بالحجج المعادية للكمالية. وكانت النتائج في الشمال السوري مشجعة بعد أن انتسب إلى اللجنة بعض زعماء القبائل مثل حاجو آغا والأخوة شاهين منذ عام 1927. وأعطى وصول لاجئين كرد جدد في عام 1929 زخماً جديداً للمنظمة القومية. هذا كان حال بعض زعماء القبائل الذين طاولهم الإبعاد القسري إلى الغرب التركي: عبد الرحمن علي يونس من ساسون، وكور حسن باشا من قبيلة هيدران والحاج موسى بك من مكتان، واتجه، أخيراً، مثقفون كرد، أمضوا بضع سنوات في السجن، إلى سوريا للإقامة الدائمة فيها. ومن بين هؤلاء المنفيين تبرز بعض الشخصيات القوية في الحركة القومية الكردية. وصارت خويبون، بذلك، منظمة كرد تركيا في المنفى.

كانت اللجنة الكردية، مع ذلك، تتألف، خاصة، من شخصيات أصلها من منطقة جغرافية ضيقة: مثلث خاربوت، بتليس، بوتان. ورغم أن معظم أعضاء الأندية الكردية، في ظل الامبراطورية العثمانية، كانوا، مذاك، من أصول دائرة خربوت، ديار بكر، بتليس، فإن السياسة الفرنسية استمالت نحو سوريا كرداً من مناطق قريبة من هذه البلاد، مما وسع قاعدة الحركة بمشاركة كرد الطرف

(1) Traduction de l'anglais. Voir *PRO, AIR 23/416.* «Kurdish Nationalism. The Khoyboun society». Special Service Officer, I/M/42/B. Mossoul, le 26 février 193.

الجنوبي من كردستان حيث يتكلمون اللهجة الكرمانجية. وباستثناء نوري درسيمي الذي وصل إلى سوريا عام 1937 فلم يتمثل الكرد العلويون في رابطة خويبون. ويمكننا التأكيد منذ ذلك الحين أن خويبون تقوت بوصفها مهداً للقومية الكردية التي تمثل، خاصة، الكرد الناطقين باللهجة الكرمانجية رغم وجود بعض الناطقين بالزازائية من المذهب السني.

كانت المنظمة التي نشأت عام 1927 تشبه بصورة قوية الأندية الكردية التي نشأت في اسطنبول. وكان المثقفون الكرد الملتفون حول رابطة خويبون من أبناء أكبر عائلات الوجهاء الكرد. وفي الواقع، سيطرت سلالتا بدرخان وجميل باشا على الحركة حتى اندثارها عام 1944. فمن عام 1927 إلى عام 1932 قادت عائلة بدرخان، الخويبون عملياً، كما أن معظم أعضاء اللجنة الكردية وقفوا إلى جانب جبهة آل بدرخان أثناء النزاع بين هذه العائلة والسيد عبد القادر في KTC.

لذلك فإن خويبون، لم تضم، أقله في البداية، «مندوبي كافة المنظمات الوطنية، الكردية، وكل القبائل الكردية، وكل المدن الكردية[1]. بل على العكس أعدت برنامجاً يتيح الاستمرار في النشاطات السياسية للجبهة البدر خانية.

وكما أن مغادرة الأخوة بدر خان اللجنة لم تعنِ انفتاحها، بل انتقال القيادة إلى عائلة جميل باشا، فخويبون، إذن، كانت أبعد من أن تشكل حزباً عصرياً مع قاعدة اجتماعية واسعة تدعمه. لقد حافظت على الطابع النخبوي نفسه للأندية التي كانت تنشط في العاصمة العثمانية حتى العام 1921. لكن دخول بعض «الغرباء» مثل عثمان صبري إلى نادي الوجهاء هذا قد مهدّ لكتابة فصول جديدة من التعبئة في الحركة الكردية: الشعبوية والشيوعية.

---

(1) CHIRGUH Bletch, «La question kurde, ses origines et ses causes», *Hoyboun*, n° 6, Le Caire, 1930, P. 34.

تكثر في منشورات وبيانات رابطة خويبون، النداءات إلى التضحية باسم «الأمة»، و«الثورات الكردية» و«الأبطال الشهداء القوميين» والأمة الجديدة «الشهيدة» في تركيا، بعد أن تمت إبادة الأرمن. وكان يوجد شبه كبير بين هذا الخطاب القومي المركز على «الدم»، والهادف إلى التنديد بالنظام الكمالي وتعبئة الجماهير، وبين «بلاغة» الأحزاب الأرمنية المتأثرة بالاشتراكية والشعبوية الروسية. وقد ترافقت دعاية النخبة الكردية هذه مع دعاية شعراء شعبيين وشعبويين.وقد أحدث أحد أوائل شعراء القضية الكردية، جكرخوين (Cigerxwîn)، في زمانه، تأثيراً كبيراً في سوريا[1].

ويشير نور الدين زازا في مذكراته إلى دور الشعراء الشعبيين، مثل جكرخوين، الذين تمكنوا من «تحريك الشعب الكردي وإيقاظه من سباته». ويقول زازا: إن تأثير قصائد جكرخوين كان قوياً في كرد الجزيرة. ويختلف جكرخوين عن النخبوية الكردية التي نشأت في اسطنبول. فهو كان يفضل الوقوف على كرسي في وسط ساحة عامة يمجّد ماضي الشعب الكردي ويرثي حاضره، ويتنبأ له بمستقبل مشرق[2]. وعلى مثال شعراء شعبيين أرمن (نصف مثقفين/ شعراء، ونصف مقاتلين) انخرط سيجرسكوين، كما عثمان صبري على الأخص، في النضال من أجل الاستقلال الكردي، وشاركا في الأعمال العسكرية.

وصار هذان الكاتبان فيما بعد من أنشط «الشيوعيين» و«الثوريين» في أوساط المثقفين الكرد في بلدي المشرق.

---

(1) كتب توماس بوا في المجلة الكردية روزانو، بمناسبة صدور أول مجموعة شعرية عام 1945 لجكرخوين. إن كامل المجموعة مكتوب بلغة سهلة، عامة ومفهومة [...] ما يجعلها مفهومة من قِبل الجميع، ما يجعلها مفهومة من الجمهور. جكرخوين هوثوري في هذه الحالة، أيضاً، ولا يمكن إلّا تهنئته باستخدامه أسلوباً شعبياً.

(2) ZAZA Noureddine, *Ma vie de Kurde ou le cri d'un peuple, op. cit.*, P. 89-90.

من الواضح أن مصلحة معظم القوميين الكرد في سنوات الأربعين، لم تكن في الأيديولوجيا المحمولة من الاتحاد السوفياتي، الشيوعية، بل كانت في الكلام عن تحرر الشعوب وحقوق الأقليات. في الواقع، وخلافاً للأرمن والعرب، لم تتم ترجمة أي مؤلف شيوعي كلاسيكي إلى اللغة الكردية. ولم يكن يوجد في وسط المثقفين الكرد في المشرق أيديولوجيون ماركسيون في تلك الحقبة. غير أن القادة الكرد كانوا يحسنون استخدام اللغة الشيوعية.

وقد اشتهرت جريدة صوت الشعب، عام 1945، بأنها الأكثر تأثيراً في الأوساط الكردية[1] كما كانت تُبث نشرات أخبار في الإذاعات الموالية للسوفياتيين في كل الشرق الأوسط. ولوحظ تدرب على لغة ممركسة خاصة بحركة التحرر الوطني وكانت تعابير مثل «استعمار» و«امبريالية»، و«ديموقراطية حقيقية» و«نظام فاشي»، معروفة من القوميين الكرد ومستخدمة عند الحاجة. وأحد الأمثلة البارزة عن استيعاب اللغة الشيوعية من قبل القادة الكرد كان الرسالة التي كتبها قدري جميل باشا[2] إلى يوسف ستالين في عام 1946 في أثناء زيارته لمهاباد. فهي لا تعني تبني الأيديولوجية الشيوعية، بل تعني استخدام نظرية كونية لهدف آخر. فالقادة الكرد كانوا يسعون إلى نيل مشروعية لمطالبهم عند الشعوب غير الكردية.

وأبعد من هذه الإشارات الخارجة، أحدثت الصلات الأولى بالماركسية إنقلاباً في الحركة القومية الكردية، وفي القومية الكردية. فقد حصل، من

---

(1) إن هذا النفوذ للجريدة الشيوعية دفع، عام 1945، بالسلطات المنتدبة لأن تقترح على كاميران بدرخان إعادة إصدار مجلة روژانو للقيام بدعاية في مصلحة فرنسا. وتعهد الفرنسيون، من جهتهم، بالانتشار الواسع للمجلة في جميع الأوساط الكردية. وقد أعيد إصدار المجلة، فعلاً، في تموز/ يوليو عام 1945، بعد توقف دام أربعة عشر شهراً.

(2) CEMIL PACHA Kadri (Zinar Silopî), *Doza Kurdistan, op. cit.*, P. 180-82.

جهة، انقسام بين الأجيال «القديمة» والأجيال «الجديدة» للقوميين الكرد. وكما في كردستان العراق، كانت الأجيال الشابة أكثر استعداداً للتعاون مع الاتحاد السوفياتي والقطع مع سياسة الوجهاء التقليدية، التي كانت ترتكز إلى السعي لاستقلال ذاتي محلي، أو إلى حماية من دولة كبرى غربية[1].

وانطلاقاً من ذلك، قرر القوميون الكرد الناشطون في الجزيرة عام 1945 تأسيس جمعية جديدة، لجنة حرية ووحدة الكرد (Civata Azadî û yekîtiya Kurdan) لتحل محل الخويبون، المنظمة التي تعتبر شديدة الولاء للغرب. إضافة إلى أن المنظمة الجديدة التي قدمت نفسها للدول الكبرى باسم الرابطة الكردية (Yekbun û Azadî)، (وحدة وحرية) كانت تعلن عن نفسها بأنها فصيل من الحزب الديموقراطي الكردي في إيران. إن هذا التغير ليس شكلياً، لأن الزعماء القوميين الكرد في إيران تبنوا شعار (P D K) من أجل التكيف مع التعابير السوفياتية والظهور بمظهر أكثر تقدمية. ورغم الإحباط المفترض من التخلي عن المطالب السوفياتية في تركيا، وسقوط جمهورية مهاباد، ظل قسم من الشبيبة القومية الكردية في بلدي المشرق وفي العراق أيضاً، قريباً من الأحزاب الشيوعية[2].

كانت الأجيال الجديدة تخالط القادة الشيوعيين الأرمن والعرب في سوريا، في حين لم يعد عند الزعماء القدماء للحركة القومية تأثير فيها. وعندما ابتعد جكرخوين عن الأعضاء القدماء لخويبون، انخرط سياسياً مع شيوعيي الجزيرة عام 1949 [3].

---

(1) من أجل معرفة الانقسام بين الجيلين الكرديين من القوميين في مطلع 1940، راجع...

(2) LAQUEUR Walter Z. *Communism and Nationalism in the Middle East*, Landres Routledge & Kegan Paul, 1956, P. 225.

(3) CIGERXWIN, Jînenîgariya min, op. cit., P. 290.

وعلى غراره تضامن كرد قوميون آخرون، من الذين كانوا يتمايلون بين الشيوعية والقومية الكردية، مع كرد العراق. فلم توفر الدعاية السوفياتية تأثيرها على عائلات آغوات الكرد في الجزيرة[1]. فقد عرف إبراهيم حاجو بن حسن حاجو بميوله الشيوعية منذ عام 1944 [2]. وبعد سنتين صار سليمان الابن الآخر لحسن حاجو، وكذلك أكرم حاجو أخو حسن، مسؤولين عن الأنشطة الموالية للسوفياتيين في قبور البيض والحسكة، على التوالي[3].

وكما كان حال الأرمن في سنوات 1920 و1930 فإن الشيوعية والتحرر الوطني يتشابهان في نظر الأجيال الكردية الجديدة، من ذوي الأصل التركي، أو من المولودين في سوريا. ذلك أن الشيوعية بوصفها تعبيراً سياسياً عن المساواة، في محيط أكثريته عربية، تحظى بجاذبية، لا جدال فيه، عند الكرد المقيمين حديثاً في سوريا. وغالباً ما يتم الخلط بين «القضية الكردية» والشيوعية. ويمكننا أن نتكلم، في الواقع، عن تحول في القياس. ففي حين كان المثقفون الكرد الناشئون في اسطنبول يعتقدون أن خلاص الشعب الكردي يأتي من الغرب، كان الجيل الجديد من القوميين الكرد ينظر إلى مكان آخر. لم يعد يستوحي التغريب بل الشيوعية والحركة التقدمية للتحرر الوطني. لكن بعد عقد من المراوحة بين القومية الكردية والشيوعية السورية، قام أوائل القانطين من حساسية الحزب الشيوعي السوري إزاء طريقتهم في

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. Délégation Générale de France au Levant, S., n° 606. Beyrouth, le 21 mars 1946, P. 1.

(2) حسب المصادر الفرنسية كان يوجد في الجزيرة 500 عضو في الحزب الشيوعي، عام 1944 ومنهم إبراهيم حاجو «الشيوعي المقتنع» الذي درس عدة سنوات عند اليسوعيين في بيروت.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. Délégation Générale de France au Levant, n° 667. Beyrouth, le 3 avril 1946, P. 1.

التطرق للمطالب الخاصة بالهوية الكردية بتأسيس الحزب الديموقراطي لكرد سوريا في عام 1957.

القادة

نشأ جلادت بدرخان (1893-1951) بن علي أمين بدرخان[1] في العاصمة العثمانية ودرس في مدارسها المتغربة ما سمح له بالاتصال بأنصار النظرية الوضعية (Posivitisme) الأوروبية التي قامت في أواخر القرن التاسع عشر. درس الحقوق في اسطنبول قبل أن يشغل وظيفة كاتب في محكمة أندرينوبول، ثم محرر في القسم الصحافي في وزارة الخارجية العثمانية. ثم احترف، فيما بعد، الصحافة في اسطنبول. وبعد نهاية الحرب مارس مهنة المحاماة في العاصمة. وشارك جلادت في أنشطة الأندية الكردية في اسطنبول، وذهب إلى كردستان التركية برفقة الماجور نويل (Noel)، لتحضير انتفاضة من أجل الاستقلال الكردي. وقد دفعه فشل «مهمة نويل» عام 1919، والتغير السياسي

(1) كانت نواة الكردية في السلطنة العثمانية تتمثل بفريقين: واحد بقيادة سيّد عبد القادر (1851-1925) من شمدينان والآخر، أمين عالي بدرخان (1851-1926) من بوتان. وهذا الأخير هو من أحفاد بدرخان باشا آخر أمير في البوتان، الذي ظل أميناً للسلطان حتى 1842، العام الذي انتفض فيه من أجل التفاوض حول علاقاته مع الباب العالي. وبعد قمع الانتفاضة في البوتان، أرسل بدرخان مع عائلته إلى اسطنبول أولاً، ثم إلى جزيرة كريت حيث استمر يعمل للحكومة العثمانية. وبفضل الخدمات التي أداها في الجزيرة، عاد بدرخان وعائلته. وعلى غرار عائلة شمدينان، فإن نشاط أبناء بدرخان باشا الثقافية جرت في الأندية الكردية في اسطنبول، في موازاة مسؤولياتهم في الجهاز البيروقراطي العثماني. ولإلقاء نظرة شاملة عن أعضاء عائلة بدرخان راجع:
MALMÎSANIJ, *Cizira Botanli Bedirhaniler ve Bedirhan Ailesi Derneginin Tutanaklari*, Spanga, APEX, 1994.

الذي حصل في تركيا، إلى الإقامة في ألمانيا (ميونيخ) حيث اكتشف نيتشي[1].
وبعد الحكم عليه بالإعدام من قِبل النظام الكمالي الجديد توجه إلى بيروت، حيث شارك في المؤتمر الأول لرابطة خويبون عام 1927، وأصبح رئيساً للجنة الكردية. وقد تحول مع أخيه كاميران، لاتصالهما الدائم بالسلطات المنتدبة، كمخبرين مميزين للفرنسيين.

ثم ابتعد جلادت بدرخان عن خويبون ليصبح أحد محركي الحركة الثقافية الكردية في سوريا. وهو أيضاً منشئ ألفباء كردية بأحرف لاتينية، وكتاب صرف ونحو بالكردية. وهو، كذلك، محرر المجلة الثنائية اللغة (الكردية الفرنسية) هاوار («النداء») وملحقها روناهي («الضياء»). وكان على جلادت لتأمين حاجاته المادية، أن يعمل مدرساً للفرنسية 1934-1935، ومحامياً عام 1939.

وبعد أن كان ناشطاً سياسياً في أثناء الحرب العالمية الثانية، لعب دوراً أقل أهمية بعد عام 1945. ووضع حادث حصل، عام 1951، في منزله قرب دمشق حداً لحياته.

كاميران بدرخان (1895-1978) ابن آخر لأمين عالي بدرخان، ولد في دمشق، وشب في اسطنبول. كان مجازاً بالحقوق من جامعة اسطنبول وحصل على دكتوراه من جامعة ليبزيغ. مارس مهنة المحاماة في اسطنبول وفي بيروت حيث استقر بعد أن أقام في دمشق.

اشترك في عام 1917 في الحرب العالمية الأولى على جبهة البلقان. والتحق بالأندية الكردية بعد عودته إلى اسطنبول وكتب في مجلتي ژين وسربستي. كان كاميران ممثلاً لخويبون في بيروت، وصار فيما بعد المحرك الآخر للحركة الثقافية باللهجة الكرمانجية. ساعد شقيقه في إصدار هاوار

(1) *Günlük Notlar (1922-1925)*, Istanbul, Avesta, 1997 (2ème édition).

وصار فيما بعد مسؤولاً عن جريدة روزانو «اليوم الجديد» وملحقها ستير (النجمة). وكاميران هو أيضاً صاحب ترجمة للقرآن إلى اللغة الكردية، وقاموس كردي ألماني، وكُتب مدرسية كردية عديدة، ومؤلفات بالفرنسية عن الأدب الكردي. وعمل أيضاً كمذيع في إذاعة الشرق في بيروت، لبرنامج إخباري باللغة الكردية. وسمحت له صلاته المميزة مع الفرنسيين أن يعيش في فرنسا حيث كان يدير منذ عام 1947 كرسي اللغة الكردية في معهد اللغات الشرقية في باريس. وظل كاميران، خلال السنين التي أمضاها في فرنسا، يدافع عن القضية الكردية لدى الدول الغربية الكبرى.

سوريّا بدرخان (1883-1938) ابن أمين عالي بدرخان انخرط في الحركة المناهضة للسُلطان. وبعد انقلاب تركيا الفتاة، عاد من منفاه إلى العاصمة وأدار جريدة كردستان. وبعد فترة قصيرة أوقفت الجريدة ورمي به بالسجن من جديد.

واستمر، بعد العفو عنه، بعمله المعارض، ونظم لجنة ثورية سرية كردية عام 1912، فعرف السجن للمرة الثالثة. وقد فرّ من السجن وغادر نهائياً تركيا عام 1913. وأعاد إصدار كردستان، خلال الحرب العالمية الأولى، في القاهرة حتى عام 1917 [1]. وأنشأ، أيضاً، في القاهرة لجنة استقلال الكرد واتصل بالبريطانيين من أجل التأثير فيهم أثناء إعداد معاهدة سيفر عام 1920. وانضم عام 1927 إلى رابطة خويبون وقام، من خلالها، بعمل دعائي لدى البلدان الغربية. وقد منع منذ عام 1930 من الإقامة في الأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي، فاضطر إلى النفي الذاتي في باريس حيث مثل رابطة خويبون[2].

---

(1) MALMîSANIJ, *CIZIRA Botanli Bedirhaniler ve Bedirhani Ailesi Dernegi'nin Tutanaklari, op. cit.*, P. 92.

(2) NIKITINE Basile, «Badrkhani, Thurayya (1883-1938) et Djaladat (1893-1951)], *Encyclopédie de l'Islam*, Vol. I, Leiden & Londres, 1960, P. 895.

ممدوح سليم (1897-1976) من فان، درس العلوم السياسية في اسطنبول. وقد شارك في نشاطات الأندية الكردية في العاصمة العثمانية وكتب في مجلتي روجي كرد وزين. كان من أنصار استقلال كردستان فاختلف مع عبد القادر في KTC والتحق بجبهة آل بدرخان. بعد انهيار السلطنة، لجأ بالتوالي إلى مصر، وبيروت واللاذقية، وأنطاكية حيث صار معلماً في المدارس المتوسطة (فرنسي وتركي). وانتخب عام 1927 في اللجنة المركزية لرابطة خويبون، المنظمة التي ظل فيها حتى حلها[1]. وعمل أيضاً لجهاز المخابرات الفرنسي في سنجق الإسكندرون. كان من أنصار اللغة الفرنسية، ويصفه الضباط الفرنسيون كرجل حازم ومستقيم، وجدير بالثقة[2].

محمد شكرو سكبان (1881-1960) طبيب من مادن، وهو واحد من مؤسسي كورد تعاون وترقي جمعيتي، وكورد طلبة هيفي جمعيتي، والـ (KTC. Kürt Teavün ve Terakki) وشارك أيضاً في تأسيس (Cimiyeti, Kürt Talebe Hêvî Cemiyti) خويبون، التي مثلها في بغداد. وقد بذل جهوداً كبيرة في بغداد لضم بعض الشخصيات الكردية للرابطة. وقد نشر شكرو سكبان عام 1933، وكان قد ارتد، كتابه \القضية \الكردية، وهو مؤلف تبنى من خلاله المقولات الرسمية الكمالية حول الأصول التورانية للكرد، وهاجم رفاقه القدامى في اللجان الكردية[3].

إحسان نوري (1893-1976) من بتليس، درس في الأكاديمية العسكرية

---

(1) POUR une Biographic romanesque, voir UZUN Mehmed, *La poursuite de l'ombre.* Traduit du kurde par Fawaz Hussain, Paris, Phébus, 1999.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 571. Fiche de renseignement M.H.5. Délégation fançaise de l'Etat de Syrie. Damas, le 29 septembre 1927.

(3) SEKBAN Mehmed Chukru, *La question kurde. Des problèmes des minorités*, Paris, P.U.F, 1933.

(الحربية) في اسطنبول. صار قائداً في الجيش العثماني وأرسل إلى الجبهة الروسية لمقاتلة جند القيصر. بعد الحرب العالمية صار عضواً في KTC وكتب في مجلة زين. وأسس، عند إعلان الجمهورية التركية، في أرزوروم لجنة أزادي، التي أعدت انتفاضة الشيخ سعيد. انضم إلى خويبون، وعُيِّن مسؤولاً عن الشؤون العسكرية، والقائد العام للعمليات في محيط جبل أرارات عام 1927. وقد لجأ إحسان نوري، بعد هزيمة الانتفاضة، إلى إيران.

علي ألمي (1880-1964) من الرجال الموثوقين عند الشيخ سعيد في انتفاضة 1925. كان مدرساً، وقام بمهمة الصلة بين رابطة خويبون واللجان الكردية في العراق.

فهمي لدجي (1887-1967) اختار المنفى في سوريا هرباً من القمع الكمالي. شارك في الأنشطة الأولى في رابطة خويبون لكنه ابتعد عنها بسبب التحالف الكردي الأرمني الذي دافع عنه آل بدرخان. وعبر لدجي عن مخاوفه من وقوع كردستان في يد الأرمن[1].

لقد تكلمنا، سابقاً، عن جوانب عديدة، في سيرة حاجو آغا (1888-1940) سنضيف، فقط، أنه كان على علاقة متينة مع الأخوة بدرخان، وأنه حول نفسه إلى الممثل الأكثر نفوذاً للجنة الكردية في الجزيرة.

أمين رَمان بريخان (؟-1928) زعيم قبيلة رَمان، انتقل إلى أراضي الانتداب الفرنسي في الوقت نفسه الذي انتقل فيه حاجو آغا. التحق برابطة خويبون، لكنه وافق، عام 1948، على الهدنة التي أعلنتها الحكومة الكمالية، وعاد إلى تركيا. حيث تمّ قتله خلال كمين نصب له.

بوزان (1895-1968) ومصطفى شاهين (؟-1953) زعيما قبيلة البرازي،

---

(1) SHIRO Zinar, «Netewwperwer û xebatkarê kurd: Fehmiyê Licî», *Armanc*, n° 71, 1987, P. 4.

المقيمة تقليدياً في أورفا. اختار بوزان المنفى في سوريا، لفقده الحظوة، بعد أن انتخب نائباً في أول جمعية وطنية تركية، ورافقه أخوه مصطفى إلى المنفى. وقد أنتخب هذا الأخير نائباً في البرلمان السوري، وانتسب الأخوان إلى الخويبون حتى حلها.

الشيخ عبد الرحمن غاريزي (1869-1932) عاد إلى كردستان بعد دراسة في اليمن. لجأ إلى سوريا بسبب عدائه للإصلاحات العلمانية، بعد تمضية بعض الوقت في منطقة البرازي في العراق. وهو مولود في غورجه في منطقة البوتان. وقد انتسب الشيخ عبد الرحمن إلى خويبون وكلف بمهمات كثيرة في منطقة بوتان وهكّاري. كما أرسل إلى أوروبا للدفاع عن القضية الكردية في مؤتمر التضامن مع الشعوب المقهورة عام 1930. بعد ستة أشهر عاد إلى دمشق حيث تعاون مع حزب الطاشناق. وقد قتل نتيجة خيانة خلال مهمة في تركيا[1].

رفعت مغلازند (؟ـ1930) صحافي، أصله من السليمانية في العراق. كان في الحقبة العثمانية على صلة بالأندية الكردية، وكان يكتب في مجلة هيتاوي كورد. بعد الهدنة تعاون مع حكومة اسطنبول. وقام بمهمة الاتصال بين مختلف اللجان الكردية والمنظمات الملكية التركية عام 1927. وصار فيما بعد أحد رجال الاتصال بين كرد العراق وكرد دولتي المشرق.

أكرم جميل باشا (1891-1974) وُلِد في ديار بكر في عائلة وجهاء، ودرس في اسطنبول وأكمل دراسته في أوروبا بين عامي 1912-1913، قبل أن يعود إلى اسطنبول حيث أسس مع طلاب كرد آخرين الهيفي. بعد الحرب

(1) EHMED NAMÎ Sami, *Dîmenin ji dîroka winda, op. cit.*, P. 34-36; ABDUREHMAN AXA Ehmedê, «Xebata me ya Xoybûnê û çûna me ya cem Mistefa Barzanî», *Armanc*, nº 92, 1989, P. 5.

العالمية الأولى، عاد إلى ديار بكر وصار عضواً مؤسساً في الجمعية الكردية (KTC) ومسؤولاً عن مجلة زين. وانتسب في ديار بكر إلى لجنة أزادي. وبعد اتهامه بدعم انتفاضة الشيخ سعيد حكم عليه بعشر سنوات سجن، لكن أفرج عنه بعد ثلاث سنوات ونصف، واختار المنفى في سوريا عام 1929 برفقة ثلاثة من أبناء عمومته: قدري، ومحمد، وبدري جميل باشا. ووصل أخوه مقداد إلى سوريا بعدهم بفترة وجيزة[1]. وقد انتسب أكرم إلى رابطة خويبون وصار أميناً عاماً لها بين عامي 1939 و1944.

قدري جميل باشا (1892-1973) وُلِد في ديار بكر، ودرس أيضاً في اسطنبول. وهو من أعضاء اتحاد الطلاب الكرد وأكمل دراسته في أوروبا بصحبة ابن عمه أكرم. صار بعد الحرب عضواً في KTC. وبعد نفيه إلى سوريا أصبح عضواً في رابطة خويبون وأميناً عاماً لها بين عامي 1934-1939 [2].

عثمان صبري (1905-1993) وُلِد في قرية نارين في إقليم أديبمان، وهو أحد أبناء زعيم قبيلة المرداس. وقد شنق عماه شكري ونوري في ديار بكر للشبهة بأنهما أرادا المشاركة في الانتفاضة الكردية. وعثمان نفسه سجن ثم أُفرج عنه ولجأ في النهاية إلى سوريا عام 1929، حيث اتصل بقادة رابطة خويبون. وقاد في ما بين عامي 1930 و1932، العديد من الحملات العسكرية على تركيا، وأخيراً اضطر للجوء إلى العراق، قبل أن يعود إلى سوريا. وكان يعتبر من قبل الفرنسيين وأعضاء خويبون متطرفاً لانتقاده الوجهاء الكرد

(1) CEMIL PACHA Ekrem, *Muhtasar Hayatim*, Bruxelles, Institut kurde dw Bruxelles, (2ème édition) 1991.

(2) Pour plus de détails sur la vie de Kadri Djemil Pacha, voir ses mémoires *Doza Kurdistan, Kürt Milletinin 60 Yillik Esaretten Kurtulush Savashi Hatiralari*, Ankara, z-Ge (2ème édition), 1991.

وزعماء القبائل على حد سواء[1]. وقد شارك عثمان صبري بنشاط في الحركة الثقافية الكردية رغم خلافه الأيديولوجي مع آل بدرخان. وقد شغل عام 1944 وظيفة في العاصمة السورية لكنه طرد منها بأمر من وزارة الداخلية بعد خمس سنوات. كتب بعض القصائد، والعديد من الأمثال عن الحيوانات، وهو يعتبر راوياً أصيلاً، بأسلوب سهل ومباشر ومتخيل[2].

أحمد نافذ زازا (1902-1966) ابن الملا يوسف زازا، أصله من مادن، ودرس في مادن ثم في ديار بكر ولينهي دراسته للطب في اسطنبول. وقد اتصل في العاصمة العثمانية بالمنظمات الكردية، وخاصة بأعضاء عائلة بدرخان، وجميل باشا، وبالدكتور فؤاد أيضاً. وقد انخرط مع الثوار في انتفاضة الشيخ، سعيد، وبعد فشل الانتفاضة الكردية، سجن حتى عام 1928. ثم لجأ إلى سوريا مع شقيقه نور الدين عام 1930، وعمل طبيباً في دمشق حيث اتصل مع أعضاء خويبون. ثم استوطن عين ديوار، حيث فتح إحدى أندر العيادات في الجزيرة، مما أتاح له أن يحظى بأهمية كبيرة بين السكان. لقد مرض الدكتور نافذ في بداية الستينيات من القرن العشرين ومات في أحد مستشفيات بيروت[3].

نور الدين يوسف (زازا) (1919-1989) من مادن، ذهب إلى المنفى في سوريا مع شقيقه أحمد نافذ عام 1930. درس أولاً في دمشق، ثم أقام مؤقتاً

(1) Pour plus de détails sur la vie d'Osman Sabri, voir Jemo Mamed, *Osman Sebrî, Apo. Analyse bio-bibliographique*. Diplôme d'Etudes Approfondies de l'Université de la Sorbonne Nouvelle, sous la direction de Charles-Henri de Fouchecour, Paris, 1990.

(2) BOIS Thomas, «Les littératures mineures», in: *Islamologie*, F.M. Pareja (dir.), Beyrouth, Imprimerie catholique, 1964, P. 965.

(3) RESH Konê, «Doktor û welatparêzê ku nayê ji bîrkirin, Dr. Ehmed Nafiz Zaza», *Armanc*, n° 148, 1994, P. 4.

في الجزيرة. بدأ الكتابة إلى مجلة هاوار عام 1940، وانخرط في العمل السياسي خلال الحرب العالمية الثانية. وصار فيما بعد أحد مؤسسي الحزب الديموقراطي الكردستاني في سوريا عام 1957. وعمل عام 1946 مساعداً لكرمان بدرخان في إذاعة برنامج اللغة الكردية من راديو الشرق في بيروت. ثم اختار المنفى في سويسرا.

جكرخوين، لقب سيخموس حسن (1903-1984) وُلِد في هزار في منطقة ماردين في عائلة فقيرة وأقام في عامودا. ظل بدون تعليم حتى سن الثامنة عشرة، ثم بدأ دراسة دينية، واتصل بكلاسيكيي الأدب الكردي. ثم أخذ يبتعد رويداً رويداً عن دوره الديني لينخرط أكثر في الحركة القومية الكردية في الجزيرة. وكان ينشر قصائد في المجلات الكردية الصادرة في دمشق، وفي بيروت. وكان يعتبر متطرفاً سواء بسواء مع عثمان صبري، لأنه أخذ يعبّر عن الأمل بإصلاحات اجتماعية لمصلحة الشعب في مواجهة الأقوياء في المجتمع الكردي التقليدي.

عارف عباس (1900-1984) من مادن ومن وسط ميسور، درس في اسطنبول منذ العاشرة من عمره وتابع تعليمه في المعهد الزراعي وعُيِّن مديراً للزراعة في ديار بكر. وبعد ذلك، ومن باب الحيطة، وجدت له السلطة عام 1929، منصباً جديداً في عينتاب. وظل يعمل موظفاً حتى العام 1930؛ السنة التي اختار فيها المنفى في سوريا بصحبة أحمد نافذ زازا، ونور الدين زازا، وشوكت زلفي. وقد وجد عارف عباس عملاً في الحسكة بصفة اختصاصي في مكافحة الجراد. وقد انتسب في سوريا إلى رابطة خويبون. وفي عام 1936، قررت السلطات الفرنسية، بضغط من تركيا، نقله إلى تدمر.

شوكت زلفي (1899-؟) عُيِّن أستاذاً في ديار بكر لمدة 6 سنوات، ثم في أضنة. لجأ إلى سوريا عام 1930 وعمل مترجماً في أنديوار في خدمة الأجهزة

الخاصة الفرنسية. وعاد إلى دمشق، بعد تسريحه عام 1932، لمدة سنة ونصف، ثم إلى الجزيرة ليشغل منصب سكرتير لبلدية ديريك[1]. وشغل شوكت زلفي منصب سكرتير المؤسسة الخيرية الكردية في الجزيرة، وهي مؤسسة شديدة الارتباط برابطة خويبون.

تنظيم الحركة

يبدو أن الصراع بين كتلتي بدرخان وسيد عبد القادر في داخل KTC، وفشل المبادرات الدبلوماسية باتجاه الدول الكبرى الغربية بين عامي 1919 و1923، والنقص في التنسيق بين القوى الكردي أثناء انتفاضة الشيخ سعيد، قد ترك أثره على عقول قادة رابطة خويبون. فعمل أعضاء المنظمة الكردية الجديدة، تداركاً لأخطاء الماضي على توطيد تنظيمهم الداخلي بإعطاء أهمية كبيرة لوحدة العمل وللانضباط «الحزبي». يحق لكل كردي، بموجب النظام الداخلي، الانضمام إلى لجنة خويبون بشرط قبول البرنامج الذي ينص عليه «الميثاق القومي». وعلى كل عضو أن يلتزم بالامتثال المطلق للقرارات التي تتخذها المنظمة من أجل «خير الأمة». وفي حالات الرفض يتعرض لعقوبات تصل حتى الإعدام. وتنص وثيقة تأسيس رابطة خويبون بصورة واضحة، ودائماً لتفادي تشتت نشاطات المنظمة، على الالتزام بالامتناع عن أي مشروع خاص بدون موافقة المنظمة. أما على الصعيد التنظيمي فتتوزع رابطة خويبون على مكتب مركزي، وأقسام، وفروع، ومندوبيات. إن المكتب المركزي المعين من قِبل المؤتمر هو السلطة العليا، وهو يقرر سياسة ومالية المنظمة. وكل قرار تتخذه أية هيئة ينبغي أن يتخذ بالإجماع. وينص النظام

(1) *FONDS RONDOT, DOSSIER Personnalités kurdes*, Notes manuscrites, s.d., s.l.

الداخلي على إجراء مؤتمر سنوي مؤلف من مندوبين منتخبين يقدم أمامهم المكتب المركزي تقريراً عن عما قام به من عمل. والفرع يمكن أن ينقسم إلى خلايا[1]. ويحق للمكتب المركزي إعادة النظر بالقرارات المتخذة في المؤتمر أو تأجيلها، كما يحق له مراقبة نشاطات مختلف هيئات المنظمة. وأخيراً يحق له الإقامة في بلدان أجنبية إذا دعت الحاجة، من أجل متابعة نشاطه[2].

إن رابطة خويبون، حسب نظامها الداخلي، تلتزم تنظيماً داخلياً صارماً. لكن العكس كان هو الصحيح حسب تقرير فرنسي. فأحكام النظام الداخلي التي صاغها مؤسسو اللجنة كانت تعكس طموحات النخبة الكردية أكثر مما تعكس الممارسة، ذلك:

> إن منظمة خويبون لم تكن قط على هذا القدر من الصرامة التي نص عليها نظامها الداخلي. فمؤتمراتها لم ترتد يوماً طابع مجمع تمثيلي كما رغب المؤسسون أن تكون. كانت، في أحسن الحالات، اجتماعات عفوية لوجهاء. وغير دورية[3].

ويفسّر هذا التسيب في التنظيم الداخلي للجنة، ولو جزئياً، استمرار الغموض حتى يومنا عن أسماء أعضاء رابطة خويبون، وأسماء قادتها في اللجنة أو المكتب المركزي، كما عن عضوية الأقسام والفروع والخلايا المحلية المنتشرة في الشرق الأوسط.

---

(1) عدة فروع تشكل قسماً، وكل قسم يقوده مجلس ويرأسه عضو في المكتب المركزي والفروع المحلية ينبغي أن تتشكل من خمسة أعضاء على الأقل.

(2) *PRO, AIR 23/4/4*. «The Khoybun Society. The Kurdish Race and Country. Some slauses abstracted from the fundamental Regulations». Special Service office, I/36. Sulaymaniya, le 10 septembre 1928, P. 1-4.

(3) *FONDS RONDOT, Dossier Comités kurdes*. «Hoybun». Document non signé. 13 février 1940, P. 1.

إن ازدواجية الإنتساب التي يحرمها النظام الداخلي كانت حاضرة في صفوف «الأعضاء» بين عامي 1927 و1928 في العراق. وكانت أسباب الانتساب المزدوج لبعض كرد العراق مختلفة. من جهة، كان البعض متردداً في خياره السياسي في وقت كانت فيه المنظمات الكردية في طور إعادة التكون، ومن جهة أخرى، كان تأييد بعض من الشخصيات يتوقف على المساعدات المعطاة من المنظمات الكردية[1] ثم إن بعض أعضاء خويبون في العراق، كانوا يعملون لحساب المخابرات البريطانية[2]. هذا هو وضع بعض الشخصيات الهامة، مثل فهمي ليدجي، الذي كان، حسب قول المخابرات الفرنسية، في خدمة المخابرات البريطانية[3]. وأخيراً، فإن بعض الوجهاء الكرد تقربوا من خويبون ثم ابتعدوا عنها معتبرين أن الرابطة الكردية قد باعت «كردستان للأرمن».

ورغم أن مختلف المصادر التي في حوزتنا لا تتفق على لائحة واحدة للأعضاء المؤسسين للجنة الكردية، لكن مقارنة مختلف التقارير تتيح لنا وضع لائحة تقريبية.

إن المؤتمر الأول لرابطة خويبون المنعقد في بحمدون، لبنان، من 29 أيلول/ سبتمبر إلى 25 تشرين الأول/ أوكتوبر، شارك فيه، حسب تقرير فرنسي، جلادت بدرخان، وممدوح سليم، ومحمد شكرو سكبان، وكريم رستم، وكامل بك، والأخوان مصطفى وبوزان شاهين، وفهمي ليدجي، وحاجو آغا، وأمين آغا.

---

(1) *PRO, AIR 23/413,* Advance extracts to the Iraq Police abstract of Intelligence n° 20. Criminal Investigation Department. Bagdad, le 19 mai 1928.

(2) *PRO, AIR 23/413.* Rapport secret de l'Air Staff Intelligence. Bagdad, le 9 juillet 1928, P. 1.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 1055. Bulletin de renseignements n° 274, Alep, le 27 décembre 1927, P. 5.

وقد تمّ في المؤتمر انتخاب خمس شخصيات في اللجنة المركزية: جلادت بدر خان، ومصطفى شاهين، وممدوح سليم. وحاجو آغا وأمين آغا[1]. وقد أكد هذه اللائحة للمشاركين ولأعضاء اللجنة المركزية، تقرير آخر لمكتب استخبارات حلب، وهو يذكر مصطفى شاهين، وهو عضو لجنة مركزية، كمصدر للمعلومات[2]. غير أننا عدنا فوجدنا ثماني شخصيات كردية، بينها علي رضا، بصفته عضو لجنة مركزية، من الموقعين على ميثاق التعاون مع حزب الطاشناق في 29 تشرين الأول / أوكتوبر[3].

وقد شارك أيضاً أعضاء في حزب الطاشناق الأرمني في نشاطات رابطة خويبون. وحضر المؤتمر الأول في بحمدون فاهان بابازيان، كما اشترك آدور ليفونيان وفاهان بابازيان في المؤتمر الذي عقد في فندق حلب المركزي في 29 آذار/ مارس 1928 [4]. وكان وجود رفعت مغلازند، وفاهان بابازيان في اللجنة المركزية لخويبون، يذكر أحياناً ويغيّب أحياناً أخرى.

الشبكة الدولية لرابطة خويبون

يطرح عدد أقسام رابطة خويبون وتشكيلها، مشكلة أخرى، بسبب تهافت المعلومات لنفس السبب الذي ذكرناه أعلاه. وما يثير الدهشة التبدل

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 569, Rapport sur «Les Kurdes et le Kurdistan», Damas, le 1er février 1929, chapitre VII, P. 7.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 1055. Note du Bureau de Renseignements d'Alep nº 227. Alep, le 19 novembre 1927, P. 1.

(3) هم علي رضا، وشكرو سكبان، ومصطفى شاهين، وحاجو آغا، وأمين آغا، وكريم رستم، وممدوح سليم، وجلادت بدرخان.

(4) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 1055. Information nº 229. S.R.C. 2ème Bureau. 1ère Section. Beyrouth, le 4 avril 1928, P. 1

في أسماء أعضاء المنظمة الكردية حسب الرواة. وسنعطي مثلين استناداً إلى وثيقتين: فرنسية وبريطانية تعودان، تقريباً إلى الحقبة نفسها. ففي تقرير لأجهزة المخابرات الفرنسية، تتوزّع الأقسام التابعة للجنة المركزية لخويبون على الشكل التالي[1]:

اللجنة المركزية في بيروت: كاميران بدرخان (رئيساً)، نظام الدين بن درويش كيبار، فاهان بابازيان، ترْلابا بك، خليل بك بدرخان.

دمشق: جلادت بدرخان (رئيساً) عمر آغا شمدين، يوسف آغا، عثمان عروسي وإبراهيم شمدين.

حلب: هراتش بابازيان (رئيساً) مصطفى شاهين، بوزان شاهين، حمزي أفندي، ممدوح سليم.

الحسكة: قدري جميل باشا (رئيساً)، محمد جميل باشا، حاجو آغا، حمزة، وآغوب سيمون.

ماردين: أيوب ملّي زادة (رئيساً)، شاهود آغا شاسو (زعيم قبيلة مشكينا)، جلال بك ملّي زادة، الدكتور زيهيا بك (رئيس بلدية ماردين) ومحمود كرو(زعيم قبيلة غير).

ديار بكر: ممدوح جميل باشا (رئيساً) فكري جميل باشا، أحمد جميل باشا، ضيا جميل باشا، بيرنشي زاده صدقي، وشوقي أفندي.

سلفان: علي آغا (زعيم السلفان) إبراهيم بك، خطيب بك، الشيخ فكري السلفان، والشيخ فوزي السلفان.

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* nº 571. Rapport sur l'Activité kurde de l'Inspecteur Spécial chef de la Brigade de Sûreté Générale de Kamechlié à M. le Chef de la Sûreté Générale du vilayet d'Alep, nº 77/S.G.K. Kamechlié, le 17 septembre 1931, P. 3-4.

ساحور: نجم الدين بك (رئيساً) ممدلا بك (زعيم الخاشنية) محمد بك، وشيخ فتح اللّه (زعيم قبيلة ملا ميي).

سيرت: سيد محمد (رئيساً) الشيخ جلال، الشيخ نصرة، الشيخ محمد زوكريت والشيخ عزرت (زعيم قبيلة بوتيكي)

بغداد: الدكتور شكرو محمد سكبان (رئيساً)، الشيخ أحمد (ابن عم الشيخ سعيد) كريكور أفندي، خورشيد بك، وعبد الكريم بك

كركوك: محمود جودت (رئيساً) رشيد بك، رؤوف بك، وأستاذان لم تعرف أسماؤهما.

سليمانية: توفيق وهبي بك (ممثلاً).

زاخو: عازم بك (رئيساً) ونائب سابق عن زاخو، مراد خان (زعيم قبيلة غدهان) محمد حسن، ليفون باشا وسعيد باشا.

رواندوز: شيخ برزان (رئيساً)، إسماعيل بك، سيد حسين (مدير جريدة زاري كرمنجي) وعبد اللّه بك (ابن عم سيد طه).

بارين: شريف باشا (ممثلاً).

ديترويت: سوريّا بدر خان (رئيساً)، نجيب بك وجمال بك.

لندن: رؤوف بك (رئيساً)، رئيس سابق لملجس الوزراء التركي، وعدنان بك، ومهران خانون.

بمعزل عن صدقية هذه القائمة فهي مهمة، بالنسبة لنا، لأنها صادرة عن قادة اللجنة الكردية. وهي، لذلك، تعكس تطلعات أعضائها. فقادة خويبون، رغم الصعوبات التي يواجهونها في الدخول إلى تركيا وإلى العراق، يستمرون في تأكيد رغبتهم في التحول إلى حزب يضم شخصيات كردية من الأراضي العثمانية السابقة. بيد أنه من المشكوك فيه أن يكون الشيخ برزان قد انتسب إلى خويبون. ومن المشكوك فيه، في السياق نفسه، أن تكون وجدت في تركيا،

فعلاً، أقسام من خويبون فيما عدا بعض الصلات بالمراسلة. وتنفي وثيقة فرنسية أخرى عام 1940، ما ورد في القائمة السابقة، إذ ورد فيها ما يلي: «يبدو أن خويبون لم تقدر أن تقيم في تركيا، خلايا محلية كما كانت ترغب واقتصر الأمر على اتصالات». وظل نفوذها في العراق معدوماً. استطاعت فقط في سوريا «إنشاء عدد لا بأس به من الأقسام، شكلت بذاتها مجموعات قتالية»، في الواقع فإن «مجمل هذا التنظيم، باستثناء سوريا، من صنع الخيال»[1].

ثانياً، لأن اللائحة تشير إلى الأشخاص الذين يمكن لخويبون الاستناد إليهم في تركيا. فباستثناء بعض وجهاء مدن مثل ديار بكر حيث يقيم أفراد عائلة جميل باشا، أقرباء قدري وأكرم جميل باشا، فإن «أعضاء» خويبون ينتسبون، عامة، إلى الأوساط التقليدية: زعماء قبائل، وشيوخ. ويؤكد التقرير وجود أرمن في صلب تنظيم رابطة خويبون. وأخيراً، فإن المعلومات المستقاة تشير إلى متغيّرات في تنظيم الحركة الكر دية: نقل اللجنة المركزية من حلب إلى العاصمة اللبنانية، بيروت.

أما القائمة الثانية من المنتسبين، إلى خويبون فقد أعدها عام 1930، العملاء البريطانيون، ومرة أخرى مصدرها: عضو من اللجنة الكردية. وحسب هذه القائمة الكاملة، بصورة عامة، فإن رابطة خويبون مشكلة على الوجه التالي[2]:

ـ مكتب بيروت المركزي: كاميران بدرخان (رئيس القسم الكردي)، فاهان بابازيان (رئيس القسم الأرمني)، مالك جنبار مالك وردي (رئيس القسم الآشوري) جلادت بدرخان (المفتش العام).

(1) *FONDS RONDOT, Dossier Comités Kurdes.* «Hoybun», doc. cit., P. 1-3.

(2) *PRO. AIR 23/418.* Rapport secret sur la Société Khoybounn. Special Service Officer, I/M/33. Mossoul, le 29 octobre 1930, P. 1-3.

ـ أعضاء في سوريا وتركيا: نايف مستو بك (قبيلة بيرانس) مصطفى شاهين (طرابلس) صالح بك (زعيم قبيلة خالاتا)، حاجو آغا، الشيخ بسمير (وجيه من ماردين)، قاسم جميل باشا، خليل باشا (زعيم قبيلة ملّي) درويش آغا (زعيم اليزيديين في كورد داغ)، كور أحمد (نائب سوري من إعزاز) رشيد آغا (زعيم قبيلة جوما الإعزاز) وممدوح سليم.

ـ زاخو (العراق) عازم بك، عزيز آغا، سليمان آغا، محمد قادر وعبد العزيز آغا.

ـ سنجار (العراق) الشيخ إسماعيل خول، خوديداه شارو، الشيخ خضر، الشيخ خلف، متّو آغا، حسين برجس، علي زهران وحسن يوسف.

ـ شيخان (العراق) سعيد بك، خضر آغا، الشيخ سليمان وخوديداه خوخاني.

ـ رواندوز (العراق) إسماعيل بك رواندوزي (نائباً من «دائرة أربيل»).

ـ دهوك (العراق) الشيخ عبيد الله، الشيخ نوري بريفكاني، ومفتي دهوك.

ـ بامرني (العراق) الشيخ غياث الدين والشيخ محمد.

ـ بيدي (العراق) الحاج ملو.

ـ عقرة (العراق) مفتي عقرة.

وكما نلاحظ فإن أسماء المنتسبين إلى خويبون في العراق، إذا استثنينا المقمين في دولتي المشرق، كثيرة العدد وتختلف عن لائحة المخابرات الفرنسية. كما أن المحفوظات البريطانية تكشف عن انخراط بعض الزعماء اليزيديين من منطقة سنجار[1] وشيخان في خويبون.

بإمكاننا أن نؤكد، رغم التحفظات عن المعلومات الصادرة عن أعضاء

(1) *PRO. AIR 23/416*. Rapport secret sur le nationalisme kurde et la Société Khoyboun Special Service Officer. Mossoul, le 26 février 1930.

خويبون أن العلاقات المستمرة، إلى هذا الحد أو ذاك، بين كرد سوريا وكرد العراق، قد قامت فعلاً. ذلك أن نشاطات خورشيد بك، رفيق إحسان نوري في السلاح، في انتفاضة 1925، في «التراسل» بين رابطة خويبون وبعض الشخصيات الكردية في العراق، معروفة جيداً من السلطات البريطانية[1]، كما كان مفهوماً دور الشيخ أحمد عبد الرحمن والشيخ عبد الرحمن غاريسي في الصلات بين خويبون والزعماء الكرد في العراق عام 1930 [2]. وأخيراً فإننا نعرف أن بعض زعماء الكرد العراقيين، المذكورة اسماؤهم في التقارير البريطانة، كانوا في عداد المشتركين في جريدة هاوار التي كان يصدرها جلادت بدرخان منذ عام 1932، ما يؤكد الصلة التي كانت قائمة بين كرد دولتي المشرق وكرد العراق.

وثمة مسألة أخرى هي معرفة ما إذا كانت أقسام خويبون، التي كانت موجودة خارج سوريا، حاولت توسيع قاعدة الحركة الكردية حتى أقصى مدى إلى مستوى حزب سياسي عصري، أم هي، بالمقابل، مراكز تلقٍ هدفها الوحيد التواصل مع الدعاية الصادرة عن اللجنة المركزية في بيروت. إننا في مجرى تحليلنا لأهداف خويبون التي أقرت عام 1927، ننحاز إلى الخيار الثاني، فوظيفة التلقي كانت أكثر وضوحاً في حالة المعتمدين الكرد المقيمين

---

(1) *PRO. AIR 23/413*. Rapport «Kuedish movement». Special Service Officer, I/BD/54. Bagdad, le 8 juillet 1928; PRO, Co 730/133/6. Mémorandum. Bagdad, le 6 Juillet 1928; *PRO, AIR 23/413*. Rapport secret. Air Staff Intelligence, Air Headuearters. Bagdad, le 9 juillet 1928.

(2) ABDURRAHMAN AXA Ehmedé, «Bîranîñrñ Tékoshereki Kurd» II, *Armanc*, n° 92, *art. cit.*, P. 5.

في فرنسا وإنكلترا، والأردن ومصر[1].

أياً كان الأمر، إن فشل انتفاضة أرارات عام 1931 سجلت بداية سورنة رابطة خويبون، لأن أقسامها أو مراكزها للتلقي في الخارج قد اختفت وعاشت المنظمة مرحلة إنطواء على الذات. وانخرطت المنظمة أكثر في المسائل السياسية في سوريا، وخاصة في مجرى حركة الاستقلال الذاتي في الجزيرة التي كانت شديدة النشاط بين عامي 1936 و1938.

تمويل رابطة خويبون

إذا كان التركيب الفعلي لرابطة خويبون يبدو ملتبساً، فإن المصادر المالية للجنة لاتزال سراً من الأسرار. «إن مداخيل اللجنة» رسيماً «هي من الاشتراكات، ومن رسوم المشاركة في الأعياد والاجتماعات، ومن أرباح جريدة تنشر بالفرنسية، والتركية، والكردية، ومن ثروتي آل بوزان وآل شاهين[2]. لكن بعد مراجعتنا لوثائق ذلك الزمن يمكننا الافتراض أن رابطة خويبون كانت تمول أساساً، من قوى تابعة لدول وأخرى غير ثابتة، دون أن نجد في ذلك أي رابط سياسي وأيديولوجي. ويمكن تفسير غياب الترابط بعوامل مختلفة. أولاً، إن القادة الكرد والأرمن لم يكونوا متفقين حول الدولة الكبرى التي سيتحالفون معها. ففي حين كان حزب الطاشناق يفضل إقامة العلاقات مع فرنسا، كان الكرد يعتقدون أن بريطانيا العظمى قد سبق وأظهرت

---

(1) Le représentant de la Ligue Khoyboun en Jordanie est Ali Seudo Gorani tandis que celui d'Egypte est Ali Avni. ALAKOM Rohat, *Hoybûn rgütü ve Ahri ayaklanmasi*, *op. cit.*, P. 59-60.

(2) Renseignements Fournis par Djeladet Bedir Khan. *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1054. Note pour le Lieutenant colonel. S.R.C, 2ème Section Beyrouth, le 29 novembre 1927, P. 1.

اهتمامها بإقامة كردستان مستقل، خاصة بين سنوات 1919-1922. وفي الواقع، كما اعترف جلادت بدرخان، تلقت خويبون أموالاً من البريطانيين عام 1927. ويمضي جلادت بدرخان، بالقول: إن دعم بريطانيا لخويبون يفسر برغبة «مكتب المخابرات البريطانية في بغداد في قيام دولة كردية مستقلة، في ظل الانتداب البريطاني، بين حدود العراق الشمالية وتركيا. لتمكين بريطانيا من تعديل الاتفاق المتعلق بنفط الموصل لمصلحتها»[1].

لكن سرعان ما بردت العلاقات بين القادة الكرد وبريطانيا العظمى لأن التحالف مع الطاشناق، كان في نظر البريطانيين دليلاً على ميل الحركة الكردية إلى فرنسا. وفي المؤتمر الذي عقد في بيروت في نهاية عام 1927:

> «تم إبعاد إنكلترا، مؤقتاً، بسبب خيانتها الأخيرة، ولأن مصالحها في الموصل لا تسمح لها بالتخلي عن كردستان العراق. وجرت محاولة للحصول على دعم فرنسا [...] وإن رفضت نحاول، آنذاك، العودة إلى إنكلترا، رغم عدم الثقة بها»[2].

وقد أدى البحث عن المساعدات لتمويل نشاطات خويبون، إلى انفجار داخل اللجنة الكردية، لعدم تعهد فرنسا وبريطانيا العظمى تعهداً صريحاً. وقد حاول ممثلو الطاشناق الحصول على الأموال من حكومتي اليونان وإيطاليا، ومن الشتات الأرمني في الشرق الأوسط، وفي أوروبا، والولايات المتحدة الأميركية. وطلب الكرد، حسب التقارير البريطانية، المساعدة من الاتحاد

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Renseignements sur le mouvement kurde en Syrie du Délégué adjoint du Haut Commissaire pour le vilayet d'Alep à M. le Haut Commissaire de la République fançaise n° 12843. Alep, le 27 novembre 1927, P. 2.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055, doc. cit., Alep, le 27 décembre 1927, P. 5.

السوفياتي.

وكان جلادت بدرخان[1] الشخصية الأساسية في هذه الاتصالات. وفي 6 تموز/ يوليو 1928، غادر جلادت بغداد إلى طهران للقاء مندوب سوفياتي في العاصمة الإيرانية. لكن ما جرى بين جلادت والمندوب السوفياتي ظل طي الكتمان. هذا وقد وجدنا آثاراً لصلات بين شخصيات من خويبون وبين الاتحاد السوفياتي، بعد بعض الوقت. وخلال سفر سوريّا بدرخان إلى الولايات المتحدة حيث أقام لمدة سبعة أشهر وهو يقنع الجالية الكردية في دويترويت لوقف دعمها المالي للنظام الكمالي، وإعطاء مساعداتها لرابطة خويبون. فقد قابل سوريّا بدرخان قبل مغادرته الولايات المتحدة، كما يظهر، مندوباً سوفياتياً في نيويورك. وأخيراً رافق سوريّا بدرخان في عودته الأرمني كريغور فارتانيان، عضو الوفد الخارجي في لجنة نجدة أرمينيا. وكانت الحكومة السوفياتية قد رجت هذا الأخير المحافظة على الصلة مع الكرد، وأن يقوم، بما في طاقته، للوصول إلى اتفاق بين خويبون وموسكو[2].

لم نتمكن، لسوء الحظ، من مراجعة محفوظات جمهورية أرمينيا السوفياتية، ومحفوظات موسكو لنتأكد من صحة المعلومات البريطانية. وفي حال تبيّن أن هذه المعلومات صحيحة فهي تلقي بعض الضوء على تحالفات خويبون والتراجع عنها، خلال انتفاضة أرارات (1927-1931).

2 ـ البعد بين البرنامج وحقل المناورة

كان قادة خويبون يرون أن تنفيذ برنامجهم السياسي ـ استقلال كردستان ـ يستدعي تعبئة واسعة للقبائل والوجهاء الكرد. لذلك أعطت رابطة

(1) *PRO, AIR 23/413*. Rapport secret, *doc. cit.*, Bagdad, le 9 juillet 1928.

(2) *PRO, FO 371/13827/E2122*. Rapport confidentiel n° 21 du Consulat britannique Detroit, Michigan, le 18 avril 1929, P. 1-4.

خويبون انتباهاً خاصاً للدعاية. وكان على كل عضو في المنظمة الكردية، حسب نظامها الداخلي القيام بالدعاية من أجل «الاستقلال الكردي وضد الاضطهاد والوحشية التركية اللذين ينبغي أن يعرفهما العالم المتمدن». وكان يمكن لأعضاء اللجنة، استخدام كل الإمكانيات المتوافرة لتحقيق هذا الهدف. وعلى هذا الأساس تم القيام بدعاية شفهية من خلال أغانٍ وقصائد خاصة، تؤلف وتغنى من قبل مغنين، ودراويش، تتحدث عن وحشية الترك، والثورة الكردية والاستقلال. كما كتبت قصص قصيرة لتروى في «جميع أنحاء كردستان». أما الدعاية المكتوبة فكانت تتم من خلال إصدار «منشورات، وبيانات، وكراريس»، تتحدث عن مآثر الأبطال الكرد، وتذكر بوحشية الترك في الماضي وفي الحاضر، مع رسومات وبطاقات بريدية، وكتب وصور، وما شابه من المطبوعات»[1].

وقد بدأ أعضاء خويبون العمل فوراً وكتبوا منشورات عن «سوء نوايا الترك». وكانت هذه الأخيرة برسم اللاجئين الكرد في سوريا، لإقناعهم بعدم الإصغاء للوعود التركية بالعفو، بوصفها «فخاً جديداً لإكمال الإبادة». وقد سمحت هذه المنشورات لخويبون أن تحلل الأحداث السياسية، مثل حركات الانتفاض الكردية في ساسون، بإلقاء الأضواء على الانتصارات المحلية، وتم طلب إرسال جميع المعلومات عن أحداث كردستان إلى اللجنة المركزية.

كانت هذه الدعاية المكتوبة، متحركة، حقيقة، فالموضوعات واللغة المستخدمة تتغير مع تغيّر المتلقين. وتتجلى هذه الحالة بصورة خاصة، في رسالة بعثها سوريّا بدرخان إلى كاميران بدرخان، وصادرها الأمن العام، وكان

(1) *PRO, AIR 23/414*. «The Khoybun Society. The Kurdish Race and Country. Some slauses abstracted from the fundamental Rehulations». Sulaymaniya, le 10 septembre 1928, d*oc. cit.*, P. 2-3.

الأول يحضر نشر كراس عن القضية الكردية، أصولها وأسبابها، ويقول سوريًا بدرخان، في رسالته:

«الكراس في اللغة الفارسية ويعالج موضوع العرق الآري، الصائر إلى الضعف والزوال يوماً بعد يوم. وينبغي، لأجل تدارك هذا الخطر، تشكيل اتحاد آري. إن فارس مدعوة، من أجل ذلك، إلى ترؤس هذا الاتحاد».

في المقابل يعالج الكراس في اللغة العربية «تاريخنا، وجغرافيتنا [...] كما يعالج الخدمات الكثيرة التي قمنا بها من أجل القضية العربية والإسلامية. وأخيراً يعالج الكراس الفرنسي «تاريخنا، وموقعنا الجغرافي والاقتصادي [...] وتاريخ ثوراتنا وانتفاضاتنا [...]، ورأي الأجانب فينا والواجب الملقى على عاتق أوروبا المتحضرة». وكراس خويبون الفرنسي «يرتدي أهمية كبيرة لأنه يشير لرسوم ينبغي على كاميران بدرخان أن يرسلها إلى أخيه المقيم في مصر بعد طرده من سوريا»[1].

إلى ذلك كانت خويبون ترغب، على غرار عمل المنظمات الكردية في الزمن العثماني، في إصدار جريدة ناطقة رسمياً بأفكارها[2]. وكانت تلك دورية «كردستان» التي لم نجد للأسف، أي نسخة واحدة منها. وعبرت خويبون بوضوح، عن ضرورة استخدام الوسائل الأكثر عصرية، المتوافرة في تلك الحقبة، مثل الغراموفون، والسينما لنشر برنامجها بصورة أفضل. أما رابطة خويبون التي عندما توافرت لها بعض الأفضليات بسبب سماح السلطات

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Sûreté Générale. Infomation n° 1985. Beyrouth, le 22 août 1930, P. 1-2.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 1055. Service de Renseignements. Alep, le 7 Juillet 1930, P. 1.

الفرنسية باستخدام وسائل الدعاية الأكثر تطوراً في مدن مثل دمشق، وحلب، وبيروت، قامت بدعاية تشابه ما تقوم به المنظمات القومية في ذلك العصر. من ذلك، مثلاً، حمل جلادت بدرخان، في تنقلاته، آلة تصوير سينمائية، وعرض ما يصور في أميركا للدعاية»[1].

وقد وجدنا، أيضاً، مذكرة من السلطات المنتدبة الفرنسية تمنع بموجبها اسطوانتين للمغني سعيد آغا جسراوي باللغة الكردية. تم تسجيلهما في شركة الاسطوانات الشرقية، سودوا (Sodwa) في حلب. وتتضمن الإسطوانتان أغاني عن انتفاضة الشيخ سعيد عام 1925، وعن استقلال كردستان. وتقول إحداها، بصورة خاصة: «إن الشيخ سعيد قد دعا الشعب والوجهاء إلى الثورة. علينا أن نثأر أمام ديار بكر لكردستان، فالمعركة امتدت إلى كل جبالنا، والشيخ عبد القادر مات. وخالد بك بعد قتاله البطولي قتل بدوره. وتم شنق الشيخ سعيد ودمرت منازل كردستان».

وفي الثانية يغني سعيد آغا جسراوي لـ «أبطال الانتفاضة الكردية الذين سقطوا بشجاعة في أرض المعركة»، وبروي كيف «أمر مصطفى كمال بإبادتهم». ولم يغب بيع الإسطوانتين عن أعين المخابرات التركية في سوريا. ويقول القنصل التركي: إن نسخاً منها «أرسلت سرياً إلى تركيا» ولهذا السبب تمكن من الحصول على منع بيعها[2]. وأخيراً لم تستبعد رابطة خويبون اللجوء إلى «وسائل أكثر تقليدية» من أجل القيام بدعايتها بواسطة عملاء للجنة أرسلوا

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Sûreté Générale. Beyrouth, le 12 avril 1930.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 571. Haut Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban. Sûreté Générale, n° 981. Beyrouth, le 25 novembre 1936.

إلى العراق وتركيا، وإلى الولايات المتحدة أيضاً.

ولم تعترض جهود رابطة خويبون للقيام بدعاية ضد الكمالية، عقبات كبيرة في دولتي الشرق، لكن الوضع كان عكس ذلك في العراق حيث بذلت السلطات البريطانية جهوداً خاصة لملاحقة ومنع وسائل الدعاية التي ترسلها المنظمة التي يقودها جلادت بدرخان[1]. بيد أن اهتمام كرد سوريا بدعاية خويبون يختلف باختلاف أقدميتهم فيها. ففي وقت يبدو فيه اللاجئون الكرد الذين وصلوا إلى سوريا بعد عام 1925 متأثرين ببرنامج خويبون، فإن وجهاء دمشق مثل حسين آغا رمضان، وعلي آغا زلفو، وعمر آغا شمدين فضلوا البقاء على مسافة من القوميين الكرد «بذريعة أنهم يعيشون منذ أجيال عديدة بعلاقات طيبة مع العرب وأنهم لا يرغبون في تغيير موقعهم». وقد بلّغ عمر آغا شمدين ممثلي الدولة المنتدبة، بهذا الخصوص «إنه يضمن موقف كرد دمشق وحيادهم المطلق من النزاع التركي الكردي»[2].

التبعية البنيوية للدول الكبرى الأجنبية

في حين كان السكان الكرد في سوريا وتركيا هدف دعاية خويبون، كان قادتها على اقتناع شبه ثابت بأن تحرير كردستان لن يحصل إلّا بمساعدة دولة كبرى، أو عدة دول كبرى أجنبية. هذه الثقة المطلقة «بارتباط مصير الكرد

---

(1) *PRO, AIR 23/413*. Special Service Officer, I/36/2. Sulaymaniya, le 31 juillet 1928; *PRO, AIR 23/290*. Note sur Khoyboun. Mossoul, le 6 octobre 1928; *PRO, AIR 23/182*. Mémorandum secret du 21 mars 1931.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Rapport secret sur l'Activité des groupements Kurdes en Syrie. Damas, le 12 octobre 1931; *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Renseignements politique d'ordre confidentiel et destinés à M. le Haut Commissaire. Damas, le 5 septembre 1930.

بالدول الكبرى الأجنبية» هي بالتأكيد، مؤشر على استمرار للستراتيجية التي كانت معتمدة من قِبل اللجان التي كانت قائمة في اسطنبول في أواخر عهد الامبراطورية العثمانية، لكنها شكلت، أيضاً، إقراراً بعجز القادة الكرد عن تنظيم حركة وطيدة الأركان تحت راية القومية الكردية. إن التبعية لدعم محتمل خارجي لم تعطِ، في الواقع، نتائج هامة طوال وجود خويبون.

كانت فرنسا، طبعاً، من أول الدول، التي تلقت طلباً من اللجنة الكردية للمساعدة. غير أن الخط الذي اتبعته السياسة الفرنسية إزاء رابطة خويبون لم يكن مستقراً. كانت أوقات الدعم المعلن، إلى هذا الحد أو ذاك، تتبعها مراحل برود في العلاقات الفرنسية الكردية.

كانت السرايا على بيّنة من إمكانية الإفادة في بعض الظروف من الجماعات الكردية المناهضة للنظام الكمالي جرياً على منوال سياسة الانتداب إزاء اللاجئين الكرد. وهكذا لما بدأت المفاوضات الفرنسية التركية، حول ترسيم الحدود التركية السورية، بداية عام 1927، لجأ ممثلو الانتداب إلى «الورقة» الكردية وذلك قبل تأسيس رابطة خويبون[1].

هذا التاريخ التقريبي يصادف تنفيذ سياسة أكثر انفتاحاً إزاء استقبال لاجئين كرد في شمال سوريا... وهو يصادف السنة التي غادر فيها النقيب بيير تربي صديق الكرد، الجزيرة ليلتحق بالدائرة السياسية في المفوضية العليا في فيروت حيث جمع بين يديه كل القضايا المرتبطة بالعلاقات الفرنسية الكردية في سوريا. ولم يكن يبدو، في آخر عام 1927، أن نشاطات خويبون تقلق كثيراً السلطات المنتدبة، بحيث إن البريطانيين قد شكوا بأن الفرنسيين يدعمون

---

(1) *PRO, AIR 23/412*. «Kurdish movement». Headquarters, French Army of the Levant. Beyrouth, le 16 mai 1927, P. 1-2.

اللجنة الكردية[1].

إضافة إلى أخذ «حساسية» كرد بلدي المشرق بالاعتبار، بعد أن صاروا حاجة في مخططات المفوضية العليا، وصلت إلى بيروت مذكرة تحمل حججاً ستراتيجية أخرى، لمداراة قادة رابطة خويبون. في الواقع «لا ينبغي نسيان أن الإنكليز قاموا وربما يقومون اليوم، بدعاية في أوساط الكرد». ذلك أن الأبعاد الحقيقية لبعض العملاء الإنكليز هي «إقامة دولة كردية فاصلة، خاضعة للإنكليز على حدودنا الشمالية (سنجق ديار بكر) لتقريب المناطق الإنكليزية إلى البحر». والمطلوب فقط «تذكير الكرد باحترام قواعد الضيافة وإسماعهم أننا لن نسير معهم في أعمالهم المعادية لتركيا»[2].

من الواضح، إذن، أن السلطات الفرنسية كان في وسعها، إن هي أرادت فعلاً، إجهاض كل نشاط لرابطة خويبون. وكانت أجهزة المخابرات، بالرجوع إلى ما نملك من وثائق، على علم بالنشاطات التآمرية للجنة الكردية. وكانت تنقلات وصلات أعضائها مراقبة. وكان لدى الأجهزة نفسها مخبرون «رسميون» في قلب رابطة خويبون،مثل ممدوح سليم وجلادت بدرخان، وجواسيس في المجتمعين الكردي والأرمني.

لقد شكّل عام 1928 مفترقاً في العلاقات الفرنسية الكردية، رغم الموقف الفرنسي الذي كان متساهلاً. فقد قام مندوب الممثل السامي في حلب، بالتفاهم مع السرايا، باتخاذ قرارات رادعة ضد قادة خويبون، وذلك بوضع حد للحركة الكردية الآخذة في الاتساع في سوريا. ويظهر من تقرير فرنسي إن عاملين

---

(1) *PRO, AIR 23/92*. «Kurdish movement». Beyrouth, le 27 juin 1928, P. 1; *PRO, AIR 23/413*. Rapport de l'Air Staff Intelligence. Bagdad, le 4 Juillet 1928, P. 1.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1054. Note pour dle Lieutenant colonel Arnaud, S.R.C-2ème Section. Beyrouth, le 29 novembre 1927, P. 1.

اثنين ضغطا في اتجاه قرارات المفوض السامي. رغبة السلطات المنتدبة في الحفاظ على الهدوء بعد أن قمعت مختلف بؤر المقاومة في سوريا من جهة، ومن جهة أخرى، رغبة المفوضية العليا في الظهور أمام الحكومة التركية بأنها لا تساند مطلقاً الحركة الكردية، بهدف إنجاز حل للخلاف الحدودي في شمال سوريا. ففي العاشر من كانون الثاني/ يناير أعلن مندوب المفوض السامي في حلب قراراته ضد خويبون: منع صارم لعقد اجتماعات اللجان واللجان الفرعية، والفروع، حتى ولو كانت بصفة جمعية خيرية، ومنع إصدار جريدة كردية، ومنع كل اجتماع ذي طابع سياسي في أراضي ولاية حلب. وكل خرق لهذه القرارات يعرض المسؤولين عنه فوراً لأقصى العقوبات[1].

وقد أجبرت قرارات المفوضية العليا اللجنة على تجميع قادتها بعد توزعهم في مختلف المدن السورية. إلّا أن خويبون تابعت عملها بانتظار بعض الانفتاح من جانب السلطات المنتدبة.

لكن الانتظار كان عبثاً، فالسلطات الفرنسية رضخت للضغوط التركية وللبريطانية أيضاً. كانت السلطات المنتدبة في العراق تنظر بعين الريبة لنشاط خويبون إزاء كرد العراق؛ لأنها كانت تخاف من تشكيل حركة كردية عامة تهدد الوحدة الإقليمية للمملكة العراقية. وقد اتخذ البريطانيون تدابير قاسية لمنع انتقال قادة خويبون إلى الأراضي العراقية.

والمفارقة أن قادة رابطة خويبون أبدوا ميلهم للتفاهم مع البريطانيين، الدولة الكبرى الوحيدة، القادرة، في نظرهم، على استقلالهم في الولايات الشرقية من تركيا. إلى ذلك جددت اللجنة، بوضوح، هدفها بعدم ازعاج الانتداب البريطاني في العراق على اعتبار أن كرد الشمال يتمتعون ببعض

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 569. Rapport sur «Les Kurdes et le Kurdistan», doc. cit., P. 0.

الحقوق. لكن فشل انتفاضة أرارات أحدثت في داخل اللجنة الكردية أزمة عميقة استمرت حتى الحرب العالمية الثانية.

إن هياج الأوساط الكردية في فترة الحرب العالمية الثانية يمكن تفسيره ببساطة. وقد اختصر ذلك الكولونيل البريطاني الفانستون (Elphinstone)، بقوله:

«يعتبر الكرد بصورة عامة وزعماؤهم اللاجئون هنا، وأنصارهم الأكثر شباباً، أنهم يجتازون، حالياً، مرحلة حرجة من تاريخهم، ينبغي الإفادة منها، وإن لم يستفيدوا من هذه الفرصة، فإنها لن تتوافر بعد ذلك أبداً.

لذلك «يبدو من غير المعقول أن يبقوا بدون حركة، لزمن غير محدد، في وقت لا يلوّح لهم أيّ أمل في المستقبل»[1].

الهياج الذي يتكلم عنه الكولونيل الفانستون يختصر بالعدد الكبير من المبادرات الدبلوماسية الكردية إزاء مختلف الدول المنخرطة في النزاع الدولي.

الحركة الكردية في مواجهة الأيديولوجيات الكبرى

سمح النزاع بين الدول الكبرى الأوروبية، حول توزيع جديد لمناطق النفوذ في الشرق الأوسط، للناشطين الكرد المنفيين في بلدي المشرق الاتصال بعملاء مختلف البلدان والقيام بعمل دبلوماسي سري هام معهم. وقد قارب القوميون الكرد، بفعل ذلك، الدول الكبرى الممثلة لأيديولوجيات

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. Traduction d'un rapport secret et personnel élaboré par le Colonel Elphinstone et adressé à M. Hamilton. Délégation Générale de la France Libre au Levant , n° 2319/CP. Damas, le 4 septembre 1942, P. 2.

ذلك الزمن: الليبيرالية (بريطانيا العظمى، الولايات المتحدة وفرنسا) الفاشية (إيطاليا وألمانيا) والشيوعية (الاتحاد السوفياتي).

وقد قامت علاقات النخب الكردية مع ممثلي هذه الدول الكبرى، مثل سائر النخب الشرقية، على إيقاع تطور الحرب العالمية، من جهة، والتحالفات السياسية والعسكرية، من جهة أخرى. وقد ظلت تركيا هدفاً لمشاريع القوميين الكرد الناشطين في المشرق، السياسي منها والعسكري. وقد وجهوا، على هذا الأساس، مبادراتهم الدبلوماسية على وقع تحالفات حكومة أنقرة. ويمكن القول، بشكل عام: إن «أعداء» تركيا صاروا «أصدقاء» المنفيين الكرد. ويبيّن لنا ذلك أن المصلحة الأولى للقوميين الكرد لم تكن في أيديولوجية الدول المنخرطة في النزاع العالمي، بل في البحث عن دعم سياسي أو عسكري لإقامة دولة كردية، ذات استقلال ذاتي في تركيا.

من برلين إلى لندن

إن توقيع المعاهدة الفرنسية السورية عام 1936، التي تنص على جلاء الفرنسيين من المشرق والتحالف، الذي قام عام 1939، بين بريطانيا العظمى وفرنسا، وتركيا، قد دفعا بالكرد إلى التقارب مع دول المحور التي أصبحت عدوة لتركيا. وتعززت العلاقات مع إيطاليا، ومع ألمانيا أيضاً، عندما استولت قوات فيشي على إدارة الانتداب في المشرق.

في دمشق حصل عمر آغا شمدين، الذي كان عام 1940 على صلة، متكررة، مع القنصل العام لإيطاليا في بيروت، على بعض الوعود بتمويل انتفاضة كردية في الجزيرة. لكن أجهزة المخابرات البريطانية التي أطلعت على صلات عمر آغا بالإيطاليين، كلفت قنصل بريطانيا العظمى في دمشق إقامة تفاهم جديد مع هذا الأخير الذي وعد القنصل، بعد ثلاث مقابلات،

التوقف عن كل نشاط معادٍ لبريطانيا[1].

ويبدو أن خويبون قد انحازت، بهذا القدر أو ذاك، إلى دول المحور. ويقول الكولونيل الإنكليزي الفانستون في أحد تقاريره: إن الألمان يقومون بصلات مع الكرد منذ بداية الحرب. ويقومون بدعاية واسعة تجاههم مؤكدين أن تحالف تركيا، بموجب معاهدة، مع بريطانيا العظمى وفرنسا، لم يعد يترك لهم ما ينتظرونه من الحلفاء، وأن من مصلحة الكرد الالتحاق بسياسة المحور[2]. وقامت اللجنة الألمانية في سوريا التي يرأسها فون هنتغ (W.O.Von Hentig) بعد هزيمة فرنسا بالاتصال بخليل بن إبراهيم باشا، الصديق الشخصي للبارون ماكس أوبنهايم (Max oppenhein)[3].

والتقت البعثة الألمانية، ممثلة بروزر (Roser)، كاميران بدرخان أيضاً. لكن المشاريع الألمانية كانت تتطلب تفاهماً جديداً بين الكرد والأرمن. وقام فون هنتغ ورودولف أ.روزر، بدعوة القوميين الكرد والأرمن إلى اجتماعات سرية عبر الألمان خلالها عن ضمان استقلال كردستان، واستقلال أرمينيا بعد انتصار الألمان شرط تقيد الكرد والأرمن بتعليمات النازيين وإثارة اضطرابات في تركيا. وقد جرت لقاءات كرد الجزيرة والعملاء الألمان على

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 571. Commandement Supérieur des Troupes du Levant. Etat-Major-B.C.R. Information n° 5497/B.C.R. Quartier général, le 26 novembre 1940 1940, P. 1-3.

(2) Pour une version romanesque des contacts entre les agents allemands et les chefs Kurdes, voir LANGENDORF Jean-Jacques, *Un débat au Kurdistan*, Lausanne, L'âge d'homme, 1969.

(3) يبدو من تقرير كتبته دوائر الاستخبارات في المشرق، أن الألمان يعتبرون خليل بن إبراهيم باشا المرشح الأفضل لتأمين مصالح المحور بين الوجهاء الكرد. وواقعاً، أكد الدكتور و.أو. فون هنتغ أمام بعض الدركيين: اعلموا أننا كنا اليوم عند صديقنا الكبير خليل بك فذلك لأنه سيلعب دوراً كبيراً في المستقبل.

الحدود التركية السورية حيث كان هؤلاء الأخيرون يتجولون ببعض السهولة.

ويقول الأب دي رودر (de Rudder) المسؤول عن البعثة الدومينيكانية في الجزيرة العليا:

«لقد جرى عمل سياسي ألماني كبير مع الكرد والبدو. وكان هؤلاء يعتقدون أن الحلفاء يمثلون المسيحي التابع لديانة يكرهونها، أما النازيون فيمثلون من لا دين له، وبالتالي، فهم حلفاء محتملون ضد المسيحي»[1]. كما أن النازية كانت تمثل في ذهن النخب الشرقية النجاح التام للقومية، فكانت بالتالي، مثالاً يحتذى.

ورغم أننا لم نجد أية وثيقة تؤكد توقيع اتفاق رسمي بين الكرد والألمان، فإن بعضاً من ممثلي الكرد والأرمن، حسب أجهزة المخابرات، ومنهم جلادت بدرخان وهراتش بابازيان، وضعوا أنفسهم في خدمة ألمانيا لإعداد انتفاضة كردية في تركيا عام 1942 [2]. كما اتصل الألمان بشريف باشا الذي كان في فرنسا آنذاك[3].

---

(1) *SAULCHOIR, Haute Djézireh, Dossier 8*. Lettre du P. de Rudder à Son Eminence Illme et Rme Monseigneur le Cardinal Tisserant, Secrètaire de la Sacrée Congrégation «Pro Ecclesia Orientali», Cité du Vatican, Rome. Derbessié, le 18 mars 1942, P. 1.

(2) *SHAT, 4H 387, Dossier* n° 3. Délégation Générale de la France Libre au Levant. Inspection des Services Spéciaux d'Alep, n° 406/S.P. Alep, le 1 er août 1942, P. 1.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. «Rapport sur la question Kurde». Etude faite par le Colonel Elphinstone des Bureaux d'Etude du Caire. Délégation Générale de la France Libre au Levant, n° 415. Beyrouth, le 9 septembre 1943, P. 8; Voir aussi la correspondance entre Chérif Pacha et Benito Mussolini publiée en partie dans GALLETTI Mirella, «Deux lettres de Chérif Pacha à Benito Mussolini», *Etudes Kurdes*, n° 2, 2000, P. 65-85.

إلّا أن الهزيمة الأولى، ذات المعنى، التي حلت بالجيش الهتلري[1] ودخول الولايات المتحدة في الحرب إلى جانب الحلفاء، وتوجه تركيا المنحاز لألمانيا، والدعاية البريطانية الموجهة إلى الزعماء الكرد، قد دفعت القوميين الكرد إلى قطع الصلات مع ألمانيا ومحاولة التصالح مع قوات فرنسا الحرة، من جهة، وإقامة اتصالات سرية، إلى حدّ ما، مع بريطانيا العظمى. غير أن الوجهاء الكرد لم يتكلموا بصوت واحد. ذلك أن مرابطة قوات الحلفاء في المشرق أدّت إلى هجمة مبادرات شخصية لعقد علاقات «مميّزة» مع عملاء بريطانيا، ومع سلطات الانتداب الفرنسي، كما سعى وجهاء آخرون ليعملوا في خدمة بريطانيا مثل أكرم جميل باشا وأبناء إبراهيم باشا[2].

وقد فرض الميل لبريطانيا نفسه في رابطة خويبون[3] بما في ذلك، على الأخوة بدرخان، الذين أثر فيهم بشدة بعض العملاء البريطانيين، مثل الكولونيل الفانستون، والنقيب اجكتون (Egecton)، اللذين سمّعا الكرد بأن حكومة لندن تنوي إقامة كيان كردي، مستقل ذاتياً، يضم أقساماً من تركيا وسوريا والعراق. لقد طرح هذه الفكرة بعض العملاء البريطانيين مدفوعين باعتبارين: من جهة، يمكن للكرد أن يكونوا حلفاء ثمينين في الشرق الأوسط في مواجهة تعاطف

---

(1) يلاحظ ضباط الأمن العام أن «الانتصارات المتلاحقة للروس على الألمان توطد الأمل في الانتصار النهائي للحلفاء. فبنظر الكرد والأرمن لم يعد الجندي الألماني لا يقهر ولا هتلر العبقرية الكلية القوة».

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1097. Direction Sûreté Générale aux Armées. Beyrouth, le 7 novembre 1942, P. 1.

(3) La Ligue Khoyboun lance début 1943 un appel à Churchill demandant à la Grande-Bretagne de libérer le peuple Kurde. *PRO, FO 371/34977/E3090/3090/65*. Appel de la Ligue Nationale Kurde Khoyboun à son Excellence Honorable M. Churchill, Président du Conseil des Ministres de Sa Majesté Britannique. Damas, le 12 mars 1943, P. 3.

القوميين العراقيين والترك مع ألمانيا، ومن جهة أخرى، فإن إقامة دولة كردية فاصلة تحت النفوذ البريطاني يمكنها وقف التقدم السوفياتي، الذي بدأ في شمال شرق إيران.

لكن في اللحظة التي بدت فيها المفاوضات أنها تكللت بالنجاح، حصل، حسب الفرنسيين، «انقلاب في الموقف وأبلغ الزعماء الكرد أن الحكومة البريطانية ترى حلّ القضية القومية الكردية في إقامة حكم ذاتي واسع في نطاق الدول القائمة»، وبدا، منذ نهاية عام 1943، «أن الإنكليز تخلوا عن فكرة أي تدخل لصالح المطالب القومية الكردية»[1].

وقد وضع الأخوة بدرخان، من جهتهم، المجلاّت الكردية في خدمة دعاية الحلفاء. وأخذت صفحات هاوار، وروناهي، وروژانو تعلن عن انتصارات الحلفاء، وتنقل خطب جنرالات القوات الغربية الحرة، وتنشر مقالات عن مختلف وجوه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الدول المنخرطة في الحرب ضد المحور. وكرست روژانو، بصورة خاصة، سلسلة مقالات عن الولايات المتحدة الأميركية، وبذلت جهداً تثقيفياً، في شرحها للقُراء الكرد، معنى الديموقراطية الليبيرالية المطبقة في هذه البلاد، وأيضاً في بريطانيا العظمى[2]. لكن يبدو أن الديموقراطية لم تثر كبير اهتمام لدى القوميين الكرد، الذين بدأوا يسمعون أصواتاً تأتي من مكان آخر.

مروجو أخبار الكومنترن الجدد

رغم أن نشاطات الحزب الشيوعي السوري، في الأحياء الكردية،

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. Direction Générale de la Farnce Libre au Levant, n° 3089. Beyrouth, le 13 juin 1942, P. 1-2.

(2) Voir les articles publiés dans les n° 10 (1943), n° 19-22 (1943).

مثلت حقيقة وواقعاً منذ نهاية عام 1930 [1]، فقد اشتدت الدعاية السوفياتية بوضوح منذ عام 1944. وصارت تتكرر، أكثر فأكثر، شعارات تشير إلى أن الاتحاد السوفياتي هو حامي الأقليات القومية المضطّهدة، وأنه سيحرر الكرد والأرمن[2]. وكان وراء هذه النشاطات جهاز مختص بقضايا الأقليات ملحق بالبعثة الدبلوماسية السوفياتية الموجودة في سوريا منذ أيلول/ سبتمبر 1944: مكتب الشؤون الكردية والأرمنية. وكان يدير هذا المكتب القنصل روبن أهارونوف واثنان من الأرمن السوفياتيين[3]. وازدادت أهمية هذا المكتب بعد إبلاغ مولوتوف، عام 1945، السفير التركي في موسكو بأن علاقات تركية سوفياتية جيدة، في إطار تجديد معاهدة الصداقة لعام 1925، تفترض أولاً تنازل تركيا لأرمينيا السوفياتية عن قارس (Kars) وأرداهان (Ardahan).

ويمكننا التأكيد، بصورة عامة، أن الأوساط القومية الكردية في سوريا ولبنان كانت بين عام 1944 وعام 1946، إما متعاطفة سلبياً مع السياسة السوفياتية إزاء الكرد، أو منفتحة على تعاون نشيط مع الاتحاد السوفياتي بقدر ما تتحول إلى حقيقة، الوعود بكردستان ذي استقلال ذاتي. ورغم الممانعة

---

(1) هكذا تشير السلطات المنتدبة إلى «العداء العميق» في حي الأكراد في دمشق، بين خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي، وعثمان صبري. فالأخير لا يكل عن الدعاية النشطية وسط شبان كرد ضد الكتلة الوطنية والشيوعيين، وقد نجح في إبعاد عدد هام من أبناء ملته عن الحزب الشيوعي ورابطة العمل الوطني....

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 825. Sûreté aux Armées. Beyrouth, le 10 juin 1944, P. 1; *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1135. Direction Générale de la France Combattante. Sûreté aux Armées, n° 757/D.B. Beyrouth, le 9 octobre 1944, P. 1.

(3) TER MINASSIAN Taline, *Colporteurs du Komintern. L'Union Soviétique et les minorités au Moyen-Orient*, Paris, Presses de Sciences PO, 1997, P. 291

الأولى من قبل الأخوين بدرخان نصيري الحل المتعدد الأطراف للقضية الكردية، فقد قبل في الواقع، هذان الرأسان البارزان للحركة الكردية في بلدي المشرق، بإقامة علاقات مع العملاء السوفياتيين[1]، ويمكننا أن نحصي في عداد الثمار التي جنتها الدعاية السوفياتية في الأوساط القومية الكردية، التالي:

أولاً، بدا الكرد متأثرين بالشعارات السوفياتية. ووفر ازدهار الثقافة القومية الكردية في أرمينيا السوفياتية، موضوعاً، عظيم الأهمية للدعاية الموجهة للأكراد في الخارج، لأن الاتحاد السوفياتي كان البلاد الأولى في العالم التي اعترفت بوجود قومية كردية[2]. واستتبعت هذه الدعاية التي بدأت عام 1920، بالوعود بتحرير كردستان مدعمة بمثال السياسة السوفياتية في مهاباد في كردستان الإيرانية[3]. ولم تخف النتائج المنتظرة، من هذه الدعاية، على الحلفاء الفرنسيين والبريطانيين:

> «لقد تمّ الاحتفال، في سوريا، بإعلان الاستقلال الذاتي الكردي في كافة الأوساط الكردية بأعياد وبحفلات استقبال لدى الزعماء في الجزيرة وحلب، واعزاز وكرد داغ، وفي الأحياء الكردية في دمشق.

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 802. Sûreté aux Armées, n° 850/D.B. Beyrouth, le 7 mai 1945, P. 4.

(2) A ce sujet voir RONDOT Pierre, «L'adoption des caractéres latins et le mouvement culturel chez les Kurdes de l'URSS», *Revue des Etudes Islamiques*, n° 1, 1935, P. 87-96; RONDOT Pierre, «Les Kurdes et l'action de l'URSS en Orient», *Documents sur l'Evolution du Monde Musulman*, n° 1, 1940, P. 25-27.

(3) Pour une lecture sur la création, l'évolution et les causes de la chute de la République kurde de Mahabad en Iran, voir EAGLETON William Jr., *République kurde de 1946*, Bruxelles, Complexe, 1991; KHOUBROUY-PAK M., *Une République éphémère su Kurdistan*, Paris, L'Harmattan, 2002; ROOSEVELT Archie Jr., «The Kurdish Republic of Mahabad», *Middle East Journal*, 1 (3), juillet 1947, P. 247-269.

وقد لوحظ أن قدري جميل باشا، المعروف بميوله الإنكليزية، اضطر أن ينظم، بالمناسبة، حفل استقبال في دارته»[1].

ثانياً، إن التعاطف مع الاتحاد السوفياتي قد اشتد في أوساط الكرد المنفيين إلى روسيا، بعد إلغاء الميثاق الألماني السوفياتي، وبعد أولى المعارك التي انتصر فيها الجيش الأحمر. وفضلاً عن ذلك، فإن الصحف التي يصدرها الأخوة بدرخان (هاوار، روزانو وروناهي) راحت ترسم صورة إيجابية عن الاتحاد السوفياتي وتنشر مقالات تتحدث عن كفاح «الكرد البطولي في الصفوف السوفياتية في الحرب العالمية الثانية»[2]، وعن إصدار جريدة كردية في أرمينيا السوفياتية، ريا تازة (*Reya Teze*)[3]، أو أيضاً عن فتح مدارس كردية في القفقاس[4]. ونشرت روزانو «شرعة الشعب الكردي» المنفتحة على مطالب آزادي، والحزب الشيوعي الكردي في العراق[5].

وقد تزايد بصورة عامة تعاطف القوميين الكرد في بلدي المشرق مع الاتحاد السوفياتي، بعد الصلات التي حصلت بين وفود كردية ثلاثة وممثلين سوفياتيين في دمشق وبيروت في بداية عام 1945 [6]. وأرسل الزعماء الكرد،

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 802. M. Stanislas Ostrorog, Ministre Plénipotentiaire en mission à Son Excellence M. Georges Bidault, Ministre des Affaires Etrangères. Cabinet Politique no 534. Beyrouth, le 15 avril 1946, P. 3.

(2) Voir *Roja Nû*, nº 56 (en français, 1945), nº 59 (en kurde, 1945).

(3) Voir *Hawar*, nº 31 (1941).

(4) Voir *Roja Nû*, nº 28 (1943).

(5) Voir *Roja Nû*, nº 60 (en français, 1945), nº 61 (en kurde, 1945).

(6) الوفد الذي استقبله سولود في دمشق كان مؤلفاً من جلادت بدرخان ومن نواب كرد (على الأرجح هم حسن حاجو، والأخوان شاهين). والوفد الكردي الثاني تم استقباله في بيروت، وكان مؤلفاً من الشاعر جكرخوين، ونور الدين زازا، وممدوح سليم، =

إلى م.سولود «السفير» السوفياتي، خلال ثلاثة أشهر، خمس رسائل موقعة باسم الرابطة الكردية، وارثة رابطة خويبون، تطالب بتوضيحات حول الوعود بتحرير كردستان، قبل الانخراط في إعداد انتفاضة كردية. وكانت نتيجة هذه الضغوط، صدور وثيقة سياسية تحمل توقيع مولوتوف، يتعهد بموجبها باسم الحكومة «بتقديم الدعم الدبلوماسي لكل حركة قومية كردية رامية إلى بعث الدولة القديمة المستقلة لكردستان[1]. إلاّ أن هذا الدعم كان مشروطاً، بقيام كرد تركيا بعمل عسكري، والحال، إن الرابطة الكردية لم تكن تمتلك تنظيماً سرياً في تركيا يستطيع القيام بحركة واسعة. وكانت الولايات الكردية في تركيا، خاضعة إلى رقابة مشددة جداً. ويبدو أن اللجنة الكردية الواعية لهذا الوضع، والمنقسمة بفعل النفوذ البريطاني، لم تعطِ جواباً واضحاً للبعثة السوفياتية بانتظار المزيد من التوضيحات من موسكو.

ثالثاً، كانت الدعاية الشيوعية قد بدأت تعطي ثمارها في الشمال السوري. من ذلك محاولة بعض الكرد، بتأثير من الشاعر الكردي الناشط جكرخوين، إنشاء جمعية محلية لأصدقاء الاتحاد السوفياتي عام 1945 [2]. وقد تم وأد هذا المحاولة من قبل الإنكليز. وفي عام 1946، قامت خلايا شيوعية في كرد داغ، وعرب بونار، والجزيرة.

وأخيراً، أثار الأداء السوفياتي في شمال إيران تقارباً بين مختلف

= وأثر ذلك زار الدكتور حافظ، وأكرم جميل باشا وجكرخوين، مرة ثانية، المفوضية السوفياتية في بيروت. وقدم هذا الوفد الأخير لسولود مذكرة برسم مؤتمر سان فرانسيسكو، وبعض الوثائق حول القضية الكردية...

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 802, Délégation Générale de France au Levant, nº 1766/D.B. Beyrouth, le 5 septembre 1954. P. 1-2.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 802. Beyrouth, le 7 mai 1945, *doc. cit.*, P. 4.

المنظمات الكردية الموجودة في إيران، والعراق، وسوريا. ورغم أن الصلات كانت قائمة سابقاً، بين الخويبون وهيفي[1] (Hevi)، فإن التعاون الكردي السوفياتي في مهاباد سرع الأحداث. ففي مهاباد صار التعبير بأشكال مختلفة (المسرح، وطبع عملة كردية ورقية)[2] عن الإرادة في توحيد جميع المناطق الكردية في يوم من الأيام. وعلى المستوى الرمزي اعتمدت جمهورية مهاباد خريطة كردستان الكبرى التي رسمها مثقفون كرد من بلدي المشرق، والراية الكردية (مع بعض التعديلات) التي خفقت فوق جبل أرارات (بين عام 1927 وعام 1931. وفي الوقت نفسه، سمحت الصلات مع مختلف المنظمات السياسية الكردية في العراق في تشكّل جبهة تضم بعض أعضاء من الحزب الشيوعي الكردي. ويقول وليم ايغلتون (Eagleton): إن الأعضاء الشيوعيين،في هذه الجبهة، رغم قلتهم، قاموا بصياغة نظرية سياسية، ودفعوا إلى الأمام بالحركة القوميّة مع توجه غامض موال للسوفياتيين، وعلى الأخص في العلاقات الخارجية[3]. وقد عزز مجيء مصطفى البرازي إلى مهاباد، وتعاونه مع الجمهورية، صورة لأمة كردية متحدة رغم الحدود.

وقد أحدث تخلي السوفياتيين عن وعودهم بشأن تحرير أرمينيا

---

(1) Voir la lettre écrite en avril 1944 par Refik Hilmi *(Hêvî)* à Kadri Djemil Pacha (Khoyboun) dans le but d'unir leurs efforts. CEMIL PACHA Kadri (Zinar Silopî), *Doza Kurdistan, op. cit.*, P. 159.

(2) قامت سلطات الكيان الكردي في مهاباد بإرسال بيانات للحزب الديموقراطي الكردي في إيران وسوريا وأوراق نقدية من ليرة، وخمسة قروش كردية، الأوراق الأولى مكتوب عليها بالكردية بأحرف لاتينية: ليرة كردية ومن الجانب الأخر «الجمهورية الكردية» أما ورقة الخمسة قروش فمكتوب عليها: «خذ ولا تخف» وصورة فارس شاهر سيفاً..:

(3) EAGLETION William Jr., *La République kurde de 1946, op. cit.*, P. 72.

وكردستان بعض خيبة أمل في الجانب الكردي. لكن العملاء السوفياتيين تمكنوا رغم ذلك، من التقرب من الأوساط الكردية في بلدي المشرق، وتحييدهم. فإن لم تنخرط هذه الأوساط بصورة كاملة في سياسة موسكو، فقد تحولت إلى مراكز اتصال للدعاية السوفياتية، كما أنها لم تسالم الدول الكبرى الغربية. وحسب قول تالين (Taline) وميناسيان، يمكن التأكيد أن الطابع المتعدد القوميات للاتحاد السوفياتي قد أسهم في سياسة التأثير في الكرد. إلّا أن شبكات الأقليات الكردية لم ينشئها الاتحاد السوفياتي. فهي كانت موجودة منذ سنوات العشرين مع نشوء رابطة خويبون في لبنان.

آمال ما بعد الحرب

إن المبادئ التي أعلنها الحلفاء في مختلف المؤتمرات، وسياسة الاتحاد السوفياتي العدائية من تركيا منذ عام 1945 قد أدت إلى تغذية متزايدة للآمال برؤية ولادة دولة كردية ذات استقلال ذاتي بعد الحرب العالمية الثانية. وشكّل ميثاق الأطلسي، أيضاً، وعداً بالحصول على استقلال ذاتي يشابه المبادئ الولسنية بعد الحرب العالمية الأولى. وفي عام 1941، تعهدت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، باحترام حق جميع الشعوب في اختيار شكل الحكومة التي يودون العيش في ظلّها، والحقوق السيادية وحكومة حرة للذين حرموا منها بالقوة. إن المبادئ والمُثل التي أعلنت في الميثاق هي، من حيث المبدأ، سارية في العالم بأسره. كان الزعماء الكرد من ذوي الأصول التركية في حالة شبيهة بحالتهم عام 1919. فهم يعيشون بعيداً عن داخل كردستان التركية ولا يمتلكون ذراعاً مسلحاً خاضعاً لهم في تركيا. وكانت حرية عملهم مرتهنة في بلدي المشرق لإرادة فرنسا وبريطانيا العظمى. لذلك كان على هذه الأوساط الاكتفاء بمركز دعاية للتعريف بـ «القضية الكردية» ولتقديم مطالبهم

السياسية إلى الدول الكبرى، مستعيدين، بمعنى ما، المهمة التي قامت بها خويبون خلال انتفاضة أرارات.

كان وراء النشاط الدبلوماسي للقوميين الكرد في دولتي المشرق محركان يكمل واحدهما الآخر. كان، من جهة، كاميران بدرخان الذي نصّب نفسه سفيراً للكرد كي يتمكن من القيام بمبادرات فردية إزاء الدولة المنتدبة. وقد كتب، بهذه الصفة، وثائق ذات بعض الأهمية، سنكشف عن مثلين منها. فقد قدم عام 1942 مذكرة عن القضية الكردية للجنرال ديغول وللكولونيل الفانستون. كان النص الأول الموجه لممثلي الحلفاء في بلدي المشرق الذي يعرض أبعاد القضية الكردية[1]. وكاميران هو، إلى ذلك، منشئ خريطة كردستان الكبير (1946) المرفقة بلمحة وبملاحظات عن إنشائها.

من جهة أخرى، كانت خويبون، أولاً، ثم الرابطة الكردية، وراء رسائل عديدة، ومدونات، وبعض مذكرات موجهة للدول الكبرى وللأمم المتحدة. وقد حظيت باهتمام فاق، بفضل الظروف الخاصة بالحرب العالمية الثانية، ما كان متوقعاً نظراً للتأثير الزهيد للزعماء الكرد في بلدي المشرق في الأحداث الجارية في إيران والعراق[2]. إن جهود كاميران بدرخان تلتقي في وجوه عديدة مع جهود الرابطة الكردية في التوجه إلى الدول الكبرى. وليس في الأمر ما

---

(1) Voir le mémorandum dans l'appendice du rapport «Les Kurdes». *SHAT, 4H 319, Dossier* n° 3. «Les Kurdes». Le Directeur de la Sûreté Générale aux Armées, Inspecteur général des Polices, à M. le chef de Service de presse et de la Propagande de la France Combattante au Levant, n° 465/C.E/R. Beyrouth, le 19 janvier 1943, P. 1-8.

(2) WESTERMANN William Linn, «Kurdish Independence and Russian Expansion», *Foreign Affairs*, 24 (1/4), 1945-1946, P. 686.

يدعو إلى الاستغراب لأن قادة الرابطة الكردية قد اشتركوا سابقاً بنشاطات رابطة خويبون. فمنظمة خويبون التي وجدت سابقاً، أتاحت للرابطة الكردية العمل في الساحة الدبلوماسية بفضل ما هيأته من «شبكات تواصل كانت لا تزال قائمة، وإمكانيات معبأة جزئياً، ووجود شخصيات تمتلك كفاءات قيادية، وتقاليد تعاون بين أعضاء الهيئات المحلية»[1] فضلًا عن أن الهدف الأساسي لهذين القطبين في النشاط الدبلوماسي كان التعريف بـ «القضية الكردية» وتقديم المطالب السياسية عن طريق المذكرات[2]، والرسائل، والخرائط الجغرافية[3].

ولم يكن كاميران بدرخان ولا الرابطة الكردية في وارد إزعاج السلطات السورية، متحاشياً أية مطالب في أرض الجزيرة العليا. على العكس من ذلك، ومع الرغبة الواضحة بتحييد فرنسا وبريطانيا والقوميين العرب السوريين على حد سواء، نوه القوميون الكرد «بالامتيازات» التي يتمتع بها الأكراد في

---

(1) OBERSHALL Anthony, *Social Conflicts and Social Movement*, Englewod Cliffs, Prentice Hall, 1973, P. 124.

(2) Voir la liste complète dans RONDOT Pierre, «Les revendications nationales Kurdes», *En Terre d'Islam*, 2e semestre, 1946; *CHEAM, RONDOT Pierre*, «Les revendications nationale kurdes», n° 300.081, 1949; BEDIR KHAN Kamuran, *La question kurde*, Paris, s.d.

(3) التشابه بين الأراضي المطلوبة للدولة الكردية وبين الخرائط المقدمة من الرابطة الكردية عام 1945 أثناء مؤتمر سان فرانسيسكو وتلك المقدمة من كاميران بدرخان 1946، يقودنا إلى الاعتقاد بأن الأخير هو واضع الخريطتين. ولا يستبعد أن يكون كاتب المذكرة أيضاً. لإلقاء نظرة على خريطة كردستان الكبير المقدمة من الرابطة انظر...
Pro, Fo, 371/52369.

سوريا[1]. فكان بالتالي هناك استعداد للتضحية بالجُزيْرات الكردية في الشمال السوري من أجل قيام كيان كردي ذي استقلال ذاتي في تركيا.

المطالب الكردية

في حين كانت منشورات رابطة خويبون تطالب بعون «الأمم المتحضرة» لحماية الكرد من أمة «همجية»، «وضيعة»، هي تركيا، صار على كاميران بدرخان والرابطة الكردية احترام الأطر التي وضعتها المؤسسات الدولية الجديدة التي ولدت في أعقاب الحرب العالمية الثانية. إن المثال عن تطبّع الخطاب القومي الكردي باللغة الدولية هو المذكرة الموجهة إلى لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة عام 1957:

> «بعد أن حمل الأداء السياسي الدولي الحكومة البريطانية والحكومة الأميركية على إعطاء دعم معنوي ومساعدة مادية للحكومة الفارسية والحكومة العراقية، فسّرت الدولتان تفسيراً خاطئاً هذا الدعم واعتبرتا نفسيهما حرتين في التعامل مع العنصر الكردي بصورة تتعارض مع حقوق الإنسان ومبادئ حكم الشعوب المتمدنة. [...] إن الأمر يتجاوز حدود السياسة ويطرح نفسه على الضمير العالمي بصفته قضية إنسانية في الأساس[2]. [...]».

وفي وقت ظلّت فيه هجمات الزعماء الكرد الأساسية تنصبّ على تركيا

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. «De la question kurde». M. Stanislas Ostrorog, Ministre Plénipotentiaire, Délégué Général de France au Levant à Son Excellence M. Georges Bidault, Ministre des Affaires Etrangères. Cabinet Politique, n° 1497. Beyrouth, le 10 décembre 1945, P. 8.

(2) BEDIR KHAN Kamuran, Note adressée au Président de la Commission des Droits de l'Homme des Nations Unies, le 30 juillet 1947. Reproduite dans le *Bulletin du Centre d'Etudes Kurdes*, n° 6, Paris, 1949, P. 31-32.

لم ينسَ كاميران بدرخان ولا الرابطة الكردية التذكير بوضع المناطق الكردية الأخرى وتقديم مطالب سياسية باسم كل الشعب الكردي: كردستان موحّد، حر، مستقل. إن هذه الوحدة، المرتجاة أكثر مما هي واقعية، تمّ الإعلان عنها في باريس عام 1948، عندما ذهب وفد مؤلف من كرد تركيا، وإيران، والعراق وقدم إلى منظمة الأمم المتحدة مذكرة بمطالب مشتركة[1] ورغم أن القوميين الكرد يتجنبون مسألة معرفة كيفية توحيد مناطق لم تكن تشكل يوماً وحدة سياسية، وسكانها الكرد شديدو التنافر (دينياً ولغوياً، وقبلياً)، وقد ظهرت بعض المقالات التي تشير، بسطحية شديدة، إلى أن نموذج الاتحاد السويسري هو أفضل النماذج في الحالة الكردية[2]. لكن هل يجوز الاعتقاد بأن هذا المطلب، كمطلب، غير قابل للتغيير؟.

يبدو أن الطموح إلى إقامة «كردستان موحَّد، حر، ومستقل» هو مطلب نهائي. وهو يتوجه، من جديد، إلى الدول الكبرى ليظهر لها اتساع القضية الكردية. وهو يبين المصلحة الجيوستراتيجية والاقتصادية من إدخال أراضٍ غنية بالنفط والمعادن في كردستان الكبير إلى المنطقة:

> «إن كردستان [...] مدعو بالتأكيد في المستقبل إلى لعب دور هام في الشرق الأوسط، وينبغي أن يسمح له، نظراً لموقعه الستراتيجي المتميز بين الغرب والشرق، بأن يصبح مستقلاً ذاتياً، وقوة سياسية مستقلة، فيما بعد، عوضاً عن جعله مفترقاً لمصالح متنازعة كما هو الحال الآن»[3].

---

(1) RONDOT Pierre, «Oú en est la question kurde?», *L'Afrique et l'Asie*, nº 2, 1949, P. 52.

(2) BEDIR KHAN Djeladet, «Peynama swîçriyan» («Le pacte des Suisses»), *Ronahî* nº 20, 1943, P. 387.

(3) BEDIR KHAN kamuran, *Mémorandum sur la Question kurde*, présenté aux Grandes Puissances, le 30 août 1943 (textes en français et anglais), *doc. cit.*, P. 12.

ويرى الزعماء الكرد أن الحل الوحيد لضمان الاستقرار في المنطقة هو في إقامة استقلال ذاتي كردي.

«هل يمكن ضمان الحقوق القومية الكردية، دون تغيير التركيب السياسي للشرق الأوسط؟ لضمان هذه الحقوق يلزم إقامة رقابة دقيقة للدول الكبرى الحليفة، في كل من هذه البلدان، ما يجعل استقلالها مجرد وهم».

إن الرابطة الكردية ترى من «واجبها» إعلان قيام كردستان موحّد، حر، مستقل، نظراً لما يتبين من استحالة إدماج الكرد، ولأن إلحاق كردستان بإحدى دول الشرق الأوسط يجعل هذه الدولة بأكثرية كردية[1].

لكن المطالبة بكردستان الكبير هي، أيضاً، قاعدة لمفاوضات ممكنة من أجل كيان ذي استقلال ذاتي، وهي لا تعبر بأية صورة من الصور، عن مبدأ غير قابل للتغيير. وإن التذكير، في الواقع، بمعاهدة سيفر عندما وافقت الدول الكبرى الغربية على قيام كردستان ذي حكم ذاتي على الأراضي التركية حصراً وفي المنطقة الواقعة بين ديار بكر وهكاري، إن التذكير بذلك يعني قبول الكرد المضمر، بأراضٍ مماثلة، أي استقلال ذاتي محلي في كل دولة ينتشر الكرد فيها[2].

لم يجد الكرد أية دولة قادرة على إسماع المطالب القومية الكردية في الجمعية العامة للأمم المتحدة، في ظروف التوتر المتعاظم بين الحلفاء. وقد حاول الزعماء الكرد الطلب، عبثاً، بأن يقبل مؤتمر سان فرنسيسكو مبدأ

---

(1) *PRO, FO 371/45503*. LIGUE KURDE, Mémorandum sur le Kurdistan et annexes, doc. cit., 1945, P. 2-3.

(2) *PRO, FO 371/45503*. Lettre jointe au Mémorandum, Présenté par la Ligue kurde aux Présidents des Délégations à la Conférence de San Francisco. Beyrouth, le 30 mars 1945, P. 1.

إعطاء الشعوب، التي لم تنل استقلالها بعد، الحق في التعبير عن مطالبها في المؤتمرات الدولية. فالأمم المتحدة التي أقر ميثاقها مبدأ المساواة في الحقوق للشعوب وحقها بأن تقرر مصيرها، رفضت أن تعطي هذه الحقوق لـ«السكان» في الأراضي غير المستقلة ذاتياً، أو التي ليست تحت الوصاية. بهذا المعنى، وكما يلاحظ حميد بوزارسلان (Bozarslan) يمثل القوميون الكرد طرازاً جديداً من القومية «يطالبون بالحق في الاستقلال ليس من امبراطورية أو دولة استعمارية، بل من دول بالذات استقلت عن الاستعمار أو قامت نتيجة حرب من أجل الاستقلال»[1].

لقد ظل الكرد، طوال عقود أربعة، «المنسيين» في مداولات الأمم المتحدة، لأنه لم يكن عندهم من تبناهم من أعضاء منظمة الأمم المتحدة، وظلوا على هامش قراءة الدول الكبرى للقانون الدولي.

(1) BOZARSLAN Hamit, *La question kurde. Etats et minorités au Moyen-Orient, op. cit.*, P. 16.

الفصل الرابع

النظرية القومية لرابطة خويبون

ليست نظرية رابطة خويبون أيديولوجيا مستقلة مثل سائر الأيديولوجيات القومية.

بل كانت تصاغ على أساس معارضة الأعداء الخارجيين، وخاصة تركيا الكمالية[1]، وهي، إذن، انعكاس مرآة. وقد مرت صياغتها، بتأثير تجارب العصر العثماني، وباتصالها بالأيديولوجيات والتيارات الثقافية في زمنها.

والنظرية الكردية عقلانية إلّا أنها ليست بالضرورة مرنة. فالستراتيجيات لا تعكس دوماً خياراً واعياً ومدروساً، إلى ذلك فإن تعريفات الكردية تلعب أكثر من دور ستراتيجي عادي في العلاقات بين القوى، فهي تتكون في العمل، وبالتالي فإن صياغة النظرة الكردية ليست فكرة مجردة، بل هي خطاب سياسي وأداة للتعبئة.

إن صياغة نظرية دولة لا تعني، مع ذلك، غياب الهوامش. وقد أظهر الزعماء الكرد، في الواقع، مرّات عديدة، الرغبة في التفاوض على عقد توافقي

---

(1) هذا التلون ينعكس على الشعارات التي يستخدمها المثقفون الكرد، مثلاً، أخذ كاميران بدرخان الشعار التركي «الوطن أولاً» وكرده في ستير ملحق روژانو.

مع المركز، وبالتالي، فإن صياغة جزء من دعاية خويبون باللغة التركية، يدل على أن زعماءها يحاولون إقناع العدو بمشروعية المطالب الكردية، وجعلها مقبولة في حال قيام مفاوضات بين خويبون والحكومة التركية. وعلى هذا لم تنفِ النخبة الكردية إمكانية الاكتفاء باستقلال ذاتي داخل تركيا، كما افترضته الرسالة المفتوحة التي وجهها جلادت بدرخان إلى رئيس الجمهورية التركية مصطفى كمال. فقد اقترح جلادت بدرخان على مصطفى كمال الآتي: إن أرادت الحكومة التركية فعلاً، حل القضية الكردية فما عليها إلّا الإقرار رسمياً بأن كردستان موجودة، وإن الكرد في تركيا يشكلون شعباً له خصوصيته[1].

وقال كاميران بدرخان كلاماً مماثلاً في لقاء مع القنصل التركي في بيروت. وحسب كاميران، فإن التدابير التي لا يمكن إلّا أن تؤدي إلى «التهدئة المرجوة عند الكرد، هي بالدرجة الأولى «ضمان الحرية اللغوية والمدرسية الواسعة جداً للسكان الناطقين بالكردية». وإذْ بدا ارتياح عند القنصل التركي لاعتقاده بأن المطالب الكردية توقفت عن المطالبة بالاستقلال، وتكتفي بإعطاء الكرد نظاماً ما في إطار الدولة التركية، مضى كاميران قائلاً: «إن الأمور لم تكن أبداً غير ذلك». فالتطرف في بعض المطالب الكردية «لم يكن إلّا التعبير عن يأس شعب دفع إلى الحد الأقصى بفعل الاستبداد والجور التركيين»[2].

هذه النقطة الأخيرة تضيف عنصراً أساسياً لفهم عنف الاحتجاج الكردي في السنين الفاصلة بين عام 1920 وعام 1940. فإلى جانب العنف «الخارج عن

(1) BEDIR KHAN Djeladet, *Gazi Mustafa Kemal Pasha Hazretlerine Açik MektuP.* Edité par Nuri Dersimi, s.l., 1973, P. 61.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Information n° 77. Beyrouth, le 8 décembre 1932, P. 2-4.

المعقول، عفوياً كان أم مقصوداً[1]، الذي واجه قهر الدولة، عبرت الانتفاضة الكردية ضد تركيا الكمالية أيضاً، عن إرادة لتغيير العلاقات الجديدة بين الكرد والحكومة، على اعتبارها غير عادلة، وغير شرعية»، فضلاً عن أن العنف الكردي في سنوات 1920-1930، يمكن النظر إليه كستراتيجية عاقلة مرفقة بحساب للمكاسب والمخاطر التي يحملها.

1 ـ «صناعة» الشهداء الأول للقومية الكردية

إن عنف النظام الكمالي إزاء الذين هم ـ مثل الكرد ـ رفضوا المعايير التي حددتها رسمياً «الأمة» التركية، ولّد «لغة ورمزية للاحتجاج حاملتين للعنف»[2]. كان جواب الكرد، رداً على رفض الكردية في تركيا، خطاباً قومياً لا يقل تطرفاً، يرفض الدولة التركية بوصفها «أجنبية»، و«عدوة». ويعلن حرباً لا هوادة فيها، مستبعداً، في المبدأ، كل إمكانية عقد جديد محتمل مع مركز السلطة: «إننا نكرر: النضال سيكون صعباً، ودموياً، لكنه لن ينتهي إلّا مع آخر خرطوشة، وآخر كردي»[3]. ومن حينه، دعت خويبون إلى الاستعداد لحمل السلاح دفاعاً عن الأمة عندما ترى النخبة الكردية، مالكة «الحقيقة» ذلك ضرورياً: «فهؤلاء الزعماء الطيبون الذين يعرفون ما يطالبون به ويصرون على

(1) WIEVIORKA Michel, «Un nouveau paradigme de la violence?», in: *Un nouveau paradigme de la violence*?, Michel Wieviorka (dir.), Cultures et Conflits, Paris, L'Harmattan, 1997, P. 19.

(2) BOZARSLAN Hami, «De l'antagonisme à l'intégration: les Kurdes en Turquie», in: *La différence culturelle. Une reformulation des débats*, Michel Wieviorka & Jocelyne Ohana (dir.), Paris, Editions Balland, 2001, P. 349.

(3) HOYBOUN, *Les massacres Kurdes en Turquie*, Le Caire, 1928, P. 41.

الحصول عليه، كانوا على قناعة، رغم سكب الدموع على شهداء أمتهم، بأن الحقيقة القائمة على الأرض تتقدم ولا يمكن لأحد وقفها»[1].

فضلاً عن أنه يمكن تفسير لغة ورمزية الاعتراض، أيضاً، ستراتيجية المثقفين الكرد الرامية إلى استخدام العنف في سبيل خلق هوية تعاني الرفض؛ وكان زعماء خويبون يأملون، وهم واعون بأن المقاومة المسلحة تستجر مذابح جديدة، وبأن تضحيات الكرد الحقيقية تصنع، من مجتمعهم المتخيل، «الأمة الكردية»، مجتمعاً قائماً فعلاً، لدرجة أن الـ«نحن» (المجتمع الكردي)، كمجتمع قائم يمكنه أن يتجسد، حتى بالهزيمة[2]، وقد كتب م. همفري:

> «إن ذاكرة المذابح تخلق التاريخ والهوية، والمنطلق لأعمال التعبئة المقبلة [...] فالمعنى السياسي للمذبحة، بوصفها عملاً جماعياً، يتيح تحديد النزاعات بتعابير مجتمعية، وينفي اعتراضات أخرى معاكسة»[3].

كما أن المذابح وأعمال القمع عموماً، تؤدي إلى الحفاظ على مشاعر انعدام الثقة والثأر من الآخر، العدو:

> «أيها الكرد! إنكم هدف لمذبحة جديدة. تذكروا مئات القُرى المحروقة، وألوف الكرد القتلى، والعدد الكبير من الفتيات والنساء المغتصبات. حبوا بعضكم بعضاً، وتنبهوا إلى الفظائع الجديدة التي ستعانون منها»[4].

---

(1) AZIZAN Herekol, *De la question kurde. La loi de déprotation et de dispersion des Kurdes*, Damas, 1934, P. 39-40.

(2) BIELEFIELD Ulrich, «Ethnicité et violence», in: *La différence culturelle, op. cit.*, P. 294-297.

(3) Cité par Hamit Bozarslan dans *La question kurde. Etats et minorités au Moyen-Orient, op. cit.*, P. 114.

(4) *PRO, AIR 23/416*. Cachet du comité Khoyboun n° 18. Special Service Officer, I/M/42/B. Mossoul, le 26 février 1930.

كان زعماء خويبون يأملون، بهذه الطريقة، أن الكرد سيلحقون حين يحين الوقت في مواجهة التهديدات الخارجية «التركية» بالكفاح المسلح لـ«تحرير كردستان» وكان على نخبة خويبون الساعية إلى الحصول على شرعية في صفوف الكرد، أن تصنع بأي طريقة أبطالاً عن طريق «استعادة التاريخ»[1] من أجل أن يتم التجاوب مع دعوتها إلى المقاومة، وبالتالي لم يكن ظهور أوائل الأبطال والشهداء في آخر العشرينيات مجرد صدفة. وكمايقول جان بيير ألبير:

يتدخل الأبطال عادة في الأوضاع الصعبة، حيث تكون أمة (الكردية في هذا السياق) في مواجهة أخرى (التركية). كما أن بطلاً قومياً، هو في الغالب «بطل ضد» وذكره يتم فقط لتعيين «عدو تاريخي»[2].

وقد عادت خويبون بالمقاومة «القومية» الكردية إلى نضال الأمراء الكرد، في القرن التاسع عشر، ضد مشاريع المركزية التي باشرها الباب العالي. وأتاحت انتفاضة الشيخ سعيد إقامة رابطة بين اعتراض الكرد في الزمن العثماني وزمن الجمهورية. ويستند البناء النخبوي، إذن، للمثال الكردي، إلى الأعمال العسكرية للآباء المؤسسين للقومية الكردية.

وتتحول هذه الشخصيات الرمزية إلى شهود وأمثلة لباقي المجتمع. لكنها نماذج خاسرة، قائمة على فكرة استحالة الفصل بين ثنائية البطل/ الضحية التي تعبّر عن رؤية المغلوبين، أي رؤية الذين هم مثل الكرد، عاشوا «قروناً من الاضطهاد والظلم»، ويرون أنفسهم «مغدوري التاريخ».

---

(1) GIORDANO Christian, «Gérer l'exemplarité: les saints, les héros et les victimes», in: *Saints, sainteté et martyre. La fabrication de l'exemplarité*, Pierre Centlivres (dir.), Editions de l'Institut d'ethnologie, Neuchâtel & Editions de la Maison des sciencers de l'homme, Paris, 2001, P. 124.

(2) ALBERT Jean-Pierre, «Du martyr à la star», in: *La fabrique des héros*, Pierre Centlivres & Daniel Fabrte & Françoise Zonabend (dir.), Paris, Editions de la Maison des sciences de l'homme, 1998, P. 16.

وعندما أنجزت الـ KTC، من خلال مجلة زين صنع الأساطير المؤسسة للقومية الكردية، وبعض الأبطال الأسطوريين كالحداد كاوا (Kawa)، هيأت انتفاضة الشيخ سعيد وما تبعها من قمع (إعدام أبطالها على الأخص) لمثقفي خويبون إمكانية خلق أبطال وشهداء قوميين من أشخاص وجدوا فعلاً.

مثال الشيخ سعيد

البطل الأول الحقيقي في قائمة الشهداء الكرد في تركيا هو الشيخ سعيد (1865-1925) فمصيره المأساوي تحول مثلاً معيارياً. فقد كان المجتمع الكردي في وضع صعب عند إعلان الجمهورية التركية. وكانت التدابير التي تم اتخاذها بحق الهوية والسكان الكرد قد جعلت الزعماء الكرد الذين كان ينتظر منهم ردة فعل منقذة، (نخبة اسطنبول) في حالة عجز تام. حينها انتفض شخص ليس في الحسبان (الشيخ سعيد)، وحاول تحرير الشعب الكردي من العبودية.

كان الشيخ سعيد، في الستين من عمره، عند اندلاع الانتفاضة، وكان شخصاً جليلاً، تقياً، وقريباً من «القديسين»، تخلى عن حياته الهادئة والهانئة لينتفض ضد السلطة. وقد فشل فعلاً، لكن عمله كان في اتجاه التاريخ: النضال من أجل استقلال كردستان. وأهم من ذلك إعدام النظام الكمالي الشيخ سعيد بسبب أفكاره. فالموت في سبيل قضية قومية، عند خويبون، هو التعبير القاطع عن أن هذه القضية كانت أغلى شيء عند الشيخ سعيد، وأنها، في النهاية وبذاتها، وبكل الذين يؤيدونها، تتمتع بعظيم الأهمية.

ثم إن الشيخ سعيد قد بذل نفسه من أجل الشعب الكردي. وهذا التعبير عن التضحية يحمل معاني كثيرة لأن وجود «ضحية حقيقية» يسهم في بناء

المجتمع الخيالي والمتخيل من قِبل المستفيدين المحتملين من هذه التضحية. والتضحية هي، في واقع الأمر، الآلية المركزية التي تضمن تحديد هوية الأمة وأبطالها. الشهيد هو ميت «يخصنا»، وتستمر ذكراه عند الذين يعيشون القضية، أو الذين ينتمون إلى المجتمع الذي أعطى حياته من أجله. فضلاً عن أن الشهيد، في معنى تأكيد الهوية، قادر أن يغذي روح الانتماء الجماعي، أو على الأقل، أن يتحول إلى «مدرسة تضامن» ساعة يصبح الشهيد مثال البذل في سبيل المجتمع. وأخيراً، إن الاعتراف بأن الشهيد «يخصنا» هو، في الوقت ذاته «تحديد المسافة التي تفصلنا عن قتلته، الأعداء الذين يمكن دائماً، إن دعت الحاجة، أن نتعرف إلى ذريتهم»[1].

لكن بماذا الشيخ سعيد هو مثال؟ إن كان قصد خويبون التعبئة، لا بدَّ، إذن، من صنع أو إعادة تشكيل هذا المثال، بالتشديد على رفع شأن شخص الشهيد. فالشهيد يجب أن يبدو نموذجاً مميزاً عن مجتمعه (الكردي) الذي ينتمي إليه، وينبغي أن تكون القضية التي استشهد في سبيلها واضحة (استقلال كردستان)، ولو كان في ذلك بعض التحوير. ومثال الأبطال يرتبط، من جانب آخر، بواقع أن هذا المثال يعكس قيماً لا تزال حاضرة (الإرادة في الاستقلال، والشجاعة، والشرف) بصفتها من المكوّنات الأساسية للمجتمع (الكردي)، الذي يتكرم بتكريم «كبار موتاه». ويفسر ذلك واقع أن تقديس الأبطال القوميين، يجمع ما لا يجمع، العمل البطولي مع الهشاشة المفترضة للتدابير التي سمحت بذلك. وينبغي، حالاً، على كل كردي أن يعتبر نفسه بطلاً محتملاً:

«أيها المواطن العزيز، أنت أيضاً، عضو ثمين في الأمة الكردية.
ومسؤوليتك خطيرة إزاء التاريخ، والأجيال، والدين. لنسرع إلى

(1) ALBERT Jean-Pierre, «Sens et enjeux du martyre: de la religion à la politique», in: *Saints, sainteté et martyre. La fabrication de l'exemplarité, op. cit.*, P. 20.

السلاح، في هذه الظروف، يا إخوتنا الأعزاء. ولنؤكد للعالم باسره أننا الأبناء الشجعان لآبائنا البواسل. لنمت ونميت بشرف»[1].

يفترض القبول بالشهيد، انتماء لا يتزحزح لقضية أو لشخص، وبهذا المعنى، يكفي استحضار بطل قومي شهيد، لجعل الأمة حالة مطلقة مثل الشريعة الإلهية، لتبرير «الموت في سبيلها». إلّا أن الأوساط التقليدية من (الشيوخ، وزعماء القبائل) في كردستان، التي شكلت الذراع المسلحة للاحتجاج الكردي في العشرينيات والأربعينيات ما كانوا يكترثون كثيراً بدعوة النخبة المتحضرة إلى التضحية من أجل الأمة. فلم تتردد خويبون عن استخدام وسائل عديدة للتعبئة بما فيها الدين من أجل حشد القبائل والطرق، بالدعوة إلى الانتفاض على نظام يهدد «ديننا وشرف الأمة الكردية»:

«ألم يقل اللّه، ينبوع فخرنا، في قرآنه: سيروا إلى الحق وتجدوني معكم. إننا، إذن، لا نخاف من بذل دمنا دفاعاً عن الدين، والوطن، والحق في الحفاظ على شرفنا، لثقتنا الثابتة بأن الله معنا»[2].

فضلاً عن ذلك، كان المثقفون الكرد يستخدمون التعابير الدينية للدلالة على الثوار الكرد، وخلق وحدة بين الدفاع عن الأمة الكردية والدفاع عن الإسلام. وبالتالي فإن المجاهد، الذي هو في الأصل، المقاتل من أجل الإسلام، تقمصه المقاتل الكردي من أجل الحرية[3].

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Cachet du comité Khoyboun daté du 16 juin 1932. Services civils du déligué, n° 1982. Alep, le 23 mai 1933, P. 2.

(2) *Ibid.*

(3) *PRO, AIR 23/414.* Proclame de la Ligue Khoyboun. Sernivek, hejmar 25, 1er septembre 1928.

2ـ الماضي في نجدة الأيديولوجيا

تشكل الذاكرة، والتاريخ، والهوية وحدة متماسكة. لا توجد هوية دون ذاكرة، والعكس صحيح. إنها الرغبة، هي التي تقودنا إلى رؤية هويتنا فيما كنا، والتي تتيح لنا، بعد ذلك، إنماء ذاكرتنا. لكن الذاكرة والتاريخ ليسا الماضي. فالماضي هو «أرض ممتنعة». إنه كل ما كان في لحظة، ما، ولم يعد موجوداً. والذاكرة متعددة حسب قول موريس هلبواش (Halbwachs)، لأنه توجد ذكريات فردية وجمعية بقدر ما يوجد أفراد وجماعات، وتتعلق كل ذاكرة بما يعتبر كل منهم ما يستحق أن يكون محفوظاً من ذكرى[1]. وأخيراً فإن الحاضر هو الذي يصنع الذاكرة، لأن فيه نحفظ جزءاً من الماضي ونعيد صنع جزء آخر، نعيد خلق جزء ونحفظ آخر، نعيد خلق، أو ننسىَ مشهداً، وكل ذلك بارتباط شديد بالأوضاع النفسية والاجتماعية الخاصة بكل إنسان موجود»[2].

يمكننا أن نتصور، بالعلاقة مع القوى الرمزية والاجتماعية القادرة على الاحتشاد لإعطاء معنى للماضي، ذاكرة تتسلح بخصائص تاريخية ذات «رسالة شاملة»[3]، وهكذا تطمح نخب الدول إلى توحيد الفضاء الدولتي في الزمن ومعه من أجل تعزيز شعور الانتماء الوطني لدى المواطنين. في مواجهة إرادة السيطرة هذه، تستخدم الأقليات الهوية كمفهوم، كجنس، وكإطار

---

(1) HALBWACHS Maurice, *Les cadres sociaux de la mémoire*, Paris, P.U.F, 1952, P. 140-145.

(2) RUIZ TORRES Pedro, «Les usages politiques de l'histoire en Espagne. Formes, limites et contradictions», in: *Les usages politiques du passé*, François Hartog & Kacques Revel (dir.), Paris, EHESS, 2001, P. 134-135.

(3) SUAUD Charles, «La force symbolique de l'Etat. La production politique d'une culture réfractaire en Vendée», *Actes de la recherche en sciences sociales*, nº 116-117, mars 1997, P. 18-20.

لإطلاق التفاوض، ذلك أن الغموض الذي يحيط بمفهوم الهوية الجماعية يترك «هوامش».

يمكن للأشكال والأهداف المباشرة للتعبئة، بحشد مختلف التراكمات التذكارية، أن تتغير، وتلتحق، وتتداخل، من أجل الدفاع عن الإمارات الكردية أحياناً، ومن أجل إقامة دولة كردية، أحياناً، ومن أجل تأكيد هوية ثقافية أحياناً أخرى. وفي كل مرة كان الكفاح الخاص يمثل، في الاعتقاد بالتواصل الكامل، القضية بكاملها، كما تمّ تكوينها منذ عام 1919. إن قوة نظام رمزي، كهذا، تكمن في القدرة «على تنشيطه بصورة دائمة لدعم المصالح المباشرة المختلفة موضوعياً»، تلبية لـ «حاجات القضية»[1].

إن على المثقفين أن يوفروا لجماعتهم ما يصفه أنطوني سمث (Smith) بالمأساة التاريخية. وعلى هذه المأساة تحديد الهوية أو الوحدة الموجودة في النص وتحويلها باتجاه هدف متخيّل. يجب أن تقدم، من جهة، تاريخاً وفكراً ماورائياً عن المجتمع، يضعه في الزمن والفضاء مع المجتمعات الأخرى في العالم. ويجب من جهة أخرى، أن تولّد منظومة أخلاقية، ومشروعاً للمستقبل. و«تاريخ الهويات»، حسب سميث يفرض البحث في الماضي، للكشف عن ماضٍ مجيدٍ وعصر ذهبي عامر بالأبطال من أجل تأكيد الوعد ببعث المجتمع وكرامته[2].

لقد تحول المثقفون القوميون إلى علم التاريخ، بنوع خاص، ليس فقط كعمل في «كتابة التاريخ»، بل لمجمل الكلام والنشاط الموجه للتذكير بالماضي وشرحه من أجل الإضاءة، وإعطاء معنى للحاضر والمستقبل، مع

---

(1) *Ibid.*, P. 11.

(2) SMITH Anthony D., *The Ethnic Origins of Nations*, Oxford, Basil Blackwell, 1986, P. 182; SMITH Anthony D., *National Identity*, Las Begas & Londres, University of Nevada Press, 1991, P. 161.

بعض المعلومات الخاطئة عن الأحداث، وحتى الكلام عن بعض المحرمات، والسكوت عن معلومات أخرى في التاريخ القومي[1]. بهذا المعنى يبرز علم التاريخ كأداة لإنتاج «الحقيقي» ويمكنه أيضاً أن يصبح عامل تعبئة سياسية، فيلعب بوضوح وظيفة اجتماعية.

إن المثقفين الكرد المجتمعين حول KTC القليلي العدد والفقراء بالوثائق، كرسوا نشاطهم لاختلاق مُثل قومية من خلال شعارات، وأساطير، وقصائد فكان خلق عناصر تأسيسية للتاريخ الكردي، تعويضاً جزئياً عن غياب الأسفار التاريخية. إن المهمة التي أطلقتها KTC واعتمدتها خويبون منذ العام 1927، القائمة بنشر بعض الكراريس المعدة للدعاية لا يمكن اعتمادها مؤلفات تاريخية. فالنخبة الكردية في المنفى لم تكن مثقفة، ولا معدة مادياً لكتابة تاريخ حقيقي، وهي، خلافاً للنخبة الحاكمة في تركيا، لا تملك أدوات مؤسساتية للقيام بذلك[2]. إلاّ أن مثقفي خويبون، وعلى الأخص الأخوة

---

(1) Marc Ferro déniche quelques silences de l'histoire de différents pays dans FERRO Marc, *Les tabous de l'Historie*, Paris, Nil éditions, 2002.

(2) إن الضعف المؤسساتي للمثقفين الكرد كان يسير مؤقتاً بأشكال مختلفة. أولاً، بالنموذج التاريخي الجغرافي التركي، الذي يعتبر أن كامل التاريخ الأناضولي هو تركي أو الدولة الأمة هي نتيجة منطقية لتاريخ الأمة. لقد تم تبني هذه النظرية جزئياً لتكرارها. وقد لجأ المثقفون الكرد، منطلقين من داروينية اجتماعية شديدة الانتشار آنذاك، إلى تمثل الأنا والآخر، سمات ما هو آخر غيري بطريقة ارتدادية، وبكلام آخر: إن «الأنواع» تحمل بذاتها قيماً خاصة، أساسية، «وراثية» خارج التاريخ، تتناسل بالاستقلال عن كل تأثير اجتماعي. وهكذا فإن الكرد يحملون سمة تاريخية إيجابية، مثل المثال الغربي، في حين أن الترك يحملون سمة تاريخية سلبية، وثانياً، لجأ المثقفون الكرد إلى الترجمات التاريخية، والجغرافية، والإثنية لمؤلفات أجنبية. في الوقت الذي كان ينتهج فيه الكماليون سياسة استيعاب ثقافي للكرد من خلال منع اللغة ومنع ذكر كل ماله علاقة بكردستان، ومن خلال تتريك أسماء المدن والجبال، كان على المثقفين القيام بإحياء الذاكرة لـ «إنقاذ» كردية الأمكنة.

بدرخان صاغوا خطاباً تاريخياً، يمكن اعتباره، في آن، كتابة للتاريخ، وإضفاء شرعية خاصة، على المطالب الكردية.

الأساطير الأولى المؤسسة للكردية

تحول مثقفو الكرد، في بداية القرن العشرين، إلى «مستكشفين» للمتخيل من أجل تزويد الأمة الكردية بأساطيرها ورموزها التي تسمح، لها، من جهة، بالانتساب إلى سائر أمم العالم، ومن جهة ثانية بالعمل على التماسك الداخلي للجماعة الكردية من أجل الزج بها في النضال القومي. لكن هذا العمل لم يتطور بطريقة مستقلة. فقد اضطرت النخبة، وهي تعمل للدلالة على مجتمعها، وعلى تماسكها الداخلي، أن تأخذ في الاعتبار العلاقات مع الـ«آخر» أو الـ«آخرين»، ومع أساطير ورموز الجماعات، المنافسة أحياناً، أو المعادية. فكان على كرد تركيا أن يواجهوا الدولة المستبدة، التي لجمعها احتكار السلطة، والرؤية، والعنف الجسدي والعنف المعنوي، والرقابة والتعليم العقائدي، تحاول إلغاء كل متخيل اجتماعي غير ذلك الذي يضفي الشرعية على سلطتها ووضع يدها على الحياة الاجتماعية عن طريق هذه السلطة. إن بداية خلق الأساطير المؤسسة للقومية الكردية تتجلى في صراع العلاقات بين المعاني.

كان على النخبة الكردية، إذن، أن تُدخل قدراً من الأحلام إلى الأساطير السياسية. كان يجب في الواقع التحرر الأخروي (نسبة للآخرة) مع التحرر الاقتصادي والسياسي.

وبتعبير آخر، كان ينبغي أن تحمل الأساطير المؤسسة وعوداً بمستقبل محدود في الزمن والتاريخ. فالأسطورة تنحو نحو تبرير المستقبل بماضٍ، لكن ليس ذلك المسجون في السفسطة الكلامية المعروفة، بل في إسقاط المستقبل في الماضي العريق بالقدم. فالمثقف يتدخل، كما الطبيب الجراح،

معالجاً التاريخ ليجعله مفهوماً من الـ «جماهير»، دون الاهتمام كثيراً بالتاريخ المستند إلى العلم. كان على النخبة الكردية من خلال الأساطير والرموز أن تختصر، وتبسّط وتشرح، وتذكّر ببعض الأحداث، والمعارك، والأعمال البطولية.

بين هذه الأساطير: النيروز (رأس السنة الذي يوافق الواحد والعشرين من آذار/ مارس، اليوم الأول من الربيع. لقد ابتكرته منظمة KTC في آخر عام 1910. والأمر يتعلق بابتكار وسطو على أسطورة على حد سواء. سطو لأن النخبة الكردية استولت على شخصية أسطورية، كاوا، من التقليد الفارسي لتكريده. والرواية الكردية عن هذه الأسطورة تزعم أن الحداد كاوا، الذي انتصر على الملك زوهاك، قد حرر الشعب الخاضع للطاغية في 21 آذار/ مارس وهو «أب» الأمة الكردية[1]. وعلى أساس هذه الأسطورة قررت النخبة القومية إعلان النيروز عيداً قومياً كردياً[2].

وهكذا تمّ إعلان كاوا منقذاً للأمة وصار رمزاً للمقاومة في حين صارت ثورة «الشعلة والنار»، رمزاً للتطهر، والتجدد، والنور، والحب الروحي[3]. واستعاد الأخوة بدرخان بين عام 1930 وعام 1940، هذه الأسطورة من أجل تأكيد الأصل الآري للكرد في مواجهة نظريات العلماء الترك الذي يؤكدون

---

(1) BITLISI Kurdi, «Kürdler münasebetiyle Zohak efsanesi» («La légende de Zohak en relation avec les Kurdes»), *Jîn*, 01, 1918. Traduit et transcrit par Mehmed Emin Bozaeslan, Uppsala, Deng, 1985-1988, 5 vol.

(2) Dans ce sens, on constate clairement l'Invention de la tradition: usage ritualisé avec une fonction symbolique du soutien indentitaire. HOBSBAWM Eric, *The Invention of Tradition*, Cambridge, Cambridge University Press, 1983.

(3) RIVIRE Claude, *Les liturgies politiques*, Paris, P.U.F, 1988, P. 233.

أن الكرد من الشعوب الطورانية، رغم إقرار جلادت بدرخان بأن هذا «العيد الوطني» قد طواه النسيان في كردستان التركية[1].

الأسطورة الثانية المؤسسة التي غذتها النخبة الكردية قبل قيام الجمهورية التركية عام 1923 هي تأويل بعض الأشعار من مقدمة مم أو زين لأحمد خاني، كاتب من القرن السابع عشر، من خلال قراءة انتقائية قومية. في هذا الكتاب يتشكى الكاتب من عدم الوحدة بين الأمراء والقبائل الكردية. ويقول مارتان فان بروينسن (Burinessen) إن الوعي الإثني الكردي لأحمد خاني يبدو، بالتأكيد، من إرادته الكتابة بالكردية، خلافاً لمعظم شعراء عصره. لكن هل يمكن الكلام عن وعي قومي في القرن السابع عشر، وفكرة «الأمة» لم تكن قد وُلِدت. بالنسبة لبروينسن الجواب سلبي[2]. أما عباس فالي فيعتقد أنه لا ينبغي الخلط بين الإثنية والأمة، والهوية الإثنية والهوية القومية. إن كان خاني وطنياً، وهو كذلك فعلاً، فمن الصعب تفسير وطنيته بالقومية، وهي الأيديولوجيا التي تفترض شروطاً تاريخية وأسساً مفهومية محددة[3].

نحن هنا أمام خيط رفيع جداً يفصل الوقائع عن الأسطورة المعاد تشكيلها. في هذا الحال من الغموض، تقوم النخبة القومية بعمل الجراح، وتشكل هوية جديدة على وجه حقيقي. لقد أقام القوميون الكرد الناهضون، بهذا العمل، علاقات جديدة أعطت لماضي كردستان طابعاً سياسياً وقومياً

---

(1) BEDIR KHAN Djeladet, «Newrûz», *Hawar*, n° 42, 1942, P. 976-978.

(2) BRUINESSEN Martin van, «Ehmedî Xanî's Mem û Zîn and Its Role in the Emergence of Kurdish National Awareness», in: *Essays on the Origins of Kurdish Nationalism, op. cit.*, P. 40-57.

(3) VALI Abbas, «Genealogies of the Kurds: Construcations of Nation and National Identity in Kurdish Historical Writing», in: *Essays on the Origins of Kurdish Nationalism, op. cit.*, P. 19-92.

قوياً من أجل التأكيد على تاريخية الطموحات الكردية إلى الحكم الذاتي. إلى ذلك فإن قومية مم وزين تلزم المثقفين الكرد اعتبار مؤلف أحمد خاني في المقام الأول، لأن فكر هذا الكاتب سبق أيديولوجيي القومية في أوروبا الغربية.

وكان اهتمام مختلف أعضاء عائلة بدرخان بمم وزين كبير جداً. وليس في ذلك ما يثير العجب إذا ما تذكرنا أن أسطورة أحمد خاني تنطلق جذورها من بوتان، وبالتحديد من عاصمتها جزيرة ابن عمر التي ظلّت تحت سيطرة عائلة بدرخان حتى منتصف القرن التاسع عشر. ويعتبر جلادت بدرخان أن مم وزين كتاب مهم قومياً، في كتاباته بعد هزيمة أرارات ويجعل منه أثراً تاريخياً للحضارة الكردية، وأن أحمد خاني الرسول الحقيقي للقومية الكردية[1].

وأخيراً، أسطورة الميديين كأجداد للكرد، والميديون هم مؤسسو امبراطورية رعاة في شرق إيران الحالية. وذلك استناداً إلى دراسات أجراها بعض المستشرقين في بداية القرن العشرين، وسمحت بالحديث عن ماضٍ للشعب الكردي والمطالبة بمكان له في تاريخ البشرية. وزمن هذه الصلة مع الميديين لم تثبتها دراسات جرت بعد ذلك، فإن القوميين الكرد قد اغتنموها فرصة لينتسبوا إلى ماض مجيد وليجعلوا بدء تاريخهم الحديث بسقوط نينيف (Ninive).

وهكذا صار بوسع الكرد الادعاء بأنهم ورثة امبراطورية قوية، وتأكيد ملكيتهم للأرض التي احتلوها قبل مجيء الفرس، والرومان والعرب والترك، في الوقت نفسه الذي أكد فيه الترك وجودهم في الأناضول منذ أقدم الأزمنة.

(1) AZZAN Herekol (Djeladet Bedir Khan), *De la question kurde. La loi de départation et de dispersion des Kurdes, op, cit.*, P. 7-10.

لكن الركون إلى المستشرقين لإضفاء شرعية على الخطاب القومي شكل، إلى حد ما، خطأً فادحاً. لأنه يكفي نشر دراسة تنفي ما تقدمها من دراسات للشك بمصداقية الكلام الخرافي عن القومية. فشكرو محمد سكبان اعتمد على تحقيقات أخرى لينفي انتماء الكرد إلى الميديين وبالتالي، إلى الأصول الآرية[1].

وقد سمح ذلك لسكبان رفيق الطريق القديم للقوميين الكرد، أن يدافع عن إدماج الترك للكرد، ما دام للكرد أصل طوراني، فالنظام الكمالي لا يقوم بسياسة «امتصاص، واستيعاب، للكرد»، بل بعملية توحيد لـ «شعبين من عرق واحد»[2]. وأبعد من الأهداف الملموسة لشكرو محمد سكبان في كتابة هذه الدراسة، التي تشكك بالأساطير المؤسسة للقومية الكردية، من المفيد الإشارة إلى أن الأمر بالنسبة للنخب الكردية والتركية، يتعلق بنزاع مخيلي مخيف، ذلك أن شرعية خطابيهما وشرعية السلطة في الحالة التركية، تصبح على المحك.

ففي الاجتماع السري بين قنصل تركيا في بيروت وجلادت بدرخان عام 1935، مثلاً، تحولت الدراسات التي دافع عنها شكرو محمد سكبان، ومسعود فاني[3] في كل من كتابيهما، والتي تؤيد المقولات التركية الرسمية

---

(1) SEKBAN Chukru Mehmed, *La question kurde. Des problèmes des minorités, op. cit.*, P. 10-11.

(2) *Ibid.*, P. 28.

(3) مسعود فاني، أصله من السليمانية، موظف عثماني في ولاية أضنة. ظل حتى بداية عام 1930 معادياً للكمالية، ونشر عام 1933 أطروحة للدكتوراه في السوربون حيث استخدم براهين شبيهة بالتي قدمها محمد سكبان في العام نفسه. واستفاد مثله من عفو للعودة إلى تركيا.

حول التاريخ، إلى واحد من الموضوعات الحامية، في النقاشات[1]. إن هذا العراك حول مقولات عن أصول الكرد تتيح لنا الحديث عن بعض من تداخل العلاقات، لا بل تداخل التبعية بين رمزية الدولة والجماعات الخارجة عليها. إن ميوعة هذا التلاعب الرمزي تحتمي بتعدد المعاني، وتقلبات المزاج.

تقودنا، النقاشات التي دارت حول رؤيتين متصادمتين لأصول الكرد إلى الافتراض أن النقاش التاريخي بين النخب الكردية والتركية لم يقفل. فالرسالة المفتوحة التي وجهها جلادت بدرخان إلى مصطفى كمال قد حققت هدفها. فقد تمكن المثقف الكردي أن يرتفع إلى موقع المخاطب المقبول من الدولة التركية وقادتها[2]. خصوصاً أن كلامه التاريخي عن الأمة الكردية قد حظي بنوع ما، من المشروعية لدى القادة الكماليين. وأخيراً، ولإزالة هذه الرمزية التي صارت مزعجة للأيديولوجيين الترك عمد الوفد التركي المجتمع مع جلادت بدرخان إلى تقديم «اقتراحات متتالية للعودة إلى تركيا[3]».

التاريخ في مواجة الماضي

كل كتابة تاريخية لها رموزها، وشخوصها، مع ما يتم نسيانه، وما يتم رفضه وما ينقص، وأيضاً مع الأمانة والإخلاص. في الحقيقة، إن كتابة تاريخ القومية ليست، ولا يمكن أن تكون، متينة ومتماسكة. فالارتباك في الخطاب القومي

---

(1) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie*, Rapport manuscrit de Pierre Rondot intitulé «Conversation entre Djeladet Bedir Khan et les Turcs», 3 juillet 1935, *doc. cit.*, P. 1.

(2) كان جلادت بدرخان واعياً لموقعه وخطابه الذي يتمتع بصدقية، فقال: إن اتكلتم على هؤلاء الناس (إشارة إلى سكبان وفاني) تضلون الطريق. وعلى كل حال إن كنتم تعتقدون فعلاً بأنهم مفيدون وصادقون توجهوا إليهم وليس إلي....

(3) *Ibid.*, P. 3.

يسمح للمثقفين الكرد، تنشيط تراكمات تذكارية متنوعة بوعي أو بدونه، وفقاً للأزمات والتفاعلات. وكما قال هورست غونتر (Horst Günther): فإن الرؤية إلى التاريخ، هي مفهوم الوقت الذي يخضع للظروف السياسية(4).

إن ارتباط الأساطير السياسية التي صاغتها خويبون بما سمي القضية الكردية، يؤكد ذلك. من ذلك معاهدة سيفر التي لم تتوقف أهميتها على الاعتراف بكردستان، كما تخيله القوميون الكرد، ولا بإقامة دولة كردية، رغم أنها كانت ستنحصر في جزء صغير من الأراضي المطالب بها، بل استخدم ذلك لفضح «مؤامرة» الدول الكبرى الأوروبية التي بعد توقيعها على معاهدة لم تلزم النظام الكمالي القبول بشروطها. بل على العكس، تغلب انقسام هذه الدول ومصالح كل منها، على «حقوق» الشعب الكردي الذي ترك يواجه مصيره. مذّاك صار الغربيون مسؤولين عن مأساة الأمة الكردية وتمّ نسيان انقسامات الزعماء الكرد، ومعارضة زعماء كرد للمعاهدة، وتعاون قبائل كردية مع مصطفى كمال بين عامي 1919-1921 (5).

ويمكننا أن نتعرف، من خلال الاتهام بالمؤامرة على الشعب الكردي إلى منظومة إدراكية وذاتية تسمح بإدارة العلاقة بالوقت، وبتعبير آخر بتعديل النظرة إلى الوقت. إن زمنية الأمة (إقامة الدولة الكردية) يمكن أن توفر «فرصاً تاريخية»، وأيضاً، «فرصاً ضائعة»، و«تضحيات مؤلمة»، وأسباباً لليأس.

---

(4) GNTHHER Horst, *Le temps de l'histoire. Expéroence du monde et catégories temporelles en philosophie de l'histoire de saint Augustin à Pétrarque de Dante à Rousseau*, Préface de Jean Starobinski. Traduit de l'allemand par Olivier Mannoni, Paris, Editions de la Maison des sciences de l'homme, 1995, P. 6.

(5) BEDUR KHAN Sureya, *The Case of Kurdistan Against Turkey, op. cit.*, P. 43.

ففي حين أعطت معاهدة سيفر للنخبة الكردية فترة أمل قصيرة، فإن «خيانة» المعاهدة وفرت للقوميين الكرد تصورات ذاكرية منتزعة من الماضي ظُهّرت من خلال شبكة رموز مأساوية.

على هذا الأساس يمكننا الافتراض بأن الزعماء الكرد الذين انخرطوا منذ عام 1919 في مشروع إنشاء كيان كردي أصابتهم تدريجياً، حالة يأس، خاصة بعد فشل انتفاضة أرارات. لكن النخب الكردية سارعت عند اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية إلى تذكير الدول الكبرى الغربية عن قسطها في فشل مشروع الدولة الكردية التي نصت عليها معاهدة سيفر. وأملوا بأن لا تتم خيانة الكرد من جديد عند مفاوضات السلام المقبلة، وأن يضحى بهم في سبيل مصالح الدول الكبرى[1].

إلى ذلك، فقد عمد كتّاب التاريخ الكرد منذ نهاية العشرينيات، إلى طمس الدور الذي لعبه الكرد في إبادة الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى. لقد كان القائمون بالدعاية أعضاء خويبون يتهربون من ذكر مسألة إبادة الأرمن، ولا يتذكرونها إلّا لإعطاء مثل عن وحشية الترك، ويزعمون أنهم المسؤولون الوحيدون عن الجرائم بحق الأرمن. إن الصمت المطبق لم يكن فقط عن المجازر التي ارتكبتها القبائل الكردية ضد الأرمن، بل أيضاً عن مصير الأرمن في المناطق التي يعتقدون باحتمال أن تصبح كردستان مستقلة ذاتياً. إن هذا الصمت اتخذ أبعاداً تجعلنا نعتقد أن القضية الأرمنية شكلت موضوعاً محرماً ذكره لدى كتّاب التاريخ الكرد.

والمفارقة، إن مناضلين أرمن من الطاشناق شاركوا في صياغة الخطاب القومي الكردي، وتعزيز تحريم ذكر القضية الأرمنية في الأوساط الكردية. كان الهدف الأساسي من التحالف بين رابطة خويبون وحزب الطاشناق

---

(1) BEDIR KHAN Kamuran, «Kurdistan», *Roja Nû*, n° 46, 1944, P. 2.

الأرمني عام 1927، هو الإعداد لانتفاضة مسلحة لإقامة كونفيدرالية كردية أرمنية في شرق تركيا. وكان الاتفاق يلزم الحزب الأرمني أن يقوم بجهود دعائية لمصلحة القضية الكردية في أوساط الرأي العام الغربي.

إن دعاة حزب الطاشناق باتهامهم الترك، حصراً، بالمسؤولية عن تلك الأحداث، قد سمحوا للكرد بأن يظهروا بوجه حضاري في عيون الدول الكبرى الأوروبية، لأنهم، حسب ما تؤكد الوثائق الأرمنية لم يشاركوا في المجازر الأرمنية بين عام 1894 وعام 1895، وبين عامي 1915 و1916 [1]. لقد صار الترك، منذ ذلك الوقت «البرابرة الحقيقيين»، و«قتلة المسيحيين»، أما الكرد فصاروا مثل الضحايا يدّعون أنهم أمة جديدة شهيدة[2].

ويمكن تفسير طمس ذكر المجازر الأرمنية، أيضاً، برغبة النخبة القومية عدم خيانة «الأرض القومية». ورغم البراهين عن مشاركة العديد من القبائل الكردية في ذبح الأرمن، فإن كتاب التاريخ الكرد لا يتعرضون لعملية النسيان هذه لأنها تسمح لهم بالمطالبة، دون سوء نيّة، بالأراضي التي كان يسكنها الأرمن سابقاً[3].

3ـ رموز الكردية

إن التحديد الذي يعطيه بنيدكت أندرسون (Benidict Anderson) للأمة كـ«مجتمع متخيل» في المكان وفي الزمان، قد سمح، بالتأكيد، بتجاوز الرؤية

(1) A titre d'exemple, Dr. Dargus Kurdistani écrit: «Le presse arménienne des deux dernières décades témoigne de l'orientation amicale des relations arméno-kurdes». *Roja Nû*, nº 70-71, 1946, P. 3.

(2) HOYBOUN, *Les massacres des Kurdes en Turquie, op. cit.*, P. 23.

(3) BOZARSLAN Hamit, «Remarques sur l'histoire des relations kurdo-arméniennes», *The Journal of Kurdish Studies*, Vol. I, 1995, P. 56.

الأصلوية للأمة، وللهوية القومية. ومنذ حينه تبنت مؤلفات عديدة هذا التعبير للتأكيد على الطابع النفسي والتخيلي لانضمام أفراد إلى جماعات، إلى أمة، إلى هوية قومية معيّنة. لكن أندرسون يوضح بأن هذه «المجتمعات المتخيلة» تتميز «ليس بزيفها أو بحقيقتها، بل بالطريقة التي يجري بها تخيلها»[1]، ما يسمح لنا بالخروج من دائرة النفسي الاجتماعي إلى دائرة البناء الاجتماعي، التي تلعب فيها الأساطير والرموز دوراً أساسياً.

ويحدد كلود ريفيير (Riviere) الرمز «كشيء أو إشارة ترتبط بها قيمة وذكره يوصل إلى بنية من التمثيل توجه عمل الأفراد الذين يعطونه معنى ذا قيمة». إن الرمزية الاجتماعية المحددة كأسلوب من الكلام، يمكن، أيضاً، أن تكون عملية للإبدال أو التعويض، كواسطة لتبادل القيم، كمنظومة تحالف أفراد يتكونون في مجتمع بإعطائهم المعنى نفسه للأشياء نفسها. والنقص في الرمزية يعوض بطرق مختلفة. ورغم أن الرموز «قليلة العدد نسبياً» فإنها «تُضخّم بمعانٍ محددة ترتبط برموز تقليدية أو دينية. إن حقل مراجعها يفتقد إلى الوحدة إلّا أن التطابق الموضوعاتي للأيديولوجيا يوحدها». وهي، أخيراً متعددة الالتباسات، بعض الشيء، لكن توافقها على مواضيع مركزية، والإكثار من حضورها يعزز صلابة تكتلها السياسي والاجتماعي[2].

وكما في الأساطير، فإن وظيفة الرمز ليست، ترسيخ التمايزات فقط، بل، أيضاً، إضافة قيم، والتأثير في سلوك الأفراد والجماعات. إن دور الرموز، إذن، الاختصار، والتبسيط، والتجسيد، والشرح، والتذكير ببعض عناصر هوية

---

(1) ANDERSON Benedict, *L'imaginaire social. Réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme*. Traduit de l'anglais par Pierre-Emmanuel Dauzat, Paris, La Découverte, 1996, P. 20.

(2) RIVIRE Claude, *Les liturgies politiques, op. cit.*, P. 220-224.

جماعة اجتماعية. فالعلَم، مثلاً، يختصر، بصورة ما، تاريخ الأمة، ويمكن لنصب ما التذكير ببعض أحداث تاريخ الأمة. فالدول ـ الأمم اتخذت شعارات رمزية، يخطئ من يظن أنها مجرد زينة. وتدابير الحماية والقمع التي تتخذها السلطات للحفاظ على الموقع المميز الذي تعطيه للفضاء الرمزي يؤكد، بالطبع، المعنى المتخيّل، لكن غير الوهمي، لما هو محمي مثل الرموز الخاصة بالسلطة، وجاذبية القائد إلخ. يقول برونيسلافا بزكو (Bronislaw Baczko) إن ممارسة السلطة تمر أيضاً بالمتخيل الجماعي[1]. غير أن الدول ـ الأمم لا تحتكر ابتداع الرموز. فالمجموعات الأقلوية تتسلح أيضاً بالرموز. إلى ذلك، فإن الصراع ينتقل إلى الحقل الرمزي حين ينشب نزاع على الهوية، أو بين دولة وجماعة تطمح إلى الحصول على كيانها الدولتي. فهدف امتلاك الرموز هو تأكيد علني للمشروعية عندما تكون هذه المشروعية متنازعاً عليها.

وقد عمدت النخب القومية الكردية إلى خلق الرموز، لأن الكرد لم يستطيعوا إقامة دولتهم الخاصة. ومن هذه الرموز اخترنا نوعين: الأول، يتعلق بحاسة السمع وقد انبنى على «علاقة» تحولت إلى عنصر لصيق بالهوية الإثنية نفسها: اللغة الكردية. والثاني، يتعلق بحاسة النظر وهو مكوّن من أشياء، مثل الخريطة الجغرافية والعلم القومي.

اللغة كعنصر مؤسس للكردية

لقد اختار المثقفون الكرد من عناصر التمايز الثقافي اللغة كعامل حاسم للهوية الكردية. صارت اللغة الكردية العنصر المميز للجماعة الكردية في مواجهة الجماعات الإثنية الأخرى. وبكلام آخر صارت اللغة الكردية الأساس

(1) BACZKO Bronislaw, *Les imaginaires sociaux. Mémoires et Espoirs collectifs*, Paris, Payot, 1984, P. 18.

الرمزي للثقافة القومية. وقد اعتبر الأخوة بدرخان أن اللغة ليس كعنصر بين عناصر في تراث الجماعة، بل كموقع حي ومميز لذاكرة حية، والأساس الذي تنمو فيه وتنتعش. وهي ليست مجرد واجهة خارجية وعارضة، بل تجسد الانبثاق، الأكيد، لقوة محددة يتركز فيها جوهر الشعب الذي يتكلمها.

إن اللغة بوصفها عضواً حياً، هي منحة من العناية الإلهية، لكنها منحة غير كاملة ينبغي على كل شعب أن يطورها على امتداد تاريخه، وهو ينجز حريته[1]. ويربط تطور اللغة بالتالي، أجيال شعب واحد، بعضها ببعض، ويغني التفكير في الهوية ببعد الميراث والدَيْن. فاللغة ليست فقط رابط بين الأحياء، بل تذكّر بالأموات، بزخم ترتدي بفعله، طابعاً مقدساً[2].

يجب المحافظة على اللغة التي هي روح الشعب، والدول ـ الأمم هي الوحيدة التي تستطيع القيام بدور الحارس من أجل تحسينها، ومنع انحطاطها، أو إعادة اكتشاف نبالتها العريقة. تصبح اللغة مقررة وهي ترتبط بوجود الأمة، إلى درجة حصريتها. وهي تحدد الحقوق والواجبات، وتتحول إلى معيار لانقسام إثني قد تؤدي ترجمته إلى نزاعات في غابة الأمم. كما تتحول اللغة إلى اختبار لمعرفة إذا ما كانت أمة موجودة أم لا. والأمر لا يتعلق، فقط، بمعرفة إن كانت جماعة تتكلم لغة تستطيع الطموح إلى الحفاظ عليها، بل أكثر من ذلك تكفّ الجماعة، الأمة، ذات اللغة عن الوجود إن لم تحصل على دولة[3].

---

(1) CRPON Marc, «Introduction», in: *La langue source de la nation. Messianismes séculiers en Europe centrale et orientale du XVIIIe siècle*, Pierre Caussat & Dariusz Adamski & Marc Crépon, Liège, Mardaga, 1997, P. 40-41.

(2) Voir BEDIR KHAN Kamuran, «Zimanê min» («Ma langue», *Hawar*,nº 11, 1932, P. 224.

(3) KEDOURIE Eli, *nationalism*, Londres & Melbourne & Sydney, Hutchinson, 1986, P. 68.

إن هذه الفكرة التي انوجدت في أصل حركات النهضة الثقافية والقومية في أوروبا الوسطى والشرقية لها نتيجتان: تفترض، من جهة، إن الجماعات التي تتكلم لغة أصلية تشكل أمة. وتفترض من جهة أخرى، أن تتكلم الأمة لغة أصلية، صافية، صحيحة، تعكس الطابع الوحيد للجماعة. وقد أضيف إلى الهم في تحديد قاعدة لغوية، الميل إلى تنقية اللغات من العناصر الغريبة من أجل إعادتها إلى حالتها الطبيعية. وتفسر الطهرانية اللغوية بكونها تشكل جواباً لشعور بغزو اللغة بكلمات أجنبية، وهو شعور بالغ يحتدم في حالات التغيير الاجتماعية السريع والعريض. ويبدو الطهرانيون على هذا الأساس، مدافعين عن أرض وهوية المجتمع بكامله، أو الجماعة، لأن «اللغة، بعد كل شيء، هي واحد من أهم الحدود الرمزية التي تتيح للمجتمع أن يتكون»[1].

لم تشكل الاختلافات بين اللهجات المناطقية مشكلة عندما كانت اللغة الكردية لا تزال، في الأساس، لغة محكية. غير أن الرغبة في استخدام اللغة الكردية في الكتابة، قد نمت في نهاية القرن التاسع عشر. فاللغة الكردية، لغة الشعب الكردي، يجب أن تتحدد، أن تتوحد مقاييسها، في سبيل تأمين بقائها. ومن أجل الإفساح للكرد في المجال للتحضّر، لا بد للنشر أن يلعب دوراً أساسياً. إن الرغبة في توحيد مقاييس اللغة دفعت، بالتدريج، بالمخططين القوميين إلى رسم صورة للفلاح الشريف، غير المدنس، الذي عرف الحفاظ على لفتة نقية لم يمسها أحد، وبعيدة عن كل تأثير أجنبي. وعلى هذه القاعدة أعطت لغة الفلاح غير المخترقة الأساس اللغوي لإقامة، وصياغة، وتنقيح وتعميم المقاييس العصرية.

---

(1) P. Burke cité par Mondher Kilani dans «Langue (Préjugé de la)», in: *L'imbrohlio ethnique en quatorze mots*, René Gallissot & Mondher Kilani & Annamaria Rivera, Lasusanne, Payot, 2000, P. 161.

وقد استعاد آل بدرخان العمل على اللغة في الأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي. كيف يمكن إذن، تفسير تأخر صيرورة اللغة رمزاً للهوية الكردية في تركيا، حتى بداية الثلاثينات، في حين كان زعماء رابطة خويبون على صلة مع النخب العثمانية، المطبوعة بطابع ما يسمى القومية الثقافية؟

ينبغي أولاً، التوضيح بأن النخب العثمانية كانت تعرف بصورة سيئة أعمال الفلاسفة والمثقفين الأوروبيين. إن الرومنسية الألمانية والداروينية سارتا، في الواقع، جنباً إلى جنب لكنهما لم تكسبا معنى إلّا من خلال الكيمياء القديمة المحلية. ونادراً ما عاد نشرهما إلى الأصول. كانتا على عكس ذلك جزءاً من «صيرورة الزمن».

وبالتالي فإن خطاب هردر (Harder) العلمي، مثلاً، لم يصل كما هو إلى النخب الشرقية التي فسرت على العكس خطاباً موسوعياً، بطريقتها في القراءة. بهذا المعنى، تبنى المثقفون معادلة «لغة = أمة»، شأن نخب قومية أخرى. والحقيقة، إن المثقفين الكرد المنخرطين في النشاط الدعائي خلال انتفاضة أرارات لم يكن عندهم الوقت ولا الوسائل للاهتمام بشكل منهجي في حفظ اللغة. لقد سمح تحول المحترفين السياسيين الكرد إلى محرضين ثقافيين، منذ عام 1932، بالتركيز، من جديد، على اللغة.

وكما لاحظ أريك هابسبوم (Eric Habsbaum)، فإن اللغة ليست سوى أحد عناصر التمايز الثقافي. ويعود هابسبوم إلى بنيدكت أندرسون ليشرح لماذا يمكن للغة الفصحى أن تصبح عامل توحيد، وتكوّن قومي: فهي تقيم مجتمعاً حول نخبة تستخدم هذه اللغة. ويعطيها تثبيتها على الورق «طابعاً أبدياً». فتصبح لغة النخبة اللغة العصرية للمجتمع من خلال التربية وغيرها من التقنيات الإدارية[1].

---

(1) HOBSBAWM Eric, *Nations and Nationalism since 1980. Programme, myth, reality*, Cambridge & New York & Melbourne, Cambridge University Press, (1990) 1995, P. 58-62.

إلّا أن هذا الرسم البياني لا يسمح لنا أن نشرح كيف تحولت لغة مثل اللغة الكردية إلى رمز للقومية الكردية مع أن توحيدها لم يكتمل، وهي لغة شفهية، ودون حماية دولة أو إدارة. إن الطابع الحاسم لذلك، هو، من وجهة نظرنا، العلاقة المعقدة بين نحن والآخر. فكما رأينا، اتخذ النظام الكمالي سلسلة كاملة من التدابير ضد الهوية الكردية. فمنع تعليم اللغة الكردية، وترَّك أسماء المدن ومناطق جغرافية في كردستان، وهي جميعها من العناصر الرامية إلى إعادة تأسيس هوية قومية تركية على قاعدة ثقافية منسجمة. ورافق هذه التدابير إدخال التعليم العام باللغة التركية، وخلق بؤر تركية في المدن الصغيرة الكردية لم يكن للدولة فيها أيّ اهتمامات.

وقد تطورت الأوضاع بشكل مماثل في إيران، حيث صدر عام 1935 مرسوم يحرم الكتابة بالكردية. ومنعت الدولة اللباس المحلي للرجال وللنساء وأمرتهم باستخدم اللباس الأوروبي. وأسهم الخطاب الرسمي، التركي كما الإيراني، المستند إلى منطق التحضير الاستبدادي، في تحول الكردي إلى الآخر نسبة للحاكم. كما أن «الكردية لم تعد لغة التمايز بل لغة التغيير والصراع والانقلاب. وأخذ الخطاب يتساءل عن هوية الحاكم وعن شرعية النظام الجديد»[1]. لقد صار مفهوم التغير في اللغة العلامة الأكثر ظهوراً في الخطاب الرسمي، وتحول، بذلك، إلى مصدر للهوية المشتركة للكرد في مواجهة الإرادة الاستبدادية للنظامين الكردي والإيراني.

لقد صار الدفاع عن اللغة الكردية موازياً للدفاع عن الهوية الكردية، وعن الأمة ذاتها في نظر القوميين. كان المثقفون الكرد هم المؤهلون وحدهم لاستخدام الأسلحة نفسها (النشر، كتب قواعد اللغة، القواميس، المدارس)

---

(1) VALI Abbas, «Genèse et structure du nationalisme kurde en Iran», *Peuples Méditerranéens*, n° 68-69, 1994, P. 159.

التي يستخدمها العدو، وقد لجأوا إلى ستراتيجية لغوية دفاعية[1] لحماية اللغة الكردية المهددة في تركيا وغير المعترف بها رسمياً في سوريا. إن نهضة الأمة تمر، إذن، باستعادة اللغة، وهو هدف يمكن تحقيقه بشرط أغتنام الفرصة التاريخية المؤاتية للكرد:

«عندنا تعبير يقول إن الأمة الخاضعة لغيرها ولم تنسَ لغتها، تشبه السجين الذي في حوزته مفتاح الزنزانة، يفتح يوماً من الأيام، باب السجن ويذهب. لكن من ينسَ لغته يفقد مفتاح السجن، الذي صار في حوزة العدو، والعدو يغلق باب الزنزانة ولا يعود يفتحه أبداً»(2).

يشير بعض الكُتّاب إلى أن حصر اللغة الكردية، يطرح بعض المسائل مثل تعدد اللهجات، وتعدد ثقافات بعض الكرد. إلى ذلك فإن بعضاً من الجماعات يعتبرون أنهم كرد بمعزل عن المعيار اللغوي. وفي العراق ولبنان يعتبر المهالاميون الناطقون بالعربية أنفسهم كرداً، وعلى عكسهم اللور (Lours) والبختيار الذين لا يعتبرون أنفسهم كرداً رغماً عن قرب اللغة التي يتكلمونها من الكردية. لذلك يقول فيليب ج.كريينبروك (Kreyenbrock): حتى ولو صارت اللغة رمزاً قوياً للهوية الكردية، ففي حال تمكّن الكرد من إقامة كيان سياسي مستقل يمكن للغة أن تصبح عامل اضطراب داخلي[3].

---

(1) Terme emprunté à LANDAU Jacob M., «Diaspora and Language», in: *Modern Diasporas in International Politics*, Gabi Sheffer (dir.), New York, Saint Martin's Press, 1986, P. 78.

(2) BEDIR KHAN Djeladet, «Heyîneke Yeksaî» («premier anniversaire»), *Hawar*, n° 20, 1933, P. 405.

(3) KREYENBROEK Philip G., «The Kurdish Language: Symbol and Reality», in: *Kurdistan, Political and Economic Potential*, Maria T. O'Shea (dir.), Londres, GRC Occasional Paper Series n° 2, 1992, P. 27.

هنا، إذن، تلعب الرموز دورها. يصبح الرمز مؤثراً في حال نزاع إثني لأنه يحمل مطالب الأفكار والجمعيات التي اكتسبت قوة معنوية أكثر عمقاً من النزاع الخاص الذي يخفي شيئاً ما يمكن أن يتسبب بخلاف. فالنضال الرمزي يغطي، في الواقع، الطابع التفتيتي للجماعات المتصادمة، بإقامة روابط ذات منحى شمولي إلى حد ما، ويتجنب الميول الطاردة للأيديولوجيا المحلية(1). على هذا الأساس، تصبح اللغة الكردية بوصفها رمزاً، رغم انقساماتها، عاملاً للانسجام الروحي، ومعنى الهوية المتجذّرة والمعبّر عنها، في مختلف مستويات الشعب من خلال المغامرات والتحولات في اللغة القومية(2).

وتصبح اللغة القومية نفسها مليئة بوافر من الكلمات، الموضوعة حديثاً، أو المنقولة ملة «أمة» وبلات «وطن» وبلاتباريز «وطني» أزادي، سربستي «طرية» شورش «ثورة» آرمانك «غاية، هدف» دوز «القضية»، ما يسبب بعض التأثر بالتاريخ القريب للجماعة الساعية إلى الوحدة.

لكن حالة، تعدد اللهجات، وتعدد ثقافات بعض الفئات في المجتمع الكردي تضع حدوداً للخطاب القومي، ويستطيع الرمز التخطي الجزئي لهذه الحدود. لذلك فإن اللغة بصفتها رمزاً للهوية الإثنية أو القومية ليست مهمة فقط لأعضاء الجماعة الذين يتكلمونها. فالأشخاص المتعددو الثقافات، المتتّركون، أو المعرّبون يستطيعون الانضمام إلى المجتمع القومي شرط وجود اللغة الكردية. إن الرجوع إلى لغة حتى ولو لم تكن محكية إلّا من أقلية من أعضاء الجماعة، كما هو الحال بالنسبة لكثيرين من كرد تركيا اليوم، يمكن

(1) HOROWITZ Donald D., *Ethnic Groups in Conflict*, Berkeley & Los Angeles & Londres, University of Califomai Press, 1985, P. 219.

(2) ANDERSON Benedict, *Langyage and Power, Exploring Political Cultures in Indonesia*, Ithaca & Londres, Cornell Univerdity Press, (1990) 1992, P. 126.

أن يكفي لأن يختار الأشخاص الذين يتكلمون لغة الآخر، التصدي للسيطرة السياسية للسلطة. إلى ذلك فإن وجود متعددي الثقافة، أو المستوعبين في بلد ما، يمكن أن يتحول إلى ذريعة لفضح السياسة الثقافية للدولة.

تخدم الثقافة، وخاصة اللغة، إذن، هدفين: فعندها وظيفة «اعتراض» على النظام السياسي الذي أخضع له الشعب المعني، وتصبح العنصر المحرك لستراتيجية الاعتراض. فالمهمة الأولى التي ينبغي بالتالي على المثقفين القيام بها هي تأكيد وجود لغتهم رغم الخطاب الرسمي الذي يقول عكس ذلك. وعليهم، أيضاً، تبيان أنها غنية مثل سائر اللغات، إن لم يكن أكثر. والوثيقة التي كتبها جلادت بدرخان عام 1933، الرسالة المفتوحة إلى مصطفى كمال، هي، بهذا المعنى، مثال جيد لستراتيجية لغوية دفاعية.

كان ناشر «هاوار» يريد التأكيد على أن الكردية هي لغة كاملة تماماً. وقد اقترح جلادت استخدام علم قواعد اللغة المقارن، والتركيز، خصوصاً، على الفعل لإظهار الفارق بين الكردية والتركية. وهذا النهج سمح لبدرخان البرهنة، بصورة علمية، على أن الكردية تنتسب إلى اللغات الهندو أوروبية، خلافاً للغة التركية التي تنتسب إلى عائلة اللغات الأورالو الألتاييكية.

كان الهم بنقاوة اللغة الكردية يتجاوز ردة الفعل على إفسادها بكلمات أجنبية، إلى جواب مزدوج على سياسة منظمة ومدروسة جيداً. فمن جهة كانت هذه السياسة ترمي إلى القضاء على اللغة الكردية في تركيا، كما كانت، من جهة أخرى، تزعم أن اللغة الكردية لا تتكون إلّا من كلمات أجنبية، استناداً إلى براهين علمية تركية. لذلك أكد جلادت بدرخان أن الثلاث مئة وست وسبعين كلمة تركية الموجودة في اللغة الكردية لها بدائل بكلمات بالمعنى نفسه في اللغة الكردية، وبالتالي فإن الكلمات التركية هي غير ضرورية[1].

---

(1) BEDIR KHAN Djeladet, *Gazi Mustafa Kemal Pasha Hazretlerine Açik MektuP*. Edité par Nouri Dersimi, s.l., 1973 (1934), P. 38.

فضلاً عن ذلك فالهم الطهراني الذي كان يعبر عنه المثقفون الكرد كان موجهاً ضد اللغة التركية ـ لغة العدو ـ وليس ضد كل اللغات المجاورة، وخاصة الفارسية والعربية. على العكس من ذلك وفر التشابه مع سائر اللغات الإيرانية، ومنها الفارسية، فرصة جديدة لجلادت بدرخان لتأكيد انتساب الكرد إلى الشعوب الهندو ـ أوروبية وإلى الميديين.

إن التأويل الرديء للنظريات اللغوية، وللتاريخ، أنتجَ بالطبع، أساساً ضعيفاً لما ذهب إليه جلادت بدرخان من كلام. إلّا أن هذا الكلام حظي بفهم القوميين الكرد والنخب الكمالية، على حد سواء، الذين يتقاسمون الرؤية إلى عالم يتشكل من أمم (لغات) في صراع أبدي دفاعاً عن وجودها[1].

خريطة كردستان

الأمة هي أكثر من (مجتمع «متخيّل») يتألف من أفراد. إن القومية بحاجة للانتشار في مكان ما من أجل إقامة الأمة التي تحلم بوجودها. ينبغي للنخبة القومية تصور الأراضي الأصلية في الوقت الذي تتصور، فيه، المجتمع القومي. فالكتابة التاريخية عن الأمة بمراحلها، الولادة، والتطور، والعصر الذهبي، والانحدار، ترتبط بمرجعية جغرافية. أين وُلِدت الأمة؟ أين عاشت عصرها الذهبي؟ أين وصلت «القوات الأجنبية» التي وضعت حداً لذلك العصر المجيد؟ أين ستوضع أسس النهضة القومية؟ في الواقع، لا يمكن،تصور أمة بدون أرض حتى بالنسبة إلى قومي الشتات. ففي عصر الدول ـ الأمم التي تمتلك بالتأكيد أرضاً محددة تماماً، ينبغي تشبث خطاب

(1) Voir en particulier l'article de Kamuran Bedir Khan «Di dora hevxistina zimanan de» («Autour de la guerre des langues»), *Hawar, art. cit.*, P. 489.

الهوية بمبدأ امتلاك الأرض، وبشمولية المبادئ التي تنبثق عنه، لتضفي على الأرض صفة الحق الطبيعي بالهوية المطالب بها. لا بدَّ من أن يكون لكل هوية أرض. وكما لاحظ برنار بادي (Badie) لا يمكن، في عالم محكوم بمبدأ حيازة الأرض، عند الكلام عن الهوية أن يغيب عنه هذا المكمل، وإلّا صار الكلام هامشياً وفاقداً لوقعه، ولصدقيته[1].

بيد أن الأمة لا تبنى فقط بالنضال من أجل الأرض، أو للحفاظ عليها. بالنسبة للوك كمبريزي (Luc Cambrezi) على الأمة أن تغتني باستمرار وأن يعاد بناؤها، باستلهام العلاقات التي لا تنفصم بين الثقافة الأرض[2].

وفي اللحظة التي تصبح فيها الأرض في قلب الأسطورة المؤسسة للأمة، تصبح هذه الأخيرة قوة شديدة البأس في تعبئة الشعور القومي والتضامن بين أعضاء «المجتمع المتخيل».

كان المثقفون والشعراء القوميون، في الغالب، هم الأوائل في تصور الأمة في فضاء مكاني، وفي العمل لإقامة الأمة على أرض، حيث أرسو رابطاً رمزياً بالكامل بين الأرض والأمة. لدرجة أنه ينبغي علينا القيام بحركة بناء اجتماعي. فالأرض لا تعطى بل تبنى. يقودنا مبدأ الأرض، بصفته أداة عمل سياسي، إلى حقل التمثيل الاجتماعي وأشكال الحصول على الشرعية. تتوقف الأمم حسب المنطق القومي وتبدأ فجأة من نقاط محددة. وينظر إلى

---

(1) BADIE Bertrand, *La fin des territoires. Essai sur le désordre international et sur l'utilité sociale du respect,* Paris, Fayard, 1995, P. 107.

(2) CAMBREZY Luc, «Introduction», in: *La nation et le territoire. Le territoire, lien ou frontière?*, Joël Bonnemaison & Luc Cambrezy & Laurence Quinty-Bourgeois (dir.), Paris, L'Harmattan, 1999, P. 11.

أرض الأمة بوصفها وحدة تمتلكها أمة واحدة مع حدود واضحة، نظرياً، تفصلها عن الأمم الأخرى، عن الآخر.

ولأن الأرض، في هذه الحالة تصور ذهني، فإن من الصعب معرفة الأرض في حقيقتها الجغرافية والمادية الملموسة. لا بدَّ من اللجوء إلى رسوم مثل الخرائط[1] لتظهرها، أو اللجوء إلى الشعور القومي وإلى بناء سياسي لمعرفتها. لكن تحديد أرض الأمة يرافقه، في غالب الأحيان، إقصاء. وكما يقول مارك مونموني (Mark Monmonier)، «ليست الخريطة، في أي مكان رمزاً قومياً، وسلاحاً ثقافياً إلّا في النزاعات على الأرض. عندما تطالب أمة ألفْ وأمة باء بالأرض نفسها تقوم الحرب على الخرائط أيضاً»[2]. حينذاك يقوم دعاة كل أمة، بتفصيل المطلوب من الخريطة بالإكثار من التفاصيل التي تعزز وجهة نظرهم.

أولى التصورات عن كردستان

إن العالم الكردي الموزع على امبراطورتين، المترحّل والمقيم، في آن، بين فضاءين سياسيين، واحد امبراطوري والثاني قبلي، حصل على استقراره في صيغة تناقض مبدأ الأرض الخاص بالدول الأمم. وفي الوقت ذاته، فإن هذه الفضاءات ليست مستقرة. ورغم أن البداوة تعطي للاتحادات إطاراً

(1) ROBINSON A.H. & SALE R.D., *Elements of Cartography,* New York & Londres & Sydney & Toronto, John Willey and Sons, 1969, P. 2, 15.

(2) MONMONIER Mark, *Comment faire mentir les cartes ou du mauvais usage de la géographie.* Traduit de l'anglais par Denis-Armand Canal, Paris, Flammarion, 1993, P. 137.

جغرافياً متحركاً، فإن النظام السياسي الذي ينتج عنه يخضع لقواعد التشرذم. لذلك لم يكن الشعب الكردي بمجموعه موحداً على الإطلاق. كانت هناك، فعلاً، إمارات لكن لم يقم أي بناء سلطوي يحتكر الإدارة السياسية لمجموعة الإمارات والقبائل. لم يوجد، إذن، إلّا كردستانات، تمثل إنجازات محدودة الأمر الذي اعتبرته المنظمات القومية الكردية تعبيرات إقليمية، غير متكاملة، جنينية، عن المثال الذي ينبغي تحقيقه[1].

المفارقة، إن عدم استقرار حدود كردستان، أنتج أول التصورات المتخيّلة لهذا الأمر. فكان شرف خان، من بتليس، هو أول من رسم، عام 1596، حدود كردستان في شريف نامة، تاريخه الملحمي للإمارات الكردية.

وكان كردستان المتخيّل من شرف خان مبالغ فيه بصورة واضحة[2]. فمؤلف أول تاريخ لكردستان لا يقدم تبريراً للحدود التي رسمها، ما يسمح بالاعتقاد أن هدف شرف خان لم يكن رسم خريطة جغرافية لكردستان، بل، تمجيد عظيم لأمراء الكرد، هذه الإثنية الارستقراطية الظرفية، التي يشير إليها بروينسن[3] (Bruinessen)، مبالغاً ببطولاتها وسلطتها في المنطقة.

أما الشاعر أحمد خاني فقد مد كردستان على أراض ليست قومية، وليست، بالتالي، سياسية. فكردستان الموصوفة في مم أوزين، هي تصور

(1) PROUSE Jean-François, «Le Kurdistan: quel territoire pour quelle population?», in: *La nation et le territoire . Le territoire, lien ou frontière?, op. cit.*, P. 21.

(2) BEDLS Sherefxanê, *Sherefnane, Tarixa Kurdistanê ya kevn,* Traduit du persan au kurmandji par Zîya Avci, Spanga, APEC, 1998, P. 63.

(3) L'anthropologue hollandais a développé ces analyses notamment dans BRUINESSEN Martin van, «Nationalisme kurde et ethnicités intra kurdes», *Peuples Méditer-ranéens*, n° 68-69, 1994, P. 21-26.

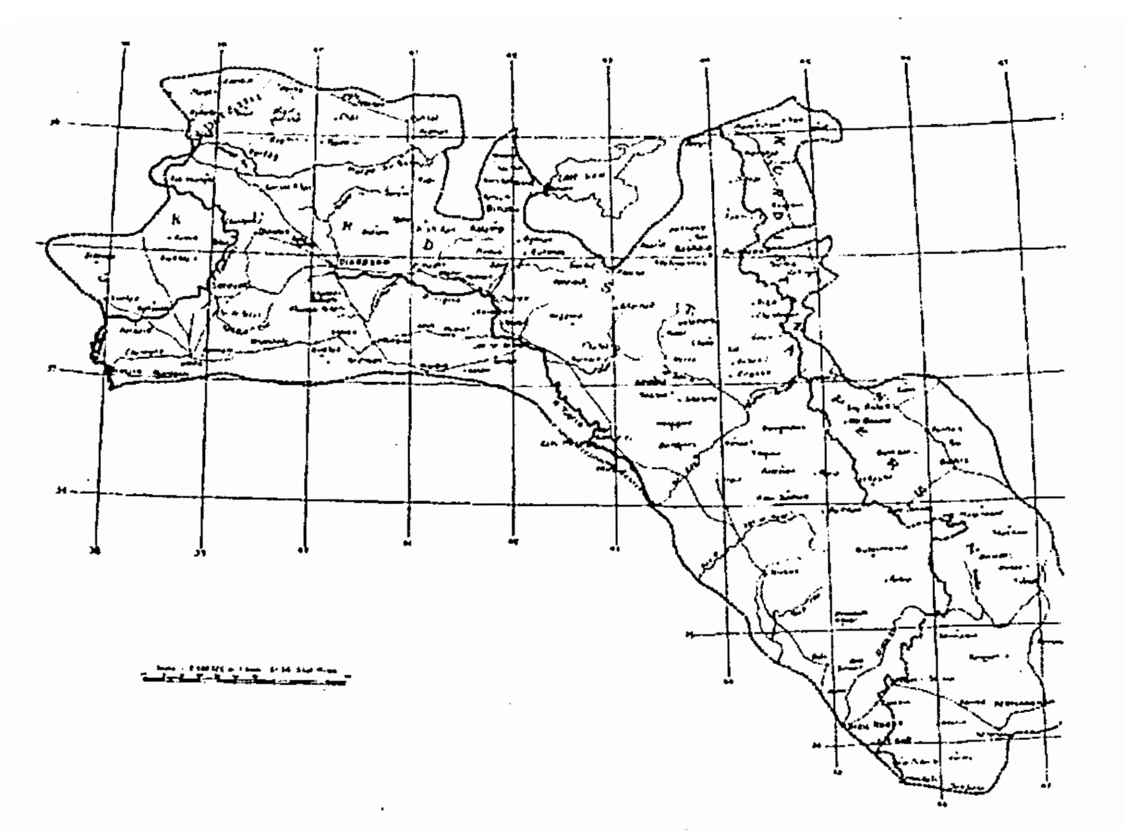
مبالغ فيه لوطن الكرد. ولأن الكاتب كان يتأسف لانقسام الكرد بفعل صراع القبائل، وبفعل وجود الكرد الستراتيجي بين الامبراطوريتين العثمانية والصفوية، يمكننا اعتبار أن أحمد خاني قام بتحديد مكان كردستان بين امتدادات الامبراطورتين، دون الأخذ في الاعتبار اختلاط الهويات في هذه الأراضي. كان تكبير كردستان بمثابة رد رمزي على انقسامات الكرد، السبب الأساس في خضوعهم لسلطة الامبراطوريات المحيطة.

بعد ذلك ترافقت سياسة الباب العالي في فرض المركزية، والإلغاء المتزايد للإمارات، مع سياسة توطين السكان القبليين، من أجل تأكيد ولاءهم للسلطة العثمانية. على هذا الأساس، بدأ الكرد تعديل نظرتهم إلى مطارحهم التي كانت حتى ذلك الحين متعددة والتي تشكل مرجعية لبناء هويتهم، وتحديد أرض موحدة بمرجعية واحدة. وقد وفرت مشاريع تقاسم الامبراطورية العثمانية بين الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الأولى، الأرضية لرسم أولى الخرائط للشرق الأدنى ولكردستان على النمط الغربي[1]. هذه المشاريع لتقسيم الامبراطورية حملت المثقفين الكرد في اسطنبول على رسم أول خريطة لكردستان أرسلت إلى الدول الكبرى الغربية عام 1919 من أجل الفوز بدولة، رغم أن الفضاء القبلي ظل مرجعية للأراضي الكردية.

إن الخريطة، التي أرفقت بمذكرة عن مطالب الشعب الكردي التي قدمها شريف باشا خلال مفاوضات السلام كشفت تردد القوميين الكرد وتجاذباتهم.

---

(1) Pour une revue des cartes et des projections réalisées par les agents britanniques concernant le Kurdistan, voir O'SHEA Maria T., «Greater Kurdistan, the Mapping of a Myth?», in: *Kurdistan, Political and Economic Potential*, Naria T. O'Shea (dir.), Londres, GRC Occasional Paper Series nº 2, 1992, P. 4-11.



رسم رقم (2) كردستان حسب شريف باشا (1919)

رغم أن كردستان شريف باشا كان أقل اتساعاً من ذلك الذي تصوره شرف خان من بتليس وأحمد خاني، لكنه ظل واسعاً جداً، خاصة لجهة الشمال لاغياً، في الواقع، كل شرعية للمطالب الأرمنية في ولايات أرزوروم، وبيازيد وفان. لكن الخريطة التي تحدد الأراضي التي يفترض أن تشكل الدولة الكردية المقبلة كانت أقل طموحاً. فهي تترك ولايات الشمال للأرمن وتكتفي بممر إلى بحيرة فان. ومن المحتمل أن هذا التنازل في الخريطة شكل بادرة من شريف باشا إزاء الدول الكبرى كي لا تثير ردة فعل معارضة لإقامة كردستان ذي حكم ذاتي. في المقابل فإن كردستان كما بدا في الجنوب (العراق حالياً) ضم مدناً بأكثرية عربية مثل الموصل والمناطق النفطية حول كركوك والموصل. هذا ورغم أن المطالب الكردية تتركز على الأراضي العثمانية فإن الخريطة ترسم، أيضاً حدود كردستان الفارسية، مؤكدة هكذا وجود كردستان ما وراء حدود الامبراطورية.

«كردستان الكبير»

أتيحت للقوميين الكرد فرصة جديدة، عند اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية لتقديم مطالبهم السياسية المنتسبة من جديد إلى مطالب في الأراضي. فمن بين جميع محاولات رسم الخرائط التي قام بها الكرد أنفسهم[1] كانت الخريطة الأكثر تفصيلاً وأهمية هي التي أعدتها الرابطة الكردية، وهي الخريطة

---

(1) الخرائط الأخرى الثلاث لكردستان صاغها أمين زكي بك على أساس مختلف الخرائط التي وضعها العملاء البريطانيون في مطلع القرن العشرين. أما خريطة رز غازي فهي الأكثر طموحاً لأنها تزعم أن حدود كردستان تصل إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً، والخليج الفارسي شرقاً. وهي تستوحي، على الأغلب، الخريطة التي وضعتها الرابطة الكردية عام 1945، والمقدمة إلى مؤتمر سان فرانسيكو، مع أنها تبدو حذرة فيما يتعلق بالمطالب في الأراضي الكردية في تركيا.

التي انبثقت عن رابطة خويبون[1]. فمن جهة يقوم واضعو الخريطة، للمرة الأولى، بتثبيت الحدود الإثنية الجغرافية لكردستان محددين بذلك، في وثيقة وجهوها للدول الكبرى العالمية، حدود الهوية الكردية. ومن جهة أخرى، لأن خريطة الرابطة الكردية لا تزال، باستثناء تعديلات بسيطة، تصور «كردستان الكبير» الذي يعتمده القوميون الكرد حتى اليوم.

وقد بدت لهجة الملاحظات حول خريطة كردستان حيادية، رغم أن واضعها «يستخدم أماكن فيها من الظلال النسبية السماكة ما يشير إلى عدم دقة معلوماتنا». إن واضع الخريطة، ونعتبره كاميران بدرخان بالذات[2]، يقصد بكردستان «جميع الأراضي التي تسكنها أكثرية كردية» دون أن يذكر مصادره الإحصائية التي تؤكد الأغلبية العددية الكردية في المناطق المعنية.

ولم يمنع إقرار كاميران بدرخان بتعدد الإثنيات في كردستان وبعض

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 802. «Remarques au sujet de la carte Kurdistan», Délégation Générale de la France Combattante au Levant. Sûreté aux Armées n° 976/D.B., Transmis au Comte Ostrorog Beyrouth, le 18 juin 1946.

(2) الخريطة، المثلثة الألوان، 1/ 4000000، كردستان والمجموعات المنعزلة، تمت صياغتها في بيروت ومؤرخة في نيسان/ أبريل 1946 حسب بيير روندو. وهي تندرج في كم من المذكرات التي صاغها كاميران بدرخان في بيروت، وقدمتها الرابطة الكردية: مذكرة حول القضية الكردية (قدمت إلى الدول المتحالفة عام 1943، ونشرت عام 1949)، مذكرة عن كردستان وملحقاته 1945. وقد أعيد طبع المذكرتين في نشرة مركز الدراسات الكردية في باريس الذي رأسه كاميران بدرخان منذ عام 1948. كما أن الخريطة المقدمة في أيار/ مايو 1946 تمت إعادة نشرها بانتظام في كل أعداد نشرة مركز الدراسات الكردية. أخيراً، هذه الخريطة ملحقة بالمذكرة حول وضع الكرد ومطالبهم عام 1948، وهي وثيقة يبدو إسهام كاميران بدرخان أساسياً فيها. في النهاية، إن مناطق لور وبختيار أدخلت في «حدود» كردستان في المذكرة التي وضعها كاميران بدرخان عام 1943. كل هذه الوقائع تقودنا إلى الاعتقاد بأن كاميران بدرخان هو في أصل هذه الخريطة والملاحظات التي أرفقت بها....

الصعوبة في ترسيم حدود كردستان، من مطالبته بأراض واسعة جداً. فكردستان يبدأ، في الغرب، إذن، قرب خليج الإسكندرون على البحر الأبيض المتوسط، ويتبع خطاً باتجاه أرزوروم، ويريفان في الشمال، ثم تنتقل الحدود إلى الشرق لتضم قسماً هاماً من أذربيجان الغربية، لتتجه إلى الجنوب إلى موازاة همدان، وتصل إلى الخليج الفارسي. ومن الخليج الفارسي تصعد حدود كردستان إلى الشمال الغربي وتتبع خطاً يمر في كيفري والموصل (مدينة ضمت إلى كردستان)، فسنجبار لتسير، بصورة عامة، على الخط الفاصل حالياً بين سوريا وتركيا، وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط. يعني أرضاً مساحتها 530000 كليومتر مربع، يسكنها حوالى تسعة ملايين كردي حسب مختلف منشورات الرابطة الكردية.

خريطة كاميران بدرخان، رغم ادعاء الموضوعية، كانت قبل كل شيء. أداةً دعائية. وكما توضح ماريا أوشيا (O'Shea) أنها «خريطة للإقناع، وظيفتها الأساسية تغيير رأي القارئ، أو التأثير فيه، حول صحة مشروع مستقبلي. وهي تمثل في الواقع تجريداً ثقافياً، أكثر من تمثيلها دولة ممكنة الوجود[3]. في الواقع يصطدم، ترسيم الحدود المتخيل لكردستان في الشمال بحدود الأرمن. وتتضاعف الصعوبات بالشرق لأنه، ينبغي ترسيم الحدود مع الأراضي الأذرية من جهة ومع الأراضي الفارسية، من جهة أخرى. أما في الجنوب فإنه يواجه العالم العربي. وفي الغرب والشمال الغربي تصطدم الحدود المتخيلة لكردستان بتركيا مع حدودها الدولية التي يجهد علماؤها في التاريخ الجغرافي بتبريرها منذ عام 1923 [4].

---

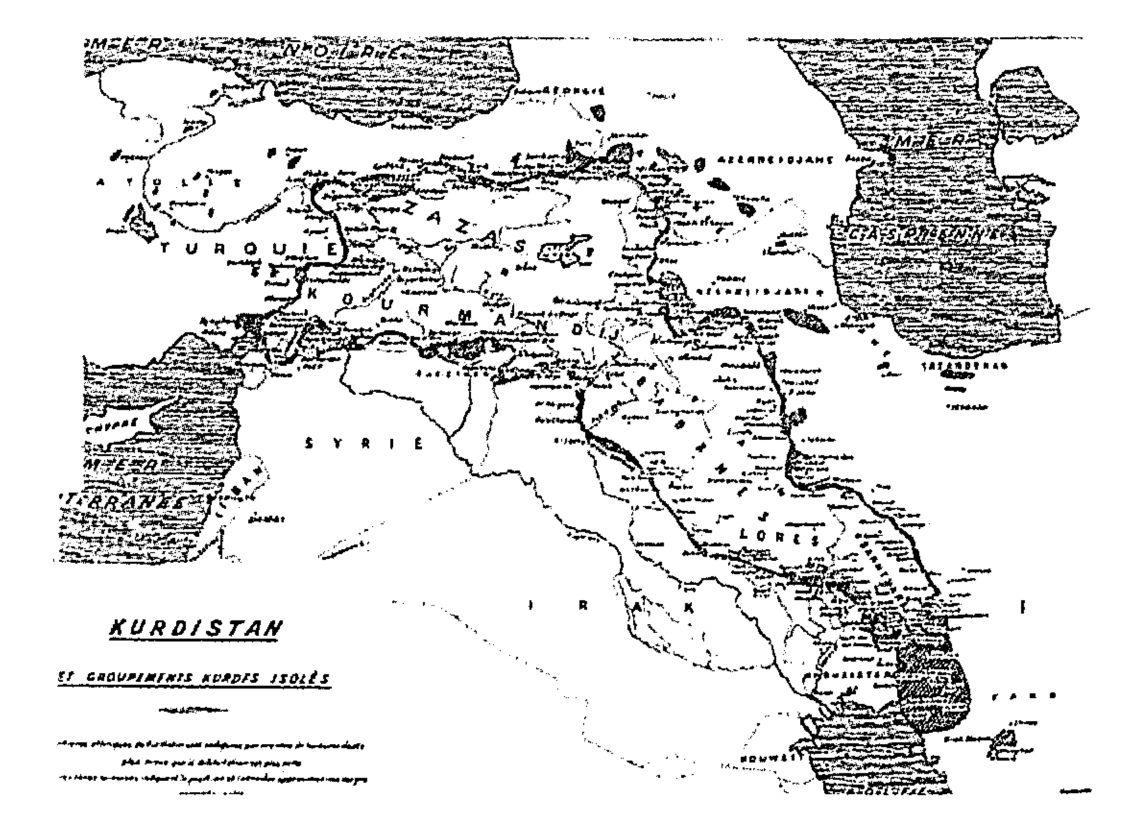
(3) O'SHEA Maria T., «Between the Map and the Reality. Some fundamental Myths of Kurdish Nationalism», *art. cit.*, P. 180-181.

(4) PROUSE Jean-François, «Ke Kurdustan: quel territoire pour quelle population?», in: *La nation et le territoire. Le territoire, lien ou frontiére?, art. cit.*, P. 26-27.

تهدف خريطة كردستان الكبير، بوصفها رمزاً، إلى إثارة حنين لعلاقات غير واقعية مع أراضٍ مشحونة بتاريخ مأساوي من الخيانات، والمعارك، والفتوحات. وإلى أن تكون تأكيداً رمزياً لوحدة كردستان رغم الانقسام الفعلي الذي فرضته حدود الدول، بفعل التشرذم الداخلي للجماعة الكردية. بهذا المعنى يمكن اعتبار خريطة عام 1946 التي وضعت في بيروت، بأنها نجاح للقومية الكردية لأنها شكّلت فضاءً متخيلاً عند الكرد، بمن فيهم الحركات المعتدلة التي تدعو إلى استقلال ذاتي، وعنصراً مركزياً في الهوية الكردية. كما نجحت في إقناع الكرد بمركزية كردستان السياسية، رغم بقاء أرضه حتى الآن، ما كانته زمن الامبراطورية، طرفية، ولا تزال عليه الآن في دول الشرق الأوسط. إن نظرة جيوسياسية[1]، تظهر أن خريطة كردستان الكبير تأخذ بعين الاعتبار المسائل المادية بحيث تشجع على التحاق الأكراد «بالقضية القومية الكردية». لقد أكد اتصال كردستان بالبحر الأبيض المتوسط وبالخليج الفارسي، وإدخال المناطق النفطية في شمال العراق داخل كردستان، إرادة القوميين الكرد بإقامة دولة قابلة للحياة اقتصادياً وسياسياً. إن كردستان الكبير يغذي، فضلاً عن ذلك، أمل القوميين الكرد في قلب وضع الكرد، على صعيد المنطقة، من «أقلية» إلى «أكثرية». ويمكن، في كل حال، اعتبار كردستان الكبرى، مطلباً نهائياً. ذلك أن اتفاقية سيفر قررت بناءً مشروطاً لكردستان مستقلاً ذاتياً في جزء صغير من الأرض المطالب بها كأرض لكردستان. لقد قدمت الرابطة الكردية إلى الحلفاء برنامج حد أعلى وهي على بينة بأنها ملزمة، في حال النظر فيه، تقديم تنازلات هامة وربما ضرورة الاكتفاء بأراض تساوي تلك التي اقترحت عام 1920.

---

(1) DIJKINK Gertjan, *National Identity an Geopolitical Visions. Maps of Pride an Pain*, Londres & New York, Routledege, 1996, P. 11.



خريطة رقم (3) «كردستان الكبير» حسب الرابطة الكردية (1945)

في البدء كان العلم رمزاً مشحوناً بالمعلومات، كانت وظيفته عملية، أي أنها تنقل رسالة. وفي عهد الدول الأمم صار للعلم وظيفة رمزية واضحة. وحسب قول ريمون فيرث (Firth)، تحول العمل إلى «رمز تكاثف»[1]. فهو يرمز إلى الطابع المقدس للأمة، ويحظى بإجلال المواطنين الأمناء ويرفع في المناسبات الاحتفالية.

ويختصر العلم القومي، على طريقته، التاريخ، المجيد أو الأليم للوطن. ويقوم، بالنسبة للأفراد الذين يعتبرونه، يصهرهم في الحاضر، وأيضاً، في التاريخ، لأنه ينتسب إلى أولئك الذين دافعوا عنه ومجدوه: يحدث، بذلك، حلفاً مقدساً بين الأحياء، وبين الوجوه البارزة في الماضي[2]، وفي المستقبل. في الحالة الكردية، يشكّل علم كردستان، مثله مثل خريطة «كردستان الكبير»، جواباً رمزياً على منطق تقسيم كردستان، وعلاجاً مؤقتاً في غياب دولة ذات حدود مرسمة معترف بها في المجتمع الدولي. يرمز العلم إلى وحدة الكرد، رغم الانقسامات الداخلية.

يتألف علم كردستان من ثلاث قطع أفقية: باللون الأحمر، والأبيض وفي وسطه شمس ذهبية، والأخيرة باللون الأخضر. مثل ألوان العلم الإيراني لكنها معكوسة. فالعلم الكردي هو بهذا المعنى، ثمرة إرادة واضحة عند راسميه، في تأكيد علاقة النسب بين الكرد والشعوب الإيرانية، والبعد عن الترك والعرب، مع الإشارة إلى خصوصية الكرد إزاء الفرس.

إن اعتماد الألوان الثلاثة (الأحمر، والأبيض، والأخضر) لعلم موجود

---

(1) Raymond Firth cité par BILLIG Michael, *Banal Nationalism,* Londres & New Delhi, Sahe Publications, 1995, P. 29.

(2) ZAZA Noureddine, «Keskeson», *Hawar*, nº 30, 1941, P. 748-749.

لا يعني أن أيديولوجيي القومية الكردية لا يضيفون معنى لهذه الألوان، وللشعارات المضافة. فالأحمر ينسب، في الغالب، للدم المراق من أجل حرية وكرامة أبناء الوطن. ويمكن النظر إليه، أيضاً، كتعبير عن الثورة التي تقود إلى الحرية، ثم الحصول عليها، أو التي ينبغي أخذها. والأبيض ينسب، غالباً، للطهارة، والضوء، والروحانية. أما اللون الأخضر فإنه يرمز، في الغالب، إلى الخصب، والحياة، والازدهار، والجمال. وأخيراً يمكن اعتبار الأصفر كإشارة إلى الغنى، والضوء، والنهضة. إلّا أن الشمس، هي أيضاً رمز للحرارة، والقوة، والعظمة.

إن إضافة الشمس، في الحالة الكردية، يمكن أن تكون تعبيراً عن الرغبة في إدخال رمز ديني. فبدلاً من اعتماد الهلال المرتبط بالإسلام، فضل القوميون الكرد، على ما يبدو، رمزاً لديانات سابقة على الإسلام مثل الزرادشتية. فالشمس على غرار ألوان العلم، تقرب كذلك الكرد من الشعوب الإيرانية مع إبعادهم، أيضاً، عن الترك والعرب. أما بالنسبة للرموز التي أضيفت لاحقاً، فيمكن أن نرى في القمح رمزاً للتقدم، والغنى، والنمو. وأخيراً ليس من الصعب اعتبار مقبض الريشة طموحاً لدى النخبة الكردية، في نقل شعبهم إلى رحاب الثقافة، والحياة الثقافية، والـ «حضارة».

إن رسالة طالبة كردية، نشرت في جريدة عند قيام جمهورية مهاباد في إيران عام 1946. تؤكد ما ذكرنا من ترابط المعاني أعلاه:

> «آه مهاباد فخر الكرد كلهم. عندما أرى علمي يرفرف فوقك تبدو أمام عيني عظمة 15 مليون كردي. أود أن أجوب كل الجبال العالية وأغني أناشيد الحرية. هنا أنت ترفرف فوقنا، لكن أشقاءنا الكرد في تركيا لا يستطيعون رؤيتك، إنك تغمرنا بالسعادة هنا، لكن أخوتنا في سوريا والعراق محرومون من صورتك وجمالك. لونك

هو الأحمر من دماء الشهداء، ولونك الأبيض هو رمز نقاء الكرد، ولونك الأخضر هو، أيضاً، رمز جمال أرض كردستان»[1].

إن الرموز والشعائر التي اختارها كرد اسطنبول، أولاً، ثم كرد دولتي المشرق، قد تبنتها المنظمات الكردية في إيران والعراق في بداية الأربعينيات، معززين، بذلك، رمزية انتشار الكرد ووحدتهم.

4 ـ الطابع القومي

إن الهوية القومية التي طغت، منذ القرن العشرين، وسعت تشخيص القرابة إلى حد إضفاء الطابع الأسطوري على الأصول (النبيلة) للأمة، وأيضاً تشخيص الأنا، النحن، والآخرين.

يتكون العالم، في مفهوم الرومنسيين الألمان والسلاف، من شعوب ذات أصول مختلفة، وتتكلم لغات مختلفة، لكنها تتميز بملامح واحدة. إلّا أن طموح العلوم التي تطورت في أوروبا بغية تصنيف الأنواع (الحيوانات، البشر)، وخلق «فصائل» تجمع «أنماطاً» قد أثر، بموازاة ذلك، في أعمال الأوروبيين المتخصصة بالشعوب الشرقية.

فضلاً عن أن تقاطع النظرة إلى الشرقي مع المصالح الجيوستراتيجية للدول الكبرى الغربية في الشرق الأوسط قد أدى إلى رفع معنويات جماعة إثنية على حساب غيرها، في ظروف معيّنة. ففي حين كانت صورة الإنسان الكردي، التي رسمها المسافرون والمبعوثون الرسميون قبل القرن العشرين سلبية، بصورة عامة، فإن تسلل عملاء بريطانيين إلى المنطقة، بدءاً من الحرب

(1) Lettre publiée dans le journal *Kurdistan* (n° 9, 1946) à Mahabad. Traduction à partir du texte kurde reproduit dans CEMIL PACHA Kadri (Zinar Silopî), *Doza Kurdistan, op. cit.*, P. 174.

العالمية الأولى، قد غيّر المعطى. لقد صاحب مشاريع تقسيم الامبراطورية العثمانية، إعلاء شأن مواصفات الكرد وتشبيههم بالأسكتلنديين، وبكونهم سهلي التواصل. إن المطامح السياسية لبريطانيا العظمى في بلاد ما بين النهرين وفارس أدت إلى إعلاء شأن الشعب الكردي في عيون الرأي العام البريطاني. وأكد ذلك الخبير الروسي في الشؤون الكردية بازيل نيكيتين:

«هذه التحديدات السيكولوجية المزعومة، تعكس، في الغالب، تفضيلات وأذواق الظرف المعيّن. فشعب ما يرفع إلى العليين يوماً بسبب ما (سياسي في الغالب)، يعاني في الغد الهوان إن تغيرت الأحوال. يوماً يعظمون الفردية المناهضة لروح الجماعة، ويوماً آخر يتشكون من سلبيات الارتجال الفردي بالمقارنة مع النتائج المحصلة بفعل الانضباط الوطني»[1].

عندما كلفت فرنسا بالانتداب على بلدي المشرق، واهتمت بكرد الشمال السوري، ومن أجل إقامة تحالف ستراتيجي مع أولئك السكان، اتبع الفرنسيون المتخصصون بالكرد نفس منطق من سبقهم من البريطانيين. لقد اعتبر الكردي، مذاك، أكثر قرباً للأوروبي منه للعربي.

لقد فهم ذلك الدعاة الكرد المتصلون بممثلي الدول الغربية الكبرى، وبالمستشرقين الأوروبيين، واغتنموها فرصة ليظهّروا الصورة الإيجابية التي أعطتها دراسات المستشرقين ليقدموا الكرد إلى الدول الغربية من زاوية جديدة. وكان كراس رابطة خويبون، المسألة الكردية، أصولها، وأسبابها، الأول بهذا المعنى. ويعيد سوريّا بدرخان، في مقدمته، نشر أقوال لعدد من الكتّاب الأوروبيين الذين رسموا صورة إيجابية عن الكرد. وكان الهدف من

(1) NIKITINE Basile, *Les Kurdes. Etude sociologique et historique.* Préface de M. Louis Massignon, Paris, Librairie C. Klincksieck, 1956, P. 65.

ذلك فضح «افتراءات الترك السوداء، والسافلة». وفضّل سوريّا بدرخان، عوضاً عن رده الشخصي، ترك هذه «المهمة على عاتق نخبة من الكتاب المستشرقين أنفسهم، ليتحدثوا وهم الذين درسوا كردستان والكرد وعرفوهم»[1].

وقد اتبع جلادت وكاميران بدرخان، بالتواطؤ مع المتخصصين الفرنسيين بالكرد، الستراتيجية نفسها طوال السنوات الفاصلة بين عام 1920، وعام 1940. ويعترف روبير سيريو (Surieu) [2] بأن جزءاً من مهمته هو «أن يصحح بواسطة شهادات الأجانب الذين عرفوا الكرد بالشكل الأفضل؛ الأساطير (السلبية) المنتشرة كثيراً للأسف الشديد. فالحقيقة، إن الكرد يتميزون بصفات استثنائية في الشرق». أما روجيه لسكوت (Lescot) الذي سلك مسلك الكتاب البريطانيين، فقال إن الكرد مضيافون، صادقون وعمال لا يتعبون. يحبّون أرضهم، ويحترمون كلمتهم، ويمتلكون الكثير من الوعي، ويتعطشون إلى التعليم[3].

وقد تبنى المثقفون الكرد، ومنهم كاميران بدرخان، هذا النهج مدعماً بالبراهين لتقديم الكرد للجمهور الغربي باختيار مقاطع من مؤلفات سوان (Soane) وويغرام (Wigrame) وهَيْ (Hay) وهاملتون (Hamilton) تتعلق.

---

(1) BEDIR KHAN Sureya, *La question Kurde, ses origines et ses causes, op. cit.*, P. 3.

(2) عوامل مختلفة تقودنا إلى اعتبار روبير سيريو هو نفسه روجيه لسكوت، أولاً، كتب بيير روندو يقول: «لقد صدرت فوراً بعد ذلك، دراسة موثقة باسم كردستان بتوقيع روبير سيريو. وهو اسم مستعار لعالم في الكردية مشهور [...] وإلى ذلك، نعرف أن روجيه لسكوت هو اختصاصي بالإيرانية أيضاً. ففي عام 1967 نشر روبير سيريو في سار في ناز كتاباً عن الصعوبات الأيروتيكية عن الحب في إيران القديمة. والكتاب لا يحمل أي تعريف بالمؤلف، كما يؤكد أن اسمه مستعار. ويظهر روجيه لسكوت في هذا الكتاب بوصفه مترجماً لبعض قصائد الحب....

(3) SURIEU Robert, «Kurdistan II», *Roja Nû*, n° 41, 1944, P. 3.

بصورة خاصة، بـ «المزايا القومية» للكرد. فالصور التي رسمها هؤلاء الكتاب عن صفات الكرد عديدة: الاستقامة الدائمة، واحترام الكلمة، والحنان على الأقارب الأدنين، والموقف الأكثر احتراماً للنساء على خلاف ما هو عند الأمم الإسلامية الأخرى، والروح الأدبية، وحب الأدب والشعر، والاعتزاز بالأمة، وروح النكتة، وحب العمل، والضيافة. كما أن الكردي ليس متعصباً ويمتلك «صفات الرجولة»[1].كان ذلك من مقاييس ذلك العصر، بعضه من صنع الاستعمار الغربي، وبعضه الآخر مقارنة بما هو متّبع في أوروبا. وعلى غرار الفولكلور يُرجع «الخُلق القومي، أيضاً للشعب ـ للفلاحين القريبين من الأرض، وللتعبير الأصيل عن العلاقة الحميمة بين الأمة والأرض، وللتكون المديد للكائن القومي بفعل الطقس والمحيط». وليس للفلاحين حاملي «الخلق القومي». أية علاقة مع الجماهير الريفية البائسة، أو الأقنان. إنهم على العكس «أناس حكماء، وأذكياء، وأحرار وسعداء، يعيشون بهناء في مجتمعات منسجمة، حياة متقشفة، لكن بدون آلام، ويرتعون في الثقافة الأكثر أصالة[2].

هذا الخطاب الموجه إلى الجمهور الغربي تمّ استخدامه بالتدريج من قِبل الكرد أنفسهم، وسمح لهم بإغناء هويتهم الكردية الجاري تكونها، واللحاق بالنمط الغربي. المفارقة، إنه رغم استخدام آل بدرخان أعمال المستشرقين لتبيان الفرق بين الكرد والترك، فإن «الخلق القومي» الكردي لا يختلف كثيراً عن التركي. هذا التقارب في تعريف الخلق التركي والكردي يعود إلى رغبة أيديولوجيي الشعبين في تقمص النمط الغربي، في إطار مشترك

---

(1) Voir la série d'articles publiés sous le titre «Les Kurdes et leurs pays», *Roja Nû*, n° 56-58, 1945.

(2) THIESSE Anne-Marie, *La création des identités nationales*, Paris, Seuil, 1999, P. 162.

يشبه انعكاس المرايا. ذلك أن الكردي والتركي رغم شرقيتهما، يتم تصويرهما بأنهما يتمتعان بمزايا «أوروبية»: الاعتدال الديني، واحترام المرأة، والشجاعة في الأوقات الصعبة، والكرم، باختصار صورة الجنتلمان.

التسامح الديني

كانت رابطة خويبون تنميّ منذ نهاية العشرينيات، في نشرات الدعاية الموجهة للرأي العام الغربي، صورة الكردي المتسامح غير المتعصب على الإطلاق.

وقد سهّل هذا العمل كون داعيتي خويبون الأخوين سوريّا وجلادت بدرخان قد حصلا على الثقافة الغربية وكانا يتأثران بالفكر العلماني. وقد اعتمد المثقفون الكرد، خطاباً مزدوجاً حول مكان الدين في المجتمع الكردي، وفي القومية الكردية على الأخص. كانوا يرغبون بالتأكيد، وبأشكال مختلفة، بجعل الهوية القومية المرجعية النهائية لكل كردي بمعزل عن هويته القبلية، والدينية، والمحلية. فالميزة الأساسية للكردية هي اللغة وليس الدين.

لكن جلادت كان يقر أن هدف الأعداء في الاندماج الثقافي للكرد قد تحققت جزئياً، لأن الكرد، خلافاً للمسيحيين لم يكتبوا نصوصاً دينية بلغتهم[1]. وقد شرّع جلادت بدرخان الباب لإضفاء الطابع القومي للدين الإسلامي من خلال اللغة الكردية، تلافياً للاندماج التام للكرد. وقد بذل آل بدرخان جهداً لإظهار التوافق بين المثال الديني والمثال القومي، بين الإسلام السني (أكثرية الكرد من أهل السنّة)، واختيار الأحرف اللاتينية، بين الإسلام والتقدم. وطلب بالمقابل من المشايخ والعلماء استخدام اللغة الكردية كأداة

---

(1) BEDIR KHAN Djeladet, «Heyînekê yeksalî», *Havar*, n° 20, *art. cit.*, P. 405.

تواصل بين رجال الدين والمؤمنين وطلاب الفقه الإسلامي. ولعب كاميران بدرخان دوراً أساسياً في هذا العمل بإصداره نشرة: درس ديني (1938) وبترجمته القرآن إلى الكردية.

إن نداء المثقفين الكرد كان، أولاً، موجهاً إلى الكرد الناطقين بالكرمانجية، ومن المذهب الإسلامي السنّي. إلّا أن آل بدرخان كانوا يرون أنه لا يجب إجبار الكرد على الاختيار بين القومية والدين، بل بالأحرى إقناع المشايخ بأن يكون الدين في خدمة القضية الكردية. وهم بذلك استلهموا، جزئياً، خطاب الكماليين خلال حرب الاستقلال التركية.

رغم هذا التنازل من قِبل المثقفين المدينيين، لم يتراجع آل بدرخان عن إضعاف موقع الإسلام في القومية الكردية باكتشافهم «الدين الحقيقي للكرد» في اليزيدية[1]. لقد أقام آل بدرخان خطاً، وصلة مباشرة بين اليزيدية[2] والزرادشتية. وقال كرمان بدرخان: إن الدين اليزيدي هو تشويه

---

(1) في المقابل ضم اليزيديون في وقت متأخر إلى القومية الكردية في العراق. حسب نيليدا فوكارو، يعود إبعاد اليزيديين عن الحياة السياسية في العراق إلى فقدان هذه الطائفة نخباً متعلمة حتى العام 1940. إن التعبئة الكردية في العراق ظلت شديدة الارتباط بأعمال المشايخ المسلمين وباستخدام الرموز الإسلامية، وكان اليزيديون، عملياً، بعيدين عن مفهوم الكردية. فعلى سبيل المثال: قدم ستة نواب كرد في البرلمان العراقي مشروع حكم ذاتي للمناطق الكردية في عقرةودهوك، وزيبار، وعمادية، وزاخو وتركوا جانباً منطقتين يسكنهما يزيديون هما سنجار وشيخان...

(2) إن الأطروحة الأحدث والأعمق، عملياً، حول الأصول التاريخية لليزيديين هي أطروحة المستشرق الإيطالي م.ا ـ غيدي (Guidi). وحسب هذه الأطروحة فإن اليزيدية نشأت كردة فعل سياسة دينية موالية للأمويين، شبيهة بالحركة الموالية لعلي التي هي أساس الشيعية. انتقل اليزيديون إلى سنجار، ثم أبعد إلى الشمال بعد ذلك، وتركزت اليزيدية وابتعدت عن الإسلام الأرثوذكسي، إلى درجة فقدت معها أي قرب منه. لذلك اعتبرت اليزيدية كوثنية تدعي الإسلام، وذلك استفزاز حقيقي سبب فعلاً =

للديانة الزرادشتية، التي كانت ديانة جميع الكرد[1]. وكتب آل بدرخان مقالات عديدة بالكردية والفرنسية للتعريف ببعض العناصر، في الزرادشتية واليزيدية بزعم أنها كانت الديانة الأصلية للكرد. وكان المثقفون الكرد، بعملهم هذا، يرمون إلى أهداف عديدة.

يعزز هذا التنسيب أسطورة التواصل بين الميديين والكرد[2]. ففي حين كانت المقالات بالكردية تصر على هذا التواصل لتأكيد انتساب الكرد إلى عائلة الشعوب الهندو أوروبية[3]، جاءت المقالات بالفرنسية لتشرح الانفراد الديني للكرد، وخاصة غياب التعصب الذي يعود سببه إلى بقايا الزرادشتية في حياتهم الدينية وفي عاداتهم[4]. إلى ذلك، أصبح الكرد، من خلال اليزيدية، الورثة والمدافعين عن المبادئ التي صاغتها هذه الديانة: مبادئ الخير والشر، ووجود إله واحد أيضاً. ورغم أن الكرد هم اليوم من المسلمين فعليهم التصرف حسب التعاليم الزرادشتية، وحاول آل بدرخان، من جهة ثانية،

= هجمات نارية من العلماء المسلمين السنة والشيعة، ما برر طويلاً القمع الذي عانى منه اليزيديون على يد العثمانيين والقبائل الكردية. وهذا ما يفسر الحظر المتبادل، منذ بداية القرن العشرين، بين الكرد اليزيديين والكرد المسلمين.

(1) BEDIR KHAN Kamuran, «Notice sur la Bible noire», *Hawar*, n° 14, 1932, P. 289.

(1) كانت ديانة الميديين المزدية، باسم الإله آهورا مزدا «السيد الحكيم»، ومعروفة أيضاً باسم المجوسية. وقد تم إصلاح المزدية في العصر الأشيميدي وقام بذلك رداتوشرا. وزرادشت، وحسب توماس بوا فإن بعض القوميين الكرد يذهبون إلى التأكيد بأن زرادشت ولد أيضاً، في كردستان عام 660 قبل المسيح....

(3) BEDIR KHAN kamuran, «Zerdesht û rêya Zerdesht» («Zoeoastre et la voie de Zoroastre»), *hawar*, n° 26, 1935, P. 675.

(4) BEDIR KHAN kamuran, «Le soleil noir. Les Coutumes du pays des Kurdes», *Hawar*, n° 26, 1935, P. 678.

بادعاء أن الزرادشتية ونسختها، المتبدلة شكلياً، اليزيدية «كانت هي ديانة جميع الكرد» قبل وصول الإسلام في كردستان، وذلك لإيجاد علاج لتشرذم المجتمع الكردي.

كانت أسطورة الإيمان المشترك ضرورة لتأكيد وحدة الكرد في وقت كان فيه الكرد مقسّمين على معتقدات دينية ومذهبية مختلفة (سنية، وشيعية، وعلوية، ويزيدية، وأهل الحق، والشاباك، إلخ). ما يضعف إمكانية بناء حركة قومية متحررة من الميول الطاردة. كان المطلوب من الانتساب إلى الزرادشتية، السماح لجميع الكرد أن يتمظهروا في ماض أسطوري كان الكرد فيه يشكلون جسماً واحداً، وأن يتجاوزوا خلافاتهم الحالية.

وكان من الممكن أن نرى، في ذلك، محاولة من آل بدرخان لإضفاء القداسة على اللغة الكردية، واحترامها باعتبارها قلباً للهوية الكردية التي ينبغي الدفاع عنها. يستخدم اليزيديون، في الواقع اللغة الكردية (الكرمانجية) في طقوسهم الدينية. وكتاب اليزيديين المقدس مكتوب، أيضاً، باللغة الكردية. فضلاً عن أن الكرد هم، حسب المثولوجيا اليزيدية، من أحفاد آدم وحواء، وأن الله ذاته كان يتكلم الكردية: وقد «تحدث الله مع آدم ومع الملك طاووس بهذه اللغة الكردية الرائعة ولهذا السبب كتبت التوراة السوداء بالكردية»[1].

وهكذا أريد للغة الكردية العلو إلى مستوى اللغة العربية، لغة الوحي عند المسلمين، في مواجهة رفض أوساط كردية استخدام غير اللغة العربية في طقوس العبادة والتعليم الديني.

---

(1) BEDIR KHAN kamuran, «Notice sur la Bible noire», *Hawar*, 014, *art. cit.*, P. 290.

لقد اكتشف آل بدرخان صفات اليزيدية واعتبروها نموذجاً للكردية، رغم ما تعرض له اليزيديون من حملات لاعتناق الإسلام بالقوة خلال قرون[1] من قبل السلطات العثمانية ومن الكرد المسلمين.

المرأة الكردية: استثناء في الشرق الأوسط

إن مشاركة المرأة في دينامية بناء القومية ليست واقعاً خاصاً بالحالة الكردية. غير أن طريقة التزام المرأة في العملية الإثنية والقومية يمكن أن تكون منوعة. فيمكن أن تشارك فيها بوصفها[2]:

- منجبة بيولوجية لأعضاء الجماعة الإثنية.
- واضعة حدود بين الجماعات الإثنية والقومية.
- صائغة أيديولوجية للجماعة، وناقلة لثقافتها.
- رمزاً للخطاب الإيديولوجي، للإثنيات المختلفة والقومية.
- مشاركة نشطة في الكفاح المسلح والقومي، والاقتصادي، والسياسي.

هذا الاندماج المرن للجنس النسائي لا يعني، مع ذلك، أن قضايا المرأة (سيطرة البطريركية، والحصول على التعليم، والتفاوت في الحظوظ، إلخ)، كانت تشغل حيّزاً مهماً في الحركات القومية. إلّا أن القومية ظلّت، على العكس من ذلك، في مركز اهتمام النساء المنخرطات في الحركات القومية في الشرق الأوسط. بكلام آخر، إن قضية المرأة تخضع للقضية القومية. رغم

(1) DERINGIL Selim, «The Invention of Tradition as Public Image in the Late Ottoman Empire, 1808 to 1908», *Comparative Studies in Society and History*, Vol. 35, 1993, P. 17-18.

(2) WALBŶ Sylvia, «Woman and Nation», in: *Mapping the Nation*, Gopal Balakrishnan (dir.). Introduction de Benedict Anderson, Londres & New York, Verso, 1996, P. 236-237.

أن هذه الأخيرة تقسم النساء على أساس إثني وتحول النساء إلى أدوات في الدولة العسكرية والبطريركية[1].

«قضية المرأة» إشكالية جديدة

لقد ضمت «قضية المرأة» عام 1913 إلى جدول اهتمامات الجمعيات الكردية التي كان يحتكرها الرجال آنذاك. كان ذلك، إلى حد ما، موضوعاً أضيف إلى إشكاليات المجتمع. كانت النخب الكردية في اسطنبول، شأن مثيلاتها، تطمح إلى تغريب المجتمعات التي تتألف منها الامبراطورية العثمانية رغبة في تأمين استمرار وجودها في عصر التمدن. كان المثقفون العثمانيون من كل الإثنيات، يتساءلون، في منشورات العاصمة المختلفة عن مستوى «تقدم» مجتمعاتهم بالقياس إلى المجتمعات الغربية. وكانوا يشيرون، بالتالي، إلى التحولات الاجتماعية الضرورية (السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية) بغية اللحاق بتطور البلدان الغربية. في هذا السياق العام أخذت النخب الكردية تهتم بوضع النساء الغربيات وتقارنها بوضع النساء الكرديات.

وهكذا اعتمد وضع المرأة الكردية كمقياس لـ «قدرة» الكرد على الحياة بين الأمم الأخرى كأمة كاملة المواصفات: إن «وضع المرأة في أمة ما هو مرآة لمستوى تقدمها. ومستوى تقدم الشعوب والأمم هو دوماً مرتبط بوضع المرأة[2]. وكان التعليم يعتبر الوسيلة التي تتيح تطوير المرأة الكردية والإسهام

---

(1) في الرد على السؤال: هل كان للنساء مشروع وطني يختلف عن الرجال، أجابت سلفيا ولبي: من المحتمل نعم. إلّا أن الفرق، كان جزئياً، وهو انشغال النساء في الحقول المحلية، وبالتالي كنَّ «أقل قومية»....

(2) ERGEN MADENLI Y.C., «Kürtlerde kadin Meselesi» («La question des femmes kurdes»), *Rojî Kurd*, n° 4, 1913, P. 12.

في تحقيق هدفين: التقدم، وتقوية الأمة[1]، ضمت مسألة المرأة الكردية إذن، إلى مشروع النخب التمديني، بوصفها، أولاً، منجبة بيولوجياً وثقافياً. كان المثقفون الكرد يدعون إلى توفير الحد الأدنى من التعليم للأمهات مربيات الأولاد الكرد، وبالتالي، مربيات الأجيال المستقبلية في الأمة. لم يكن إعداد النساء هو المطلوب وحسب، بل الأمهات القوميات على الأخص.

وقد حولت المرأة الكردية، كما حول الفلاح الكردي إلى مثال للكردية. وصار ينظر إلى المرأة الكردية كضمانة للتقاليد بفعل قلة انخراطها في صياغة المجتمع الاجتماعية. وفي مواجهة مفارقة الدفاع في آن معاً عن طهارة المرأة الكردية، وعن قدرتها على مجابهة تحديات المدنية، تخطى الكرد المأزق بتأكيدهم أن مكان المرأة في المجتمع الكردي يوازي، عملياً، مكان المرأة الغربية. فالنساء الكرديات قادرات على التمدن، لكنهن، يحتجن إلى الحصول على تعليم حديث.

مذّاك أخذ المثقفون الكرد يبذلون الجهود لتبيان تمتع المرأة الكردية بحرية أكبر بكثير من شقيقاتها عند الشعوب الإسلامية الأخرى في الشرق الأوسط[2]. كان جعل المرأة معلماً من معالم التمايز عن الشعوب الأخرى المسلمة، وخاصة الترك والعرب، وسيلة لإرساء أبعاد هوية قومية كردية في طور النشوء، ولأن المرأة الكردية تمتعت بخصوصيتها بفضل إسلام كردي

(1) KLEIN Janet, «En-Gendering Nationalism: The *Woman Question* in Kurdis Nationalist Discourse of the Late Ottoman Period», in: *Women of a non-state Nation. The Kurds*, Shahrzad Mojab (dir.), California, Mazda Publishers, 2001, P. 31.

(2) ممدوح سليم كان من أوائل من دافعوا عن فكرة «أن الإمرأة الكردية هي امرأة حرة وربة منزل». وعلى هامش بعض التقاليد الخاصة بالإسلام، فهي حرة في مظهرها...

منفتح، فإن الكرد يتمتعون، هم أيضاً، بخصوصيتهم، ويشكلون، إذن، أمة كاملة المواصفات وذاهبة إلى الحداثة.

عندما أكد المثقفون الكرد تميّز المرأة الكردية في الشرق الأوسط، فهم استعادوا، في الواقع، فكرة سبق وأعلنها مسافرون ومستشرقون أوروبيون. ربما كان الإيطالي بييترو ديلا فالي (della Valle) أول من لفت انتباه القارئ إلى الدور المتميز للمرأة في المجتمع الكردي[1]. إن مرويات المسافرين منذ القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر تبدع بما نسميه «الأكزوتيكية» (ما هو مستغرب). فالمسافرون يبحثون في الشرق عن عالم بعيد عن واقعهم اليومي، جاهلين التغييرات الاجتماعية والسياسية التي حصلت في الامبراطورية العثمانية. إن نوعاً من الحنين إلى شرق بدائي، دفع بالغربيين إلى التوقف عند المظاهر الأكثر أكزوتيكية في عالم يتحول. بدأ المسافرون ورجال العلم الذين يذهبون إلى كردستان التوقف عند بعض الحقائق، غير الدالة أحياناً، من أجل إثارة اهتمام القارئ المأخوذ بكل ما هو أكزوتيكي. وامتلك المسافر الأوروبي العديد من الوسائل لإغناء سرده وملاحظته الأكزوتيكية: البداوة، الأشقياء الكرد، الثياب التقليدية، الطبيعة المتوحشة، المذاهب الدينية، والمرأة الكردية. فانطلاقاً من أمور واقعية، وجود نسوة كرديات بدون حجاب، خاصة بين البدو (أقلية بين النساء الكرديات) ويقمن بمهمات (ركوب الخيل، قيادة عربات، إلخ) هي في الغرب من مهمات الرجال وليس النساء (البورجوازيات). إن

---

(1) Ainsi pour ce voyageur du XVIIe siècle, «les femmes se promènent librement et sans voile et parlent spontanément avec les hommes, natifs ou étrangers». GALLETTI Mirella, «Western Images of Women's Role in Kurdish Society», in: *Women of a non-state Nation. The Kurds, op. cit.*, P. 210.

كتابات الغربيين ترسم صورة لامرأة «مسترجلة»، متحررة ومساوية للرجل. وكما سبق ورأينا، فإن هذا الاستثناء يفسره الغربي بكون الإسلام هو أقل وطأة في الحياة اليومية للكرد. وقد كرر هذه الأسطورة المسافرون، والمبعوثون الدبلوماسيون، وأيضاً المستشرقون الأوروبيون في بداية القرن العشرين[1].

إن وضع المرأة الكردية المميّز، وإن كان أسطورة، فقد صار بمثابة رجاء للشعب الكردي، و«عامل من عوامل النهضة الشرقية»[2]. وأخذ القوميون الكرد يستوحون الصورة التي رسمها المسافرون والمستشرقون الأوروبيون، لأنها تمثل العديد من الفوائد. فهي تثبّت خصوصية الشعب الكردي بالاستناد إلى دراسات العلماء، وتتصدى للخطاب الرسمي التركي الذي يساوي الكردية بالتخلف، وهي، أخيراً، تضفي على خريطة الانتشار الكردي صورة إيجابية إزاء الرأي العام الغربي، على أمل أن تمد حكومات «الأمم المتمدنة» يد العون في الوقت المناسب.

وقد وسع الأخوة بدرخان بمساعدة روشن بدرخان زوجة جلادت، وظائف المرأة في خطاب القوميين الكرد منذ العام 1930. وإذا ما استعدنا الأنماط الخمسة التي تتيح للمرأة الاندماج في الدينامية الإثنية والقومية، المذكورة سابقاً، أمكننا الاستخلاص بأن المرأة الكردية دخلت الخطاب القومي بوصفها:

ـ منجبة بيولوجية للأمة الكردية. وهي مهمة أشارت إليها الجمعيات الكردية زمن الامبراطورية العثمانية.

---

(1) NIKITINE Basile, «Quelques observations sur les Kurdes», *Mercure de France*, t. CLV, 1921.

(2) BEDIR KHAN Kamuran. «La femme kurde», *Hawar*, n° 19, 1933, P. 390.

ـ معيدة إنتاج حدود إثنية في مقابل سائر الجماعات[1].

ـ ناقلة المميزات الثقافية واللغوية الكردية[2].

ـ رمز الخصوصية الكردية إزاء الشعوب الإسلامية الأخرى[3].

ـ مشاركة نشطة في النضال القومي في مختلف أنواعه (السياسية، والاقتصادية، والعسكرية)[4].

ويبدو لنا، أنه يمكننا أن نضيف، أيضاً، نمطاً سادساً، بديهياً، لكنه هام، انخراط المرأة في المشروع القومي: انخراط المرأة بوضعها النصف الثاني من الأمة. إن الأخوة بدرخان الذين أدخلوا في تحديدهم للهوية الكردية مختلف الجماعات الدينية (السنة، والشيعة، واليزيديين والعلويين إلخ.)، واللغوية (الكرمانجية، والسورانية، والزازائية، إلخ.) والاجتماعية (الأغوات، والمشايخ، والبكوات، والفلاحين، وسكان المدن، إلخ.) فلم يكن بمقدورهم إهمال المرأة.

بيد أن تشكيل فروع نسائية في الحركة القومية الكردية، لم يكن على جدول الأعمال في الثلاثينيات والأربعينيات. كانت روشن بدرخان المرأة الوحيدة التي شاركت في الحركة الثقافية الكردية في بلدي المشرق. ورغم أنها نادت بضرورة تحسين مستوى تعليم النساء الكرد، فهي قد دافعت عن

---

(1) كتب جلادت بدرخان مطالعة لإقناع النساء بعدم الزواج مع أجانب عن العرق الكردي، الآري الجنس. كما أن على الرجال الكرد الزواج من نساء كرديات، لأن النساء بصفتهن مربيات للأولاد يستطعن أن ينقلن إليهم لغتهن....

(2) BEDIR KHAN Rewshen, «Kebanî û mamoste» («Chef du foyer et maîtresse»), *Hawar*, n° 27, 1941, P. 691.

(3) BEDIR KHAN kamuran, «La femme Kurde», *Hawar*, n° 19, *art. cit.*, P. 388.

(4) أظهرت انتفاضة أرارات صورة الإمرأة الكردية المناضلة....

إخضاع المرأة للرجل[1] وللقضية القومية. كانت القومية الكردية في النصف الأول من القرن العشرين تحت قيادة الرجال. بهذا المعنى لا تمثل الحركة القومية الكردية أي استثناء عن الحركات القومية الأخرى في الشرق الأدنى[2].

(1) BEDIR KHAN Rewshen, «Jin û bextiyariya malê», («Les femmes et le bonheur au foyer»), *Hawar*, nº 28, 1941, P. 716.

(2) BEDIR KHAN Rewshen, «Kebanî û mamoste» («Chef du foyer et maîtresse»), *Hawar*, nº 27, art. cit., P. 691.

الفصل الخامس

انتفاضة أرارات 1927-1931

«أحداث آغري (Agri)، التي هي صفحة دامية في التاريخ الكردي، تثير اعتزاز وإعجاب كل الأمة الكردية، لأنها مثال كفاح شعب متعطش إلى الحرية والاستقلال»[1].

بهذه الكلمات بدأت مذكرات إحسان نوري القائد العسكري لانتفاضة أرارات أو آغري داغ. لقد اختزنت طموحات رابطة خويبون وعبّرت عن إرادة النخبة الكردية في رفع هذه الانتفاضة إلى مصاف نضال بطولي، بل أسطوري، رغم فشلها، ومظاهر الانقسامات في صفوف الكرد. لكن لا بد من إعادة تشخيص الأحداث التي وقعت خلال انتفاضة أرارات لفهم جذورها، وتطورها، وأسباب هذا الفشل المتكرر.

تشكل انتفاضة أرارات ثاني انتفاضة كردية كبيرة في العهد الكمالي،

---

(1) NOURI PACHA Ihsan, *La révolte de l'Agri Dagh*. Indroduction d'Ismet Chérif Vanly, édition présentée par Peresh, Genève, Editions Kurdes, 1986, P. 69. Ces mémoires ont été publiées en langue kurde par la revue *Hêvî*: n° 2 (1984), n° 3 (1985), n° 4 (1985), n° 5 (1986), n° 6 (1987).

وهي بمعنى ما استمرار لانتفاضة الشيخ سعيد. مع العلم أن انتفاضة أرارات قد شملت مناطق أقل مما شملته انتفاضة الشيخ سعيد، لكنها استمرت مدة أطول، خمس سنوات (1927-1931). وقد اقتضى قمع انتفاضة أرارات كما، قمعت انتفاضة الشيخ سعيد، اتخاذ حكومة أنقرة تدابير استثنائية، وتعبئة عشرات ألوف الرجال، وصرف مبالغ طائلة، ما أوقع تركيا في أزمة اقتصادية أشد حدة[1]. وأضيف إلى القضايا المالية والأمن الداخلي نزاعات دبلوماسية مع البلدان المجاورة، مع إيران ومع سوريا، الخاضعة للانتداب الفرنسي، بصورة أقل حدة.

تكْمنُ خصوصية هذه الانتفاضة بواقع أن هزيمة المنتفضين أحدثت تحولاً في توجه الحركة الكردية المتمركزة في سوريا ولبنان. وقد أثر فشل الستراتيجية العسكرية الكردية على نفسية نخبة قومية استدارت بالتدريج نحو النشاطات الثقافية مؤجلة الخيار العسكري إلى زمن أفضل. وإلى ذلك عاشت خويبون أزمة داخلية هامة شلّت، في الواقع، نشاطاتها حتى الحرب العالمية الثانية.

1 ـ اتفاقية الكونفيديرالية الكردية الأرمنية

كان طابع خويبون منذ تأسيسها كردي أرمني. فقد حضر فاهان بابازيان الاجتماع التأسيسي لخويبون، وأمّن الصلة بين اللجنة الكردية والطاشناق. وتوطد هذا التعاون عندما وُقعت بين حزب الطاشناق الأرمني واللجنة الكردية خويبون في تشرين الأول / أوكتوبر 1927 اتفاقية تنص على تحرير

---

(1) Le gouvernement d'Ankara se voit obligé de demander, par exemple, un crédit de 10 millions de couronnes à la Suède pendant la révolte de l'Ararat, SHEMDIN Nuri, «Isveç Belgelerinde Kürtler», *Bergeh*, n° 2, 1989.

الوطنين الشقيقين. إن هذه الاتفاقية هي من حيث الأهداف نسخة عن الاتفاق الموقع بين شريف باشا، ممثلاً للكرد، وبوغوص نوبار، ممثلاً للأرمن في مؤتمر السلام عام 1919. لكن اتفاقية التعاون لعام 1927 لم تكن نتيجة لحركة مستقلة.

على العكس فقد بدأت المفاوضات بين اللجان الكردية والأرمنية في فرنسا منذ عام 1926 بمبادرة من زعماء الطاشناق المجتمعين في مرسيليا. وتوبعت المفاوضات في باريس لتترجم بعد بعض الوقت بحضور بابازيان مؤتمر بحمدون، ثم بتوقيع اتفاقية التعاون بين الفريقين في نهاية تشرين الأول/ أوكتوبر 1927. لكن كيف يمكن تفسير هذا التعاون المدروس جيداً، في حين يحافظ الفريقان على مشاعر ارتياب الواحد بالآخر. (الخوف من أرمينيا الكبرى من الجانب الكردي، واشتراك القبائل الكردية في مجازر عام 1915، من الجانب الأرمني). يمكننا تقديم بعض الفرضيات حول هذا الموضوع.

أولاً، وضع الكرد جانباً ارتيابهم لخوفهم من مواجهة المصير الذي واجهه الأرمن، ووجدوا في اتفاقية 1927 مصلحة في توجيه مصالحهم المشتركة ضد الجمهورية التركية. وثانياً، لا بدَّ من أن نتذكر أن بعض أعضاء المنظمتين القوميتين ناضلوا طوال سنوات من أجل التفاهم الكردي الأرمني، وجلسوا معاً في منظمات سياسية وحدوية، كما في المؤسسات العثمانية.

من الجانب الأرمني، لم تكن تكفي العلاقات الاجتماعية لتفسير الغفران عن المجازر الأرمنية. ورغم أن بعض أعضاء الطاشناق كانوا شهوداً على إبادة الأرمن التي حصلت عام 1915، فإن الحزب الذي أعيد تكوينه في المنفى كان شديد الاهتمام بمعاهدة سيفر التي كانت قد أعطت الأرمن دولة تضم ست

ولايات تركية. كان الهدف المركزي للحزب تطبيق معاهدة 1920، بعد أن تمت معاقبة المسؤولين الأساسيين عن المجزرة التي لحقت بالأرمن. ويعتقد ميشال ماريان (Marian) إن هذا «التصرّف الساذج»، ربما يغطي حاجة للتحرر من الذنب، ذلك أن زعماء الطاشناق قد عقدوا تحالفاً مع جماعة تركيا الفتاة وجددوا هذا التحالف بعد مجازر الأرمن في أضنة، عام 1909. بتعبير آخر أن «الفوز بورقة سيفر، هو تعويض عن فضيحة الضحايا الذين نزع سلاحهم». وأصبح التفاهم مع الكرد، بعد دفع الإبادة إلى مرتبة ثانية، أكثر قبولاً عند الناجين من «الكارثة»[1].

وكانت الأوساط الأشد عداءً للبولشفيك في حزب الطاشناق، قد رأت في هذا التحالف فرصة مناسبة «لاستعادة السيطرة على الجمهورية الأرمنية. وقد تأكد هذا الافتراض في البيان النهائي للمؤتمر الحادي عشر للحزب الذي عقد عام 1929، والذي نص على «أن الشرط الأول للتحرر السياسي، والاقتصادي والثقافي للشعب الأرمني، هو إزالة النظام السوفياتي في روسيا». وفيما خص تركيا يقول البيان: إن «القوة الثانية التي نواجهها في طريق نضالنا للتحرر هي تركيا». واعتبر فاهي تاتشجيان أن زعماء الطاشناق شديدو العداء للسوفياتيين وكانوا يعطون الأفضلية للنضال ضد الاتحاد السوفياتي[2].

(1) MARIAN Michel, «La reconnaissance du génocide: la guerre de cent ans», in: Arméniens aujourd'hui. Histoire, mémoire et transmission, *Les Cahiers de l'Orient*, 1er trimestre, 2000, P. 9-11.

(2) Déclaration du XIe Congrès, dans *Trochak*, XXIXe année, n° 4-5 (287-288), avril - mai, Paris, 1919, P. 66. Extraits cités par TATCHJIAN Vahé, *Minorités, Etatsnation, expansionisme occidental. La zone frontière-Turco-syrienne dans l'entre-deux-guerres, op. cit.*, P. 390-391; TATCHJIAN Vahé, *La France en Cilicie et en Haute-Mésopotamie. Aux confins de la Turquie, de la Syrie et de l'Irak, op. cit.*, P. 369.

ويعتقد إيف ترنون (Yives Ternon) أن التحالف بين الفريقين كان «طبيعياً». فلم يعد للطاشناق «مواقع في تركيا، بل عندهم خبرة تنظيمية وموارد مادية لم تكن متوافرة عند الكرد، في وقت كان هؤلاء يعدّون انتفاضات واسعة في تركيا»[1].

أياًكانت الأسباب، فإن «خيار» خويبون «الأرمني» جسد بمعاهدة «سياسية وعسكرية» بين المنظمتين في بيروت بتاريخ 29 تشرين الأول / أوكتوبر 1927 وكانت تتضمن أحكاماً شديدة التفصيل حول التزامات الفريقين[2]. يعترف الجانبان في البند الأول باسم المشاعر الأخوية «الحارة» بين الشعبين، وباسم أصلهما الآري المشترك، و«الطموحات القومية إلى الاستقلال السياسي» التي تزكي حماس الاثنين، بحقوقهم المشتركة بالاستقلال، وتعهدهما المتبادل في الدعم المتبادل. بـ «كل الوسائل للدفاع عن هذه الحقوق». وفي البند الثاني أشار الجانبان إلى أن «الحدود» ترسّم حسب عدد السكان الأصليين الكرد والأرمن قبل الحرب.

كان الاتفاق الكردي الأرمني عام 1927 يتألف من تسعة عشر بنداً، (الخامس إلى الثامن، والعاشر والحادي عشر) تتعلق بالطاشناق فقط. بالنسبة للأحكام الأخيرة، يتعهد الحزب الأرمني القيام بدعاية للقضية الكردية في الدول الكبرى والرأي العام في الغرب، وتقديم مساعدة اقتصادية ومادية، لخويبون، بصورة مؤقتة، من أجل إقامة علاقات دبلوماسية لحشد دولي إلى

---

(1) TERNON Yves, *La cause arménienne,* Paris, Seuil, 1983, P. 118.

(2) أبرمت الاتفاقية في 29 تشرين الأول / أوكتوبر 1927 بين فاهان بابازيان مندوب الطاشناق، من جهة وعلي رضا، وشكرو سكبان، ومصطفى شاهين، وحاجو آغا، وأمين آغا، وكريم رستم، وممدوح سليم، وجلادت بدرخان «كلهم أعضاء اللجنة المركزية لرابطة خويبون»، من جهة أخرى.

جانب الانتفاضة الكردية، وتعيين ممثل دائم أرمني في داخل خويبون من أجل استمرار العلاقة بين المنظمتين، وتوحيد قوات الطاشناق العسكرية مع «القوات العامة الكردية»، وأخيراً، تأهيل «منظمين، ودعاة، وتكنيكيين كرد».
في المقابل لم يلزم أي بند رابطة خويبون وحدها، ما يشكل برهاناً على العجز التنظيمي للجنة الكردية في المنفى.

وقد التزم الفريقان (البند الرابع)، «بالقيام بدعاية فعّالة شفهية أو مكتوبة، لإشاعة فكرة التعاون الأرمني الكردي وتعميقه لدى الشعبين»، وذلك لشعورهما بالمصاعب التي سيواجهانها في إقناع الكرد والأرمن بفائدة معاهدة التعاون الكردي الأرمني. وأخيراً، تضمن الاتفاق الكردي الأرمني بعض البنود (11 و15 و16 و17) التي تتعلق بقضايا التحكيم في حالة النزاع بين المنظمتين القوميتين، وفي حال ظهور مؤشرات تغيير في المواقف[1].

لكن صدق كل من الفريقين ظلّ بحاجة للتأكيد. فزعماء الطاشناق كانوا يعتقدون أن «انتفاضة الكرد، تخدم، حالياً، سياستهم»، رغم ذلك، ينبغي الإفادة منها، فضلاً عن أن لجنة باريس كانت تريد تعاوناً «هجومياً يجعل الكرد يعتقدون أن الشعب الأرمني موافق معهم والأمر غير الصحيح، لأن هذه الهدنة الإلزامية لم تخفف من حقد الأرمن على الكرد».

وباختصار وبموجب التقارير الفرنسية كان الأرمن «يلعبون بالكرد لإرسالهم إلى الموت بدلاً عنهم، ويقومون بالقضاء عليهم عندما تتوافر

(1) Traité conclu entre le parti Révolutionnaire Arménien Daschaktzoutioun et la Ligue Nationale Kurde Hoyboun» Voir en annexe dans l'article de Hamit Bozarslan «Histoire des relations kurdo-arméniennes», in: *Kurdistan und Europa*, Hans-Lukas Kieser (dir.), Zurich, Chrono, 1997, P. 182-186.

الظروف»[1]. كما أن تعهدات الجانب الكردي ظلّت بحاجة إلى تأكيد، رغم إظهار جلادت بدرخان حسن النية، في تصريحاته، بعد إبرام الاتفاق:

> «عندما تتحرر أرمينيا وكردستان من مخالب الطغاة، تتم تسوية قضية ترسيم حدود البلدين بروح الصداقة والأخوة هذه، ذلك أن التخلي عن بعض المدن أو القُرى، هو أقل قيمة بكثير من الصداقة وحسن التفاهم الكردي الأرمني»[2].

عام 1931 أوضح جلادت نفسه «أن أي شيء نهائي لم يتم إرساؤه، وفي كل حال من يرغب من الأرمن العودة والإقامة في كردستان فسوف يتمتع بحقوق الأقليات [...] وهي حقوق سوف يعترف بها اللاز (Lazes) أيضاً»[3]. إن اعتبار اللاز أقلية في كردستان يعني، في الواقع، أن زعماء خويبون كانوا يعتبرون أن «كردستان يمتد إلى أرزوروم على الأقل، وأبعد أيضاً»، ما يعني زوال «أرمينيا التركية».

إلى ذلك فإن التحالف الكردي الأرمني لم يرحب به بعض الوجهاء الكرد في تركيا وسوريا. لذلك تمّ إيفاد خالدجي زاد إسماعيل بمهمة لدى أبناء جميل باشا «ليشرح لهم بأن كرد ديار بكر لا يقبلون، لقاء أي ثمن، التحالف المعقود مع الأرمن الذين يعتبرونهم ألد أعدائهم». وقد أجابه أكرم

---

(1) *CADN, Fonds Ankara, Ambassade*, n° 92. Autour du mouvement kurde en Syrie, sa situation actuelle et ses relations avec les Arméniens. Bulletin de Renseignements n° 103 de Damas du 31 décembre 1927, P. 6-8.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 571. Haut Commissariat de la République Française, Sûreté Générale, Brigade de Kamechlié, n° 77/S.G.K., *doc. cit.*, Kamechlié, le 17 septembre 1931, P. 7.

(3) *FONDS RONDOT, Dossier Comités kurdes*, «Hoybun», *doc. cit.*, 13 février 1940, P. 4.

جميل باشا إن ذلك يجب أن لا يقلق كرد تركيا، فالاتفاق الذي عقد كان المراد منه «كسب ثقة الأرمن، والحصول على أموالهم إلى وقت يشرق فيه النهار الكردي»[1]. ورغم ممانعة هذا الفريق أم ذاك، فإن خويبون والطاشناق قد انخرطا في تعاون، ملتبس بالتأكيد، لكنه تعدى التوقعات الأكثر ارتياباً.

ثمار التفاهم الكردي الأرمني

لقد وفت لجان الطاشناق، بصورة فعالة، بالالتزامات التي تعهدت بها عام 1927. فالمساعدة التي قدمها حزب الطاشناق برزت في ميادين ثلاثة، اقتصادي، وإداري، ودبلوماسي دعائي.

وأخذ مناضلو الطاشناق على عاتقهم تأمين الأموال للجنة خويبون ولانتفاضة أرارات. وكانت نجاحات فاهان بابازيان ذات أهمية كبيرة. فقد حصل على مبالغ كبيرة من حكومات ومنظمات. وأعطى بابازيان، في بدء التعاون الكردي الأرمني، عشرين ألف دولار لرابطة خويبون[2] وحصل عام 1928 على نقود من إيطاليا لتمويل إصدار مجلة كردية، وعلى حوالى سبعة آلاف دولار من جمعية الصليب الأحمر الأميركي الأرمني[3].

وتشير المصادرة الفرنسية أيضاً، إلى الدعم الاقتصادي الذي قدمه

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 574. Secret, le 12 octobre 1931.

في الوقت عينه نشر بعض الأكراد في سوريا، عام 1928، في جريدة فتى العروبة تصريحاً ضد خويبون، يتهم الموقعون عليه خويبون بالتضحية بحياة الأكراد من أجل أن يتمكن الأرمن من إقامة دولتهم حيث يكون فيها الأكراد كعبيد.

PRO, CO 730/133/6. Rapport confidentiel, Bagdad, le 14 juillet 1928, ff 29-30.

(2) *PRO, AIR 23/407*. Air Staff Intelligence, Air Headquarters n° 071. Bagdad, le 25 mai 1928, P. 1.

(3) *PRO, AIR 23/414*. Air staff Intelligence, Air Headquarters n° 211. Bagdad, le 2 novembre 1928, fo 43.

الطاشناق بواسطة فاهان بابازيان. فقد جمعت لجنة الطاشناق في فرنسا عام 1930 بواسطة حملة تبرع أطلقها شريف باشا ممثل خويبون في فرنسا، مبلغ خمس مئة ألف فرنك، تبرعات من الوجهاء الأرمن في نيس من أجل القدرة على استمرار إرسال الذخائر إلى المنتفضين الكرد[1]. وقد ظهرت أهمية مهمة بابازيان في الحقل المالي، بعد توقيفه في بيروت عام 1929 بتهمة اغتيال أحد أنصار حزب الهنشاك الأرمني، سركيس كادريان دكروني. فصار نشاط خويبون معدوماً تقريباً خلال بضعة أشهر[2].

وتحول المال سبباً لنزاع دائم بين زعماء المنظمتين الحليفتين، مثيراً عدم ثقة متزايدة من جهة ومن أخرى، وقد استنتج بابازيان أنه منذ بدأ الحزب الأرمني تمويل خويبون، صار زعماؤها «يعيشون أفضل بكثير من قبل»، إلى درجة هدد معها مسؤولو الطاشناق بإلغاء الاتفاق[3].

أما في موضوع الإدارة اللوجستية، فقد تداعت الجماعات الأرمنية في أوروبا وأميركا للتضامن مع القضية الكردية الأرمنية. ونقلاً عن الشرطة الفرنسية، قامت لجنة الطاشناق في الولايات المتحدة الأميركية عام 1930 بإرسال 125000 بندقية وأربعة ملايين طلقة، وخمسين ألف قنبلة يدوية،

---

(1) *ARCHIVES NATIONALES, SRIE F7*, n° 13436. Commissariat spécial de Nice, n° 9674. Nice, le 25 octobre 1930. *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Direction du Service des Renseignements du Levant. Beyrouth, le 29 août 1930.

(2) *PRO, AIR 23/407*. Air Staff Intelligence, Air Headquarters n° 264. «Anti-Kemalist and Kurdish Activities». Bagdad, le 9 février 1929, fo 109; *PRO, AIR 23/416*. Special Service Officer, I/S/l. «Kurdish natoinalism». Sulaymaniya, le 9 mars 1930, fo 49.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 572. Sûreté Générale, Information n° 4401. Beyrouth, le 24 novembre 1931, P. 1.

وذلك كدفعة أولى. وتمّ إرسال هذا العتاد الحربي عن طريق الخليج الفارسي واستمرت العملية طوال ثلاثة أشهر. وأرسلت لجنة الطاشناق في باريس 30000 بندقية بواسطة سفن يونانية صغيرة[1]. وأمن الأرمن، في الوقت ذاته، جزءاً من السلاح والذخيرة للمنتفضين في أرارات عن طريق تبريز حيث كان حزب الطاشناق يمتلك معملاً صغيراً لصنع الأسلحة.

وعلى الصعيد الدبلوماسي حاول حزب الطاشناق الحصول على دعم الحكومة الفارسية لانتفاضة أرارات. وكذلك أدخلت خويبون في برنامجها، بطلب من الطاشناق، مبدأ عدم التعرض لمصالح الفرس. ومقابل ذلك اضطر حزب الطاشناق إلى القبول ببعض الشروط المفروضة من الحكومة الإيرانية غير الراغبة في الإساءة الواضحة لجيرانها، الاتحاد السوفياتي وتركيا[2]. وقد وصل جلادت بدرخان إلى طهران، من أجل تطمين الحكومة الإيرانية. وظل على اتصال دائم مع طاشناق العاصمة الإيرانية. ورغم وساطات الطاشناق لم يستقبل جلادت بدرخان بحرارة من قبل المسؤولين الإيرانيين الذين «نظروا إليه بارتياب» لعدم تكتم الزعيم الكردي عند قدومه إلى إيران. وحسب الملحق الفرنسي في طهران «كان من الأفضل لبدرخان، من أجل نجاح مهمته المجيء إلى طهران متخفياً، ويحاول الإقامة فيها بصفته محامياً، ويباشر العمل بهدوء[...]»[3].

وقد حاول الزعماء الكرد والأرمن إقناع الحكومة الإيرانية بدعم القضية

---

(1) *ARCHIVES NATIONALES, Série F7*, n° 13436, *doc. cit.*, Nice, le 25 octobre 1930.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 569. Note de Renseignements. Délégation de France en Perse. Attaché Militaire n° 121/T. Téhéran, le 10 novembre 1928, P. 2.

(3) *Idem.*

الكردية الأرمنية باسم الأخوة الآرية. وكان أكبر المدافعين عن هذه «الأخوة الآرية» الأخوة بدرخان عن الكرد، وروبين ترماناسيان عن الأرمن. ولم تكن فكرة الأصل الواحد للكرد والأرمن، جديدة[1]. كما أن فكرة الأصل الآري للكرد قد طرحت سابقاً[2]. إلاّ أن مشروع الاتحاد السياسي الكردي الأرمني الذي تم تبريره بالأصل الآري المشترك كان عنصراً أيديولوجياً جديداً. كان الهدف النهائي، لهؤلاء المثقفين، في الحقيقة، خلق «كونفيدرالية آرية» مكونة من الأرمن والكرد، مع دعوة الفرس إلى ترؤسها. إلّا أن مشروع الكونفيدرالية الآرية لم يكن محدداً بالتفصيل. وقد أشار الإيرانيون إلى اقتراحات جلادت بدرخان، بإعلانهم أنها «مغرية لكنها طوباوية»[3] كان الهدف الستراتيجي لهذا العمل المشترك بديهياً، لأن الطاشناق وخويبون كانا يسعيان إلى دعم قوة أجنبية للمنتفضين المجتمعين حول جبل أرارات. وبعد استبعادهم إمكانية الدعم البريطاني، أملوا بالحصول على دعم بلاد فارس «الأخت الآرية»، أو فرنسا «الحامية» القديمة للأرمن. ولا يستبعد أن يكون الزعماء الأرمن، في كل حال، قد رأوا في تحالف «الشعوب الآرية» سداً محتملاً في مواجهة الطموحات التوسعية الطورانية لتركيا، وخصوصاً، في القفقاس وأذربيجان الغربية ما يشكل خطراً على أرمينيا السوفياتية.

---

(1) رفعت فعلان زادة أكد في مجلة هيفاتي كرد، العدد الثاني (1913) أن للكرد والأرمن أصل مشترك: هو شعب أوراتو.

(2) في النداء الذي وجهته الرابطة الكردية إلى عصبة الأمم وإلى الدول الغربية في 5 نيسان/ أبريل 1924 المطالب بالاستقلال الذاتي الكردي، يمكننا أن نقرأ الآتي: نحن الشعب الكردي، الشعب الآري، ليس لنا شراكة في الأصل، وفي اللغة، وفي التقاليد مع الترك المنغوليي العِرق....

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055, Rapport du capitaine rené Bertrand, Attaché Militaire de France en Perse et en Afghanistan, aux services de Renseignements, n° 28/B. Téhéran, le 1er décembre 1928, P. 3-4.

إلّا أن هذا التفسير الذرائعي لا يتطابق مع الحقيقة بكاملها. لقد استمر الأخوة بدرخان، رغم انقطاع العلاقات مع حزب الطاشناق، يتحدثون عن الأصل الآري للكرد في مواجهة الترك (المغوليون أو التتر) في مناشير رابطة خويبون، وفي المجلات التي يصدرونها[1]. كما أن روبين ترميناسيان، دافع في المجلة الرسمية لحزب الطاشناق، عن اتحاد الشعوب الآرية كثقل موازن للقومية التركية، حتى قبل إبرام التحالف مع خويبون، ما يوضح أن ثمة التزاماً ثقافياً بهذه الفكرة[2].

وقد دافع حزب الطاشناق، أيضاً، عن القضية الكردية أمام الرأي العام الغربي[3]، وفي المؤتمرات الدولية. وأثمر هذا السلوك إدانة علنية ورسمية للنظام التركي من قِبل الأممية الثانية الاشتراكية المجتمعة في زوريخ عام 1930 [4]. وإلى هذه المبادرات الدبلوماسية إزاء الدول الأجنبية، التي

---

(1) Réponse de Celadet Bedir Khan à une lettre de lecteurs dans *Hawar*: «Stûna x wendevanan» *Hawar*,n° 31 (1941). L'idée fera aussi son chemin parmi les autres membres de l'intelligentsia kurde comme Cigerxwîn, «Em arî ne» («Nous sommes aryens»), *Hawar*, n° 28 (1941).

(2) ROUPEN, «Iran yév Touran (Iran et Touran)», *Touchak*, n° 4 (263), XXXVIIe année, avril 1927, P. 109. Tiré de TATCHJIAN Vahé, *Minorités, Etats-nation, expansionisme occidental. La zone forntière turco-syrienne dans l'entre-deux--guerres, op. cit.*, P. 391.

(3) A titre d'exemple, on peut citer les Articles de Vahan Qardashian dans le *New York Times* du 6. 6. 1930 («Kurds fight for freedom») et du 18. 10. 1930 («Assert Kurds are Winning»). Faro Sassouni, quant à lui, publie une série d'articles sur les relations Kurdo-arméniennes et la cause kurde entre 1929-1931 dans *Hairenik*, revue mensuelle publiée à Boston.

(4) Voir le texte dans RAMBOUT Lucien (alias Thomas Bois), *Les Kurdes et le droit, op. cit.*, P. 31.

ظلت، إلى هذا الحد أو ذاك، سرية، قدّم الزعماء الكرد والأرمن إلى السلطات الانتدابية في سوريا طلباً رسمياً، لم تتم الإجابة عنه، لإقامة دولة كردية أرمنية في الجزيرة العليا وعاصمتها الحسكة، تحت الحماية الفرنسية[1].

النشاطات الكردية الأرمنية والنزاع الحدودي الفرنسي التركي

وقع الهجوم التركي الكبير ضد المنتفضين الكرد في أيلول/ سبتمبر 1930. وقد أجبر التعاون العسكري والدبلوماسي للدول الثلاث (تركيا وإيران والاتحاد السوفياتي) المنتفضين الكرد على التراجع إلى الأرض الإيرانية، واللجوء إلى حرب عصابات ضد القوات الكردية. وقد حاول كل من خويبون والطاشناق، خلال العام نفسه إعادة التنظيم واستعادة السيطرة على مواقع المقاومة حول أرارات وكانت الاجتماعات بين الطاشناق والخويبون تتم بالأفضلية، في الحسكة، التي تحولت إلى المركز الكردي الأرمني لقيادة الأعمال التخريبية في تركيا، بالتواطؤ مع فرنسا.

وسمحت السلطات المنتدبة، أيضاً، لمنظمتي خويبون والطاشناق متابعة العمل السياسي ضد تركيا في ظل شركة ماتوسيان للتبغ، التي يديرها كسبار أبيكيان[2]. وفضلًا عن نشاط أبيكيان في تأمين الصلات مع اللجنة الكردية، فقد عيّن بعض أعضاء خويبون «كجباة وباعة على حدود سوريا الشمالية»، مثل كاميران بدرخان [المفتش العام للشركة في سوريا]. ونظام الدين بك

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055, Sûreté Générale, le 24 avril 1930, P. 1.

(2) Voir TATCHJIAN vahé, «Le Khoyboun dans la Haute-Mésopotamie syrienne sous mandat français et le rapprochement kurdo-arménien», *Etudes kurdes*, n° 6, 2004, P. 7-40.

كيبار ومصطفى أمين بك [في حلب]. إن هذه الوظائف قد سمحت لهؤلاء «القيام، بصورة أسهل، بنشاطهم السياسي»[1].

إلّا أن الإدارة العامة المتمركزة في مصر استبدلت، في عام 1921، أبيكيان بأورفينت أدولف، القريب من القوميين العرب السوريين. وقد أدى هذا الاستبدال إلى إغلاق كل مستودعات السجائر في الجزيرة العليا، وصرف كل الموظفين الأعضاء في خويبون والطاشناق، وانتهت، بالتالي، شبكة، أرمنية كردية هامة في الشمال السوري.

إن ترحيب المفوضية العليا بخويبون عام 1931 ينبغي تحليله في إطار السياسة الانتدابية في الجزيرة. ذلك أن السلطات الفرنسية كانت واعية لاستمرار أهمية العامل الكردي في مشاريع استعمار وإحياء الجزيرة. ويمكن لسياسة شديدة القساوة إزاء زعماء اللجنة القومية الكردية، وخاصة إزاء زعماء قبليين مثل حاجو آغا، أن تهدد بإيقاف دعم السكان الكرد في الجزيرة، الموالين، بصورة عامة، للانتداب، أي تعطيل هذه المشاريع. كما أن «الورقة الكردية» لا تزال حاضرة ومفيدة جداً، في حالة نزاع خطير، بسبب الخلاف على الحدود بين تركيا وسوريا. لذلك كانت المفوضية العليا تعتقد أنه من المفيد عدم الرضوخ لكل مطالب الحكومة التركية في القضاء على كل النشاطات السياسية التي يقوم بها المنفيون الكرد والأرمن.

يضاف إلى ذلك ما يشير إليه فاهي تتشجيان عن ضرورة الإفادة من نفوذ زعماء خويبون في أوساط السكان الكرد في الشمال السوري، في نهاية عام 1930، في الوقت الذي كان فيه السوريون يتأهبون لانتخاب أعضاء

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 572. Sûreté Générale. «Note sur le mouvement kurde». Beyrouth, le 4 janvier 1931, P. 2.

جدد للبرلمان. ويبدو أن النزاع المتزايد بين أنصار الانتداب والاستقلاليين السوريين دفع بالسرايا إلى العناية بعلاقاتها مع زعماء خويبون، المدافعين عن الوجود الفرنسي في بلدي المشرق. وعلى هذا الأساس ترشح الأخوان شاهين بك إلى البرلمان، وأيضاً أبناء إبراهيم باشا وحاجو آغا. وحظي الأخير بمساعدة مالية دفعتها سلطات الانتداب[1].

إلّا أن سياسة الإتزان التي اتبعتها المفوضية العليا قد أثارت ردات فعل حادة في تركيا. فكانت عودة الزعماء الكرد إلى الشمال السوري موضوع خلاف في اجتماعات اللجنة الدائمة للحدود التركية السورية. وظهرت في الأوساط السياسية، وفي الصحافة التركية معادلة جديدة. إذا ما برر بعض الساسة والضباط الترك مجازر الأرمن عام 1915 بـ«خيانة الأرمن للسلطات العثمانية، فإن تحالف الطاشناق مع خويبون، قد جعل الحركة القومية الكردية مماثلة للأرمن»، نموذج «الخيانة». ففي اعتقاد الأوساط الرسمية التركية، أن العدو الداخلي (الأرمن والكرد) يحظى بدعم العدو الخارجي. لقد تبنت هذه الأوساط الذريعة التي استثمرت منذ القرن التاسع عشر ذريعة المؤامرة على تركيا: «لقد ولدت جمعية خويبون من اندماج الطاشناق الإرهابيين والكرد الخونة بقيادة الأجانب [بريطانيا وفرنسا]»[2].

2ـ جمهورية أرارات العابرة

إن طول عمر انتفاضة أرارات وبعض الانتصارات العسكرية التي حققها

---

(1) TATCHJIAN Vahé, *Minorités, Etats-nation, expansionnisme occidental. La zone frontière turco-syrienne dans l'entre-deux-guerres, op. cit.*, P. 411-412.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 574. «L'association Tachnak-Khouiboun». Haut Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban Drogmanat. Brochure publiée en 1931, P. 1-8.

الثوار يفسّر بتعاون الشخصيتين بروهسكي تلّو، وإحسان نوري. فالأول بروهسكي تلّو، واسمه الحقيقي إبراهيم آغا، هو زعيم عشيرة هسي سوري التابعة لقبيلة جيلالي[1]. وقد قاتل إلى جانب السلطان في الحرب العالمية الأولى، ضد الروس بداية ثم ضد الأرمن. ووقف مع حكومة أنقرة خلال انتفاضة الشيخ سعيد، وساعد القوات التركية على إغلاق الحدود التركية الفارسية في وجه المنتفضين الذين كانوا يحاولون الفرار إلى إيران. ورغماً عن تعاونه مع النظام الكمالي، فإن خطر إبعاده عن الأناضول الغربي ضغط عليه، فقرر الانتقال إلى المعارضة ولجأ، عام 1926 إلى سفوح جبل أرارات.

أما إحسان نوري فكان ضابطاً في الجيش العثماني، وهو، أيضاً، أحد الزعماء المجددين للجنة آزادي، المطلِقة لانتفاضة الشيخ سعيد عام 1925. وحين كان المثقفون الكرد اللاجئون إلى بلدي المشرق يستعدون لتأسيس خويبون، دعي إحسان نوري للمشاركة في المؤتمر الذي انعقد في لبنان. لكن الضابط العثماني السابق فضل الذهاب إلى تركيا إلى المنطقة العاصية في أرارات وفوّض، برسالة، علي رضا ابن الشيخ سعيد تمثيله في المؤتمر.

وقد عيّنت اللجنة المركزية لخويبون إحسان نوري، رغم غيابه، قائداً عاماً للقوات الكردية كما عيّن بروهسكي تلّو رئيساً للإدارة المدنية في المنطقة «المحررة».

وقد حاول إحسان نوري تأمين بعض الانضباط العسكري في وسط رجال جيلالي بتقديم أوسمة وألبسة لمختلف الرتب العسكرية[2]. وأسهم

---

(1) قبيلة جيلالي التي تمتد أراضيها بين برغريب ومندوريك، في جنوبها بلاد الفرس وفي الشرق حسنلي، وأوكلّسي، وكراليلسي، وأرمينيا في الغرب، ونر أراكس في الشمال. وهي تتكون من أربعة فروع.

(2) NOURI PACHA Ihsan, *La révolte de l'Agri Dagh, op. cit.*, P. 45.

إحسان نوري، أيضاً، في خلق روح قومية بين المقاتلين الكرد: فعلق علم كردستان في وسط المنتفضين، وألّف نشيداً قومياً، وأصدر جريدة، \أغري، بقليل من الإمكانيات، للتعريف بالقضية القومية[1]. كان دور إحسان نوري حاسماً في التأطير القومي للانتفاضة، إلى درجة أن خويبون فقدت، عملياً، كل سيطرة، على حركة الانتفاضة، عندما غادر أرارات ليلجأ إلى إيران.

وقد حاول إحسان نوري وبروهسكي تلّو إعطاء المنطقة التي حررها الثائرون الكرد طابعاً إدارياً دولتياً. وهكذا أعلن قادة الثائرين، بنداء موجه لسكان منطقة أرارات، إن الشؤون الحكومية تسيرها القيادة العسكرية لخويبون. وقد طلبت «الجمهورية» الجديدة من «كل شخص أصله من المناطق التي يسيطر عليها الجيش الكردي تدريجياً أن يساند هذا الجيش أو أن يقوم بكل الواجبات التي تقع عليه لتأمين سلامته».

وقررت «الحكومة الكردية» إلغاء «اعتمار البرنيطة واعتماد الحرف اللاتيني»، وذلك لكسب عطف السكان. كما سمحت الإدارة الجديدة لكل إنسان أن يلبس «ما يريده». أما الضرائب والرسوم المفروضة «عنوة فإنها ستدرس وتعدل في أول فرصة». وأخيراً، فإن الأحكام الصادرة عن المحاكم التركية المتعلقة «بالقضية الكردية، لن تؤخذ في الاعتبار. كما يعفى عن المحكومين بجرائم الحق العام»[2].

إن هذا الاعلان لم يلقَ، في غالب الظن، نتائج عملية في منطقة أرارات لكون الكرد قد سيطروا سيطرة جزئية جداً على «المناطق المحررة». بالمقابل

(1) Ibid., P. 129-130.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 1055. Proclamation de l'occupation effective et de l'institution du gouvernement. Services civils du Délégué nº 1982. Alep, le 23 mai 1933.

فإن التدابير المتخذة من قِبل قادة الانتفاضة اكتسبت أهمية لأنها تعكس تظلم السكان الريفيين الكرد: من الإصلاحات التمدينية للنظام الجمهوري مثل لبس البرنيطة، واستخدام الأحرف اللاتينية، رغم أن زعماء خويبون كانوا ميالين إلى اعتماد الألفباء اللاتينية في اللغة الكردية. وتحريم لبس الثياب التقليدية الكردية، وفرض ضرائب جديدة، وقيام جهاز الدولة القضائي.

إلى جانب إحسان نوري وبروهسكي تلّو شغل أعضاء آخرون من جيلالي، ومن زعماء العشائر والشخصيات الدينية، وظائف مثل الحفاظ على الأمن في كافة المناطق التي يسيطر عليها المنتفضون. كانت منطقة المقاومة الكردية تنقسم إلى ثلاثة أقسام يقودها ثلاثة أشخاص: برو هسكي دلّو في الجبال، وخالد بك المقيم في ماكو، من جهة بلاد فارس منذ 1922، ومسؤول ثالث في كراسو. ويذكر كراس لخويبون صدر عام 1928، أسماء «قواد» آخرين للثائرين الكرد: أدويي عزيز حيدري، فرزند بك (زعيم قبيلة هسنان) وعثمان كليم، وعلوي باشو، وخليل بك (زعيم قبيلة سبكي) وتاج علاء الدين (زعيم قبيلة زركي) وكياميل مرخور، وموسى بركي، ويوسف روكي، ويانو[1]. وكانت عصابة أغدير الثائرة تضم 1500 رجل ويقودها علي ميرزا. وثمة «قادة» آخرون ذكرتهم مصادر أخرى، هم ميمو وحسن أفندي من حيدران، تامي آغا، حسين أفندي، حسن أفندي، عمر آغا، دمير باشا، عبد الوهاب أفندي وابن عمه سعيد رسول برزاني»[2].

كان لدى الجمهورية قواعد عسكرية بين توبراكالي وتندوريك، وآلاداغ، وملّيس، وأرجيش، وزيلان، وآباغا، وبرجيري وديادين. ووسع الثائرون

(1) *PRO, AIR 23/414*. Proclame du Khoboun n° 25. *doc. cit.*, P. 1.

(2) Voir EHMED Mihemedê Mele, *Xoybûn. Civata «Serxwebûn» a Kurdî (197-1946), op. cit.*, P. 79; CEMIL PACHA Kadri (Zinar Silopî), *Doza Kurdistan, op. cit.*, P. 84.

الكرد، بالتدريج، ميدان مناوراتهم حتى شمال أغدير في اتجاه أرزوروم. ويفيد تقرير فرنسي أن عدد الثائرين بلغ في بدء الانتفاضة عشرة آلاف رجل تقريباً، ثلثهم جاء من إيران[1]. لكن البريطانيين يقولون: إن الكرد شكلوا في أشد المعارك قوة من ثلاثة آلاف رجل، ويمكن أن تصل إلى خمسة آلاف[2]. وقد حظي المنتفضون بدعم من السكان المحليين الكرد والأرمن[3].

مفاوضات ما قبل الهجوم النهائي

في مطلع عام 1928 أظهرت الحكومة التركية موقفاً تصالحياً. فقد قرر النظام الكمالي إيقاف نقل السكان بالقوة، وأصدر عفواً عاماً، وحرر بعض السجناء، وسمح لبعض المبعدين بالعودة إلى كردستان، فضلاً عن تكليف الحكومة سوريّا بك، والي بيازيد، التفاوض مع قائد الثائرين المعروف: بروهسكي تلّو. إلّا أن نداءات والي بيازيد لم تعطِ النتائج المرجوة، فأجابه بروسكي تلّو بلهجة حذرة، «عندنا ما يكفي من التجارب، وقد شاهدنا وعرفنا العالم»[4].

وبالرغم من هذا الفشل، أرسلت الحكومة التركية في أيلول/ سبتمبر

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1054. Information n° 881/51, *doc. cit.*, P. 1-2.

(2) *PRO, FO 371/14580/E 477/1511/44*. Turkey. Lettre de Sir R. Clive à M. A. Henderson. Téhéran, lw 26 août 1930, fo 265.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 569. Délégation de France en Perse. L'attaché Militaire, René Bertrand. n° 111/T. Note de Renseignements sur la situation en Kurdistan persan et alliance arméno-kurde. Téhéran, le 3 novembre 1928, P. 2-3.

(4) Les Lettres mentionnées furent reproduites intégralement dans la brochure éditée par le Khoyboun, *La question Kurde, ses origines et ses causes* (1930), *op. cit.*, P. 44-48.

1928 وفداً هاماً، إلى بيازيد، ليفاوض إحسان نوري مباشرة. وقد عرض الوفد التركي على هذا الأخير، عفواً عاماً عن كل الرجال إذا سلموا سلاحهم وأعلنوا خضوعهم. وعرض مبعوثو أنقرة على قائد القوات الكردية رتبة جنرال في الجيش التركي، وراتب كبير ومنصب ملحق عسكري في العاصمة الأوروبية التي يختارها. أما اقتراحات إحسان نوري، مثل جلاء الجيش التركي عن كردستان، فإنها لم تأخذ مأخذ الجد. وقد رفض إحسان نوري، هو الآخر، عرض الحكومة. كانت النتيجة الوحيدة من هذا اللقاء تعهد القوات الكردية بعدم مهاجمة منطقة بيازيد. بالمقابل وعد الوفد التركي بعدم الاستمرار في إرسال قوات إلى مركز ثائري أرارات. وبيّنت مطالب إحسان نوري والتعهدات التي اتخذت من الطرفين عدم وجود رغبة حقيقية بالوصول إلى تفاهم. على العكس من ذلك، كان كل فريق يحاول كسب الوقت بانتظار حلول ربيع عام 1929 للمبادرة إلى القتال.

في هذا الوقت، حاولت الحكومة التركية، منع وصول أخبار حركة أرارات إلى الرأي العام التركي. فقد أخضعت الصحافة لرقابة دقيقة، وكانت الأخبار الوحيدة الواصلة من الشرق تشير إلى أعمال لصوصية أو مشاريع ظلامية للإقطاعيين والمتعصبين الدينيين ضد الجمهورية. وكانت تشارك بهذه الرؤية المعارضة التركية، وخصوصاً الحزب الشيوعي الذي كان يعتبر أن الحركة الكردية هي مؤامرة يقودها الإنكليز لخلق دولة فاصلة بين تركيا وإيران، والعراق، معادية للاتحاد السوفياتي. وقد أخذت الحكومة التركية تعد، بفضل دعم أكثرية الجمعية الوطنية، وصحافة «مضمونة»، إمكانيات ضخمة للقمع العسكري للانتفاضة الكردية. وقد كلفت أنقرة القيادة العامة بقيادة العمليات وأعطتها الحرية الكاملة. وفي موازاة ذلك قامت السلطات بتوقيفات وخاصة في أرزوروم فاعتقلت 90 شخصاً، منهم صلاح الدين،

أحد أبناء الشيخ سعيد[1]. وقد دارت بين 17 حزيران/ يونيو و12 تموز/ يوليو معارك عنيفة بين أغدير، وتندوريك، وأرجيش. وقال قنصل فرنسا في أضنة «إذا صدقنا تصريحات العسكريين العائدين من كردستان، فإن القتال كان عنيفاً والخسائر عند الطرفين جسيمة»[2]، وقد تراجعت العمليات التركية بسبب هشاشة الحدود التركية الإيرانية، في منطقة، أرارات، ذلك أن الثائرين الكرد يستطيعون اللجوء إلى الأراضي الإيرانية عند تقدم الجيش التركي. وتعرض الجيش التركي لهزائم مؤلمة ما أعطى المقاتلين الكرد زخماً فشنوا من إيران هجوماً مضاداً في بداية تموز/ يوليو 1930، بهدف اختراق الخط الذي أقامه الجيش التركي. وكان الثائرون الكرد يأملون في استمالة قبائل المنطقة التي ظلت على الحياد، أي على ولائها لحكومة أنقرة.

لكن صيف عام 1930 شهد تحولاً هاماً في المعركة الدائرة بين أنقرة والثائرين في أرارات. فمن جهة، أرسل الاتحاد السوفياتي قوات هامة مؤلفة من تسعة إلى عشرة آلاف رجل، إلى قرب الحدود الفاصلة بين أرارات وبلاد فارس. ومن جهة أخرى، احتشد الجيش الإيراني في منطقة ماكو، خلف أرارات، ورغماً عن أن حكومة إيران لم تأمر قواتها بمهاجمة المقاتلين الكرد، فإن التقارب الإيراني التركي صار واضحاً.

خويبون كجهاز للدعاية

كان الهدف الأساس لرابطة خويبون عند تأسيسها أن تكون مكتباً سياسياً ودعائياً لانتفاضة أرارات. وهي بهذا المعنى لم تكن منظمة سرية

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* nº 1055, Sûreté générale. Beyrouth, le 20 octobre 1930, P. 1.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 1055. Rapport du Consul français à Adana. Direction d'Affairess Politiques. Paris, le 30 juin 1930, P. 4.

على الإطلاق. بل كانت، على عكس ذلك، تمتلك الإرادة الواضحة للتعريف بمطالبها وشكاواها ضد النظام الكمالي من أجل نشر الأفكار القومية التي يعبّر عنها زعماؤها على أمل استمالة عطف ودعم قوى ثالثة محتملة. وقد نجحت اللجنة الكردية في التحول إلى سلطة تواجه تركيا الكمالية بفضل شبكتها الدبلوماسية، ونجاحات نشاطاتها الدعائية.

وكان الأخوة بدرخان، على وعي بالإمكانيات التي توفرها تعبئة شبكات المهاجرين والمنفيين بصورة خاصة. وعلى سبيل المثال سافر سوريّا بدر خان إلى دويترويت لكسب الكرد المقيمين في الولايات المتحدة لجانب القضية القومية الكردية. وكان نداء سوريّا بدرخان عام 1928، «إلى الجالية الكردية في أميركا» حالة أولى فريدة في الحركة القومية الكردية. فقد أكد في ندائه إلى الجالية الكردية «خيانة» الترك وأعلن أن «وقت تحرر الكرد قد حان» وفي القسم الثالث من ندائه طالب كرد أميركا بثلاثة واجبات وطنية: المساعدة الاقتصادية، والدعاية لصالح القضية الكردية، وإقامة فروع جديدة لرابطة خويبون في كل البلاد. ويمكننا، أخيراً، أن نقرأ تقويماً أخلاقياً للوطنية الكردية:

> «عليكم أن لا تنسوا أن الوطنية هي مسألة اعتبار ذاتي، وشرف وكرامة. فالذي لا يحافظ على مشاعره الوطنية لا يتمتع باعتبار شخصي، ولا بكرامة، ولا بشرف [...] دعونا نثبّت للعالم أن الكردي، وإن كان بعيداً عن البلاد، هو دوماً كردي ووطني حقيقي»[1].

ونشط جلادت وكاميران بدرخان، في سبيل إيقاظ الوعي القومي بين الجماعتين المقيمتين في دمشق وفي بيروت. أما بالنسبة لطموحات خويبون

---

(1) *PRO, AIR 23/157*. «Khoibun's Proclamation to the Kurdish communitey in America, 20th june 1928». Translation of Memo n° S/57. Qaimaqan Sinjar to Administrative Inspector. Mosul, le 28 août 1929, P. 1-4.

عند القبائل الكردية فإنها ظاهرة في رسالة سوريّا بدرخان الموجهة إلى المفوض السامي البريطاني في العراق التي يقول فيها: إن اللجنة الكردية تهدف، منذ قيامها، إلى «تنظيم الأمة الكردية استعداداً ليوم النضال الحاسم للتحرير حيث تقوم هذه الأمة كلها كرجل واحد عند تلقي الإشارة الأولى». وللوصول إلى هذا الهدف أرسلت خويبون «عملاء إلى داخل القبائل، قاموا بتنظيمها» ورغم المصاعب التي ينبغي اجتيازها:

«فإن استيقاظ الوعي القومي الكردي، والتصميم الذي لا يتزعزع لدى الزعماء والمثقفين الكرد لكسر النير المشؤوم الذي يرزحون تحته منذ أربعة قرون، والعطش إلى الحقد والاحتقار الذي تثيره الفظائع، والجرائم التركية التي لا توصف، كل ذلك ساعد عملاءنا في النجاح التام في مهمتهم»[1].

مذّاك «رضخت كل القوات المسلحة لسلطة خويبون، واصطفت تحت علمها، وبفضل ذلك أخذ نفوذ خويبون يتعاظم وينتشر في كل كردستان تركيا»[2] ورغم أن الكلام عن نفوذ خويبون الكبير في كل كردستان تركيا، يثير الجدل، فلا بدَّ من تأكيد قبول قبائل جيلالي وحيدران بقيادة إحسان نوري، التوجهات القومية للانتفاضة.

وكانت إراداة خويبون في قيادة الكفاح من أجل التحرر، قد تصادفت مع محاولات إبراهيم تالي مصالحة النظام مع السكان الكرد. فإلى سياسة «إعادة البناء»، القائمة على ثلاثة عمد: إعادة توزيع الأرض على الفلاحين، وشق طرق، والتعليم، كان إبراهيم تالي مهندس قانون العفو الذي أقرته الجمعية

---

(1) *PRO, AIR 23/415*. Lettre de Sureya Bedir Khan à M. le Haut Commissaire en Irak Beyrouth, le 30 juin 1929, P. 1-2.

(2) *Ibid.*, P. 2.

الوطنية التركية في 9 أيار/ مايو 1928. وبدا إبراهيم تالي، في الواقع، مؤيداً لاتّباع سياسة «العصا والجزرة». فهذا القانون أعلن العفو غير المشروط عن حوالى 3000 شخص بمن فيهم الزعماء الكرد المعارضون[1].

وقد جاء في مذكرات إحسان نوري، أن بعض الزعماء وعائلاتهم قبلوا بالعفو المعروض من الحكومة[2]. لكن عدد أنصار المصالحة كان أكبر مما أراد زعماء خويبون الاعتراف به. فإن وضع «اللاز» الذين كانت تركيا «تقوم بإبادتهم دون رحمة»، قد أثار خوف كرد شمال تركيا من مواجهة المصير نفسه إن لم يرضخوا للسلطات[3]. فقامت خويبون، في مواجهة الانشقاقات الأولى في صفوف ثائري أرارات بسبب عفو الحكومة، بحملة دعائية كبيرة بين الكرد من أجل إثارة الشك بنوايا حكومة أنقرة:

> «أيتها الأمة الكردية، أيها الكرد، لا تثقوا إطلاقاً بالعفو الذي أعلنه الترك. لا تنسوا القول المأثور لأجدادنا: ليس للترك دين ولا وجدان. إن من يرضخ للترك سيباد حتماً. لنحافظ على صبرنا وقوتنا، ونحن بالتأكيد الغالبون»[4].

لقد فسرت النخبة الكردية انفتاح إبراهيم تالي كـ «نتيجة لضعف الترك وقوة خويبون»، الأمر الذي دفع باللجنة الكردية إلى الاستمرار في

---

(1) *PRO, FO 371/13089/E3314/128/44*. Lettre de Sir George Clerk à Sir Austen Chamberlain, n° 312. Constantinople, 26 juin 1928, fo 210.

(2) NOURI PACHA Ihsan, *La révolte de l'Agri Dagh, op. cit.*, P. 86.

(3) *CADN, Fonds Ambassade*, n° 104. Au sujet des Kurdes ottomans, n° 10, Le Consul de France à Tauris à son Excellence M. Aristide Briand , Ministre des Affaires Etrangères. Tauris, le 5 décembre 1927, P. 3.

(4) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 569. Rapport sur les Kurdes et le Kurdistan, *doc. cit.*, P. 4.

إعداد الانتفاضة العامة التي ستقوم في «اليوم والساعة المناسبتين»[1].

في المقابل أخذ دعم أنقرة لإبراهيم تالي يتبدد شيئاً فشيئاً. والواقع أنه عندما اقترح المفتش العام مع بعض النواب الكرد برنامجاً «للتهدئة النهائية لكردستان التركي»، واجه إبراهيم تالي أول فشل سياسي. اقترح هذا البرنامج، خصوصاً، نظاماً للاستقلال الإداري، وللّامركزية يعتمد على تعاون الوجهاء الكرد كما اقترح أن يكون التجنيد محلياً بالكامل، وأن تعطى الوظائف بأكثريتها للسكان المحليين، إلى مراعاة في اندماج الكرد، وفي جباية الضرائب، وفي تنفيذ القوانين مع ما يكمل هذه التدابير لاكتساب الناس لصالح الجمهورية[2]. لكن لا مصطفى كمال ولا عصمت باشا قبلا هذا البرنامج. وعلى العكس من ذلك، أقر مجلس الوزراء برنامج تتريك للكرد، ولمساعدة المفتش العام، وربما لمراقبته، لأنه أظهر ليبيرالية مبالغاً فيها، تم تعيين الجنرال علي فؤاد باشا الذي يحظى بكامل ثقة مصطفى كمال والقيادة العامة، في قيادة فيلق ديار بكر[3].

في موازاة جهود اللجان القومية في بلدي المشرق استمر إحسان نوري يلعب بعض الدور في انتفاضة أرارات عام 1931. فإحسان نوري بعد إطلاق السلطات الإيرانية سراحه، لم يعد إلى منطقة أرارات، لكنه حاول إقامة الصلة بين الثائرين الكرد والمنظمات الكردية في سوريا والعراق. وكتب رسائل لإقناع كرد العراق بمساعدة المقاتلين الكرد المبعثرين في بلاد فارس، لأن

---

(1) *PRO, AIR 23/415*. Lettre de Sureya Bedir khan à M. la Haut Commissaire en Irak, *doc. cit.*, P. 3.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 1055. Rapport du Consul français à Adana, *doc. cit.*, P. 2-3.

(3) *Ibid.*

«مطالبنا لن تقبل إلّا إذا بانت قوتنا، وثباتنا، واتحادنا»[1]. وحسب التقارير الدبلوماسية، أيضاً، ذهب إحسان نوري إلى العراق في آب/ أغسطس 1931 للدفاع شخصياً عن نداءاته للتضامن بين جميع الكرد.

لكن جهود إحسان نوري لم تتكلل بالنجاح، وقد شكا في تقرير وجّهه إلى خويبون، بعد بضعة أشهر، من «قلّة اكتراث كرد سوريا والعراق، الذين، كما يقول، لا يشعر بوجودهم»[2]. وتذكر بعض المصادر إن إحسان نوري ذهب إلى سوريا وطلب اللجوء السياسي[3]. وانتهى المطاف به بالعودة إلى إيران حيث ظل حتى وفاته عام 1976.

تشرذم المجتمع الكردي

إن تعاون الاتحاد السوفياتي، وبلاد فارس، على وجه الخصوص، مع تركيا فتح ثلاث جبهات جديدة عجز الثائرون الكرد عن مواجهتها، لنقص الإمكانيات والحرمان من دعم دولة كبرى أجنبية. وفضلاً عما وفره نفي القوميين الكرد إلى بلدي المشرق والعراق من أدوات عمل فإنه تسبب بإنقاص في القدرات للقيام بانتفاضة في تركيا بالذات. لذلك يبدو لنا أن تشرذم المجتمع الكردي شكل، هو الآخر، عنصراً هاماً في فهم هزيمة انتفاضة أرارات. لقد حد ضعف دعم كرد سوريا، وإيران (باستثناء قسم من

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Sûreté générale. Beyrouth, le 8 août 1931.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Sûreté générale. Beyrouth, le 4 novembre 1931.

(3) حسب قنصل إيطاليا في حلب (بتاريخ 11 يناير/ كانون ثاني/ خيوري) 1932، فإن إحسان نوري استسلم للأجهزة الخاصة في الحسكة مع بعض عشرات من الرجال. وبعد أن تمّ نزع سلاحهم، قادته السلطات الفرنسية مع خمسة من الكرد الآخرين....

قبيلة جيلالي المقيمة فيها) والعراق، من حظوظ نجاح انتفاضة أرارات. وإذا كان الطابع العابر للبلدان للهوية الكردية يمكن أن يسمح في ظروف إقليمية ملائمة، بقيام تعاون بين الكرد، فإن هذه الإمكانية تحد منها كثيراً الحدود البنيوية للظروف الداخلية، وتطور المجتمعات الكردية المختلف بفعل نشوء دول ـ أمم جديدة في الأراضي السابقة للامبراطورية العثمانية. أن تطور البلدان الخاضعة للانتداب الفرنسي (سوريا ولبنان) والبريطاني العراق، هو، في الواقع مختلف عما هو في تركيا الكمالية. فالنظم السياسية، والتعاطي مع القضية الكردية، والتركيب الاجتماعي والإثني في هذه البلدان، يختلف من بلد إلى آخر. أما كرد بلاد فارس فقد اتخذوا وضعاً خاصاً، هشاً في الغالب، مع السلطة المركزية، منذ عام 1639، يوم تم تقسيم كردستان بين الامبراطورية العثمانية والامبراطورية الفارسية. بيد أن هشاشة الحدود بين هذه الدول، وضعف شرعية الحكومات المشكلة حديثاً في نظر السكان المحليين، كان بمقدورهما خلق ظروف مؤاتية لقيام تضامن بين كرد جميع هذه البلدان في أواخر عام 1930.

إن الظروف الداخلية للمجتمع الكردي ـ تخلف البنى الاجتماعية، وضعف البرجوازية في المدن الكردية، وسلطة الأغوات وزعماء القبائل في المناطق الريفية ـ قد أفسدت الطابع العابر للقومية الكردية، وأضعفت كثيراً اتجاهاتها إلى التمركز. فكانت القومية الكردية لسنوات 1920، هي أيضاً، عميقة التفتت، فاقدة للوحدة الثقافية والسياسية، والبنيوية. هذا التشرذم قاد توجه الحركة الكردية إلى مطالب للحكم الذاتي ومطالب محلية تشوهها المصالح الشخصية والعلاقات الزبائنية[1].

فضلاً عن ذلك، فإن هذه الظروف الداخلية نفسها، مقرونة بالخلافات

---

(1) VALI Abbas, «The Kurds and their *Others*: Feagmented Identity and Fargmented Politics», *art. cit.*, P. 82.

اللغوية (الزازائية/ الكرمانجية) والدينية (علوية/ سنية) عند الكرد في تركيا[1]، تعيدنا إلى سيناريو شبيه بانتفاضة الشيخ سعيد عام 1925. وفي حين كانت القبائل الزازائية تنخرط في هذه الانتفاضة، على وجه الخصوص، فإن انتفاضة أرارات قامت بها، بنوع خاص، القبائل الكرمانجية. وفي الحالتين لم ينضم زعماء الدين العلويون إلى الزعماء الثائرين الكرد. وعلى هذا الأساس يمكننا التأكيد بأن انتفاضة أرارات كانت حركة كرمنجية وسنية، انخرط فيها، بصورة خاصة، اتحادات لقبائل على قدر من الأهمية، الحيدران والجلالي. إن هوية الانتفاضة (اللغوية والدينية) قد حدت، في الواقع، من الدعم المتوقع، وأدت إلى عدم انتشار التعبئة.

ماذا عن السكان الحضر (سكان مدن وفلاحون) في المناطق الكرمانجية والسنية؟ على غرار ما حصل عام 1925 عجز الثائرون الكرد والخويبون عن تعبئة السكان الحضر في المناطق التي دار فيها القتال. كالأوساط غير القبلية (كرمنجية ورياسية) في المجتمع الكردي التي تخاف من القبائل وتحذرها. فالعشائر هي التي شكّلت النخبة العسكرية المؤلفة عادة من عناصر، رغم حياتها البدوية وترحالها، كانت تمتلك أراضي خلافاً لسائر الكرد الذين ليست عندهم روابط قبلية[2]. فكانت سلطتهم العسكرية تسمح لهم بالتعرض للسكان غير القبليين ليغتنوا، وخاصة عند ضعف الحكومة. لذلك كان من المؤكد أن

---

(1) Voir ANDREWS Peter Alford, *Ethic Groups in the Republic of Turkey*, Wiesbaden, Reichert, 1989.

(2) Voir BRUINESSEN Martin van, «Kurdish Tribes and the State of Iran: The Case of Simko's Revolt», in: *The Conflict of Tribe and the State in Iran and Afghanistan*, Richard Tapper (dir.), New York, St. Martin Press, 1983, P. 364-400; BRUINESSEN Martin van, «Kurdish Society and the Modern State: Ethnic Nationalism verdud Nation-Building», in: *Kurdish Ethno-Nationalism versus Nation-Building States*, Martin Van Bruinessen, Collected articles, Istanbul, The Isis Press, 2000, P. 43-65.

التحالف غير الطبيعي بين الكرد المتغرّبين وبين زعماء القبائل يخيف قسماً من السكان غير القبليين. فضلاً عن عجز خويبون عن تقديم أيديولوجيا بديلة عن الكمالية للأوساط المدينية. يُضاف إلى ذلك «قيام الفوضى»[1] خلال انتفاضة أرارات. ومثالاً على ذلك حصول تصادم في الوقت الذي كانت فيه المعارك مع الجيش التركي على أشدها، بين قائدين لوحدات كردية من غالي زيلان: محمد بك حسين وسيد رسول برزاني، وأدى هذا الصدام إلى تفرق المقاتلين الكرد وتشرذمهم في منطقة أرارات. فتمكن الجيش التركي من التقدم في قطاع وقع في أيدي جنوده.

ويمكننا، إذن، الاستخلاص بأن العصبية ظلّت، في انتفاضة أرارات، العنصر الاجتماعي الثقافي المحدّد في سلوك معظم الكرد. ولم يتمّ تجاوز ثنائية الانتماء إلى فريق (قبيلة، قرية، مجموعة لغوية) وإلى مذهب إسلامي (سنّي، علوي)، بفعل نداء خويبون إلى الوحدة الكردية باسم المجتمع القومي، هذا المجتمع الذي يعتبره معظم الكرد غريباً عنهم. فضلاً عن أن النفوذ المزعوم للنخبة القومية الكردية لم يتمكن من الحلول محل سلطة زعماء القبائل والرؤساء الدينيين (المشايخ)، الذين لا يستطيع تحديهم إلّا من هم في مرتبتهم. وكما لاحظ مراقب بريطاني:

> «لم يكن الوعي العرقي من أجل الوحدة والاستقلال ضد الطغيان التركي موجوداً ـ وأتجرأ على قول ذلك ـ إلّا في نظريات المنظمات الدعائية، مثل خويبون والطاشناق، المتكونتين، بصورة واسعة، من الأرمن والكرد المتغرّبين، وفي ذهن الذين تم اكتسابهم بفعل هذه الدعاية»[2].

لقد اضطر زعماء خويبون، لوعيهم بهذا الواقع، إلى الالتحاق بزعماء

---

(1) RONDOT Pierre, «Le Kurdes II», CHEAM, nº 1411, 1938, P. 2.

(2) *PRO, FO 371/15369/E 1717/68/44*. Turkey. Lettre du Major O'Leary à M. Morgan. Ankara, le 24 mars 1931, fo 209.

القبائل، مؤقتاً، على أمل تحويل انتفاضة قبلية، أساساً، إلى انتفاضة[1] قومية، في يوم من الأيام. وهذا ما يفسر استمرار دعاة خويبون، رغم هزيمة 1930-1931، في الاستناد إلى زعماء قبليين ودينيين آملين قيام بؤر مقاومة في تركيا[2].

غير أن التوتر في داخل خويبون، والافتراق عن الطاشناق، وقمع الحكومة التركية في كردستان، والانقسامات القبلية، حال دون قيام انتفاضة كردية بقيادة قومية.

كان ينبغي انتظار عام 1937 لاندلاع انتفاضة جديدة في درسيم شارك فيها، فعلاً، قادة قوميون، لكن تمت السيطرة عليها، مرة أخرى، من قِبل الزعماء القبليين والدينيين.

3 ـ دعائم الثائرين الكرد

لقد تعهدت الخويبون والطاشناق بوضوح، كما رأينا عند توقيع اتفاقية التحالف عام 1927، على عدم المساس بسلامة أراضي الدول المجاورة، وعلى الأخص العراق وبلاد فارس.

وأعلنت المنظمتان القوميتان أنهما تستهدفان تركيا، على أمل الحصول إما على الحياد الإيجابي من جانب الدول المجاورة وإما على انخراطها في نضال الكرد والأرمن. ورغم النتائج غير المشجعة لهذه المبادرات، فلم تستبعد خويبون والطاشناق إمكانية الحصول على إسناد أكثر وثوقاً من دول أخرى في حال بدء حركة الانتفاضة في أرارات.

---

(1) JAWAS Saad, *Iraq and the Kurdish Question 1958-1970*, Londres, Ithaca Press, 1981, P. 11.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Services civils du déléguém n° 1982. Alep, le 23 mai 1933.

وتفسر هذه الستراتيجية مساعي عملاء خويبون لإقامة صلات دبلوماسية مع المفوضية العليا البريطانية في العراق، بين 1928 و1929، رغم التدابير البوليسية ضد عملاء خويبون في العراق. وقد دعا سوريّا بدرخان إلى انخراط لندن الواضح، لأن «الكلمة الأخيرة في إيجاد حل للقضة الكردية ستقال في بريطانيا العظمى»[1]. وبعد ذلك أرسل جلادت بدرخان مظبطة تطالب باستقلال كردستان إلى ممثلي الإنكليز في بغداد[2]. وقد أتبعها، لعدم تلقي جواب، بمسعى مماثل قام به روبن ترميناسيان مع بريطانيا العظمى، يطالب في حال عدم توافر الدعم العسكري، السماح، على الأقل، باستخدام الأراضي العراقية لتزويد الثائرين الأكراد بالسلاح والذخيرة. غير أن اقتراح مساعدة الكرد جرى اعتباره ببساطة، اقتراحاً «سخيفاً»[3].

كما أن اتصالات الطاشناق وخويبون، عام 1928، مع ممثلي إيطاليا، لم تعطِ النتيجة المرجوة، لأن حكومة موسوليني الفاشية كانت ترغب في ترجيح كفة استمرار الوضع الراهن في المنطقة لإقامة سد في وجه توسع فرنسا وبريطانيا. إلى ذلك، لم تكن روما في وارد إعطاء جواب لخويبون، لأن إيطاليا لم تكن تملك سياسة واضحة في الشرق الأوسط، وكانت هذه السياسة أقل وضوحاً فيما يتعلق بالأقليات المسلمة مثل الكرد. كما أن تقارباً سياسياً واقتصادياً، وعسكرياً، كان قد حصل، من عام 1928 إلى 1932، بين إيطاليا

---

(1) *PRO, AIR 23/415*. Lettre de Sureya Bedir Khan à M. le Haut Commissaire en Irak, *doc. cit.*, P. 1-3.

(2) *MAE, Quai d'Orsay, série Levant 1918-1940, série Surie-Liban*, vol. 466. Extrait du Bulletin de Renseignements n° 265/S.G.K. Kamechlié, le 23 juillet 1930, f: 65.

(3) *PRO, FO 371/14580/E 3687/1511/44*.Turkey. Rapport du Lieutenant-Colonel Dodd à Sir R. Clive. Gulhek, le 28 juin 1930, fo 168.

وتركيا، وتم تجسيد الصداقة الإيطالية التركية بتوقيع صفقة هامة بينهما[1].

أما موقف الاتحاد السوفياتي الأصلي إزاء المتمردين الكرد فقد كان أكثر غموضاً، في الواقع، فرغم اتفاق الصداقة بين موسكو وأنقرة، من جهة، وبين موسكو وطهران، من جهة أخرى، احتفظ النظام السوفياتي باهتمام خاص بالمسألة الكردية، ولم يستبعد إمكانية لعب «الورقة الكردية» إذا ما دعت الحاجة. وهكذا حين انتفض خانات ماكو الكرد، في الأراضي الإيرانية عام 1923، عينت موسكو فوراً قنصلاً سوفياتياً في تلك المنطقة؛ كما تم، في عام 1927، قبل بضعة أشهر من قيام الانتفاضة الكردية في أرارات، البحث في إقامة دولة كردية في الاتحاد السوفياتي. وكان هدف هذا المشروع اكتساب موالاة القبائل الكردية في البلدان المجاورة في حال احتياج الاتحاد السوفياتي لاستخدامها ضد بريطانيا العظمى. إلّا أن مفوضية الشؤون الخارجية قررت التخلي، لاحقاً، عن هذا المشروع لتتلافى تصعيداً متصاعداً في التوتر مع تركيا وبلاد فارس[2].

فضلاً عن أن التحالف بين خويبون وحزب الطاشناق المعادي للسوفيات، قد قضى على كل إمكانية تحالف بين موسكو والانتفاضة الكردية. ولم يؤد اختيار منطقة أرارات على الحدود التركية السوفياتية إلّا

---

(1) GALLETTI Mirella, «Italian policy Towards Assyrians an Kurds (192)-1943)», *Journal of the Assyrian Academic Society,* Vol. IX, nº 2, 1995, P. 3-24; BARLAS Dilek & GVEN Serhat, «To Build a Navy with the Help of Adversary: Italian-Turkish Naval Arms Trade, 1929-32», *Middle Eastern Studies*, Vol. 38, nº 4, 2002, P. 143-168.

(2) LENCZOWSKI George, *Russia and the West in Iran, 1918-1948*. A Stud, Connecticut, Greenwood Press Publishers, 1968, P. 112.

إلى ازدياد مخاوف موسكو من رؤية قيام بؤرة مقاومة يقودها حزب الطاشناق قرب أرمينيا السوفياتية. وعلى هذا الأساس وقع الاتحاد السوفياتي وتركيا اتفاقاً جديداً للتعاون في تموز/ يوليو 1927، من أجل إقامة جبهة موحدة ضد المطامع الانضمامية الكردية والأرمنية. كما سمحت موسكو لأنقرة، إضافة لذلك، باستخدام شبكة سكة الحديد السوفياتية لنقل القوات التركية إلى منطقة أرارات.

كانت اللجنة الكردية تطمح، من خلال كل تلك الاتصالات، إلى أن تدخل في منظومة تحالفات تجعل منها عاملاً إقليمياً شديد البأس. علماً بأن لجنة خويبون كانت من أولى المنظمات الكردية في ممارسة «الدبلوماسية الموازية»[1]. كان استخدام ورقة الأقليات (استخدام الكرد في مواجهة دولة عدوة) هو، بالتأكيد عامل قوة لدى الدول التي فيها مناطق أو جيوب كردية. لكن «الدبلوماسية الموازية» يمكن أن تكون، أيضاً، مصدر توتر واضطراب بين الكيانات الدولتية. فعلى سبيل المثال، عندما كان يناقش في عصبة الأمم، مصير ولاية الموصل، استخدمت بريطانيا العظمى مثل تركيا الجماعة الكردية للحصول على منافع اقتصادية وستراتيجية في المنطقة؛ كما استخدمت كل من فرنسا وتركيا «الورقة الكردية» خلال المفاوضات من أجل ترسيم الحدود في شمال سوريا، لإضعاف واحدتهما الأخرى. وهذا في النهاية من نتائج البعد الإقليمي والعابر للحدود للقضية الكردية.

بيد أن «الدبلوماسية الموازية» يمكن أن تصبح مصدر إذعانات مرتبطة بالمكاسب؟ الإذعانات تظهر عندما تضطر الحركة الكردية إلى التحالف مع

(1) Pour une étude des ressorts de la diplomatie parallèle dans le cas kurde, voir BOZARSLAN Hamit, *La question kurde. Etats et minorités au Moyen-Orient, op. cit.*, P. 312-331.

«عدو» للـ «شعب الكردي». قامت بذلك رابطة خويبون عندما قررت التقارب مع إيران، بهدف رئيسي، هو توفير السلاح والذخيرة لثائري أرارات من خلال الأراضي الإيرانية بعد المرور في أرمينيا وأذربيجان السوفياتيتين. كما كانت رابطة خويبون تأمل باستخدام كردستان إيران كمراكز خلفية لشن عمليات عسكرية في الأراضي التركية.

كان احتمال هذا التحالف يعني «خيانة» لنظرية الوحدة الكردية، لأن على خويبون التخلي عن وضع «الأخوة» في إيران، في الوقت الذي اتّبع فيه نظام رضاخان، عام 1921، النموذج الاستبدادي التمديني نفسه لمصطفى كمال. كما أن السعي إلى دعم حاسم من إحدى الدول المنتدبة، فرنسا أو بريطانيا العظمى، يفترض التضحية، من الناحية النظرية، بمناطق كردية في الأراضي العثمانية في سوريا والعراق، من أجل تركيز كل الجهود العسكرية والسياسية في كردستان التركية. وبالتالي على كرد سوريا والعراق القبول بالحقوق المعطاة لهم من الدول المنتدبة.

كان زعماء المنظمة الكردية لا يستبعدون التفاوض مع حكومة أنقرة، من أجل استقلال ذاتي داخل تركيا. رغم اللغة الحادة جداً المستخدمة في بيانات ومنشورات المنظمة ضد النظام الكمالي. وكان يمكن، في حال جرت هذه المفاوضات مع أنقرة، أن يلعب زعماء خويبون دوراً أساسياً وأن يصبحوا الممثلين للأمة الكردية.

فشل التفاهم مع لجنة رواندوز

لقد حظيت خويبون بأهمية في البلدان الغربية والشرق أوسطية، ونجحت، في الوقت ذاته، في فرض نفسها كممثل وحيد لكرد تركيا في وجه حكومة أنقرة. لكن تحالفها مع الطاشناق كان له ثمن دفعته المنظمة الكردية.

وكان الثمن الأكبر فشل التفاهم مع منظمة رواندوز في العراق، المركز الحقيقي لنشاط الكرد منذ عام 1920.

توجد معلومات قليلة عن لجنة رواندوز[1] ولا يمكن، بالرجوع إلى المصادر البريطانية، اعتبار هذه اللجنة منظمة سياسية بالمعنى الغربي للكلمة. إنها في الواقع تجمع حر من زعماء قبائل ورؤساء دينيين كانوا سابقاً على ارتباط بالمنظمات الكردية لما قبل الحرب[2]. إن جماعة رواندوز برئاسة سيد طه[3]، لا تمتلك، بالمعنى الكامل، برنامجاً سياسياً محدداً ولا أموالًا لتغطية

(1) استناداً إلى التقارير البريطانية فإن الأعضاء الأكثر نفوذاً في اللجنة بين عامي 1928-1929 هم: الشيخ عبد الرحمن (أخو الشيخ سعيد) والشيخ مهدي، والشيخ علي، والشيخ علي رضا (ولد الشيخ سعيد) والشيخ عبد الله (بن الشيخ عبد القادر) رئيس ثاني حكومة كردية مستقلة ذاتياً في العراق عام 1922، ونورخودا من شمدينان، وحزني موكرياني (ناشر مجلة زاري كرمنجي)، وسيد طه (قائم مقام رواندوز منذ 1919) والشيخ أحمد برزاني، والشيخ علاء الدين. واستناداً إلى تقرير فرنسي، فإن الأعضاء الرئيسيين للجنة رواندوز هم: السيد طه، والسيد عبد الله، وعلي رضا، وإسماعيل سمكو، وسيد قادر، ونورخودا من شمدينان...

(2) من المرجح أن تكون لجنة رواندوز هي استمرار للجنة إنقاذ كردستان التي أشرنا إليها سابقاً. واستناداً إلى عدة تقارير يمكننا ذكر بعض الزعماء والشخصيات ممن حافظ على علاقات مع هذه اللجنة: الدكتور أحمد صبري وحاجو آغا من هفركان، وأمين آغا من رقاق، والشيخ علي رضا، والشيخ مهدي، والشيخ برزان، ويعقوب سمكو، وسيد طه، وإسماعيل حقي من هساري (ميديات) ويوسف ضيا، ومحمد وإبراهيم زعيمي هاباسباني (ميديات)....

(3) كان الشيخ طه حفيد الشيخ عبد الله الذي قاد عام 1880 بانتفاضة هامة ضد الباب العالي وتعاون الشيخ طه بصفته عالماً مع السلطات العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى داعياً إلى الجامعة الإسلامية ضد الأرمن.. وعندما أقام في العراق المفوض السامي برسي كوكس (Percy Cox) الذي فكر في تعيينه حاكماً لشمال العراق مكان الشيخ محمود برزنجي الذي كثرت مطالبه، وبفعل صلاته بالسلطات المنتدبة، وقرابته مع الشيخ عبد الله وإسماعيل سمكو بالزواج، وبفعل مركزه كقائم مقام رواندوز، أخذ =

نشاطاتها. كما أنها لا تمتلك فروعا في مناطق كردستان الأخرى. وكان الهدف الوحيد الذي يجمع أعضاءها حول اللجنة هو الحصول على «كردستان مستقل ذاتياً وبأفضلية الانتداب البريطاني»[1].

وقد باشرت هذه اللجنة، منذ عام 1926، باتصالات مع تجمعات كردية في سوريا بفعل بعض الرخاوة في الحدود بين البلدين. والمفارقة كانت في قيام فاهان بابازيان بالتفاوض باسم لجنة خويبون وحزب الطاشناق الأرمني، على حد سواء، مع ممثلي رواندوز في سوريا علي علمي ورفعت مغلازند اللذين كان يتوجب عليهما الاستعلام عن مشاريع الطاشناق قبل انعقاد المؤتمر في السليمانية، ربيع 1928.

إلّا أن المندوب الأرمني، حسب مصادر عملاء المخابرات البريطانية، كان يفضل التوقيع الفوري لاتفاقية التعاون مع ممثلي خويبون «الأداة الأكثر سهولة للتلاعب»، ليحاول فيما بعد ضم لجنة رواندوز إلى القضية الكردية الأرمنية[2]، وكانت ردة فعل أعضاء لجنة رواندوز سلبية بعد إعلامهم عن طريق عملائهم في سوريا بتفاصيل تفاهم خويبون والطاشناق.

كانت لجنة رواندوز تنظر بعدم رضا لخضوع والتحاق القوميين الكرد بحزب الطاشناق. وتعتقد أن فاهان بابازيان كان غامضاً جداً فيما يخص الأهداف السياسية والإقليمية للحزب الأرمني، وحول احتمال الدعم الخارجي للانتفاضة الكردية. لكن علي علمي ورفعت مغلازند تركا باباً مفتوحاً للتفاهم

= يتمتع بالتدريج بنوع من النفوذ في صفوف الأوساط المحافظة الكردية حتى صار زعيماً للجنة....

(1) *PRO, AIR 23/407*. «Anti-Kemalist and Kurdish activities», nº 392. Syria, le 17 juin 1929, P..

(2) *PRO, AIR 23/407*. «Anti-Kemalist and Kurdish activities», nº 071. *doc. cit.*, P. 1.

الكردي الأرمني شرط حفاظ كل فريق على استقلاله. أما بابازيان فقد شدد على ضرورة الوحدة بين خويبون ورواندوز من أجل الحصول على المساعدة الاقتصادية من بعض الدولة الغربية.

في 31 أيار/ مايو أرسل ممّثلا لجنة رواندوز جواباً مكتوباً إلى فاهان بابازيان يعتبران فيه أن كلام المندوب الأرمني ليس فقط غير كاف، بل يشكل تأكيداً لعدم رغبة الطاشناق في التفاوض. وقد تبع هذا الجواب تبادل سلسلة من الرسائل المتزايدة العدوانية، وقطع المفاوضات بين الطاشناق ولجنة رواندوز، فضلاً عن الشتائم التي كالها بابازيان للمندوبين الكرديين للجنة رواندوز مما أدى إلى تغيير مواقف بعض الوجهاء الكرد في العراق الذين كانوا، حتى ذلك الوقت، يتعاطفون مع خويبون[1].

وقد ذهب جلادت بدرخان، وبرفقته فاهان بابازيان، إلى العراق لاستعادة المحادثات مع زعماء لجنة رواندوز. لكن سيد طه قبل استقبال جلادت بدرخان وحده، ولم يتوصلا إلى أي اتفاق. وكانت الاقتراحات النهائية للطاشناق تُختصر في ثلاث نقاط وصلت في آب / أغسطس 1928.

1) اعتراف الأكراد بالحقوق الإقليمية للأرمن في أراضي فان وبتليس وأرزوروم.

2) تعهد بأن يكون هدف الكرد إقامة دولة مستقلة وليس فقط دولة دات استقلال ذاتي.

3) على لجنة رواندوز التعاون مع خويبون. ومقابل ذلك يتعهد حزب الطاشناق بأن يقدم لكرد العراق السلاح والمال.

بيد أن لجنة رواندوز اعتبرت أن الكلام عن الحدود بين أرمينيا

---

(1) *PRO, AIR 23/407*. «Anti-Kemalist and Kurdish activities», n° 112. Air Staff Intelligence, Air Headquarters. Bagdad, le 23 juillet 1928, P. 4-5.

وكردستان، مبكّر جداً وأن مسألة الحدود تترك لما بعد إقامة برلمانين للدولتين المستقبليتين. وأعلنت اللجنة، أنها مع تأكيدها لإرادتها في الكفاح من أجل استقلال كردستان، ترفض العمل مع خويبون لأنها في نظر الكرد، وفي نظرها هي بالذات، «منظمة شكلها حزب الطاشناق وهو يسيطر عليها، كما أنه لا يمكن اعتبارها منظمة كردية». كان اتهاماً مكرراً صادراً عن لجنة رواندوز في حق عائلة بدرخان، «لأنها باعت كردستان للأرمن»، وجرت تسمية العائلة بـ «بدرخانيان»[1] لكن رواندوز تعهدت بأنها لن تتدخل في علاقات الطاشناق وخويبون.

ويتضح من تحليل الاقتراحات والأجوبة من هذا الجانب أو ذاك، إن الدوافع الستراتيجية والمادية، تغلبت على الاعتبارات الأخرى مثل «الصداقة الكردية الأرمنية». ويظهر حذر كرد العراق من الأرمن أيضاً، في المسائل المرتبطة بدعم دولة أجنبية.

إن فقدان لجنة رواندوز للبنى الداخلية، والطابع شبه السري لنشاطاتها السياسية لا تسمح لنا بأن نرسم بدقة العلاقات بين هذه المنظمة وخويبون. ولم تنقطع الصلات، بما في ذلك غير الرسمية رغم «استحالة الحفاظ على علاقات مع كرد سوريا». ذلك أن جلادت اجتمع مرة أخرى خلال سفره إلى إيران في نهاية تشرين الأول / أوكتوبر 1928، مع سيد طه. ويقول الملحق العسكري الفرنسي في بلاد فارس رينيه برتران (Bertrand): إن سيد طه وعد رئيس الخويبون «بأن المبعوثين الآتين من سوريا والذاهبين إلى أرارات الصغير سيتم توجيههم من قبله ليصلوا حتماً إلى المكان المقصود»[2]. ورغم

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 1055. Information n° 345. Beyrouth, le 4 juin 1928, P. 2.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 1055. Rapport du capitaine René =

عدم تعهد سيد طه بتأسيس قسم لخويبون في رواندوز، فإن الوعد الذي قطعه لبدرخان كان ذا مغزى لأنه يفسح في المجال لإقامة صلة كردية صافية بين حلب وأرارات تحل محل الصلة الأرمنية المحتملة.

ويبدو إذن، أن حذر لجنة رواندوز من وزن الأرمن في خويبون كان حاسماً في فشل التفاهم بين الحركتين الكرديتين.

وقد جرى رفض الاتفاق الموقع بين خويبون والطاشناق الذي نص على التخلي عن ولايات بيازيد وفان، وأرزوروم للأرمن لإقامة «أرمينيا الكبرى».

وأخيراً، رفض بعض أعضاء رواندوز إعطاء أهمية لتحالف معقود مع أفراد (لجنة خويبون) لا يملكون نفوذاً حقيقياً. وبالتالي فإن موقعي الاتفاق مع بابازيان لا يملكون الحق بالكلام باسم الأمة الكردية[1]. ويدخل هذا التأكيد الأخير عنصراً جديداً في الخلاف بين لجنة رواندوز، من جهة، ولجنة خويبون، من الجهة الأخرى: الصراع حول احتكار تمثيل الأمة الكردية والكردية. ففي حين كان يطمح آل بدرخان بقيادة كردستان العهد العثماني، لا يريد، المشايخ وزعماء القبائل فقدان مكانتهم ونفوذهم.

انتفاضة أرارات والخلاف الحدودي التركي الإيراني

كان كردستان إيران منطقة لجوء تقليدية لكرد تركيا خلال مختلف انتفاضاتهم ضد المركز. كما كان زعماء كرد فارس يلجأون إلى تركيا هرباً من القوات الفارسية. ذلك أن هشاشة الحدود التركية الفارسية تجعل هذه

= Bertrand, Attaché Militaire de France en Perse et en Afghanistan aux services de Renseignements, n° 28/B, *doc. cit.*, P. 2.

(1) *PRO, AIR 23/407.* «Anti-Kemalist and Kurdish activities», n° 071, *doc. cit.*, P. 2.

الدينامية ممكنة. وحتى عندما كان الطرف مغضوضاً عنها من الحكومتين، فإنها أثارت، مراراً، نزاعات بين البلدين.

عندما لجأ زعماء قبيلة جيلالي إلى جبال أرارات، إلى موقع يتوسط الاتحاد السوفياتي، وتركيا، وإيران، كانوا يعون جيداً الفوائد الستراتيجية لهذا الخيار. وفي الواقع، واجه الترك عائقاً هاماً: كانت الحدود التركية الإيرانية، كما تم ترسيمها عام 1914، تمر في أرارات الصغير. فصار بإمكان المقاتلين الكرد مهاجمة الجنود الترك والعودة إلى بلاد فارس، خارج سلطة الحكومة التركية وتحت حماية طهران. خاصة وأن الحكومة الإيرانية، التي نجحت في الحفاظ على الهدوء في أذربيجان الغربية منذ هزيمة سمكو آغا، لا تريد إضعاف النتائج الجيدة لهذه السياسة باللجوء إلى القوة ضد الثائرين في أرارات الذين ينتمي الكثيرون منهم إلى قبائل تعيش في بلاد فارس.

إن إقامة منطقة وحيدة للمقاومة ضد النظام الكمالي في أرارات وضع الثائرين الكرد تحت رحمة موقف الفرس. وقد تطور هذا الموقف تدريجياً من الحياد الإيجابي إلى تعاون وثيق مع الحكومة التركية. في الواقع، سمحت طهران للطاشناق وخويبون بالاتصال بثائري أرارات مع الطلب من المنظمات الطاشناقية في أذربيجان رفض لعب دور وسيلة اتصال بين مختلف التجمعات الكردية في العراق وبلاد فارس. إلى ذلك ظلّت الحكومة الفارسية تبعث بمندوبين إلى أرارات حتى عام 1930، ما جعل العلاقات الدبلوماسية، بين تركيا وإيران، تدخل مرحلة نزاع متراوح الشدة. ويعتقد نادر انتيسار (Entessar) إن الشاه قد استخدم، في تلك المرحلة، الورقة الكردية لإلزام النظام الكمالي بالتفاوض حول بعض الخلافات الحدودية بين البلدين[1].

---

(1) ENTESSAR Nader, *Kurdish Ethnonationalism*, Londres, Lynne Rienner Publishers, 1992, P. 85.

وقد ارتفع الصوت، صيف عام 1930، عندما هددت تركيا إيران بتدخل جوي في الأراضي الفارسية إن لم تلتزم طهران التعاون مع أنقرة. وأنشأت الحكومة التركية مطاراً يبعد بضعة كيلومترات عن الحدود الإيرانية يتسع لمئة طائرة(1).

وقَبِل الشاه فتح حدوده أمام الجيش التركي نتيجة لتهديدات أنقرة. إن خيانة الفرس أدّت إلى عزل «الجمهورية الكردية»، القصيرة العمر، في أرارات. وفي نهاية خريف عام 1930 انهار المركز الكردي في جبل أرارات.

وارتضت السلطات الفارسية، لتلافي توتر جديد، البدء بمفاوضات جديدة لتبادل الأراضي. وقد شرح كاظم خان صياح رئيس لجنة مراقبة الحدود التركية الفارسية، في حديث مع صحيفة طهران إيران، التدابير التي اتخذت بصورة مشتركة من جانب تركيا وبلاد فارس(2): تحتفظ حكومة أنقرة بمنطقة أرارات خالية من السكان وتمنع أية قبيلة كردية من الإقامة فيها، وتستمر الحكومة الفارسية في منع كرد فارس من الإقامة في مناطق قريبة من الحدود التركية الفارسية. وتحافظ الحكومتان على الموقف السياسي نفسه إزاء مسألة أرارات. وعرضت الحكومة التركية على الحكومة الفارسية أراضٍ تعويضاً عن ضم أرارات إلى الأراضي التركية.

لقد كان انقلاب السياسة الفارسية على الكرد في المنطقة الحدودية حاسماً. ففي خلال العمليات العسكرية التركية، عام 1930، ضد ثائري أرارات، نقلت طهران قبائل غيذلباخ، وأوغلي إيل، وجلالي إلى منطقة خوي. وبعد

---

(1) OLSON Robet, *The Kurdish Question and Turkish-Iranian Relations from World War I to 1998*, Londres, Mazda Publishers, 1998, P. 23.

(2) *PRO, FO 371/15369*. Traduction de l'*Iran* du 15 juillet 1931. Interview avec le colonel Kazem Khan Sayah, Chef de la commission de surveillance de la fontière turco-persane, ff. 239-240.

سنة أرسلت هذه القبائل من محيط خوي إلى مشخين وكراجاداغ، وأسكنوا في قُرى لإبعادهم عن البداوة وتعليمهم الزراعة[1]. لقد بدا، جلياً، أن الشاه قرر حل «القضية الكردية بالإرهاب. فالزعماء تمّ اعتقالهم ونفيهم، وخيم البدو أحرقت لإلزام سكانها السكن في بيوت في القُرى، أو القبول بنقلهم لأماكن أخرى». وعلى غرار السياسة الكمالية إزاء كرد تركيا، تمّ إبعاد كرد (فارس) إلى الولايات الجنوبية لبلاد فارس، ومنع تعليم اللغة الكردية في المدارس[2].

زاد إحسان نوري وزعماء خويبون في سوريا، في مواجهة انقلاب الحكومة الفارسية، من المبادرات لإقامة جبهة جديدة في كردستان التركي ولتشتيت القوات التركية. وأخذت هذه المبادرات منحيين: الحصول على دعم بعض الزعماء الكرد في العراق، من جهة، وتنظيم عصابات مسلحة من الأوساط القومية الكردية في سوريا، من جهة ثانية.

وقد تبيّنت استحالة تنظيم حركة كردية عابرة للبلدان، استحالة تامة، بعد وصول المحادثات بين خويبون ولجنة رواندوز إلى الفشل؛ ومع ذلك نجحت خويبون في الصلة مع الشيخ أحمد برزان، المقيم في منطقة قريبة من الحدود التركية.

في 21 تموز/ يوليو 1930 أرسل الشيخ أحمد حوالى مئة من مقاتليه إلى المنطقة المتاخمة لأورامار في الأراضي التركية. وقد أشارت جريدة مليت في 26 تموز/ يوليو إلى هذا العمل وأكدت أن «محاولة التشتيت هذه بواسطة فرسانه للتأثير على عملياتنا في أغري داغ لم تحدث أي نتيجة»[3]. وبعد بضعة

(1) SHAT, Série 7N 3269. Etat-Major de l'Armée 2e Bureau. Résumé du journal iranien *Renaissance* du 18 septembre 1931.

(2) *Shat, Série 7N 4173, Dossier 2.* Etat-Major de l'Armée. Section d'Etudes au Levant, 9 mai 1934.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1599. Bulletin de presse hebdomadaire, Ambassade de France en Turquie, 31 juillet 1930, P. 10.

أيام، أرسل الشيخ أحمد قوة جديدة من المقاتلين إلى كردستان تركيا، ما أثار، هذه المرة، ردة فعل قوية من جانب الحكومة التركية التي أرسلت دعماً هاماً إلى المنطقة الحدودية بين تركيا والعراق. فضلاً عن ذلك تحدى الشيخ أحمد حكومة أنقرة باستقباله كرداً من تركيا هاربين من القمع الكمالي. فطلبت الحكومة التركية، آنذاك، من بغداد السماح لها بالدخول إلى منطقة بوزان.

إن مبادرة الشيخ أحمد ظلّت هامشية لأن الزعماء الكرد الآخرين، في العراق، رفضوا الاشتراك بنشاط في انتفاضة أرارات. إضافة إلى عجز لجنة، خويبون عن تعبئة القبائل الكردية خارج منطقة أرارات. فقد حاول عثمان صبري، للمرة الثانية، وبرفقة خمسين رجلاً الوصول إلى درسيم لإقناع الكرد العلويين القيام بانتفاضة ضد النظام الكمالي في آب/ أغسطس 1930 [1]. وقد فشل صبري من جديد[2].

التدخل العسكري لخويبون في تركيا

كان صيف عام 1930 الشاهد الأول والأخير للانخراط العسكري لزعماء خويبون، المقيمين في سوريا خلال انتفاضة أرارات. فواقعاً قرّر زعماء خويبون القيام بعملية عسكرية على خط التماس، على الحدود التركية السورية، من أجل إلهاء القوات التركية وكسب ولاء القبائل الكردية التي يلتقون بها في طريقهم. وكان منطق هذه العملية يستند إلى أن النفوذ،

(1) SABRI Osman, *Mémoires du grand combattant kurde, Osman Sabri (1905-1993)*. Traduit du kurde à l'arabe par Haweami Yezidi et Dilawer Zengi, Tawfiq Husni (dir.), s.l., s.d., P. 100.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Sûreté générale. Beyrouth, le 21 août 1930; *MAE, Quai d'Orsay, série Levant 1918-1940, sous-série Syrie-Liban*, vol. 466. Délégation française auprès de l'Etat de Syrie. Section Politique, n° 8679/SP. Information n° 25, le 23 août 1930, fo 90.

المفترض، للنخبة القومية (حاجو آغا، آل بدرخان، وشاهين، وجميل باشا، وأبناء إبراهيم باشا) بين السكان الكرد من شأنه أن يضمن النجاح[1].

كانت خطة العمل المشترك تفترض، في المرحلة الأولى، إرسال قوات مسلحة إلى الأراضي التركية من خمسة محاور: مجموعة باتجاه أيجبي خان، بقيادة حاجو آغا وجلادت بدرخان، ومجموعة باتجاه ماردين بقيادة أبناء جميل باشا، وباتجاه فيرانسيير من أنصار أبناء إبراهيم باشا، وباتجاه أورفا أنصار مصطفى وبوزان شاهين. وكلّف عثمان صبري بمهمة الذهاب سراً إلى درسيم.

في 29 تموز/ يوليو قررت لجنة خويبون رسمياً الهجوم في ليل الرابع إلى الخامس من آب / أغسطس وأعطت الأعلام الكردية[2] لمختلف القادة: واحد لحاجو آغا، زعيم الهفركان، وواحد لرسول آغا محمد زعيم البهتان، وواحد لجميل باشا، وواحد لخليل ابن إبراهيم باشا، وواحد لمصطفى وبوزان شاهين[3]. لكن مصطفى وبوزان شاهين ترددا ولم يلتزما بوضوح. أما زعماء المجموعات الآخرون فقد أكدوا استعدادهم للعمل بموجب الخطة المقررة.

وبانتظار ذلك كلّف سوريّا بدرخان وأكرم جميل باشا بالذهاب إلى حلب وبيروت للطلب من مختلف لجان خويبون والطاشناق أكثر ما يمكن

---

(1) *MAE, Quai d'Orsay, série Levant 1918-1940, sous-série Syrie-Liban*, vol. 466. Information nº 25, Direction du Service des renseignements du Levant, nº 2154/K.5. Rapport du Lieutenant-Colonel Mortier, directeur du Service des renseignements du Levant, Beyrouth, le 27 août 1930, ff. 89-91.

(2) Les emblèmes sont de grandes dimensions, aux couleurs rouge-blanc-vert avec au centre un soleil teinté or.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 574. Sûreté générale. Beyrouth, le 9 août 1930, P. 1.

من مبالغ مالية من أجل تسليح العصابات التي نظمتها خويبون[1]. لكن الخطة المعدّة لم تحترم. فلم يتقدم مصطفى وبوزان شاهين كما كان مفترضاً. وذهب محمود بك وخليل بك، أبناء إبراهيم باشا، عوضاً عن دخول تركيا، إلى القائد العسكري الفرنسي في رأس العين لطلب السماح باجتياز الحدود مع جنودهم الثائرين الكرد. ثم انسحب الأخوان بعد رفض الضابط الفرنسي. وقرّر جميل باشا، بعد اجتيازه الحدود ووصوله إلى 15 كيلومتراً من ماردين، العودة إلى سوريا في ليل 6 إلى 7 آب / أغسطس، لأنه «وجد أصدقاءه أضعف من أن يقوموا بعمل جدي ضد الترك»[2].

إلّا أن حاجو وبعدما كتب إلى الجنرال كالي (Callais) رسالة اعتذار عن تسبب متاعب محتملة لفرنسا جراء عمله «الوطني»، دخل إلى تركيا مع حوالى ستين من أنصاره[3]. كان في عداد القوات، إضافة إلى حاجو آغا، جلادت بدرخان، ومحمد جميل باشا، وأبناء حاجو آغا، ورسول آغا، والشيخ عبد الرحمن. وقد احتلوا في ليل الخامس من آب/ أغسطس قرية حباب الصغيرة في منطقة نصيبين. لكن سكان هذه القرية، حسب تصريحات جلادت بدرخان، صُدِموا بضعف العصابة، التي يقودها حاجو آغا، بالرجال وبالسلاح. وقد توقف حاجو آغا عن التقدم، بعدما علم بأن قوات شاهين بك

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 574. Sûreté générale. Etat de Syrie, AleP. Information n° 1744. Beyrouth, le 30 juillet 1930, P. 1.

(2) *MAE, Quai d'Orsay, série Levant 1918-1940, sous-série Syrie-Liban*, vol. 466. Direction du Service des renseignements du Levant, n° 2154/K.5. Rapport du Lieutenant-Colonel Mortier, directeur du Service des renseignements du Levant. Beyrouth, le 27 août 1930, fo 57.

(3) *MAE, Quai d'Orsay, série Levant 1918-1940, sous-série Syrie-Liban*, vol. 466. Lettre de Hadjo Agha, chef des tribus Heverkan. Tirbé spi, le 3 août 1930, fo 74.

وأبناء إبراهيم باشا لم تلتزم بالخطة المعدة، وعاد إلى سوريا في ليل 5 إلى 6 آب/ أغسطس كما قرر جلادت العودة إلى سوريا لفقدان الدعم بالرجال المسلحين.

إن عمل خويبون المسلح لم يشكل إطلاقاً صفحة مشرقة في النضال القومي الكردي. بل هو، على العكس، كشف فقدان جاذبية زعماء خويبون في أوساط كرد تركيا، وأظهر اختلاف المصالح بينهم. فعندما طلب جلادت بدرخان من حاجو آغا أخذ مدينة ميديات تردد الأخير وتساءل عما «سيقول الفرنسيون». وعبّر زعيم الهفركان، أيضاً، عن هواجسه في شأن مستقبل قبيلته، وفي شأن وضعه كوجيه في الجزيرة العليا. كما كشف عدم إقدام القوى التي كان يقودها الأخوة شاهين وأبناء إبراهيم باشا، عن أهمية المصالح التي اكتسبوها في ظل الحماية الفرنسية ليغامروا بها في عملية متهورة ضد تركيا الكمالية، لا تحظى بدعم واضح من دولة كبرى غربية.

بيد أن النقص في وحدة العمل، حسب قول بيير روندو، لا يعود فقط إلى خوار زعماء القبائل. فهو يرسم، بفضل ما حصل عليه من معلومات، لوحة مثيرة للاهتمام حول هذه الأحداث، ويحطم كل نظرة رومنسية إلى الهجمات التي خططت لها خويبون، لأن لا جلادت ولا كاميران بدرخان، على الأخص، واجه العملية دون مخاوف. على العكس من ذلك، فإن كاميران «كان دائماً ضد» لأنه كان يخاف من أن «يتم تبديذ أموال اللجان الكردية في حرب عصبات لا طائل منها». وكان يخاف، أيضاً، من أن يؤدي هذا النشاط على الأرض السورية بالسلطات الفرنسية «إلى القضاء على كل شيء». إلى ذلك كان كاميران من أنصار إرسال رجال «يستطلعون المكان دون ضجة لا فائدة منها»، من أجل التأكّد من رغبة كرد تركيا في الانتفاض ضد الحكومة، قبل القيام بأعمال عسكرية.

كان هذا الموقف المعتدل يثير عدم رضا بعض الزعماء الكرد مثل

حاجو آغا، «العمل بدون صبر ولا تفكير». وكان التدخل بالنسبة لحاجو آغا، حسب تقدير بيير روندو، مسألة شخصية؛ «فالأمر يتعلق باستعادة سيطرته على قبيلته هفركان التي انتقلت إلى أبناء عمومته». فقد نصب له هؤلاء فخاً بتأكيدهم انتظار دخوله إلى تركيا للخضوع لأوامره. ويعتقد جلادت بدرخان بأن الواجب «الأخلاقي» لآل بدرخان يقتضي الانخراط في عملية تهدف إلى تحرير كردستان. ففي رأي جلادت أن «أي جهد جدي من أجل الاستقلال لا يجوز أن يتم بدونهم، وإلّا فإن هذا الاستقلال يمكن أن يحصل يوماً بمعزل عنهم». ويعتقد، من جهة أخرى، بأن مشاركة كرد سوريا، رغم محدوديته، هو مناسبة ممتازة لِـ «تأكيد، العمل بالوحدة الكردية، وتثبيت الشعور القومي الذي لا يزال ضبابياً عند الكثيرين. وينبغي أن يتمّ هذا، أيضاً، بإدارة آل بدرخان ولمصلحتهم». وأخيراً يأمل رئيس الخويبون أن يثير وصول القوات الكردية من سوريا آمال كرد تركيا في رؤية دولة كبرى أجنبية وراء هذه العمليات، وتقديم العون لهذه القوات القادمة من سوريا.

وتشكل هذه الاعتبارات الثلاثة، في رأي بيير روندو، المحاور الثلاثة في سياسة آل بدرخان: الاستقلال الكردي بقيادتهم، ووحدة كردية لمصلحتهم، ودعم دولة كبرى أجنبية. لكن خويبون لم تحظ بأي دعم من أي بلد، السبب الذي جعل جلادت لا يؤمن إطلاقاً بالنجاح. وقد التحق جلادت بحاجو آغا في الهجوم على تركيا رغم تحذيرات أخيه كاميران. ووافق على ترك كاميران خارج هذه المهمة لكي لا يسيء لسمعة جميع الزعماء الكرد عند الفرنسيين في حالة الفشل[1].

ويمكننا، في النهاية، الاستدلال بأن قرار الدخول إلى الأراضي التركية كان، من جهة، نتيجة لاستعجال قادة خويبون، نظراً للانتصار التركي في

---

(1) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie.* «Les Bedir Khan et le mouvement kurde». Document manuscrit de Pierre Rondot. Octobre 1932, P. 1-5.

منطقة أرارات، ومن جهة أخرى، محصلة لمصالح متنوعة. وأياً كان السبب فإن العملية التي شنتها اللجنة المركزية لخويبون آلت إلى فشل ذريع، أدّى فيما بعد إلى الإساءة لسمعة اللجنة الكردية في أوساط كرد سوريا. وعلاوة على ذلك، تخلخل تنظيم الحركة الكردية بفعل التدابير التي اتخذتها السلطات المنتدبة في شأنها.

فقد تمّ إبعاد أبناء جميل باشا وحاجو آغا وأولاده من الشمال السوري إلى دمشق، لمدة غير محدودة، كما أن جلادت وكاميران بدرخان ومحمود سليم منعوا من دخول أراضي شرق الفرات. ووضع مصطفى وبوزان شاهين، رغم عدم تحركهم، في إقامة جبرية مراقبة في حلب. ووضع أبناء إبراهيم باشا قيد الإقامة والمراقبة في الحسكة، في حين تمّ نقل شخصيات أخرى قريبة من خويبون، مثل خدور بك ورسول آغا، إلى دير الزور[1]. وتمّ طرد سوريّا بدرخان، حامل الجواز المصري، من بلدي المشرق. وأصابت تدابير المفوضية العليا الحزب الأرمني، فأبعد الدكتور بسماجيان إلى حلب، وهراتش بابازيان إلى الجزيرة، ومنع فاهان بابازيان، الموجود في باريس، من العودة إلى سوريا[2].

وتفسر تدابير السلطات المنتدبة العاجلة بالصدمة التي شكلتها

---

(1) D'autres personnalités kurdes transférées à Deir ez Zor sont Agid Agha (Djilan), Hadji Suleyman al Abbas (Tchitiés), Cheikh Ahmed al Khazni (Tchitiés), Sami bey (Millis), Cheikh Ahmed, Cheilh Béchir et Hadji Derviche de la région d'Amouda. *PRO, AIR 23/243*. Special Service Officer, I/M/13. Mossoul, le 9 septembre 1930, P. 2.

(2) *MAE, Quai d'Orsay, série Levant 1918-1940, sous-série Syrie-Liban*, vol. 466. Rapport du Lieutenant-Colonel Mortier, directeur du Service des renseignements du Levent à M. le Haut Commissaire, n° 212/K.5. Beyrouth, le 23 août 1930, f: 48.

الهجمات على تركيا. لقد كانت المفوضية العليا تعتقد، حتى حينه، بأنها تسيطر على الحركة الكردية في المشرق بفعل ما تملك من شبكة لعملاء المخابرات، وبفضل سياستها الرامية إلى كسب ولاء زعماء القبائل الكردية في الجزيرة العليا. وقد كشف اختراق الأرض التركية عن نواقص هامة في جهاز المعلومات وفي التنسيق بين مختلف دوائر السرايا[1].

لقد دقت ساعة نهاية الانتفاضة الكردية، بالانتصارات الأولى للجيش التركي في أرارات، وبتغييب لجنة خويبون في المشرق، لعدة أشهر. وقد تمّ في تركيا إعلان مجلس الوزراء، بموجب القانون 110 تاريخ 21 حزيران/ يونيو 1927، كردستان «أول منطقة حربية» وبالتالي يمنع دخولها إلّا للضباط وللجنود المعنيين، تحت طائلة العقوبات الصارمة. وتمّ النطق بالحكم على المسؤولين عن الانتفاضة في محكمة أضنة في 22 أيار/ مايو 1932: الإعدام لـ 31 متهماً موقوفاً والبراءة لـ 88 معتقلاً[2].

في موازاة الإجراءات القضائية ضد زعماء الانتفاضة، تقدمت وزارة الداخلية بمشروع قانون، رقم 2237 في 5 أيار/ مايو يقسم السكان الترك إلى خمسة قطاعات. وكان في خلفيات هذا القانون فكرة طرد جزئي لسكان كردستان لتدارك انتفاضة جديدة ضد المركز. وتمّ في أنقرة وضع أسس سياسة الاندماج الثقافي للكرد بالنفي، ببساطة، لوجود الكرد وتسميتهم «ترك الجبال».

(1) *CADN, Fonds Ankara, Ambassade*, n° 126. Télégramme du Quai d'Orsay à l'Ambassade de France en Tuequie, n° 178. Paris, le 11 août 1930, P. 1.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1608. Ambassade de France en Turquie. Bulletin de Presse du 16 mai 1932.



الجزء الثالث

الحركة الثقافية الكردية
في ظل الانتداب الفرنسي



كانت نواة الحركة الثقافية الكردية قد تألفت من قادة المنظمة القومية الكردية أنفسهم: نجد الأخوة بدرخان على رأس الحركة الثقافية، شأنهم شأن عائلة جميل باشا، وشاهين بك، وحاجو آغا. فنحن، إذن، أمام ظاهرة تكيف أدوات نضالية وخطاب نضالي.

لقد وضع فريق المثقفين الملتف حول آل بدرخان، متجاوزاً بعض الصعوبات، أسس نهضة ثقافية كردية حقيقية. ويعود الفضل للأخوة بدرخان في وضع ألفباء كردية بأحرف لاتينية، أدّت إلى توحيد اللغة الكردية الكرمانجية. وأسهمت المجلات التي أصدرها الأخوان في الحفاظ على الأدب الشعبي، وحماية الفولكلور الكردي. وهذه الإصدارات، ذاتها، تحولت إلى وسيلة تعبير للكُتّاب الكرد الشباب ولتكونهم، هؤلاء الكُتّاب الذين لعبوا، فيما بعد، دوراً حقيقياً في التعبئة السياسية للأجيال القومية الكردية الجديدة. فضلاً عن أن المقالات التي ظهرت في الأعوام الممتدة من 1930 إلى 1940، والتي تناولت مختلف أوجه الكردية (اللغة، والتاريخ، والأساطير)، قد وضعت أسس النظرية القومية الكردية بتحديث أعمال الأندية الكردية العثمانية.

لم تتطور الحركة الثقافية الكردية، في ظل الانتداب الفرنسي، في عزلة. فقد تأثرت بسائر الحركات الثقافية القومية في الشرق الأدنى، كما تأثرت

بالدولة المنتدبة، وبالحرب العالمية الثانية، وبالضغوط الداخلية للمجتمع الكردي. وعمل المثقفون الكرد، في الوقت نفسه، على التأثير ليس في الكرد وحسب، بل أيضاً، في الأنصار المحتملين للقضية الكردية: المستشرقين الأوروبيين وسلطات الانتداب الفرنسي.

ورغم أن خروج فرنسا من المشرق قد أنهى هذه التجربة، فذلك لم يلغِ واقع أن النشاطات الثقافية في ظل الانتداب قد تركت إرثاً ثقافياً هاماً لأجيال المثقفين الكرد اللاحقة.

الفصل السادس

من الخيار العسكري إلى الخيار الثقافي

رغم قيام خويبون ببعض الجهود في الميدان الثقافي (عرائض لسلطات الانتداب من أجل تعليم اللغة الكردية في المدارس، وإنشاء مدرسة داخلية لتنشئة النخبة الكردية)، فإن اللجنة، التي يقودها آل بدرخان، فضلت النشاط الدعائي الداعم لثورة أرارات. فدقة المرحلة، والعدد القليل لأعضاء رابطة خويبون أجبر الزعماء الكرد على الخيار بين النضال بـ «السيف» أو النضال بـ «القلم» فمالوا إلى الخيار الأول.

لكن فشل حملة خويبون في آب/ أغسطس 1930، مهد السبيل للتشكيك بالستراتيجية العسكرية. وقد أظهرت كل تلك الأحداث عقم الانتفاضات المتفرقة ضد تركيا، بدون دعم دولة عظمى. بالمقابل، اعتبر العاملون الأكراد في الحقل الثقافي أن ثمة مهمة، ملحة جداً، يمكن تنفيذها رغم المصاعب الآنية: تعزيز روح الانتماء إلى المجتمع الكردي بإحياء اللغة، وتطوير التعليم بالكردية، وإحياء الأدب الشعبي.

أزمة خويبون

لقد تم الانتقال من النشاطات السياسية العسكرية إلى نشاطات ثقافية

في وضع متأزم. ولا تزال حتى اليوم أسباب أزمة خويبون وانقسامات اللجنة المركزية، غير معروفة جيداً. ويمكننا، في كل حال، التوقف عند ثلاثة افتراضات (أسباب) يكمل واحدها الآخر، لنشرح رقاد المنظمة الكردية منذ بداية الثلاثينيات.

السبب الأول، الذي يطرحه معظم المؤلفين، بوضوح، هو أن خويبون شهدت صراعاً بين جبهتين: عائلة بدرخان وأنصارها من جهة، وعائلة جميل باشا وأنصارها من الجهة الأخرى،. ويبدو أن أسس هذا الصراع ليس خلافاً أيديولوجياً، إنما نزاع حول الوجاهة الشخصية والنفوذ[1]. خصوم جلادت وكاميران يتهمانهما بادعائهما امتلاك ذكاءٍ يفوق ذكاء الآخرين. وبالميل «إلى تصوير كردستان تابع لإمارة البوتان، والخلط بين المسائل الكردية ومسائل إحياء السلالة» [آل بدرخان][2].

وقد أصبح جلادت وكاميران، في كل حال، مخاطبين مميزين للسلطات المنتدبة. وهو وضع خاص تعزز بموقف كاميران إثر فشل حملة خويبون العسكرية، ما زاد من حدة الصراع بين العائلتين. ونتج عن هذه الأزمة خروج جلادت وكاميران بدرخان من رابطة خويبون. فقد اتهمت جبهة جميل باشا كاميران بإنفاق أموال مخصصة للجنة الكردية في مصالح شخصية. فقررت اللجنة المركزية في أحد المؤتمرات طرد كاميران فتضامن جلادت مع أخيه وأنهى مسؤولياته وعضويته في خويبون.

---

(1) ALAKON Rohat, Hoybûn rgütü ve Agri Ayaklanmais, op. cit., P. 1001-105; CEMIL PACHA Ejrem, *Muhtasar hayatim, op. cit., P. 77; DERSIMI Nouri, Hatieatim. op. cit.*, 198; CEMIL PACHA Kadri (Zinar Silopî). *Doza Kurdistan, op. cit.*, P. 149-151.

(2) *FONDS RONDOT, Dossier articles*. «Les Kurdes», Dossier préparé par Pierre Rondot pour le CHEAM, 1938, P. 4.

السبب الثاني، القطيعة بين الطاشناق وخويبون التي بدت أكثر تأثيراً في وقف النشاطات السياسية والعسكرية للجنة الكردية، لدور الأرمن الكبير في التمويل، والتحركات (اللوجستية) والدبلوماسية.

فاللجنة الكردية، بفقدانها دعم الطاشناق، خسرت عوامل قوة، وانهارت مكانتها السياسية بسرعة. فقد توقف ذكر خويبون تدريجياً. وانتهت إلى الزوال دون أن تنحل بالكامل.

والسبب الثالث يرتبط بالنقطة السابقة. فالأزمة العميقة التي عصفت بخويبون منذ عام 1933، تفسر بترهّل مشروعها السياسي. فالنخبة المثقفة الكردية، وارثة الفكر الغربي، المنبثقة عن أوساط، التمدينيين في مطلع القرن، حاولت فرض برنامجها بالقوة، من أجل الشعب، لكن بدون الشعب. ذلك أن فشل الانتفاضات الكردية في العهد الكمالي عرت هذه الستراتيجية. وبدى قيام دولة كردية بالقوة مستحيلاً، في مواجهة دولة تزداد قوة مثل تركيا، وفي مواجهة تحالف القوى الإقليمية ضد أي حركة استقلال ذاتي كردية، وغياب أي دعم خارجي، إضافة إلى الانقسامات في المجتمع الكردي. وقد عبرت عن هذا الوضع صحيفة خلق سيسي (صوت الشعب) التركية وأكدت أن زعماء خويبون يعملون، ألا أن عملهم لن يوصل إلى شيء، لتستنتج بأن اللجنة «ستتلاشى ذاتياً»[1].

لقد دخلت خويبون، لعدم امتلاكها مشروعاً سياسياً بديلاً للكمالية، في مرحلة رقاد بسبب عجزها عن امتلاك أهداف جديدة، ووسائل عمل جديدة.

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 574, Traduction du journal turc *Halk Sesi*, n° 7 février 1933, P. 1.

في حين اكتشف الأخوة بدرخان، بنصيحة من السلطات المنتدبة[1]، في النشاطات الثقافية سلاحاً جديداً للدفاع عن الهوية الكردية، وعن مكانتهم الخاصة بصفتهم نخبة قومية. وقد اقترح موظفو الدولة المنتدبة على الكرد نماذج من النهضة الثقافية التي ينبغي استيحاؤها. وتم لفت نظر الزعماء الكرد [كاميران بدرخان، حاجو آغا] إلى «الدول الأوروبية التي فازت باستقلالها بفضل ثقافتها الخاصة مثل تشيكوسلوفاكيا[2]. والواقع أن نماذج النهوض الثقافي لا تحصى.

اقتفاء النموذج الأرمني

إن التخلي عن السيف للقلم يعني، بمعنى ما، العودة إلى النشاطات الثقافية للأندية الكردية في الزمن العثماني. فحسب المخطط البياني الذي يقترحه ميروسلاف هروش (Hroch) المتعلق بتطور الحركات القومية، يفترض أن يتم الانتقال من مرحلة ج (ثورة عامة تتجسد في انتفاضة أرارات) إلى مرحلة أ (الاهتمام بالبحث الثقافي) على أمل أن يتم الانتقال من هذه المرحلة الأساسية إلى مرحلة ب (تحرك قومي)، للوصول من جديد إلى مرحلة نهائية تتمظهر بانتفاضة عسكرية[3].

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 571. Le Comte D. de Martel, Ambassadeur, Haut Commissaire de la République Française en Syrie et au Liban à M. le Conseiller du Haut Commissariat, Délégué du Haut Commissaire auprès du gouvernement de l'Etat de Syrie. Note n° 6885. Beyrouth, le 6 août 1934, P.3.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 728. Le Délégué général du Haut Commissaire à son Excellence le Président du Conseil, Ministre des Affaires Etrangères, n° 573. Beyrouth, le 15 juillet 1932, P. 2.

(3) HROCH Miroslav, *Social Preconditions of National Revival in Europe. A Comparative Analysis of the Social Composition of Patriotic Groups among the smaller European Nations*, Cambridge University Press, 1985, P. 22-24.

وتنعكس هذه العودة، جزئياً، في المواضيع التي يعالجها كُتّاب المقالات عن: أهمية اللغة، وأسباب تخلف الكرد، والطموح إلى الحداثة، والأساطير المؤسسة للكردية، والوحدة الكردية.

يبدو لنا أنه في الإمكان اتباع هذه المقارنة بين نشاطات مطلع القرن في اسطنبول والحركة الثقافية في سوريا ولبنان، مع الانتباه، على الأخص، للظرف التاريخي الذي تندرج فيه... وإذا كانت نخبة اسطنبول حاولت إيجاد أجوبة على التحدي الذي يفرضه الطموح في قيادة الكرد إلى «التمدن» في إطار الامبراطورية العثماينة، فإن المثقفين المنفيين إلى بلدي المشرق كانوا يرون في النظام الإقليمي الجديد في الشرق الأوسط تحدياً للهوية الكردية، وتهديداً لها أيضاً. فالكرد، في الواقع، لم يحصلوا على دولة تستطيع ضمان بقاء اللغة والأمة الكردية، خلافاً لجيرانهم. ويتعاظم الخطر بتهديد الكماليين، في تركيا، اللغة وسائر العناصر المؤسسة للكردية (التنظيم الاجتماعي، والتعلق بالطرق الدينية، والسوق المحلية). وفي حين تمكنت فرنسا من إدخال مبادئ الإدارة الحديثة إلى بلدي المشرق، خافت النخبة الكردية من رؤية الكرد مهمشين بفعل هذه التحولات الاجتماعية، ومحرومين من فوائد الجهاز الدولتي والبيروقراطي. ذلك أن المثقفين الكرد كانوا يعتقدون أن فكرة الحداثة لا يمكنها أن تكون جذّابة إلّا إذا نقلت إلى اللغة الكردية[1].

وقد استوحت الحلقة الصغيرة من المثقفين الكرد المجتمعين حول الأخوة بدرخان، النموذج الأرمني لإطلاق نهضة ثقافية كردية، على غرار ما فعلت الأندية الكردية في العهد العثماني. وكان قادة الطاشناق، في الواقع، يصرون، طوال السنوات الخمس من التعاون الكردي الأرمني، على ضرورة أن تهتم خويبون بالموضوع الثقافي لتوطيد الشعور بالهوية القومية الكردية،

(1) LUKITZ Liora, *Iraq. The Search for National Identity, op. cit.*, P. 110.

كشرط لا بدَّ منه للحفاظ على الكردية في الأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي، وعلى احتمال التحرر السياسي الكردي.

وإذا كان من المسل~م به أن تجربة كرد العراق وأرمينيا السوفياتية يمكن أن تشكل مثالاً لكرد سوريا، فإن وضع هؤلاء يشبه أكثر، بفعل ضعف عددهم وظروف المنفى، وضع المنفيين الأرمن في بلدي المشرق. وفي الواقع، مارست لجنة الطاشناق، بدءاً من النصف الثاني للعشرينيات، سياسة ثقافية نشيطة بين اللاجئين الأرمن في سوريا ولبنان من أجل الحفاظ على الهوية الأرمنية في مواجهة نفوذ الثقافة العربية والتركية. وقام الحزب بمختلف المبادرات الثقافية مثل تأسيس مكتبات، وجمعيات ثقافية، ومدارس. وكان، بذلك، يهدف إلى خلق «أرمن حقيقيين» من الرجال والنساء الذين يتقنون لغتهم ويمتلكون شعوراً قومياً قوياً، يدفع عنهم مرارة الاندماج[1].

ومثل الأرمن، حاولت حركة النهضة الثقافية الكردية تلافي تشتت المجتمع بجعل الكرد يعون هويتهم القومية. وبكلام آخر، خلق «كرد حقيقيين» يعرفون لغتهم، وماضيهم. وقد تمّ التعبير الواضح عن هذا الهدف في أحد البيانات التي وزعتها خويبون ويعود في الأرجح، إلى عام 1932. ويعلن الانتقال إلى النشاطات الثقافية:

> «يحتاج الكرد، مثل سائر الأمم في العالم إلى صحف، وكتب، ومطبوعات [...]. فالصحيفة التي تخبر العموم بحالة الأمم الأخرى، هي التي تضمن النهوض السياسي والتطور الشخصي، والاجتماعي للشعب. [...] والصحيفة هي، أيضاً، التي تؤمن الحفاظ على اللغة،

---

(1) SUNY Ronald Grigor, *Looking toward Ararat. Aemenia in Modern History*, Bloomington & Indianapolis, Indiana University Press, 1993, P. 220.

والأدب، والتاريخ، وتدخل روعة كل ذلك إلى قلب الأمة وعلى أسس صلبة»[1].

وقد ساندت خويبون، بعدما صارت جسماً ساكناً، آل بدرخان في تحقيق هذا الهدف، وأنشأت حولها شبكة من الجمعيات الخيرية للدعم الاقتصادي والاجتماعي ولإصدار مجلات ثقافية، وكُتب مدرسية. وكانت أولى المبادرات، في الحسكة عام 1932 بتأسيس جمعية خيرية لمساعدة فقراء الكرد في الجزيرة. وكان هدف هذه الجمعية الرسمي «رفع المستوى الثقافي والمادي للفقراء الكرد». وبدا في النشرة التي تحدثت عن هذه الجمعية أن المؤسسون يريدون القضاء على البؤس وعلى الجهل عن طريق «التعليم». فأخذت الجمعية على عاتقها «تعليم وتربية الأولاد الكرد وأبناء السكان الآخرين في سوريا، وإرسال المتفوقين، عندما تتاح الفرص، إلى فرنسا». فضلاً عن سعيها إلى «إصدار مجلة شهرية باللغة الكردية، وإصدار مطبوعات بالفرنسية والعربية والتركية»[2].

١ـ «المثقفون» الكرد

هل يمكن أن نتحدث عن وجود مثقفين كرد، في الثلاثينيات من القرن العشرين في سوريا ولبنان؟ كيف يمكننا أن نعرّف المثقف الكردي؟ لقد أشار لويس بودان (Bodin) إلى النقص في التعاريف الدارجة لكلمة «مثقف»، خاصة وأن المثقف لا يمكن تعريفه بصورة صحيحة إلّا في مجتمع وفي ثقافة، وفي مهنة مؤمناً، بصورة عامة، نوعاً من الوساطة بين الكلمتين[3].

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* nº 1055, *doc. cit.*, Alep, le 23 mai 1933, P. 4.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* nº 572. Brochure de la «Société de bienfaisance pour l'aide des pauvres kurdes, à Djézireh», 1932, P. 1-9.

(3) BODIN Louis, *Les intellectuels*, Paris, P.U.F., 1962, P. 17.

سنستخدم هذا التعبير عن «المثقف» في معنى واسع لنشير إلى أن العاملين في حركة النهضة الثقافية الكردية، يخلقون وينشرون ويمارسون الثقافة[1].

إن وسط المثقفين الكرد، هذا «العالم الضيق» حسب قول سارتر، ليس متجانساً. ففي حين نشأ آل بدرخان وآل جميل باشا على الأفكار التحديثية في مختلف المدارس والجامعات في اسطنبول وأوروبا الغربية، نشأ الجيل الثاني «عثمان صبري، وجكرخوين، ونور الدين زازا وقدري جان[2]، ذاتياً ومارسوا أسلوباً أكثر شعبية ليتحولوا إلى فناني الشعب[3]. كما أن المهن التي مارسها باعثو التجديد الثقافي الكردي متعددة هي الأخرى: معلمون، محامون، ناشرون، طلاب، وريعيون.

في المقابل، توجد نقاط مشتركة بين الجيلين. فالمثقفون الكرد هم

---

(1) SIRINELLI Jean-François, «Les intellectuels», in: *Pour une histoire politique,* René Rémond (dir.), Paris, Editions du Seuil, 1988, P. 210.

(2) قدري جان، واسمه الحقيقي عبد القادر عزيز جان (1911-1972) وُلِد في ماردين، وأقام في سوريا عام 1928. تعلم العربية وبدأ دراسة التعليم في أنطاكيا حيث اتصل بممدوح سليم، أحد قادة خويبون. اعتُبر من الكُتاب الأكثر تجديداً في اللهجة الكرمانجية باستخدامه المميز للصور والتقنية الأدبية. شارك في الحركة الثقافية الكردية في سنوات 1930 بنشره في مجلة هاوار، وأيضاً في روناهي، وفي روزانو، كما نشر في مطبوعات عراقية. منذ عام 1944 اعتنق الأيديولوجيا الشيوعية. فاعتقل بين عام 1959 وعام 1961، وغادر سوريا إلى العراق ولبنان، ثم عاد إلى دمشق حيث توفي في عام 1972.

(3) وُلِدوا في كردستان في أول القرن العشرين، وتثقفوا بعيداً عن المدارس المتغربة في اسطنبول، وشكلوا جيلاً من المثقفين المختلفين الذين يحملون صيغة جديدة للقومية الكردية منفصلة عن التراث العثماني. وتجدر الإشارة إلى أن أعضاء هذا الجيل الثاني كانوا على صلة وثيقة مع الأوساط اليسارية في سنوات 1940.

قادمون جدد مبعدون عن الأوساط العليا للسلطة السياسية، أي عن الأوساط الثقافية الناطقة بالعربية في سوريا. فجميع العاملين الوازنين في حركة النهضة الثقافية في بلدي المشرق أصلهم من تركيا، ويتكلمون الكرمانجية. ما يفسر غياب الزازائية في الكتابات المنشورة في مجلات الأخوة بدرخان. إلى ذلك فإن معظم الكُتاب الكرد هم من المنطقة الممتدة من ماردين إلى جزيرة ابن عمر. وكما سنرى لاحقاً، كان لهذا الواقع نتائج على توحيد الكرمانجية، وعلى الخيارات الثقافية والجغرافية للإنتاج الأدبي الذي خلفته هذه الحلقة من المثقفين.

في كل حال، حاول المثقفون الكرد ملء كل الفراغات المهملة في الحقل الثقافي. رغم عدم حصول أي من العاملين في النهضة الثقافية، على تعليم خاص بالعلوم الإنسانية، فإنهم تكرسوا للأعمال اللغوية، والتاريخية، والأدبية وعلم السلالات، والصحافة، إلخ. كما حاولت النخبة الكردية، بقدر من النجاح ومن الفشل، تعويض التخلف الفكري والثقافي في المجتمع الكردي.

إن انخراط النخبة الكردية في الحقل الثقافي ليس غريباً. على العكس من ذلك، فجميع حركات النهضة القومية استمدت مراجعها من أعمال بعض المثقفين الذين أعادوا رسم الهوية الثقافية للجماعة التي يدعون تمثيلها[1].

---

(1) Voir ANDERSON Benedict, *L'imaginaire social. Réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme*. Traduit de l'anglais par Pierre-Emmanuel Dauzat, Paris, Editions La Découverte, 1996; HROCH Miroslav, *Social Preconditions of National Revival in Europe, A Comparative Analysis of the Social Composition of Patriotic Groups among the Smaller European Nations*, Cambridge, Cambridge University Press, 1985.

لكن هذا الأمر ليس الحل الوحيد أمام المثقفين «الإثنيين»، أو دعاة التغيير[1]. فهم بوصفهم أعضاء أقلية، يستطيعون القبول بوضع الأقلية، ومحاولة الانخراط في منظومة أوسع تسيطر عليها الأكثرية، وهو خيار كان سهلاً للبعض (آل بدرخان مثلاً)، لمعرفتهم اللغة العربية. وبالتالي مكنهم ذلك من تعزيز هويتهم الإثنية، للتغلب على عقدة النقص عند الجماعة الإثنية التي ينتمون إليها، ويحسّنون، في آن، وضعهم الخاص[2].

ويبدو لنا، في هذه الحالة، أنّ من الملح التساؤل عن الدوافع السياسية البنيوية والشخصية التي دفعت بآل بدرخان، وسائر أعضاء الوسط الثقافي الكردي، إلى خيار تأكيد الذات بلغة ثقافية في التوجه الجديد للحركة القومية الكردية في سوريا ولبنان.

لا ريب بأن النصائح التي أعطتها المفوضية، العليا للأخوة بدرخان كانت عاملاً حاسماً. لكن الأهمية التي أعطيت للثقافة كانت، أيضاً، ردة فعل على السياسة العدوانية للحكومة التركية ضد اللغة الكردية. واقعاً، أعتقد المثقفون الكرد أن اللغة الكردية سائرة فعلاً، وللمرة الأولى، إلى الاندثار.

وعبّر عن هذا القلق على مستقبل اللغة الكردية في تركيا بوضوح جلادت بدرخان في لقاء مع القنصل التركي في بيروت عام 1935. فقد اشتكى الأول

---

(1) BARTH Fredrik, «Introduction», *Ethnic groups and boundaries. The Social organization of Culture differences*, Fredrik Barth (dir.), Oslo, Université de Forlaget, 1969, P. 33.

(2) ROSS Jeffrey A., «Language and the Mobilization of Ethnic Identity», in: *Language and Ethnic Relations,* Howard Giles & Bernard Saint-Jacques (dir.), Oxford & New York & Toronto & Sydney & Paris & Frankfurt, Pergamon Press, 1979, P. 8.

«من منع الكرد التكلم بلغتهم». فنفى القنصل التركي نصري رضا بك التهمة مع اعترافه «بأن هذه اللغة لم تعد موجودة بفعل نظام التعليم العام على امتداد قرنين». وردّ المثقف الكردي بقوله «فعلاً أنتم تملكون السلطة كلها، (الترك) فلا يجوز لكم العمل على تصفيتها بهذه الفظاظة»[1]. لقد عزز توطّن اللاجئين الكرد في سوريا، ذات الأكثرية العربية، ومنع فرنسا تعليم اللغة الكردية في المدارس الرسمية، خوف بعض المثقفين الكرد المنفيين من زوال اللغة الكردية.

أخيراً سوف نستشهد ببعض مقولات النظرية التي صاغها بيير بورديي (Bourdieu) حول اللغة والسلطة الرمزية، من أجل تكملة تحليل الديناميات الخارجية والداخلية في الوسط القومي الكردي التي تفسر الانتقال من الخيار العسكري إلى الخيار الثقافي. ورغم أنه لا يمكن حصر الحراك المعقد للوسط الكردي في دينامية بسيطة تفضي إلى «ستراتيجية»، مع حسابات الأرباح المادية أو الرمزية، فلا بدَّ من الاستنتاج أن الأخوين بدرخان وجدا في الثقافة حقلاً يتيح لهما توظيف مخزونهما اللغوي والثقافي، ويصبحان بذلك، عنصرين فاعلين في أعين السلطات المنتدبة الفرنسية كما في أعين الأوساط الثقافية الكردية، والحكومة التركية، وأيضاً، في أعين المستشرقين الأوروبيين. وبكلام آخر، يمكن أن يصبح تعزيز الهوية الإثنية خياراً للنخبة الكردية لتطوير مواقع جديدة وتحديد حقول عمل جديدة، وبالتالي، تنظيم نشاطات، لم تكن موجودة، ثقافية على الأخص، في مجتمعهم الخاص[2].

---

(1) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie*, Rapport manuscrit élaboré par Pierre Rondot intitulé «Conversation entre Djeladet Bedir Khan et les Turcs», s.l., 3 juillet 1935, P. 2.

(2) BARTH Fredeik, «Introduction», *Ethnic groups and boundaries, op. cit.*,P. 33.

يمكن، إذن، ترجمة انخراط آل بدرخان في حركة النهضة الثقافية كانطلاق لنضال رمزي يرمي إلى تغيير «مقولات رؤية العالم الاجتماعي ونقويمه»[1]، وكستراتيجية لتأسيس «اعتقاد مشترك» بنفوذ آل بدرخان. إن أعمال آل بدرخان في اللغة (المفردات، والقواعد، والألفباء) سمحت لهم باختيار معنى الكلمات، ما هو صحيح وما هو خطأ، اختيار التعابير الكردية المعيارية. لقد انحصر إتقان الكردية الجديدة بأحرف لاتينية، في البداية، بالأخوين بدرخان، واضعي المنظومة الجديدة التي أدخلت إلى المشرق في عام 1932.

وقد تحولت، القدرة على استخدام الألفباء اللاتينية كمؤشر عن تمايز بين النخب الكردية، وبين كل أفراد المجتمع الكردي أيضاً. وإن كان الهدف المعلن لآل بدرخان هو حصول أكبر عدد من الكرد على قدرة استخدام الأحرف اللاتينية، فإنهم، أمسكوا بالسلطة اللغوية بفعل «مؤسسات» مثل المجلات التي يشرفون عليها.

لقد كانت مجلة هاوار واجهة إظهار إنجاز جلادت بدرخان في الحقل اللغوي، وموقع الإقرار بفضله. فأقدم بعض العاملين في الحركة الثقافية الكردية بكتابة قصائد تشيد بشخصية جلادت بدرخان[2] بطل كردستان المستقلة[3]. لدرجة سمحت بتوظيف ما تم جنيه من الحقل الثقافي، في

(1) Voir BOURDIEU Pierre, *Choses dites,* Paris, Editiona de Minuit, 1987, P. 159-160.

(2) A titre d'exemple, voir le poème de Cigerxwîn «Ji bona Hawarê», *Hawar*, nº 6, 1932, P. 495.

(3) Pour un autre exemple, voir les poèmes de Kadri Djan «Berdêlk ji lorîya Bedir- =

الحقل السياسي لمتابعة أهداف آل بدرخان التي أوجزها بيير روندو بثلاثة على الشكل التالي: استقلال كردستان تحت قيادتهم، ووحدة كردستان لمصلحتهم، ودعم دولة كبرى أجنبية.

المجلة بصفتها أداة تعايش كردي

لقد تمّ الحفاظ على التعايش الثقافي من خلال الممارسات الاستقرارية للجماعات التي هي، في آن، أداة للعلاقات ومؤسسة لها. وهكذا قام، بواسطة المراسلة، والتردد المكثف على الأمكنة (مقرات، مجلات، صالونات ومقاه) فضاء متعدد الوظائف حيث يتم تبادل الأفكار، والمعلومات، والخدمات[1].

وقد توثق التعايش الثقافي الكردي، بالدرجة الأولى، حول المجلات التي كان يصدرها الأخوة بدرخان، من جهة، وحول اللجان التي كانت تحرر البيانات والعرائض الموجهة إلى السلطات الانتدابية، من جهة أخرى. وشكلت منازل الوجهاء الكرد في الأحياء الكردية في دمشق والجزيرة[2]،

= Xab re», *Hawar*, nº 6, 1932, P. 124; et de Mustafa Ahmed Boti «Marsha Kurdî», *Hawar*, nº 9, 1932, P. 502.

(1) CHAUBET François, «Sociologie et histoire des intellectuels», in: *L'histoire des intellectuels aujourd'hui*, Michel Leymarie & Jean-François Sirinelli (dir.), Paris, P.U.F., 2003, P. 187.

(3) كان منزل علي آغا زلفو في حي الأكراد في دمشق مركزاً لالتقاء الشخصيات الكردية. وفي الجزيرة منزل حاجو آغا وفي الحسكة كان، أيضاً، مركزاً لاجتماعات القوميين الكرد.

والمقاهي[1]، والجمعيات المحلية[2]، والأندية الرياضية[3]، أيضاً، الأمكنة الأخرى لتعايش نشطاء الحركة الثقافية الكردية.

وسوف نركز على المجلات الكردية، مراكز الاختمار الثقافي، والعلاقات الإنسانية التي هي منبت التعايش وفضاؤه. ويعتقد جان فرنسوا سيرينللي (Scrinelli) بأن المجلات تحولت إلى مرصد طليعي تتعايش فيه متجمعات المثقفين، وموقع مميز لتحليل حركة الأفكار[4]. لكن عالم المجلات ليس متماثلاً. فكل مجلة هي وسط يتكون فيه «نسيج إنساني»، له بنيته، وأسلوب عمله، وحيث يمكن أن ينتج من عوامل مختلفة، تعددية ونمطية.

وتجسّد المجلة، غالباً، «إنساناً» تعطيه حافزاً رئيسياً، حيث يعتبر نفسه، أحياناً، كـ «حكومة وحيدة». هذا الاستنتاج ينطبق خاصة على الحالة الكردية، ذلك أن المجلتين وملاحقهما (هاوار | روناهي، وروزانو | ستير) التي صدرت في بلدي المشرق كانت بإشراف رجلين: جلادت (هاوار وروناهي) وكاميران

---

(1) إسماعيل شريف فالي، سياسي، أصله من حي الأكراد في دمشق، ذكر، في مقابلة معه أنَّ المثقفين الكرد بين عام 1930 وعام 1940: «كانوا يتبادلون الزيارات، ويلتقون في مقاهي شارع بغداد، ويرتادون مطعم سقراط».

(2) إلى جانب الجمعية الخيرية في الجزيرة (1932) كان يوجد في حي الأكراد في دمشق جمعيتان: «جمعية خيرية لقبيلة ملّي»، ويبدو أنها كانت فرعاً لجمعية الجزيرة، ونادي صلاح الدين (1938)؛ وأسس هذا النادي شبان كرد بتحضير من عثمان صبري، كان النادي ينظم محاضرات ودروساً مسائية بالألفباء الكردية ذات الأحرف اللاتينية. وفي الجزيرة أيضاً تأسست لجنة سيوان كرد «الشبان الكرد» كان يحركها جكرخوين، ونادي شرف الدين بدليسي في عامودا بقيادة قدري جان.

(3) عام 1933 أسس شبان دمشق الكرد فريق كرة قدم باسم «كردستان زازا نور الدين».

(4) SIRINELLI Jean-François, «Les intellectuels», in: *Pour une histoire politique, art. cit.*, P. 217.

(روزانو وستير) بدرخان. من حينه، ارتبط تاريخ المجلة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ مؤسسها ومسؤولها الوحيد. على سبيل المثال توقفت هاوار عن الصدور في آب/ أغسطس 1934. لأن جلادت بدرخان كان غارقاً في إعداد الدروس الكردية، وفيما بعد بنشاطه المهني البعيد عن «أعماله الخاصة (هاوار)»[1].

إن خاصية مجلة ما تكمن في واقع كونها نقطة التقاء مسيرات فردية مع عقيدة مشتركة، ما يجعلها إرادة في التعبير المشترك[2]. ورغم الهشاشة المميزة لكل المجلات يعود إليها التفكير في مستقبل، وفي طموح يعبّر عنه، غالباً، من خلال نشر أهداف هيئة التحرير[3]، إضافة إلى الإعلان عن دورية المطبوعة، واقتراح الاشتراكات[4]. والمجلة هذه «الحلقة الدراسية» مهمتها، إلى ذلك، الدعوة لضم أعضاء جدد، ومعارضين ومطرودين. بهذا المعنى فإن تعبير التجمع الذي يعني عمل الجميع، ويثير فكرة الحركة، والتغيير، يظهر الحقيقة الحية للمجلة[5].

إن التوافق على التجمع الحر الذي يقود أعضاء فريق المجلة، يجعل منها أداة مستقلة عن كل إكراه تراتبي، رغم أن ذلك لا ينفي وجود علاقات تبعية. في هذا الفضاء المحدد تجري لعبة «التآلف الإنتقائي، الذي يتم بطريقة مزدوجة

---

(1) Lettres écrites par Djeladet Bedir Khan à Pierre Rondot. Damas, le 1er décembre 1934 et le 27 janvier 1936. *Etudes kurdes*, n° 5, 2003, P. 70 et 73.

(2) PLUET-DESPATIN Jacqueline, «Une contribution à l'histoire des intellectuels: les revues», *Cahiers de l'Institut d'Histoire du Temps Prédent*, n° 20, 1992, P. 126.

(3) Voir «Buts et caractères de la revue Hawar», *Hawar*, n° 1, 1932, P. 29-30.

(4) *Ibid.*, P. 31-32: Pour la proposition des abonnements, voir également *Hawar*, n° 1, 193, P. 33.

(5) RACINE Nicole, «Présentation», *Cahiers de l'Institut d'Histoire du Temps présent»*. n° 20, 1992, P. 20.

للاختيار ـ نختار أو يتم اختيارنا ـ التي هي مفتاح ستراتيجية محبكة، ستراتيجية المجلة الملحقة بالستراتيجيات الخاصة. بهذا المعنى تعطي العلاقات التي كانت متوترة، غالباً، بين عثمان صبري والأخوة بدرخان، مثلاً جيداً. كان عثمان صبري يتصدى، للخلافات الأيديولوجية، لتفكير عائلة بدرخان التي تعتبر نفسها أعلى من الشعب، لانتسابها إلى الأمراء الكرد. يضاف إلى ذلك الخلاف حول الألفباء الكردية بالأحرف اللاتينية. ورغم تلك الخلافات تقرب عثمان صبري، في الكثير من المناسبات، من جلادت بدرخان ليتمكن من الكتابة في المجلات الكردية[1].

المجلة بصفتها مكان التقاء، هي موقع تقاطع لمسارات اجتماعية وثقافية. ومكان القبول في جماعة، هي بالذات، متمايزة. فجلادت وكاميران بدرخان هما مؤسسا المجلات وكان عليهما، أحياناً، كتابة قسم كبير من المقالات بأسماء مستعارة[2]. وقد بدأ محررون آخرون ينضمون، بالتدريج، إلى مؤسسة بدرخان. اجتمع بعضهم من أجل تشكيل فريق عمل لوضع ألفباء جديدة بأحرف لاتينية. وكتب عثمان صبري، بتشجيع من جلادت بدرخان، في هاوار

(1) حسب المحفوظات الدبلوماسية الفرنسية، كان يوجد مصدر ثالث للتوتر لم يلحظه المثقفان الكرديان. في الواقع مارست السلطات المنتدبة ضغطاً على جلادت بدرخان ليمنع عثمان صبري من الكتابة في هاوار بسبب التزاماته السياسية ولموقفه المعادي لفرنسا. فقد أعلنت السرايا «دهشتها» لرؤيتها، في الأعداد الأخيرة من المجلة، مقالات موقعة من المدعو عثمان صبري، الخطر والمطرود حالياً من الأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي. أتمنى عليكم إنذار جلادت بدرخان إني لن أتسامح مع هذا السلوك السيئ. واقعاً، لم تنشر مجلة هاوار أي مقال لعثمان صبري حتى عام 1941.

(2) Ainsi Djeladet Bedir Khan signe ses articles sous différents noms : Herekol Azîzan. Xweyîyê Hawarê, hawar, Stranvan, Stranvanê Hawarê, Bavê Cemshîd, Bavê Cemshîd û Sînem-Xan.

لأول مرة رداً على صديقه قدري جان، في حين كان الآخر على علاقة مع جكرخوين. وارتبط نور الدين زازا، أخ الدكتور حافظ (عضو خويبون) المقيم في دمشق، بعلاقات مع جلادت بدرخان. وأسهم زعماء القبائل، حاجو آغا، ومصطفى وبوزان شاهين، في الحركة الثقافية بفعل ارتباطاتهم السابقة بمنظمة خويبون.

الشبكة الثقافية الكردية

لم يكن الوسط الثقافي الكردي يعمل بالانطواء على الذات. فقد نجح الأخوان بدرخان، في إقامة علاقات مع مسؤولي المجلات الكردية في أرمينيا السوفياتية والعراق. وقد سمحت هذه الصلات مع مسؤولي هذه المطبوعات بإثبات وجود مجلات كردية أخرى، وبتقدم في العمل في عملية إحياء الثقافة واللغة الكرديتين في بلدان الجوار. كما سمحت المراسلات المستمرة، بين ناشري المجلات الكردية، في إغناء التعارف المشترك لتعميق أعمالهم في اللغة، مثلاً. غير أن التعاون بين المثقفين الكرد من مختلف البلدان لم يمر بسهولة. ففي حين رددت مجلة هاوار (عدد رقم 8، 1932)، صدى إصدار ريا تازة، وأكدت الرغبة في العمل المشترك مع مسؤولي المجلة الكردية الصادرة في أرمينيا السوفياتية، أغلق جلادت بدرخان صفحات مجلته في وجه كتابات كرد القفقاس. لكن مسؤول هاوار ظل يتلقى وثائق من يريفان. ويعتقد وزير أشّوان أن مضمون المقالات التي تنشر في ريا تازة ـ المدموغة بشدة بالأيديولوجية الشيوعية التي تهاجم الأغوات، والمشايخ والأمراء الكرد ـ يمكن أن تكون سبب موقف بدرخان[1].

---

(1) ESHO Wezîrê, «*Riya Teze* di nav di dîroka rojnamegeriya kurdî de rûpelekî gesh e», Nûdem, nº 26, 1998, P. 8-9.

وأكدت هذا التغيير مذكرة دبلوماسية فرنسية عكست واقع هذا الفصل من العلاقات بين المثقفين الكرد في مختلف الدول. وقد حرص آل «بدرخان» على الإعلان بأن نَفَس مطبوعات الكرد في أرمينيا ـ الشديدة القسوة على الأمراء ـ لا يريحهم مطلقاً، لكنهم، من أجل تطمين المفوضية العليا التي تلفت علاقاتها السوفياتية الانتباه، لم يتأخروا بالإخبار أنه، لسبب يجهلونه، لم تعد مطبوعات يريفان تصلهم. وفي الحقيقة كان مديرو هاوار يتلقون، بصورة منظمة ريا تازة [...]»[1].

من جهة أخرى، فتح جلادت بدرخان صفحات هاوار لبعض الأقلام الكردية في العراق. واتخذ هذا التعاون منحيين: أطلق، في البداية، نقاشاً حول توحيد اللغة الكردية، ونشر، ثانية، قصائد باللهجة السورانية. وتم من جديد قطع العلاقات مع مثقفي ما وراء الحدود، ومن الأسباب التدابير التي اتخذتها السلطات البريطانية (مراقبة البريد الوارد من سوريا) لمنع التعاون بين الكرد.

وقد حافظ العاملون على التجدد الثقافي الكردي، أيضاً، على العلاقات مع معاهد الأبحاث، والمكتبات، والمستشرقين الأوروبيين. إن مكتبات القديس يوسف في بيروت، وأوكسفورد، ومعهد اللغات الشرقية في باريس، والمعهد الفرنسي في دمشق، وأكاديمية برلين، والمعهد الهندي في لندن، كانت، كلها، تتلقى، بصورة منتظمة المجلة الكردية الأولى الصادرة في المشرق. وكان في عداد هؤلاء المستشرقين فلادمير مينورسكي (Minorcky) وبيير روندو، وروجيه لسكوت (Lescot) وروبير مونتانيه (Montagne) وبازيل نيكيتين (Nikitine).

كانت النواة الثقافية الكردية صغيرة بالتأكيد، لكن المجلات التي

---

(1) *SHAT, 7N 4173, Dossier 1.* Etat-Major de l'Année. Section d'Etudes EMA au Levent. Comptes rendus de renseignements, 20 août 1933, P. 1.

أصدرها آل بدرخان تمكنت من أن تخلق حولها شبكة دولية، وأن تحظى بالاعتراف. وأن تكون علماء مختصين بالكردية في فرنسا، ونشوء تيار من التعاطف مع الشعب الكردي لدى بعض المؤلفين الغربيين، يمكن تفسيرها، جزئياً، بالعلاقات، وحتى الصداقة التي نشأت مع آل بدرخان.

2ـ أدوات الحركة الثقافية الكردية

لقد توجه أعضاء الأندية الكردية، في سعيهم لإقامة كيان كردي ذي حكم ذاتي أو مستقل، إلى الصحافة كأداة فعّالة في البناء القومي. وفهم ذلك، منذ سنوات 1890، الشاعر صبحي قادري كويي، بتصريحه أن الصحف والمجلات هي وحدها الصالحة والمحترمة في عصر الحداثة. في المقابل، فإن «زمن الأناشيد قد ولّى»[1].

إن العلاقة بين الجمعيات والمطبوعات عبّر عنها صدور أولى الدوريات حيث كانت توجد الأندية، يعني في المدن الكبرى التي تعيش فيها أجناس متنوعة (كوزموبوليتية) خارج كردستان. وهكذا أصدر مدحت بدرخان في القاهرة عام 1897 مطبوعة كردستان التي تابع إصدارها أخوه عبد الرحمن، في مصر أولاً، ثم في جنيف، ولندن وفولكستون. وعند إعلان الدستور في عام 1908 صدرت كردستان في اسطنبول بإدارة سوريّا بدرخان. وأصدرت لجنة KTTC، من جهتها صحيفة رسمية ناطقة باسمها هي كورد تيافوم في تيراكّي. بعد ذلك، في عام 1912، أصدرت جمعية الطلاب الكرد في اسطنبول، هيفي، مجلة شهرية، روجي كورد («الشمس الكردية»). وفي عام

(1) HASSANPOUR Amor, «The creation of Kurdish media culture», in: *Kurdish Culture and Identity*, Philip Kreuenbrock & Christine Allison (dir.), Londres & New Jersey, Zed Books, 1996, P. 56.

1917 أعاد، في القاهرة، سوريّا بدرخان، بالاسم المستعار أحمد عزيز، إصدار صحيفة كردستان التي لم تعش إلّا قليلاً. وفي عام 1919 أصدر المثقفون الكرد في اسطنبول أسبوعية زين («الحياة»). وسمح قيام الانتداب البريطاني على العراق بازدهار الصحافة الكردية في الولايات الناطقة باللهجة السورانية.

وقد رغبت خويبون أن تتسلح بجريدة مهماتها أساسية في مشروع بناء المجتمع القومي. ولم يتم تحقيق هذا المشروع إلّا عام 1932 بصدور مجلة هاوار.

هاوار وروناهي

صدر العدد الأول من مجلة هاوار في 15 أيار/ مايو 1932، وآخر عدد رقم 57، في 15 آب/ أغسطس عام 1943. لكن هاوار لم تعش إحدى عشرة سنة، بل أقل من خمس سنوات. فقد شهدت هذه المطبوعة ثلاث مراحل من حياتها. من الرقم 1 إلى 23 (من 15/ 5/ 1932 إلى 27/ 7/ 1933)، ومن الرقم 24 إلى 26 (من 1/ 4/ 1934 إلى 18/ 8/ 1935)، ومن الرقم 27 إلى 57 (من 15/ 4/ 1941 إلى 15/ 8/ 1943). وكانت المجلة نصف الشهرية، وأحياناً شهرية تصدر باللغتين الكردية والفرنسية. وكان كل عدد يتألف من حوالى عشرين صفحة، منها صفحتان أو أربع باللغة الفرنسية، وبعض مواد هذه الصفحات مترجمة عن بعض المقالات المكتوبة بالكردية. وكانت هاوار تكتب حتى العدد 23 بالأحرف العربية واللاتينية. ومنذ العدد 24 (1934) صارت تكتب فقط بالأحرف اللاتينية.

كان صاحب المجلة ومحررها المسؤول جلادت بدرخان. إن أصل اسم المجلة، «النداء» ليس واضحاً. ربما استوحى جلادت بدرخان الاسم من دوريات صادرة بالكردية في العراق في أوائل عام 1920: بانجي كردستان

(«نداء كردستان») وبانجي حق («نداء الحقيقة») وكان يمكن لجلادت بدرخان أن يحاول إصدار صحيفة باسم كردستان، متابعاً التقليد العائلي[1].

لكن في ظروف بداية الثلاثينيات (انتفاضة أرارات، والحملة العسكرية لخويبون على الأراضي التركية) لا يستبعد أن تكون السلطات المنتدبة قد اقترحت على جلادت بدرخان اختيار اسم آخر لعدم إعاقة العلاقات الدبلوماسية مع تركيا. أخيراً بدت هاوار «النداء» كانعكاس للوضع الحساس للغة الكردية باللهجة الكرمانجية وكصرخة إنذار، ونداء لمقاومة خطر الاستيعاب الثقافي واللغوي لكرد تركيا وسوريا.

كانت هاوار تشكو، مثل معظم المطبوعات الكردية، من مشكلات اقتصادية رغم مساعدات السرايا. إن مجلة هاوار التي كانت تطبع، وسطياً، 500 نسخة[2]، سدد 75 قارئاً فقط اشتراكاتهم، وكانت مداخيلها حوالى 204 ليرات سورية[3]. ويمكننا الاستنتاج بأن المجلة، التي لا توزع تجارياً، وتعيش بفعل مساعدة المفوضية العامة، أو الجمعية الخيرية الكردية في الجزيرة، تواجه مع جلادت بدرخان، ظروفاً اقتصادية صعبة. وهذا ما يفسّر تخلي جلادت بدرخان عن نشاطاته الصحفية ليتكرس لنشاطات أخرى (أستاذ لغة فرنسية في دمشق، ومحام) توفر له حاجاته الحياتية.

غير أن المجلة كانت تهدف، بصورة عامة، إلى اعتراف يتجاوز النجاح التجاري. ويمكننا، من خلال تحليل الأهداف التي أعلنها ناشرها،

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 1055. Cachet du Comité Khoyboun non daté, *doc. cit.*, Alep, le 23 mai 1933.

(2) مع العلم أن أي صدور لصحيفة دمشقية لم يتجاوز هذا العدد. نادين معوشي: «الصحافة في سوريا ولبنان بين الحربين 1918-1938».

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. «Note sur la revue Hawar». Damas, le 4 avril 1933, P. 1.

إلقاء الضوء على إسهام هاوار في الثقافة والهوية الكردية. ويحدد جلادت بدرخان، بموجب توجيهات السلطات المنتدبة، الأهداف العامة لهاوار بالتالي: «لقد أسسنا مجلتنا، هاوار، بهدف علمي وثقافي فقط. [...] وهي لن تتعرض للسياسة بأيّ صورة من الصور». ويوجد في عداد المسائل الأساسية في برنامجها: تعميم الألفباء الكردية، وتنظيم نشر القواعد في اللغة الكردية وفي الفرنسية لاحقاً، والدراسة المقارنة لمختلف اللهجات الكردية، ونشر الفولكلور الكردي (أساطير، حكايات، وأغان)، ونشر الكلاسيكيات الكردية، وتحديد مميزات الموسيقى القومية، ونشر دراسات إثنية حول الأخلاق والعادات الكردية، ونشر دراسات عن تاريخ كردستان وجغرافيته[1]. ويقول حسن حبش بأنه يمكن اختصار كل هذه النقاط بمهمة أساسية واحدة، تأكيد أبعاد الهوية الكردية بتحديد الخلافات اللغوية والثقافية مع الثقافات الثلاث المجاورة، التركية، والفارسية والعربية[2]. ويضيف بيير روندو نقطة رابعة أساسية لبرنامج هاوار التوسع في تعليم الكرد، خصوصاً، باللغة الكردية.

وقد أصدر جلادت وكاميران بدرخان كراريس. أولها ـ ملاحظات على الألفباء الكردية، الثاني ـ صفحات من الألفباء، الثالث ـ قلب أبنائي. ومع أن إصدار هاوار توقف في الثلاثينيات، فإن الكراريس، بعد توقف ثلاث سنوات، 1935-1938، أعيد إصدارها عام 1938، في سلسلة من الكتب المدرسية الابتدائية. كرّاس رقم 9، الألفباء الكردية، وكراس رقم 10، كتاب قراءة في الكردية، وكرّاس رقم 11، ألفبائي، وكراس رقم 12، دروس في

(1) BEDIR KHAN Djeladet, «Buts et caractère de la revue Hawar», *Hawar, art. cit.*, P. 29-30.

(2) HEBESH Husên, *Raperîna çanda kurdî di kovara Hawarê de*, Bonn, Hogir, 1996, P. 177.

الدين. وفي المجموع تضم «مكتبة هاوار» 17 كراساً، منها بعض الكراريس، وخاصة الكراس رقم 14 والكراس رقم 17، اللذان يشكلان مؤلفات صغيرة في الأدب[1]. وقد تزامن نشر المؤلفات الكلاسيكية مع نشر الشعر الحديث (جكرخوين، وقدري جان، وكاميران بدرخان، إلخ) الغنائي أو القومي. وإلى الشعر والنثر، ظهر المسرح، ومقالات الرأي، على صفحات هاوار.

أما روناهي، هذه المطبوعة الشهرية المكتوبة فقط بالكردية، فقد بدأ صدورها في الأول من نيسان/ أبريل 1942، كملحق مصور لمجلة هاوار. بيد أن آخر عدد من الملحق مؤرخ، بآذار/ مارس 1945، في حين توقفت هاوار عن الصدور عام 1943. وهذا يعبّر عن الدور الذي لعبته روناهي خلال الحرب العالمية الثانية. فروناهي كانت، في الواقع، في خدمة الدعاية الفرنسية، ودعاية الحلفاء. وكان جهاز الدعاية التابع للدولة المنتدبة في المشرق يوفر صوراً كثيرة نشرت على صفحات روناهي. وشغلت صور وأخبار الحرب الحيز الأكبر في صفحات المطبوعة.

وعرفت المقالات التي ظهرت في روناهي الكرد بالبلدان الأخرى في العالم، نظمها السياسية وعاداتها. ومذّاك احتلت الحضارة مكاناً هاماً في صفحات الملحق. وقد كانت المعلومات عن المدن الكبرى في الولايات المتحدة وفرنسا أداة لتأكيد ضرورة دخول الكرد في المدنية الغربية. هذه الرغبة في الخروج من الظلمات الآسيوية دفعت بجلادت بدرخان إلى نشر

---

(1) ينبغي على التعليم بالكردية أن يضمن تكوين «كرد حقيقيين» يتقنون لغتهم (الشفهية والمكتوبة)، وأيضاً تاريخيهم القومي. ومن هذا المنظار لكل الناس دور يلعبونه. وقبل كل شيء، على زعمائنا، وأغواتنا وشيوخنا أن يتعلموا القراءة والكتابة بالكردية.

صور صادمة للجمهور الكردي عن الأزياء النسائية في أوروبا. وأخذت تظهر بالتدريج، الأخبار المتعلقة بالقضية الكردية. ونشرت أول قصة في العدد الخامس، وبدءاً من العدد السابع عشرة حتى الأخير (رقم 28)، كانت تنشر أخبار عن الأجزاء الأخرى من كردستان، وعن مستقبل «القضية الكردية».

إن الملحق الذي أصدره جلادت بدرخان بفضل الدعم المتزايد لعثمان صبري، جمع حوله محررين آخرين في هاوار مثل كاميران بدرخان وجكرخوين وقدري جان.

روزانو وستير

في حين كانت هاوار مرتبطة بالعمل الذي كان يقوم به جلادت بدرخان، فإن روزانو «اليوم الجديد»[1] مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بشخص كاميران بدرخان. إلّا أن هذا الأخير كان محاطاً بمساعدين فرنسيين مكلفين بالقسم المكتوب باللغة الفرنسية. ومن المساعدين الكرد يمكننا ذكر جلادت بدرخان، وقدري جان، وعثمان صبري وجكرخوين، رغم أن نواة تحرير المجلة هي نفس نواة هاوار وروناهي. غير أن روزانو تختلف اختلافاً هاماً عن هاوار. ففيما كان القسم الفرنسي لهذه الأخيرة كناية عن مقالات مترجمة عن الكردية، فالمجلة التي أصدرها كاميران بدرخان ظهرت بعنوانين مع مضامين مختلفة في الغالب. في الواقع تألفت روزانو (ثلاث صفحات) من القسم المكتوب بالكردية، في حين أن لوجورنو فو (*Lejournouveau*) (صفحة واحدة) يتضمن مقالات مكتوبة بالفرنسية.

---

(1) Un des poèmes de Kamuran Bedir Khan publié dans *Hawar* est probablement à l'origine du titre. Voir BEDIR KHAN Kamuran, «Roja Nû» , *Hawar*, n° 18, 1933, P. 559.

ومنذ العدد رقم 49 (16/ 7/ 1945) زادت أهمية القسم الفرنسي وصارت تصدر المجلة بصورة مستقلة.

لقد صدر العدد الأول من هذه المجلة المكتوبة بالحرف اللاتيني في بيروت في 3/ 5/ 1943، فكان لدى كرد المشرق، خلال أربعة أشهر، ثلاث مطبوعات يديرها الأخوة بدرخان. فاتجاه روژانو لا يختلف أبداً عن الاتجاه الذي كان لهاوار. لقد ظل تعميم تعليم الكرد اللغة الكردية بالأحرف اللاتينية الهدف الأول: «إننا نعلم أن استقلالنا رهن بلغتنا، ويمكننا فقط بتدربنا على قراءة وكتابة لغتنا، وبحمايتها، أن نعيش مستقلين ومنحضرين مثل بلدان العالم الأخرى»[1].

غير أن قسماً هاماً من المقالات كرّس للحرب العالمية الثانية، ولأخبار مختلف الجبهات في أوروبا، وأفريقيا، وآسيا. وعلى غرار روناهي نشرت مجلة كاميران بدرخان أخباراً متنوعة عن مختلف أنحاء العالم، وعن المدن الحديثة، وعن التاريخ والنظم السياسية في «البلدان المتمدنة» وأيضاً عن أخبار «الشعوب ذات الطبائع الغريبة (أيزوتيكية) في أفريقيا وآسيا. وكان حضور المقالات، والنصوص الكردية (قصص، وقصائد، وترجمات، وأغان)، يزداد كلما اقتربت نهاية الحرب العالمية الثانية. وتضمن القسم الفرنسي الهادف إلى تعريف القراء الغربيين بالثقافة الكردية، بعض النصوص المترجمة لروجيه لسكوت (Lescot) وتوماس بوا (Bois). وكان تابعاً لروژانو ملحق مصور، ستير («النجم») لكن هذا الأخير صدر في ثلاث مناسبات فقط: العدد الأول (6/ 12/ 1944، والثاني 28/ 2/ 1945 والثالث 22/ 10/ 1945) وهذا الملحق المؤلف من أربع صفحات تضم صوراً كثيرة، مكتوب فقط باللغة الكردية.

وقد حصل كرد المشرق، أيضاً، على وسائل تعبير أخرى خلال الانتداب الفرنسي. فقد بدأ البث باللغة الكردية من الإذاعة في آذار/ مارس 1941، وكان

(1) BEDIR KHAN Djeladet, «Merhele», *Roja Nû*, n° 1, 1943, P. 1.

يتم البث مرتين في الأسبوع على امتداد ثلاثين دقيقة (الساعة 17 إلى 17.30). وكان كاميران بدرخان المسؤول عن هذا البث الإخباري في راديو الشرق من بيروت. غير أن وقت البث باللغة الكردية تم تقصيره مرّات عديدة. ففي نهاية 1941 كان الوقت المعطى لكاميران بدرخان خمس عشرة دقيقة، وفي بداية 1942، وبضغط من الحكومة التركية[1]، صار وقت البث عشر دقائق (18 إلى 18.10).

لقد بلغت الأخبار التي كان يقرأها كاميران بدرخان باللهجة الكرمانجية تركيا، رغم قصر وقتها، ما أعطى للبث الكردي في راديو الشرق[2] أهمية حقيقية ورمزية. ولم تستهن السلطات الفرنسية بقوة هذه الأداة الدعائية «التي لم تستخدمها حتى الآن» والتي يمكن «استخدامها يوماً ما لأهداف جديدة»[3].

كانت الجمعيات المؤسسة في المشرق والمدارس القرآنية محطات لنشر الأفكار المعبّر عنها في المجلات والإذاعة (الراديو). واقعاً لا يوفر لنا عدد المشتركين في مجلة، صورة صحيحة عن عدد القُراء، أو عن عدد الأشخاص الذين يطّلعون على مضمون المنشور في الصحافة

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 783. Délégation Générale de la France Libre au Levant, Service de Presse, n° 310/P. Beyrouth, le 29 novembre 1941, P. 1.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. Délégation Générale de France au Levant, Sûreté aux Armées. Note n° 259/DB. Beyrouth, le 28 janvier 1946, P. 1.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 802. Yves Chataigneau, Ministre plénipotentiaire, Délégué Général et Plénipotentiaire de France au Levant à M. son Excellence M. René Massigli, Ambassadeur de France, commissaire aux Affaires Etrangères. Note n° 369. Beyrouth, le 14 décembre 1943, P. 1.

المكتوبة. نعرف، مثلاً، أن كاميران بدرخان يستعمل مجلة هاوار لتعليم اللغة الكردية في بيروت. والجمعية الخيرية الكردية في الجزيرة التي كان يتجمع فيها حوالى 230 عضواً عام 1932 كانت مشتركة في هاوار[1]. ومع أن أعضاء الجمعية لم يكن معظمهم يحسن قراءة الكردية بالأحرف اللاتينية، نستطيع التصور بأن مقالات المجلة، وبعضها بأقلام أعضاء في لجنة الجمعية، كانت تثير بعض الاهتمام. وفي الجزيرة أيضاً، شكّل سيوان كرد («الشباب الكرد») ونادي شريف الدين بدليزي، اللذان نشطهما، على التوالي، جكرخوين وقدري جان، كاتبا عدة نصوص في مختلف المجلات الصادرة في دمشق وبيروت، محطة لوسائط تعبير الحركة الثقافية الكردية.

أخيراً، كان نادي صلاح الدين في دمشق ينظم محاضرات ودروساً مسائية لتعليم الألفباء الكردية بالأحرف اللاتينية متبعاً أسلوب جلادت بدرخان في تنميط اللغة الكردية.

تنميط اللغة الكردية

في غياب تجسيد اللغات في الكتابة، وتقنينها، خاصة، فإنها لا توجد إلّا في حالة عملية، أي في شكل ملكات لغوية مضبوطة جزئياً، وفي تعبيرات شفهية عن هذه الملكات. ويمكننا، بالتالي، أن نؤكد بأنه طالما لا يطلب من اللغة إلّا تأمين الحد الأدنى من التفاهم في اللقاءات بين

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 572. Haut Commissariat de la République Française, Cabinet Politique, n° 927/S.P. Deir ez Zor, le 25 juin 1932, P. 2; *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 572. Sûreté Générale, n° 4144. Beyrouth, le 12 décembre 1934, P. 1.

القُرى المتجاورة، أو بين المناطق، لا يمكن اعتماد لهجة عوض غيرها معياراً. إن لغة نمطية، «غير مشخصنة ومغفلة مثل الاستخدامات الرسمية المطلوبة منها»، والعمل على ضبط الملكات اللغوية[1]، يصبحان ضرورة لا غنى عنها، عند بروز الحاجات والوظائف غير المسبوقة التي يتطلبها نشوء أمة.

يستدعي نشوء الدولة الأمة، إذن، تنميط اللغة، وهي عملية تاريخية، يتم في خلالها، بدء صيغة من لغة (لهجة) تستخدم في مختلف المدونات، يعدل شكلها، وتقبل بصورة واسعة، وتنتشر في المجتمع كأداة فوق اللهجات في صورتها الكتابية والشفهية في التواصل اللغوي[2]. الواقع حسب النموذج الوضعي لـ إينار هوجن (Einar Haugen)، أن تحول لهجة إلى لغة نمطية يمر في ثلاث مراحل:

1- اختيار المعيار (واحدة من اللهجات يتم اختيارها كمعيار)،

2- تعديل المعيار (المعيار يعدل ويحدد بطريقة تجعل لكل كلمة كتابة واحدة، ونطقاً واحداً...)،

3- إعداد الوظيفة (الشكل المعدل يكتسب ألواناً عند استخدامه في الأدب، والصحافة، والعلوم)،

4- قبول المجتمع (ينبغي للشكل المعدل أن يتم قبوله من المستخدمين للغة، أو على الأقل، من فئة ذات نفوذ في المجتمع). ويرى هوجن أن نجاح عملية تنميط لغة ما يفترض بالضرورة المرور بهذه المراحل الأربع[3].

---

(1) Bourdieu Pierre, *Langage et pouvoir symbolique*. Préface de John B. Thompson, Paris, Editions du Seuil, 2001, P. 74.

(2) HAUGEN Einar, «Dialect, Language, Nation», *American Anthropologist*, Vol. 68, n° 6, 1966, P. 927.

(3) HAUGEN Einar, «Dialect, Nation», *art. cit.*, P. 933; HAUGEN Einar, «The =

والحقيقة، إنه رغم عدم وجود نموذج شامل لتنميط اللغة، فإن معظم البلدان التي نشأت في القرن العشرين قد اتبعت نموذج التنميط الغربي للغة، مع ما كان لذلك من نتائج هامة في المجتمعات ما قبل الصناعية والمتنافرة إثنياً.

المحاولات الأولى لتنميط اللغة الكردية

إن المحاولات الأولى لتحديث اللغة الكردية نمت في اسطنبول والقاهرة. ففي العاصمة العثمانية، عام 1909 اعتبرت الكرد تيافون في تراكي سميتي (KTTC) إن مهمتها هي توسيع تعليم اللغة الكردية بين الأولاد. وكانت كورد طالبي سميتي، هيفي، تطمح إلى الاهتمام بالثقافة، وخصوصاً، باللغة عن طريق إصدار كتب مدرسية للأولاد، وكتاب قواعد وإحياء للثقافة الكردية. وأعد عبد الرزاق بدرخان، في الحقبة نفسها، ألفباء بالأحرف السيريلية (الأحرف المستخدمة في روسيا وبلدان سلافية أخرى). وباشرت هيفي، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، مرحلة جديدة بعد توقف نشاطها أثناء الحرب العالمية. وأرادت الجمعية، في هذه المرحلة الجديدة إعطاء الأفضلية للغة الكردية ولنشر الكلاسيكيات الأدبية، وخاصة أعمال أحمد خاني. (1651-1706)، وفقيه طيران (1590-1660) والشيخ رضا (1835-1909). وأخيراً صدرت زين، الناطقة باسم KTC، منذ عام 1918 بطبعة ثنائية اللغة كردية ـ عثمانية. وأعلن زعماء اللجنة الأخيرة عن رغبتهم في الإسهام في تطوير اللغة الكردية ونشر كلاسيكيات الأدب الكردي.

= implementation of Corpus Planning», in: Progress in Language Planning, International Perspectives, Joshua A. Fishman & Juan Cobarrubias (dir.), New York & Berlin & Amsterdam, Mouton Publishers, 1983, P. 270-274.

وأثر نشوء دول جديدة، ومغادرة المثقفين الكرد العاصمة العثمانية، نشأت ثلاثة مراكز ثقافية كردية، الأول في أرمينيا السوفياتية، قريب من تقليد مدرسة أحمد خاني، والثاني في المشرق تبع أيضاً مدرسة أحمد خاني بالكرمانجية.

أخيراً، الثالث في العراق، حيث تم نشر أدب تبع تقليد بابا طاهر (1875-1917) بالكردية السورانية.

كان محركو الحركة الثقافية الكردية في المركز الأول، مهاجرون من تركيا، يتكلمون الكرمانجية ومعظمهم من المذهب اليزيدي. كان كرد أرمينيا، بالتوافق مع السياسة الثقافية العامة للاتحاد السوفياتي، قادرين على القيام بجهود هامة لتطوير لغتهم وتنميط الكردية الكرمانجية. وكان المعيار الأهم عند اختيار وتحويل الكردية نمطية في الاتحاد السوفياتي، ليس انتقاء لهجة «قائدة» و«الأكثر نقاءً» لتكون قاعدة للغة المكتوبة، بل موقف سياسي تمثّل في خلق لغة سهلة بالنسبة للشغيلة الكرد ومفهومة منهم.

وقام المثقفون الكرد، على غرار الحركات الثقافية الناشئة في الاتحاد السوفياتي، بتحويل اللغة الكردية إلى الأحرف اللاتينية باستيحاء الألفباء التركية في أذربيجان، والألفباء التركية الموحدة في الاتحاد السوفياتي. وكانت المطبوعات التي تستخدم هذه الألفباء تخرج من المطابع الحكومية في يريفان، وهي في معظمها كتب مدرسية، أو كتب تنشئة اشتراكية سوفياتية[1]. وكانت السلطات الأرمنية تدعم اقتصادياً إصدار الدورية ريا تازة («الطريق الجديد») بأحرف لاتينية (1930-1938) ثم بأحرف سيليرية منذ عام 1955. إلى ذلك كانت حكومة أرمينيا تشجع تعليم الكردية بأحرف لاتينية، وخاصة في التعليم الابتدائي.

---

(1) RONDOT Pierre, «L'alphabet kurde en caractères latins d'Arménie soviétique», *Revue des Etudes Islamiques*, cahier III, 1933, P. 417.

إن جعل الكردية لغة رسمية في الدولة العراقية الجديدة بعد الحرب العالمية الأولى صار ممكناً، إلى حد كبير، بفضل نهوض الحركة القومية الكردية. ورغم فشل زعماء كرد العراق في الحصول على دولة مستقلة، فإنهم نالوا حقوقاً ثقافية ولغوية بموجب قرار عصبة الأمم بتاريخ 16 كانون الأول/ ديسمبر الذي ألحق ولاية الموصل بالعراق. وقد اختار مصممو اللغة الكردية، المنقسمة إلى منطقتين، الكرمانجية في المنطقة الغربية والسورانية في المنطقة الشرقية، السورانية وخاصة المحكية محلياً في السليمانية كلهجة تقوم على أساسها اللغة النمطية. واستمر كرد العراق باستخدام الألفباء العربية، لكن هذه الأخيرة جرت عليها تعديلات للحصول على لفظ غير موجود فيها، رغم ممانعة الحكومة العراقية. وتم إنشاء أحرف جديدة باستخدام إشارات ونقط. وكان إصدار كتب القواعد والقواميس الإنجاز الأبرز لعملية تقنين الكردية السورانية في العراق. إن تشريع اللغة الكردية في العشرينيات سمح بإدخالها إلى المدارس الابتدائية، وفي الإدارات المحلية، وخلال الحرب العالمية الثانية، إلى البث الأذائي. لكن التطور الوظيفي للغة لا يسير من تلقائه. ففي حين كانت الأوساط الكردية تطالب بتعميم الكردية في التعليم، والإدارات المناطقية والعدلية، حاولت الحكومات العراقية، في ظل الانتداب البريطاني، كما في ظل النظام الملكي، حصر استخدام اللغة في التعليم الابتدائي وفي الإدارات المحلية. وكان لذلك عواقب واضحة في تطور مختلف وظائف الكردية السورانية.

«استثناء» كرد تركيا

لقد شعر كرد تركيا، خلافاً لكرد العراق وأرمينيا، كيف منعت لغتهم وتم اعتبارها من قِبل النظام الكمالي ظاهرة تخلف. وكيف بدأت مذّاك حملات التتريك في المناطق الناطقة بالكردية. إن تاريخ إصدار مجلة هاوار في سوريا

عام 1932، توافق مع تاريخ المؤتمر الأول للغة التركية حيث وضعت أسس «البحث التركي في التاريخ»[1]. وقد ردّ المثقفون الكرد، على تأكيدات العلميين الترك التي تعتبر الكردية مجرد لهجة من اللغة التركية، بتأكيدهم خصوصية لغتهم، وأصلها الهندوأوروبي، وكان الرد الكردي، في الواقع إعلان حرب، لا بدَّ من إنقاذ اللغة، هذه الأداة الحية، التي تواجه خطراً الاندثار في غابة الأمم:

«اللغات تقاتل مثل سائر الأجسام الحية، ليس لها من مأوى، إنها في حالة حرب. [...] يعلمنا التاريخ أنه حتى الآن، تم اختفاء الكثير من اللغات. يسمون هذه اللغات، لغات ميتة. إنه نضال أصمّ وساكت، بدون مدافع وبنادق، بدون طائرات ورشاشات. لكن قانونه هو الأكبر والأمضى»[2].

إن عملية تحديث اللغة التركية من خلال اقتباسات عديدة، وخاصة من اللغة الفرنسية، تطلّبت في الوقت ذاته، من العاملين في التغيير الثقافي الكردي جواباً مماثلاً. وقد برر كاميران بدرخان وضع كلمات جديدة، أي اقتباس كلمات من لغات أجنبية غير التركية، بـ «نسيان وفقدان» بعض الكلمات الكردية الصافية بسبب نفوذ اللغات المجاورة. ولم يثر التصالح بين الحداثة والأصالة أية مشكلة، لأن الكلمات المقتبسة من اللغات الغربية قد أتاحت

(1) L'argument de le «Thèse turque de l'Histoire» est simple. Si les Turcs se trouvent à l'origine de toutes les civilisations et sont les descendants des Hittites (anciens habitants de l'Anatolie), les Kurdes ou les Lazes de l'»Anatolie de l'Est» ne peuvent qu'être d'origine turque.

(2) BEDIR KHAN Kamuran, «Di dora hevzistina zimanan de», Hawar, nº 3, 1932, P. 63.

للكرد رؤية العالم بعيونهم الخاصة، والدخول في الحضارة الحديثة، على طريقتهم. ويقول جوشيا أ. فشمان (Joshua A Fishman): إن تخطيط اللغة لغاية قومية يفرض دوام الشرح وإعادة الشرح للأصل مع بعض المرونة من أجل تأكيد ما هو ضروري وما هو مرغوب فيه[1].

كان وضع اللغة الكردية في سوريا ولبنان غامضاً. فالكردية ليست لغة رسمية في أية منطقة، وليست لغة ممنوعة، وليست لغة مدعومة من السلطات العامة، بل هي في أحسن الأحوال لغة متسامح معها[2]. فبفعل فقدان مؤسسات رسمية (إدارة، مدارس، أكاديميات) تشجع تعلّم اللغة الكردية في المشرق، استخدم المثقفون الكرد المجلات، وخصوصاً هاوار ومنشوراتها، من أجل نشر تعلم الكردية الكرمانجية بالأحرف اللاتينية، وقد أمل مطلقو الحركة الثقافية الكردية في وضع أسس لنهضة ثقافية ولغوية على مثال الشعب اليهودي: «فاللاتينية والعبرية كانتا لغتين ميتتين في أوروبا وفي الشرق الأدنى. وبقيت اليوم اللاتينية ميتة أما العبرية فلم تعد ميتة. فهي بفضل عمل بعض المثقفين صارت مع الإنكليزية والعربية لغة رسمية في فلسطين. وقد سمح هذا التطور لجلادت بدرخان أن يوجه نداءً عن المسؤولية الفردية والعامة للكرد إزاء لغتهم: «اليوم، إن تعلم الكتابة والقراءة باللغة الأم ليس فقط واجباً دينياً بل أيضاً واجب وطني لكل شعب من الشعوب»[3].

---

(1) FISHMAN Joshua A., *Language and Nationalism*, Massachusetts, Newbury House Publishers, 1972, P. 74.

(2) COBARRUBIAS Juan, «Ethical Issues in Status Planning», in: *Progress in language Planning, op. cit.*, P. 44.

(3) BEDIR KHAN Djeladet, «Zilamek û Zimanek» («Un homme et une langue»), *Hawar*, nº 40, 1942, P. 944-946.

لقد حال دون نشوء لغة واحدة نمطية، القمع الممارس على اللغة الكردية من الدول المعنية، وتوزع المناطق الناطقة بالكردية بين كيانات دولتية، والخلافات اللغوية بين مختلف الناطقين بالكردية، لذلك بدا بناء «الأمة الكردية» من خلال اللغة حسب معادلة «أمة/ لغة» خياراً إشكالياً، والحقيقة، إن كرد الشمال وكرد الوسط قد أنشأوا، على غرار الألبان والأرمن، لغة كردية نصف نمطية. في حين أن عملية تنميط الكرمانجية جرت بالكامل تقريباً في المنفى (في المشرق أولاً ثم في أوروبا). أما تنميط السورانية فقد تم في العراق وإيران.

لكن اختيار لهجة أساساً للشروع في عملية تنميط اللغة لم يعد يرتبط، في الغالب، بمعيار لغوي دقيق. يمكن لاختيار لغة عن غيرها أن يعبّر عن معايير أخرى مثل ارتباط اللهجة بـ «تراث أدبي كبير»، أو ارتباطها بعملية اجتماعية اقتصادية جارية (تنظيم مدني، تلاقح ثقافي) أو ارتباطها بـ «نقاوة» أكبر، وبعدد الناس الذين يتكلمون هذه اللهجة. إن رهانات الاختيار الأساس كبيرة جداً لأن نتائجها على المراحل اللاحقة، في الصياغة والضبط (ضبط الكلمات، والصوتيات، والقاموس، وقواعد اللغة) يمكن أن تتمايز بصورة كبيرة[1]. فاختيار لهجة يشبه، إذن، صراعاً على السلطة. هذا الواقع يجب ألاّ يفاجئنا لأننا نعتقد أن بين المصممين اللغويين يوجد، غالباً، نشطاء ثقافيون منخرطون في عملية جعل اللغة عاملاً حاسماً في الهوية القومية.

(1) FISHMAN Joshua A., «Sociolinguistics and the Language Problems of the Developping Countries», in: *Language Problems of Developping Nations*, Joshua A. Fishman & Charles A. Ferguson (dir.), New York & Sydney & Toronto, John Wiley ansd Sons, 1968, P. 10-11.

وكما أشار كارل دوتش (Deutsch)، نصادف في معظم اللغات انقسامات مناطقية في لهجات، وانقسامات اجتماعية في «ترسبات لغوية». ونصادف، أيضاً «مراكز لغات» و«جماعات قائدة» وهذه الجماعات الآتية من «مراكز اللغات»تضع اللغة النمطية في أشكالها الشفهية والمكتوبة[1]، على حد سواء.

إن ما يثير اهتمامنا بالدرجة الأولى الدور الذي يلعبه القادة داخل مجتمع لغوي في نشوء اللغة النمطية. واقعاً،إن كان تثبيت لغة، بالنسبة للمخططين القوميين، يخدم حدود اللغة بالنسبة للغات مجاورة، أو مهددة، يمكن استخدامه، أيضاً، لمكافحة تعدد اللهجات المحلية، باعتباره عائقاً للفعالية، وتهديداً كامناً بالتشتت على وجه الخصوص. ورغم أن نشوء لغة يرتبط، غالباً، بصراع داخلي للسيطرة لسبب أن لغة محكية قد تتحول إلى نموذج لسائر اللهجات في معظم حالات التنميط[2]. وفي حال صارت هذه اللغة النمطية لغة قومية، فإنها توطد مواقع المتمتعين بقدرات لغوية بما في ذلك معرفة اللغة الرسمية، وتلزم الآخرين، الالتحاق بوحدة سياسية ولغوية تصبح معها قدراتهم اللغوية التقليدية تابعة.

عندما شرع الأخوان بدرخان في الإعداد لإصدار مجلة هاوار عام 1931، لم يكن قد تقرر شيئاً بالنسبة لتنميط اللغة الكردية. فلا عمل المثقفين الكرد في العراق على اللغة، ولا عمل مثقفي أرمينيا السوفياتية، كان قد وصل إلى تطور يحول دون تغيير الاتجاه.

---

(1) DEUTSCH Karl W, *Nationalism and Social Communicatian, An Inquiry into the foundations of Nationality,* Massachusetts, MIT Press, 1962, P. 43.

(2) BILLIG Michael, *Banal Nationalism, op. cit.,* P. 34.

أرادت هاوار منذ صدورها في 15 أيار/ مايو 1932، أن تكون وعاءً لتعاون الكرد من مختلف اللهجات للتقدم في اتجاه توحيد اللغة، ذلك أن توحيد الأمة يبدأ في توحيد اللغة[1]. وللقيام بذلك قرر الأخوة بدرخان التعاون مع مثقف كردي عراقي هو توفيق وهبي[2]. وقد قابل وهبي في مناطق الانتداب الفرنسي جلادت وكاميران بدرخان عام 1931. وبدأ المثقفون الكرد الثلاثة، منذ تلك اللحظة، العمل لتوحيد اللغة الكردية انطلاقاً من المجموعتين الكرمانجية والسورانية. وقد وضعوا قائمة بكلمات كردية صافية، وعقدوا العزم على انتقاء لغة كردية ناتجة من دمج مختلف اللهجات.

وتزامنت فترة التعاون بين آل بدرخان وتوفيق وهبي مع نشر هاوار لكتابات عديدة، بالسورانية. وبدءاً من العدد الخامس عشر صارت مسائل توحيد اللغة من اختصاص محرري هاوار. وقد فتحت رسالة مفتوحة موجهة إلى توفيق وهبة الحوار حول اختيار لهجة تستخدم أساساً للتوحيد: هل من الممكن بناء أمة كردية بلهجات مختلفة؟ وفي حال النفي ما هو خيار

---

(1) BEDIR KHAN Djeladet, «Bi hinceta pîroznamekê», *Hawar*, n° 3, 1932, P. 488-489.

(2) وُلِد توفيق وهبي في السليمانية عام 1891. درس في المدرسة الحربية في اسطنبول. صار رئيس أركان فرقة، وترك الجيش العثماني عام 1919 عند احتلال البريطانيين لكردستان العراق. وقد عُيِّن من قِبل الإدارة الإنكليزية قائم مقاماً لرانيا عام 1919، ثم قائداً للقوات الكردية بين 1919 و1920. وشغل في ظل الإدارة العراقية، على التوالي، منصب ضابط في الأركان العامة 1921، مقدم وقائد المدرسة الحربية في بغداد عام 1925. وبعد عودته إلى العراق عين عام 1930 متصرفاً للسليمانية..

CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique, n° 493 du Haut Commissaire de la République Française à son Excellence M. le Président du Conseil, Ministre des Affaires Etrangères, n° 524. Beyrouth, le 24 juin 1932, P. 3-4.

المخططين اللغويين: لهجة رئيسية سائدة يتم إغناؤها باللهجات الأخرى، أم صياغة لغة كردية تمثل كل اللهجات؟

في العدد اللاحق أعاد فتح الحوار هيفندي سوري، معلم كردي من العراق، وطرح ثلاث مسائل ملموسة في شأن تنميط اللغة الكردية:

- كيف يتم تصليب اللغة وتنقيتها؟
- بأية طريقة يمكن تقريب اللهجات المختلفة في كردستان وصياغة لهجة يتفاهم بها كل الكرد؟
- كيف تتم عملية تقدم اللغة الكردية وبأية وسائل يتم تحسينها؟

الأجوبة الخمسة التي وصلت إلى مجلة هاوار بعد هذه الأسئلة نشرت في الأعداد 21 و22 و23 [1]. لن يفيد نشر الأجوبة المختلفة. سوف نكتفي بالكلام عن بعض التوجهات المقترحة. وباستثناء جواب عثمان صبري، لم تعر الأجوبة الأخرى أهمية لتوحيد الألفباء كمرحلة ضرورية قبل التطرق للمسائل الأخرى مثل اختيار اللهجة. لكننا نلاحظ أن لدى مراسلي المجلة موقفين مختلفين، يقترح البعض تكوين نوع من الكردية التوليفية تنشأ عن أعمال النشر، ومؤتمرات المتعلمين، وعن دراسة اللهجات دراسة موسعة ومعمقة، في حين يفضل الآخرون اختيار إحدى اللهجات الموجودة كأساس، شرط إغنائها بالاقتباس من اللهجات الأخرى، وصنع كلمات جديدة أو البحث عن كلمات قديمة. إن هذه الاقتراحات، كما يراها بيير روندو لا تترافق مع أي تقويم ذي شأن للهجات الكردية (السورانية والكرمانجية). وكان

(1) Il s'agit des réponses de Lawekî Kurd («Sehitî», n° 21, 1933, P. 584), Elî Seydoyê Gewrî («Sehitî», n° 22, 1933, P. 447), Osman Sabri («Sehitî», n° 22, 1933, P. 447-448), Cigerxwîn («Segitî», n° 23, 1933, P. 608), Lacê Henî («Sehitî», n° 23, 1933, P. 608-610).

جكرخوين الوحيد الذي استند إلى اعتبارات عديدة معطياً الأفضلية، بصورة ضمنية، للكرمنجية. وهكذا فقد اكتفى مراسلو المجلة بالتركيز على ضرورة توحيد اللغة. لكن الوسائل الأخرى المقترحة ـ إصدار كتب ومجلات، وعقد مؤتمرات واجتماعات لجان ـ «غير ممكنة التحقق عملياً في الحالة التي كانت سائدة في الأوساط المتعلمة الكردية، المبعثرة، والفاقدة للموارد المادية». ويرى روندو في المقابل:

«إن فرض سلطة مركزية للغة إدارية، أو بروز لهجة بفعل أعمال أدبية شعبية من الدرجة الأولى، يكون لهما بدون شك، وقع بالغ الأهمية»(1).

لم تجرِ هيئة تحرير هاوار أي استنتاج من هذه الأجوبة. ذلك أن صدور المجلة قد توقف بعد صدور العدد الثالث والعشرين لمدة تسعة أشهر. فضلاً عن أن هاوار لم تصدر إلّا مؤقتاً (عدد رقم 25 ورقم 26) لتعود فتتوقف حتى عام 1941. كما أن الضغوط التي مارستها السلطات البريطانية على الحلقات القومية الكردية في العراق قد منعت بعض الخطوات الخفرة في العمل لتوحيد اللغة الكردية(2).

كانت السنوات العشرون، من القرن الماضي إذن، سنوات مفصلية في عملية تنميط الكردية السورانية. ففي حين كان معظم المثقفين الكرد موافقين على استعمال الحرف اللاتيني في الكردية المكتوبة، اعتبرت السلطات العراقية والبريطانية هذه الرغبة اتجاهاً انفصالياً. وقد وضع توفيق وهبي، عام 1933، ألفباء لاتينية، بسندو واري باو، تختلف عن ألفباء الأخوة بدرخان،

---

(1) RONDOT Pierre, «Le probléme de l'unification de la langue kurde», *Revue des Etudes Islamiques*, cahier III, 1936, P. 302-305.

(2) HEBESH Husên, *Raperîna çanda kurdî di kovara Hawarê de, op. cit.*, P. 94.

منطلقة من الألفباء العربية الكردية التي وضعها بنفسه عام 1929، وتستند إلى اللهجة المحكية في السليمانية. وفي موازاة ذلك جرى تطهير اللغة من التأثيرات العربية، في وقت زاد فيه النشر الكردي أهمية. وأخيراً، فإن إصدار الصحف وبث برامج إذاعية شكلا تقدماً هاماً في «تطبيع» الكردية السورانية في العراق.

لقد رسمت جميع هذه العوامل (نهاية التعاون بين آل بدرخان وتوفيق وهبي، وتوقف هاوار عن الصدور، وتعزيز الكردية السورانية) صورة شاملة (بانوراما) عن عملية تنميط اللغة الكردية عندما عادت مجلة هاوار إلى الظهور بصورة مستمرة عام 1941. إن التنميط الثنائي للغة الكردية بدا، في الواقع، يسير في منحى لا عودة فيه. ولم تعد المجلات التي يصدرها الأخوان بدرخان ملتقى حوار لتوحيد اللغة[1]. لقد صار واضحاً أن الكردية الكرمانجية والكردية السورانية تشكلان «لهجتين» مختلفين ومتمايزتين. فضلاً عن انخراط الأخوين بدرخان، منذ عام 1941، في تثبيت أسس قواعد الكردية الكرمانجية، مبتعدين، بذلك، عن البنى اللغوية للجماعات الكردية في الشمال والوسط. وبالتالي فإن مسألة الاختيار بين اللهجتين الكرمانجية والسورانية، قد حلت. ولا بدَّ أيضاً، من تحديد الأساس الذي استند إليه الأخوان بدرخان في اختيار اللجهة التي على أساسها تم تنميط الكرمانجية.

الكرمانجية أو البوتانية

إن اللغة التي اعتمدها محررو هاوار «والتزموا تطهيرها وإغناءها

(1) L'une des rares exceptions est l'article de H. Hishyar «Kurdistan. Yekîtiyq kurd, 5i ye û bi 5i pêk tê» («Kurdistan. L'unité kurde, qu'est-ce et comment l'obtenir?»), *Roja Nû*, n° 48, 1944, P. 1.

وتأكيدها»، مع الحرص على عدم مطابقتها مع أي كلام كرمنجي محكي[1]. هي دون شك، في رأي آل بدرخان وبعض المستشرقين القريبين منهم، مثل بيير روندو، اللغة الأدبية الكرمانجية التي كرسها الكلاسيكيون الكرد. وحافظ عليها علماء الصرف والنحو. وقد شكل الأدب الشعبي (أغان، قصائد، ملاحم، حكايات) مع المصادر الكلاسيكية لعصر الإمارات الكردية الذهبي، مصدر الإيحاء «الأساسي» للمجلة.

لكن هذا القول بحاجة إلى بعض الشروحات. فإننا إذا راقبنا الكلاسيكيات الكردية المذكورة، والمترجمة في المجلات الكردية في المشرق، نرى أن معظم المؤلفين المرجوع إليهم (أحمد خاني، ملا جزيرة، علي حريري، فقيه طيران) يعودون بأصولهم إلى عصر ثقافي ولغوي محدّد في منطقة بوتان/ هكّاري. ومن المهم التذكير بأن هذه المنطقة كانت في قلب إمارة بوتان التي كانت على رأسها عائلة بدرخان في القرن التاسع عشر. فضلاً عن أن أحمد خاني قد تحول نموذجاً للشعراء الكرد الذين جاؤوا بعده، لدرجة أن لغة خاني، المستندة إلى اللهجة المعروفة ببوتاني، ظلّت مرجعاً لكتاب كرد أصولهم من مناطق أخرى.

كما أن الأدب الشعبي والشفهي الذي أحيته مجلات آل بدرخان يمثل منطقة محدودة من كردستان تركيا. هذا حال ملحمة مامي الآن التي تتحدث عن أمراء بوتان. ويمكننا ذكر أمثلة عديدة عن اكتشافنا لفولكلور يعبّر عن الثقافة الشعبية ولغة المناطق التي كانت خاضعة لإمارة آل بدرخان، وعاصمتها جزيرة ابن عمر[2]. وعلى الصعيد اللغوي. كثر حضور ممثلي البوتان في المطبوعات

(1) RONDOT Pierre, «Le problème de l'unification de la langue kurde», *art. cit.*, P. 301.

(2) A titre d'exemple, voir la berceuse «La caresse aux enfants» (*Hawar*, nº 5, 1932, P. =

الكردية، فباستثناء عثمان صبري، ينتسب مسؤولو التحرير (جلادت وكاميران بدرخان) والمساهمان الأكثر حضوراً في المجلات الكردية (قدري جان وجكرخوين) إلى هذه المنطقة. أما محررو مجلة جيلاوج الصادرة في العراق فيرون أن اللهجة التي تستخدم معياراً في مجلات آل بدرخان هي، ببساطة، البوتانية[1].

إن اختيار البوتانية كأساس للكردية الكرمانجية[2] يعبر، إذن، عن اللجوء إلى لغة كلاسيكيي الأدب الكردي، وعن محدودية تمثيل العاملين في الحركة الثقافية في المشرق، ويعبّر أيضاً عن اختيار منطقي في سياق السياسة التي أشرنا إليها، سابقاً، لآل بدرخان، أي الكفاح من أجل احتكار الحركة الكردية في تركيا. وشهدنا بين أعوام 1930 و1940 قيام مركزين لغويين، وبالتالي، مركزين سياسيين في داخل الحركة القومية الكردية. مركز أو قطب للناطقين بالكرمانجية بقيادة آل بدرخان، ومركز أو قطب للناطقين بالسورانية قائم حول مثقفين كرد مجتمعين في السليمانية.

= 113) écrite par Emin Bedir Khan; les chansons «Sêmala gundo» («Ôvillage de trois maisons», *Hawar*, n° 6, 1932, P. 130) et «Hey la Mîro» originaire d'Amouda (*Roja Nû*, n° 59, 1954, P. 1); la traduction de la légende de Mir Mohamed, Prince du Botan jusqu'en 1740 (*Hawar*, n° 29, 1941, P. 737-740); l'appel de Djeladet Bedir Khan à l'écriture de l'histoire locale dans «Mil û zil. Bîr û esasên eshîrên kurdan» (*Ronahî*, n° 12, 1943, P. 212-214.

(1) BEDIR KHAN Djeladet, «Bo ahgadarî» («Pour information»), *Ronahî*, n° 23, 1944, P. 454-455.

(2) Nous remercions Michael L. Chyet, Linguiste et auteur notamment d'un dictionnaire kurde-anglais, pour ses précisions concernant la sélection de la base dialectale pour le kurde kurmandji. Pour L. Chyet, le botani constitue effectivement la base du kurmandji standard.

ولم تقتصر المنافسة بين المركزين على اختيار اللغة النمطية، بل، أيضاً، على المرجعية الثقافية (أدب، فولكلور، وذاكرة أمكنة، وأبطال قوميون...). كما أن توطد الكردية كلغة ثنائية النمط قد أدّت إلى ظروف مؤاتية لنشوء قومية ثنائية النمط: قومية كرمنجية متصلة بكردستان تركيا (وخاصة منطقة إمارة بوتان القديمة)، وقومية سورانية في كردستان العراق (خاصة بمنطقة السليمانية). مع أن القوميين الكرد في المشرق وفي العراق اشتركوا في بعض الأساطير (كردستان الكبرى، والجدود المشتركون، الأصل الآري للكرد، وكردية بعض الأسماء الكبيرة مثل صلاح الدين، إلخ)، فإن توطيد هذين القطبين أدى إلى تخيلات متوازية، تنافست وأضعفت القدرة على تعبئة التخيلات المشتركة. وقد تعززت عملية تقسيم القومية الكردية هذه باختيار ألفباء اللغة الكردية، اللاتينية للكرمنجية والعربية المعدلة للسورانية.

اختيار الألفباء اللاتينية

كان على الأخوين بدرخان عند الإعداد لإصدار مجلة هاوار بين عامي 1931 و1932، حسم جدال حول أية ألفباء هي الأكثر مؤاتات للغة الكردية. ففي ظل الامبراطورية العثمانية استخدم المتعلمون الكرد، تقليدياً، رغبة منهم في تحسين كتابة لغتهم بأحرف عربية، الإضافات الفارسية والتركية. وقد قامت مشاريع إصلاح الألفباء في تركيا، عشية الحرب، وبخاصة، إصلاحات إسماعيل حقي بابان، باتجاه استخدام الأحرف العربية، منفردة غير موصولة، مع بعض التعديلات، الطفيفة عند الضرورة. وقد أثارت هذه المشاريع الأولى الاهتمام بين الطلاب الكرد المنضويين، في حينه، في جمعية هيفي. ووجه كثير من المتعلمين الكرد، في حينه أيضاً، أبحاثهم ناحية اعتماد الأحرف اللاتينية.

وقد توبعت جهود المثقفين الكرد، بعد تقسيم الأراضي العثمانية، وتوزع السكان الكرد بين العديد من الدول، في مراكز مختلفة، في آن معاً. فأدّت الأعمال التي قام بها، على وجه الخصوص، الأستاذ ماروغولوف، عام 1929، إلى اعتماد ألفباء لاتينية، اتخذت شكلها النهائي عام 1934، بعد عدة تعديلات. وأعد توفيق وهبي والميجر س.ج. أدموندز (Edmonds) عام 1931 ألفباء لاتينية معدّلة ومبسطة. لكن الألفباء الجديدة ظلّت في وسط أقلية متعلمين. وقال أدموندز: إن الأوساط «المحافظة»، والحاجة إلى إدخال الشبان الكرد في سوق العمل، حيث الألفباء العربية هي الرسمية، كانا عقبتين هامتين أمام نجاح تلك الألفباء. كما كان أدموندز يخاف من أن يعمق استخدام الأحرف اللاتينية في المدارس الكردية الهوة بين الكرد والعرب[1]. وكان على المخططين اللغويين الكرد، في مواجهة ضغط القوميين العرب وجزء من الضباط البريطانيين، العاملين في العراق، التخلي عن مشروع استعمال الأحرف اللاتينية في الألفباء الكردية والتركيز على إصلاح الألفباء العربية.

كان معظم اللغويين، غربيين وشرقيين، متفقون على عجز الألفباء الكلاسيكية العربية، عن نقل الأصوات، وخاصة نظام المصوتات في اللغات الهندوأوروبية. لكننا نعلم اليوم أن اللغة الكردية قد تقدمت في التنميط في مختلف الالفبائيات. وبالتالي فإن الألفبائيتين كانتا عمليتين رغم بعض الضعف في كلتيهما، في التفاهم باللغة الكردية. ونعتقد أنه من الضروري القيام ببحث معمق في الدلائل التي دفعت بآل بدرخان لاختيار الأحرف اللاتينية.

(1) EDMONDS C.J., «Suggestions for the Use If Latin Character in the Writing of Kurdish», *Journal of the Royal Asiatic Society*, janvier 1931, P. 35.

كان الأخوان بدرخان يعتقدان أن توحيد اللغة يمر بتوحيد الألفباء[1]. لذلك عملا مع توفيق وهبي عام 1931 لإطلاق الألفباء الكردية بالأحرف اللاتينية، لتكون أساساً في المجلات الكردية. لكن بدا أن «صحّة» توفيق وهبي حالت دون تحقيق هذا المشروع. وقد انتظر جلادت وكاميران بدرخان عدة شهور أخباراً من وهبي الذي عاد إلى العراق. وحسب جلادت بدرخان لم تصل الرسائل المبعوثة إلى العراق إلى العنوان المرسلة إليه. وقد قرر الأخوان بدرخان، عام 1932 لعدم ورود أجوبة من وهبي، عدم تأخير صدور هاوار أكثر مما تأخرت، واستخدام ألفباء من صياغتهما. وعادت الصلة بين وهبي والأخوين بدرخان بعد صدور العدد الأول من المجلة في دمشق. وقد زار توفيق وهبي، مرّات عديدة، زعماء كرد بلدي المشرق، لكن يبدو أن التعاون الثقافي عاد وانقطع منذ عام 1933.

يندرج اختيار آل بدرخان الحرف اللاتيني في الألفباء الكردية تحت منطق مزدوج. فمن جهة يتموضع الأخوان بدرخان في خانة تكملة عمل الأندية الكردية التي كانت تنشط في ظل الامبراطورية العثمانية، والتي كان الهدف الأولي الذي تنشده كتابة اللغات الشرقية بالأحرف اللاتينية، الميزة الخاصة للغات الغربية. فاللغة ليست سوى وسيلة لبلوغ الحداثة. فقام الأخوان بدرخان وارثا هذا الرأي، مع مستشاريهما الفرنسيين، بكتابة اللهجة الكرمانجية بالأحرف اللاتينية، باعتبار هذا العمل إنجازاً حضارياً. من ذلك قول توماس بوا: إن الكتابة باللاتينية، التي تطمح بأن تصبح شاملة، تشجع

(1) BEDIR KHAN Djeladet, «Bi hinceta pîroznamekê», *Hawar, art. cit.*, 1932, P. 488-489; BEDIR KHAN Djeladet, «Li ser Yekîtiyq zimanê kurdî», *Hawar*, n° 10, 1932, P. 509.

التبادل الدولي، الثقافي والتقني والتجاري. كما يصير بإمكان الشرقيين تعلم اللغات الغربية، بسهولة، لينضموا إلى ركب العالم المتمدن[1]، وبالمقابل يصير في وسع الغربيين تعلم اللغة الكردية بسهولة[2].

ولم يواجه اختيار آل بدرخان أي اعتراض. فهو «تطور تاريخي» لا يمكن صدّه. كان على الأخوين بدرخان، مثل ما كان الحال مع مصطفى كمال في تركيا، أن يقودا الأمة وهما يجهدان «لإفهام اتباعهما ما ينبغي فعله». إن اعتماد الأحرف اللاتينية، كما في تركيا الكمالية، هو في النهاية، إدارة قادرة على «قيادة البشرية إلى عدالة أكثر وطيبة أكثر»[3]. أخيراً يعتقد بيير روندو أن واقع اختيار المثقفين الكرد للأحرف اللاتينية «جعلهم يبتعدون عن الأوساط الثقافية العربية والإيرانية [...] ليتموضعوا بوضوح في حقل علماني»[4]. لقد تجاوزت، إذن الاعتبارات التمدينية والثقافية الاعتبارات اللغوية. إن استبدال الأحرف العربية بأحرف لاتينية يجسّد «ثورة معنوية كبيرة وسعيدة، هي وحدها القادرة على نهوض آسيا» الذي طالما دعا إليه فولني (Volney) في بداية القرن التاسع عشر.

من جانب آخر سمح اختيار الألفباء اللاتينية بالكشف عن عبقرية اللغة الكردية. فبفضل المقارنة اللغوية، صار بمقدور المثقفين الكرد، وقد استمدوا شرعية لخطابهم من بعض المستشرقين، أن يؤكدوا، من خلال اعتمادهم الألفباء اللاتينية، خصوصية الكردية، بوصفها «لغة هندوأوروبية تشابه اللغات

(1) BOIS Thomas, «Comment écrire le kurde?», al-*Machriq*, mai-juin 1965, P. 370-372.

(2) BEDIR KHAN Djeladet, «L'alphabet kurde», *Hawar*, n° 1, 1932, P. 32.

(3) BOISSEAU René, «Roja Nû (Le JourNMouveau)», *Roja Nû*, n° 1, *art. cit.*, P. 3.

(4) RONDOT Pierre, «Trois essais de latinisation de l'alphabet kurde: Iraq, Syrie, URSS», *art. cit.*, P. 31.

اللاتينية والسلافية والجرمانية» أي اللغات التي اعتمدت الألفباء اللاتينية[1].

المفارقة، إن رغبة المثقفين الكرد في التمايز عن الشعوب السامية (العربية) والمنغولية (التركية)، ترافقت مع وضع ألفباء لاتينية مستوحاة، بصورة واسعة، من تلك التي وضعها المصلحون اللغويون في تركيا الكمالية. ولا يخفي بيير روندو كون «ألفباء هاوار منسوخة عن الألفباء التركية، حتى مع تجنب حرف (i)، دون أن تبدو غير سهلة الاستخدام»[2]. ويشرح جلادت بدرخان هذا الخيار بالتالي: «نسهل، بهذه العملية، للكرد الذين يسكنون كردستان التركي، والذين يعرفون الألفباء التركية، معرفة، الألفباء الكردية»[3]. بهذا الكلام حدد جلادت بدرخان هوية المعنيين بألفبائه: الكرد من أصول تركية ويتكلمون الكرمانجية.

«الأحرف الكردية»

إن الألفباء التي أعدها آل بدرخان تقوم على مبدأ صوتي: لكل حرف صوت، وحرف واحد لكل صوت. إلى ذلك فإن القيمة المعطاة للحروف مكيفة في المبدأ على قيمتها الدولية العادية. وقام محررو هاوار، تلبية لهذا الشرط بعكس تسمية كل من (q وK). وبعد هذا التعديل البسيط أخذت ألفباء هاوار شكلها النهائي.

---

(1) A Eli Seydo d'affirmer: «L'orthographe de *Hawar* avec les caractères nouveaux [latins] est très réussie. Parceque notre langue est une langue aryenne, elle est Indoeuropéenne et c'est seulement avec les caractères des peuples aryens qu'elle peut être écrite correctement». SEYDO Eli, «Ez û Hawar», *Hawar*, nº 9, 1932, P. 189.

(2) RONDOT Pierre, «Publication kurde en caractères latins», *Bulletin d'Etude Orientales*, t. II, face. II, 1932, P. 301.

(3) BEDIR KHAN Djeladet, «L'alphabet kurde», *Hawar*, nº 1, *art. cit.*, P. 32.

وقد أثارت الألفباء الكردية التي وضعت في المشرق، ردات فعل متنوعة ليس في العراق وحده. فالقوميون العرب رأوا في مسار اللتننة اتجاهاً خطيراً. أما الفرنسيون فقد داوموا على تشجيع آل بدرخان على اللتننة بوصفها مظهر تقدم ومدنية، وذلك حتى نهاية الانتداب.

في الجانب الكردي، رأت الحلقات القريبة من خويبون في هذا الإصلاح خطوة إلى الأمام على طريق التقدم، في حين أثارت الأوساط المحافظة أحكامها المسبقة ضد هذا التغيير. واقعاً رأت بعض الأوساط الكردية في استبدال الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية مساساً بالقرآن، وبالديانة الإسلامية، وبوحدة المجتمع الإسلامي[1]. وقد شن آل بدرخان هجوماً مضاداً على ممانعة الأوساط الدينية. فدافع بعض المشايخ والملالي المنخرطين في القضية القومية مثل الشيخ عبد الرحمن غريزي عن ألفباء آل بدرخان ببراهين دينية: «لم ينزل الله علينا تعاليمه بأحرف وصور بل بالكلام»[2]. فقرر الأخوان بدرخان، عقب ذلك، رغم ميولهما العلمانية، ترجمة القرآن بأحرف لاتينية[3].

في موازاة ذلك دفعت انتقادات الأوساط الرجعية محرري هاوار إلى تكريد اللغة الكردية بالأحرف اللاتينية وجعلها قومية. وواقعاً، وإن كان آل بدرخان استوحوا بداية الإشارات والأحرف اللاتينية، فإنها تحولت، تدريجياً،

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 1097. Délégation Générale de la France Combattante au Levant, Services Spéciaux, nº 437. Damas, le 10 août 1942, P. 6-7.

(2) BEDIR KHAN Djeladet, «Shèx Evirahmanê Garisî çû Rehmetê», Hawar, nº 11, 1932, P. 224.

(3) La traduction commence dans les pages de *Hawar* (nº 27-57) et, après sa disparition, se poursuit dans *Roja Nû* (nº 56-72). De même, un des cahiers de la «Bibliothèque Hawar», *Leçons de religin* (1938), est consacré à l'enseignement religieux à l'aide des caractères latins.

إلى «أحرف كردية». ذلك أن مخططي اللهجة الكرمانجية أرادوا خلق رابط هوية بين الكردية والأحرف اللاتينية. وبالتالي، فإن من يشعر بأنه كردي، عليه تبني هذه الألفباء حتى ولو كان مسلماً.

الهوية الجديدة ارتدت طموحات شمولية لأن آل بدرخان باعتبارهم الأحرف اللاتينية «أحرفاً كردية» نفوا كردية الألفباء العربية المعدلة المستخدمة من كرد العراق. فقد أسف جلادت بدرخان، رغم ترحيب هاوار بصدور مجلة جيلاوج بالسورانية، لأن هذه المجلة لم تستخدم الأحرف «الكردية» [اللاتينية]، بل العربية. كان جلادت يعتبر أن «اللغة الكردية بالأحرف العربية، أو بأحرف أخرى، تشبه رجلاً متنكراً بثياب مهلهلة. لا يمكن التعرف عليه»[1].

في مطلق الأحوال، عزز خيار محرري هاوار في اعتماد الألفباء اللاتينية تشرذم اللغة الكردية. فمنذ عام 1932 كانت الكرمانجية تكتب بألفباءين (لاتينية في سوريا وأرمينيا السوفياتية وعربية في العراق). كان لهذا التشرذم في كتابة الكرمانجية عواقب واضحة على توحيد الأشكال الثلاثة، التي نشأت في سنوات 1930، في سوريا وأرمينيا السوفياتية والعراق. فضلاً عن أن التقنين المتفاوت للمجموعتين الكرديتين الأساسيتين (الكرمنجي والسوراني) يجعل توحيد اللغة الكردية أكثر صعوبة. هذا دون أن نهمل دور الدول التي يقيم فيها الكرد. وهكذا حرّمت الألفباء العربية في تركيا الكمالية، في حين تصدّت حكومة بغداد للتننة اللغة الكردية.

(1) BEDIR KHAN Djeladet, «Neshreyên kurdî Gelawêj», *Hawar*, n° 27, 1941, P. 692.

الفصل السابع

الدولة المنتدبة والحركة الثقافية الكردية

لقد قام الأخوان بدرخان بخيارات متتابعة لتطوير اللغة الكردية كلغة مضبوطة ومنمّطة فحددا المعيار بانتقائهما اللهجة الكرمانجية بفرعها البوتاني على الأخص. ثم وطّدا خيارهم بعملهما على الألفباء اللاتينية، وعلى الإملاء، وقواعد اللغة، وغيرها. وعززا النموذج الذي تم اختياره. ويمكننا، على أساس ما قال هوجن (Haugen)، اعتبار الأخوين بدرخان قد نجحا في إنجاز وتثبيت المرحلتين الأوليين من التطور باتجاه تنميط اللغة: اختيار وتقنين المعيار.

لكن من أجل إنجاح عمل المخططين اللغويين فإن عملية التنميط تعترضها مرحلتان أخريان، حاسمتان، أيضاً: صياغة المعيار وتوطينه، أو القبول به. والصياغة تستدعي توسيع وظائف اللغة، بكلام آخر، ينبغي للمعيار المقترح أن يتمكن من التكيف مع كل حقول التواصل، وكل حاجات الحداثة من خلال خلق كلمات جديدة، وتحديث معاني كلمات دارسة، واستعارة كلمات أجنبية من أجل الوصول، مثلاً، إلى التقنيات الجديدة[1]. والتوطين، يعترض

---

(1) HAUGEN Einar, «The Implementation of Corpus Planning: Theory and Practice», in: *Progress in Language Planning, op. cit.*, P. 274.

بدوره، قبول الإدارات الحكومية، والمؤسسات، والكتّاب والصحفيون، لهذا المعيار. وتشكل نشاطات من نوع إصدار الصحف، والكتب المدرسية، واستخدام المعيار في الإعلام الجماهيري، جزءاً من عملية التوطين. غير أن هذه النشاطات تتوقف على الظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بها.

إن الواقع الاجتماعي السياسي في المشرق كانت له خصوصيته. يكفي التذكير بأن العاملين على البعث الثقافي الكردي هم من المنفيين في وسط اجتماعي ثقافي وسياسي، يختلف عما ألفوه سابقاً. لقد أعطت السلطات الفرنسية حرية عمل في الحقل الثقافي، يفسح في المجال، رغم بعض القيود، لوجود مناخ يتيح نهوض الثقافة الكردية. بيد أن الانتداب الفرنسي في المشرق هو محدود الأجل، وهذا العمل الثقافي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالوجود الفرنسي في المنطقة، خاصة وأن القوميين العرب ناهضوا إعطاء بعض الحقوق اللغوية، والسياسية للأقلية الكردية.

نتساءل، إذن، عن السياسة اللغوية، والثقافية للسلطات المنتدبة، والوضع الحقوقي للغة الكردية في المشرق. وسوف نركز اهتمامنا على الوضع الاجتماعي (مستوى التعليم لدى السكان الكرد، ومستوى سكنى المدن...) والمادي الذي يبذل فيه الأخوان بدرخان جهودهما من أجل إكمال عملية تنميط اللغة الكردية، التي هي في نظرهما الضمان الوحيد لاستمرار البقاء في غابة الأمم.

1 ـ السياسة الثقافية للسلطات المنتدبة

كما رأينا سابقاً، انطلقت السياسة الفرنسية إزاء الكرد من بعض الحذر وتطورت نحو بعض التقارب. وسبب التقارب يعود إلى خطين كانا يقودان السياسة الانتدابية للمفوضية العليا. فمن جهة أرادت السرايا إعمار واستصلاح

الجزيرة العليا بفضل وصول لاجئين مسيحيين وكرد من تركيا. ومن جهة أخرى، أقامت السلطات المنتدبة منظومة زبائنية من زعماء العشائر بهدف استخدامها في تلبية مصلحة فرنسا، في المفاوضات حول ترسيم الحدود بين تركيا وسوريا. فتسامح المفوضية العليا مع نشاطات خويبون السياسية ضد تركيا كان يلبي المنطق نفسه.

لكن شرط السرايا لضمان دعم متواصل لزعماء خويبون كان عدم السماح بالإفلات من رقابة السلطات المنتدبة. وعندما انخرط زعماء خويبون في العمليات العسكرية في إطار انتفاضة أرارات، تصادموا مع هذا المبدأ. حينئذٍ اتخذت المفوضية العليا تدابير حازمة لإضعاف شبكة كردية أرمنية بدت مستقلة أكثر من المسموح به ثم وجّهت السلطات المنتدبة الزعماء الكرد إلى النشاطات الثقافية لا غير[1].

واتخذ مشروع تربي، حين ذاك، التدابير الأولى لتشجيع هذه النشاطات الثقافية الكردية في المشرق: تأسيس صف كردي في المعهد العالي العربي في دمشق، وآخر للضباط الفرنسيين في المفوضية العليا، وإعداد صف ليلي كردي في بيروت والحصول في سوريا على رخصة لإصدار مجلة هاوار. فصارت هاوار وسائر الدوريات التي صدرت بين عامي 1930 و1940 من عمل جلادت وكاميران بدرخان بصورة رئيسية، مع الأخذ في الاعتبار تأثير السلطات المنتدبة في هذا العمل. ولم يكن هذا التأثير يتعلق فقط بهذه الإصدارات الكردية في المشرق بل أن المفوضية العليا قد أقامت إدارة رقابية على كل الدوريات الصادرة في الأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي.

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Note n° 121, du Cabinet Politique pour M. l'Inspecteur général des Douanes. Damas, le 28 décembre 1932, P. 1.

وأثّـر عمل السلطات المنتدبة حتى في أسلوب العمل الداخلي والإمكانيات المتوافرة (مواد مصورة، أحرف المطبعة[1]، وزمن الصدور[2]). كان دعـم المفوضية العليا يتم في البداية بواسطة المعهد الفرنسي في دمشق، وبشخص الرائد روبير مونتانيه (Montagne). وقررت السرايا «بسبب الظرف السياسي» تكليف بعثة المفوضية العليا في دمشق بهذه المهمة. وكان قوام هذه المساعدة العديد من الاشتراكات في مجلة هاوار (للمفوضية العليا، وللمعهد الفرنسي في دمشق، وقنصليات الدول المجاورة، ولمراكز الاستشراق في العالم). وكانت هذه الاشتراكات تمثل نصف المداخيل الحقيقية في عام 1933 [3].

وكان كاميران بدرخان يتلقى أيضاً، بالتعاون مع أخيه، أموالاً لقاء «الأعمال التحضيرية لإعداد كتاب قواعد اللغة الكردية». وكان بيير روندو من الجانب الفرنسي منخرطاً في هذا العمل الذي استفاد منه الضباط الفرنسيون لتعلم اللغة الكردية. إن تبعية آل بدرخان المالية للسرايا سمحت للسلطات الفرنسية بالتأثير في مضمون وتوجه المطبوعات الكردية. وبالتالي كان يمكن «زيادة المساعدة إذا ما تبيّن أن سلوك مدير هاوار مستقيماً». كانت الدفعات تتم شهرياً من أجل مراقبة جيدة للمواضيع التي تعالجها المجلة التي يصدرها جلادت بدرخان. ومقابل المساعدة المقدمة حرّم على هذا الأخير [جلادت]

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Note du Cabinet Politique. Beyrouth, le 24 mars 1933, P. 3.

(2) *SHAT, 4H 387, Dossier 1*. Forces françaises libres au Levant, Commandant en Chef, Etat Major 2° Bureau, n° 419/2. EMG, le 20 décembre 1941, P. 1.

(3) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 1055. Le Ministre plénipotentiaire Délégué du Haut Commissaire à M. le Directeur de l'Institut Français de Damas, n° 881. Beyrouth, le 25 juillet 1933, P. 1.

التطرق في مجلته إلى «مواضيع ذات طابع سياسي. وكان عليه فقط الاكتفاء بالشأن الثقافي وإلّا تعرضت المجلة للتوقيف عن الصدور».

لقد أقامت المفوضية العليا أدوات رقابة صارمة:

> «على المدير وبمسؤوليته إعداد تقرير تحليلي في اللغة الفرنسية عن كل المقالات المنشورة في المجلة مع أسماء أصحابها. وعلى جلادت بك أن يكون مستعداً لترجمة مقالات كاملة، إذا بدا من الضروري المزيد من الوضوح حولها»[1].

رغم ضيق حلقة قُراء هاوار، كانت السرايا تعير اهتماماً كبيراً للنشاطات الثقافية الكردية. وقد أكد ذلك الرائد مونتانيه بوضوح بقوله: «علينا أن نتدارك وصول الدراسات الكردية إلى خلق حركة تفقدنا السيطرة عليها بالكامل»[2].

بعد توقف لمدة ست سنوات تقريباً، عاودت هاوار الصدور عام 1941، خلال الحرب العالمية الثانية، في مناخ شديد التوتر في سوريا لأسباب داخلية في فرنسا، وبفعل الدعاية السوفياتية في المشرق. فما كادت تستقر السلطة في بيروت حتى سمحت المفوضية العليا بصدور مجلة في دمشق، «تحت رقابة عالم في الكردية نبيه». فصار الرقيب على هاوار روجيه لسكوت (Lescot) بتعاون وثيق مع جهاز الصحافة والدعاية بالمفوضية في دمشق[3]. وتتابع عمل روجيه لسكوت مع آل بدرخان بصدور مجلة روزانو في بيروت.

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, nº 1055. Note nº 882, du Cabinet Politique. Le Ministre Plénipotentiaire Délégué du Haut Commissaire à M. le conseiller du Haut Commissariat auprès du Gouvernement de l'Etat de Syrie. Beyrouth, le 25 juillet 1933, P. 1-2.

(2) *Ibid.*, P. 2.

(3) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie*. Services Spéciaux du Mohafazat de Damas. Note pour M. le Délégué du Haut Commissaire à Damas, nº 98/SS/VI. Damas, le 10 janvier 1941, P. 1-2.

عام 1939 أوصت دائرة الدراسات في الأركان العامة تنظيم بث باللغة الكردية في راديو الشرق بهدف الدعاية لصالح الحلفاء. لكن هذا المشروع الذي أقرته الأركان العامة لم يتم تنفيذه إلّا عام 1941 في ظل حكومة فيشي. وما إن وصل الحلفاء حتى بادر الأخوان بدرخان بالاتفاق مع المكتب الثاني في الأركان العامة، إلى دعوة الزعماء الكرد إلى موالاة الحلفاء. استمر البث الإذاعي وصارت صحيفة هاوار تتلقى مساعدة شهرية سمحت لها أن تصدر عام 1942 ملحقها المصور روناهي وامتد تأثيرها الدعائي إلى العراق.

السياسة اللغوية للسلطات المنتدبة

إن كرد سوريا، وعياً منهم لدور المدرسة في نشوء الأمم وأهميتها في تنميط اللغة، تقدموا منذ عام 1928 بعرائض متعددة بتوقيع خويبون إلى السلطات المنتدبة مطالبين بفتح مدارس لتعليم اللغة الكردية. وقد طالبوا في المذكرة الأولى استخدام اللغة الكردية رسمياً في المناطق التي يسكنها الكرد. وذهبت خويبون أبعد من ذلك فطلبت إدخال تعليم الكردية إلى مدارس هذه المناطق.

في العام نفسه قام كاميران بدرخان بمبادرة مماثلة مع المفوضية العليا فهو قد طالب بفتح مدرسة داخلية كردية في الجزيرة. وإلى جانب المدرسة «إقامة مزرعة بمساحة خمسة آلاف دونم، وقرية كردية من خمسين منزلاً». والهدف من إنشاء المزرعة تأمين الحاجات المادية للمدرسة الداخلية. ويتم اختيار التلامذة من بين أبناء زعماء القبائل والوجهاء، ومن بين أبناء «الفلاحين والشعب»[1].

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 571. Pétition de Kamuran Bedir Khan à son Excellence M. le Haut Commissaire de la République Française. Damas, le 2 juillet 1928, P. 1-2.

في كل حال، كان هدف طلب كاميران بدرخان تنشئة نخبة كردية أكثر من توسيع التعليم ليطاول كل الكرد. ورغم رفض السرايا، لم يتخل كاميران عن هذا المشروع، ففي عام 1930 عدل كاميران في طلبه إلى المفوضية العليا، بدعم من أهم شخصيات خويبون. وطالب ببناء دار معلمين ابتدائية في الحسكة بغية تعميم اللغة الكردية. كما طالب بمساعدة فرنسا لبناء المدرسة وتسمية بعض الأساتذة الفرنسيين، وتقديم اعتمادات لصيانة المدرسة وطبع كتب مدرسية وأدبية كردية[1].

لكن مناهج التعليم الرسمي تحصر التعليم باللغتين العربية والفرنسية، واستبعاد كل لغة أخرى، ما عدا التركية في سنجق إسكندرون[2]. وقد اتبع الناشطون في حقل التجديد الثقافي، في مواجهة الحدود التي تفرضها المفوضية العليا، ستراتيجيات عديدة للتعويض عن ذلك.

أ) دروس مسائية. حصل القادة الكرد على إذن من السلطات المنتدبة لإعطاء دروس مسائية اعتقد الفرنسيون أنها أقل إحراجاً للقوميين العرب. وفي عام 1932 قررت الجمعية الخيرية فتح دروس من هذا النوع في الحسكة، وتل شير، وكوبور، وبيدوا نديوار. وكان كاميران بدرخان، من جهته، المسؤول عن الدروس المسائية في بيروت، ففي «كل مساء»، «كان يجمع، لمدة ساعتين،

(1) Parmi les signataires figurent Kamuran, Sureya et Djeladet Bedir Khan, Memdouh Selim, Bozan et Mustafa Chahine, Kadri et Ekrem Djemil Pacha et Hadjo Agha. *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 571. Pétition à Son Excellence le Haut Commissaire de la République Française en Syrie et au Liban, s.l., 5 avril 1930, P. 2-3.

(2) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique,* n° 728. Haut Commissaire de la République Française en Syrie et au Liban à M. le Directeur du Service des Relations Extérieures, n° 3186. Beyrouth, le 28 novembre 1932, P. 1-2.

تسعة شبان كرد لا يعرفون القراءة ولا الكتابة بالعربية ولا يتكلمون سوى لغتهم الأم»[1]. وقد اتسع التعليم عام 1938 مع تأسيس مدرسة في دمشق تحت إشراف عثمان صبري، ومدرسة أخرى في عامودا. بيد أن جميع هذه المبادرات لم يكتب لها الاستمرار. فالدروس في الجزيرة، برعاية الجمعية الخيرية، انتهت بعد قليل من بدئها، ومدرسة عامودا أغلقتها السلطات في بداية الحرب. واضطرت مدرستا دمشق وبيروت إلى غلق أبوابهما لنقص المال.

ب) التحالف مع الدومانيكان الفرنسيين. سهل توسع حركة الاستقلال الذاتي في الجزيرة العليا، التقارب بين الزعماء الكرد والمرسلين الدومينيكانيين المقيمين في المنطقة. كان الفريقان من أنصار استمرار الانتداب الفرنسي في المشرق من أجل استمرار نشاطاتهما: الحصول على استقلال ذاتي، في الشمال السوري بالنسبة للأول، والعمل التبشيري مع المسيحيين بالنسبة للفريق الثاني. وقد عقد الزعماء الكرد والدومينيكانيون تحالفاً حظي بدعم من بعض أعضاء الأجهزة الخاصة الفرنسية، ومن المفوضية العليا في بعض الحالات. فتم تعيين ممدوح سليم، العضو البارز في خويبون، عام 1930، مفتشاً للتعليم الرسمي في الجزيرة. وفي السياق نفسه، عُيِّن المعلمون الكرد في مدارس المناطق الكردية مع الحفاظ على التعليم بالعربية.

لقد أثار التعاون بين الزعماء الكرد في الجزيرة والرهبان الفرنسيين، عند هؤلاء الآخرين، اهتماماً بالكرد. وواقعاً، قرر مسؤولو الإرسالية منذ عام 1938 توسيع عملهم التبشيري إلى الكرد المسلمين، وخاصة إلى الكرد اليزيديين،

---

(1) *FOMDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie.* Rapport manuscrit par Pierre Rondot sur le mouvement scolaire kurde, s.l., octobre ou novembre 192, P. 1.

باعتبارهم «أقرب إلى المسيحيين»[1]. وقد أثارت مدرسة القديس بطرس التي أسسها عام 1937 الأب توماس بوا، ومدرسة الدرباسية، انتباه الزعماء الكرد الذين طالبوا، بتشجيع من ممدوح سليم، بتعويض الفراغ المتروك من السلطات السورية، وإقامة صفوف بالكردية في هذه المؤسسات. وقد قرر الرهبان الفرنسيون عام 1943، فتح قسم كردي في الدرباسية بعد رفضهم الطلب مرّات عديدة.

وطلب الأب رودر (Rudder)، رئيس الإرسالية الدومينيكانية في الجزيرة العليا، مساعدة السلطات المنتدبة لتزويده بالورق، المادة النادرة في الحرب العالمية الثانية، لطبع المواد المدرسية اللازمة لتعليم الكردية. وقد كلفت دائرة الإعلام والإذاعة تسليم مئة وخمسين كيلوغراماً من الورق بواسطة قدري جميل باشا الأمين العام السابق لخويبون والمشارك، آنذاك في تحرير هاوار[2].

وقد ذهبت مديرية الأمن العام في الجيش بعيداً جداً واقترحت في كانون الثاني/ يناير 1943 تدابير شديدة الليبيرالية فيما خصّ اللغة الكردية والتعليم بالكردية وبالفرنسية في مدارس المناطق الكردية، وإقامة دروس ليلية في المدن الأساسية، والاستمرار في تنظيم الدعم المقدم للحركة الثقافية الكردية

---

(1) *SAULUCHOIR, Série Djézireh, Dossier* n° 44, «Histoire de la Mission dominicaine de Haute Djézireh, 1935-1946». Chapitre XIV: Les Kurdes. Correspondance de P. Drapier au Cardinal Tisserant. 21 février 1938, P. 1.

(2) *SAULCHOIR, Série Djézireh, Dossier* n° 74. Délégation Générale de la France Libre au Levant. Information et radiodiffusion à T.R.P. Rudder, Supérieur de la Mission Dominicaine de Haute Djézireh, n° 2230/P-3. Beyrouth, le 8 juillet 1943, P. 1.

(دروس بالكردية في مؤسسات التعليم العالي، وتشجيع الدراسات العلمية عن الكرد، ومساعدة مالية للمطبوعات الكردية، إلخ).

هذا التحول في السرايا يندرج في إطار الوضع الخاص للحرب العالمية الثانية والمنافسة في السيطرة على المشرق بين فرنسا وبريطانيا العظمى:

«إن الدعم المعطى في سوريا حتى الآن للحركة الثقافية الكردية الحديثة، جعل، بفعل حركة التناقضات، شعبية فرنسا كبيرة بين كرد تركيا والعراق. ويمكننا، إذن، اعتبار أن كل ما ينحو إلى تنظيم هذا الدعم عملاً دعائياً فرنسياً شديد الأهمية».

فضلاً عن أنّ الظروف السياسة الداخلية في سوريا مؤاتية في أعين السلطات، لأن «القوميين العرب السوريين لا يستطيعون التصدي لها مادياً ومعنوياً»[1].

إلّا أن الدروس لم تغطِ النقص في المعلمين والكتب المدرسية. إلى ذلك فإن الحكومة السورية ردت على مشروع الدومينيكانيين بعزل ممدوح سليم من منصب مفتش التعليم الرسمي «بحجة أنه قام بدعاية كردية». وكان ذلك خسارة كبرى للتحالف الكردي الدومينيكاني. لأن «الإرسالية فقدت بممدوح سليم بك الصديق الصادق المندفع الذي بذل دائماً ما في وسعه لتسهيل شؤون الإرسالية». «من سيكون البديل؟ دمشقي دون ريب!»[2].

ج) المدارس القرآنية. لقد نجحت رابطة خويبون أولاً، ثم العاملين في الحركة الثقافية الكردية في جذب بعض الملالي إلى محيطهم. فصارت بعض

---

(1) *SHAT, 4H 319, Dossier no 3*, Note nº 465. Beyrouth, le 19 janvier 1943, doc. cit., P. 32-33.

(2) *SIULCHORI, Série Djézireh, Dossier no 44.* (Histoire de la Mission dominicaine de Haute Djézireh, 1935-1946», Rapport du P. Rudder à la Congrégation, *doc. cit.*, P. 4.

المدارس القرآنية في الشمال السوري، واقعاً، «مدارس كردية» حيث وجدت الكلاسيكيات الكردية (شعر ملحمي، ومؤلفات صوفية) مكاناً لها. عام 1932 صارت الكردية لغة دارجة في حوالى عشر مدارس من مدارس الملالي في الجزيرة تعد حوالى خمسين طالباً[1]. المواد التعليمية القليلة جداً في حينه، كانت تتألف من بعض الكتب الكردية بالأحرف العربية. وقد أدت المجلات والدفاتر التي أصدرها آل بدرخان في السنوات اللاحقة إلى إكمال المواد التعليمية بالحرف اللاتيني.

د) الخطر الشيوعي . في آذار/ مارس 1940 تقدم كاميران بدرخان بطلب على أمل أن ظروف الحرب الخاصة تسمح للكرد، أخيراً، الحصول على بعض الحقوق اللغوية. وقد كلفت الأجهزة الخاصة، بعد أن صارت الشائعات عن غزو تركي لشمال سوريا ضاغطة، الأخوين بدرخان لتقويم مزاج الكرد في حال نشوب نزاع تركي سوري. وقد ركّز كاميران، في تقريره على «الخطر الشيوعي في كردستان» أكثر من تركيزه على إمكانية نشوب نزاع مسلح مع تركيا[2].

اقترح كاميران لمواجهة هذا الخطر القيام بدعاية مضاعفة بوسائل ملموسة: جريدة يومية بالكردية، وبرامج إذاعية بهذه اللغة، وفتح مدرسة يتلقى فيها «الفتيان الكرد» تعليماً موالياً للحلفاء، مستعيداً، بذلك، الفكرة التي طالما طالب بتحقيقها، فكرة فتح مدرسة داخلية كردية. حجته كانت بسيطة: إن عطف كرد تركيا والعراق على الاتحاد السوفياتي يعود بالكامل إلى تشجيع النشاطات الثقافية الكردية في أرمينيا السوفياتية. في مواجهة هذا

(1) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie*. Rapport manuscrit de Pierre Rondot sur les droits scolaires kurdes à l'intention du Ministre d'Affaires Etrangères de la France, s.l., 1932, P. 2.

(2) TEJEL Jordi, «Die *kommunistische Bedrohung* und Kamuran Bedir Khan», *Kurdische Studien*, Vol. I, n° 2, 2001, P. 123-135.

القطب الجاذب اقترح بدرخان خلق قطب تحرر ثقافي تقوده فرنسا بمساعدة كرد سوريا[1].

رغم العجز عن تأكيد وجود رابط مباشر بين رسالة بدرخان والقرارات التي استخدمتها المفوضية العليا فيما بعد، فإن المؤكد أن الطلبات الثلاثة لكاميران بدرخان تمّ تحقيقها جزئياً. في الخامس من آذار/ مارس 1941 بث راديو الشرق برنامجاً من ثلاثين دقيقة وصل إلى سوريا ولبنان وتركيا والعراق. مذيع هذا البرنامج والأخبار هو كاميران بدرخان بالذات، وبعد شهر صدر عدد جديد في دمشق من مجلة هاوار التي يديرها جلادت بدرخان، بعد توقف لمدة ست سنوات تقريباً. وتم أخيراً ضمّ ضباط كرد إلى جيش الشرق واستؤنفت دروس الكردية المسائية في دمشق وبيروت.

هـ) جهود شخصية. لقد أصرّ المثقفون الكرد في مناسبات عديدة على أهمية الجهد الشخصي في ازدهار اللغة للتغلب على صعوبات نقص المدارس الكردية. كان على كل كردي متعلم (آغا، شيخ، مثقف) أن يمارس دور المعلم مع الآخرين، وذلك حسب القواعد التي أعدها آل بدرخان. ذلك أن الانخراط الشخصي لكل كردي يؤمن نشر الكردية المكتوبة[2].

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 571. «Rapport de Kamuran Bedir Khan à l'intention de M. le Comte Jean de Hautecloque, Délégué du Haut Commissaire en Syrie». Le Conseiller d'Ambassade, Délégué du Haut Commissaire auprés du Gouvernement syrie, à M. Gabriel Puaux, Ambassadeur, Haut Commissaire de la République Française en Syrie et au Liban. Damas, le 14 mars 1940, P. 1-4.

(2) A titre d'exemple, nous avons choisi des articles publiés dans les différentes revues des frères Bedir Khan: «Xwedevan» («Lecteur»), *Stêr*, n° 2, 1944, P. 2; Réponse de Djeladet Bedir Khan à «Kurmandc kme in lê nezan in» («Les Kurdes sont bons mais ignorants»), *Hawar*, n° 7, 1932, P. 143-144; «Merhele», («Etape»), *Roja Nû*, n° 1, P. 1-2.

لقد كانت نتائج كل هذه الجهود في الحقل الثقافي ضئيلة. فمن جهة، حصلت الأوساط القومية الكردية على بعض الصلاحيات، ودوماً بصورة غير رسمية بالكامل، ولم تحصل اللغة الكردية، إطلاقاً، على وضع لغة رسمية في سوريا. كانت تعتبر شأناً خاصاً، وبالتالي، لا حق لها، بدعم رسمي من قِبل الإدارة. إن تردد السلطات المنتدبة في الاعتراف باللغة الكردية ينطلق من ثلاثة مواقف متكاملة.

بداية، ينبغي التذكير بأن الخط الثابت في السياسة الانتدابية في المشرق هو عدم المساس بعلاقات فرنسا مع تركيا، إلّا إذا فرضت ذلك ظروف استثنائية. فعندما قبلت السرايا بانطلاق الحركة الثقافية الكردية عام 1941، كان «الشرط أن يتم ذلك دون إثارة الحساسية التركية»[1]. هذا السلوك استمر طوال عهد الانتداب وبعده أيضاً. فواقعاً، يوم استقر كاميران بدرخان في فرنسا عام 1947، ظلّت حرية عمل هذا المثقف الكردي مرتبطة بالحساسية التركية[2].

والحالة، ذاتها، استمرت بعد توقيع المعاهدة الفرنسية السورية عام 1936. فكانت المفوضية العليا شديدة الحساسية إزاء انتقادات القوميين العرب. فلم تعد على جدول الأعمال، أقله رسمياً، سياسة تشجيع الاستقلال الذاتي المحلي والأقليات الإثنية ولم يكن القوميون العرب، من جهتهم، يرغبون في دعم الحركة الثقافية الكردية والتوسع في تعلم الكردية. فلم تمضِ خمسة أشهر على تسلم ممدوح سليم وظيفة مفتش التعليم الرسمي حتى كتب إلى بيير روندو يقول: إن حكومة دمشق بقدر ما هي غير مبالية بتطور

(1) *SHAT, 4H 386, Dossier no 1.* Note n° 1585/CM du Capitaine Blanchet, Chef su Cabinet Militaire. Beyrouth, le 22 décembre 1941, P. 1.

(2) *CADN, Fonds Ankara, Ambassade*, n° 104. Note de M. Jean Lescuyer, Ambassadeur de France en Turquie à Son Excellence M. Robert Schuman, Ministre des Affaires Etrangères, n° 150/IP. Ankara, le 9 février 1950, P. 1.

الثقافة بصورة عامة، فإنها في هذه المنطقة، أكثر حذراً من أقل نشاط ثقافي لأية طائفة»[1].

أخيراً، فإن ظروف الحرب العالمية الثانية الخاصة قد تركت أحياناً أبواباً مفتوحة أمام المطالب الثقافية الكردية، لكنها أوقفت، أيضاً، بعض المشاريع الخاصة بالكرد. فبين عامي 1939 و1941 اضطر الكرد أن يتعاملوا مع موظفين متبدلين بفعل مجيء جماعة فيشي إلى السرايا، ومغادرتهم لها فيما بعد، ومجيء قوات فرنسا الحرة. وأدت هذه التحولات السياسية إلى تراجع اللغة الكردية في راديو الشرق. ويوم كان الفريق الفرنسي الأكثر تعاطفاً مع المطالب الكردية يسعى لإدخال تغييرات، عام 1943، أحبطت المعارضة البريطانية هذه المشاريع، المتعلقة بنشوء حركة قومية كردية شاملة.

2 ـ الظروف الاجتماعية

التنظيم المدني في الغرب، ارتبط، تاريخياً، بانتشار الثقافة المكتوبة والتربية الجماهيرية والقضاء على الأمية. وكان نشوء المراكز الاجتماعية في المدن أحد التعابير عن العلاقة بين المدنية والثقافة. إلى ذلك فإن تعميم التعليم والتربية الجماهيرية كان نتيجة للمجتمع الصناعي، لأن هذا المجتمع يلزمه تفاعل اجتماعي توسعي وتواصل بعيد المدى. فكلما تطور اقتصاد ومجتمع، كلما ازداد المثقفون، وكلما اتسعت أصولهم. إن مصدر هذه الصلة بين تطور مثقفين ونشوئهم هو التالي: إن التطور الاقتصادي باعتباره من صنع الخبراء والتقنيين يلزمه تكوين عدد متزايد من الكوادر دون الالتفات لأصلهم الاجتماعي. عندما لا يعتبر التطور الاجتماعي هدفاً بل وسيلة للنمو

(1) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie.* Lettre de Memdouh Selim à Peirre Rondot. Hassetché, le 1940, P. 2.

العام، «فإنه يثير منافسة تنعكس على الحياة الثقافية بالذات»[1]. وتوفر المدنية الصناعية، أيضاً، الظروف المؤاتية لتنميط اللغة، وخلق التعابير، وإنشاء الثقافة المكتوبة وقبولها في كافة مناحي الحياة.

لقد كان الكرد تقليدياً، أقلية في المدن التي تسود فيها الطوائف غير المسلمة. ففي عام 1926، في الإحصاء الأول لسكان الاتحاد السوفياتي كانت نسبة الكرد 3.4% من سكان أرمينيا السوفياتية. وفي العراق، بعد الحرب العالمية الثانية كان 25 % فقط من الكرد يسكنون المدن. وفي المدن الصغيرة في الجزيرة العليا، كانت نسبة الذين يعيشون فيها 21 % من مجموع السكان، وكان الكرد يشكلون فقط 6% من الذين يعيشون في هذه المدن.

إلى ذلك، لا يمكننا الحديث، في الجزيرة، عن مدن صناعية كما نتحدث عن مدن غربية. فهي مدن ما قبل صناعية، تمثل أسواقاً كبيرة يأتي إليها الفلاحون لشراء المنتجات الصناعية ويبيعون منتجاتهم الزراعية، ما يشكّل علاقة تبعية متبادلة بين المدينة والريف. لقد جرى الفصل بين المنتجات الصناعية والتجارية وبين المنتجات الزراعية، الأمر الذي يميز تطور المدن الحديثة الغربية، بطريقة بطيئة جداً في كردستان، وفي الشرق الأوسط، بصورة عامة. ويفسر بعض الباحثين هذا الوضع بأنه «بناء مدن بدون تنظيم مدني»[2].

في مرحلة الانتداب لم يكن بإمكان مدن شمال سوريا، إذن، أن تصير مهداً لمراكز ثقافية هامة، ويفسّر نشوء أندية كردية في الجزيرة، تهتم بالثقافة الكردية، بالعمل الشخصي لنشطاء في الحركة الثقافية الكردية مثل جكرخوين وقدري جان، أكثر من تفسيره بما توفره المدن الصغيرة مثل عامودا من ظروف مؤاتية.

---

(1) BODIN Louis, *Les intellectuels, op. cit.*, P. 50.

(2) HASSANPOUR Amir, *Nationalism and Language in Kurdistan, 1918-1985*, San Francisco, Mellen Research Univerdity Press, 1992, P. 440.

نشوء «جمهور قارئ» كردي

لقد عانت الثقافة الكردية، تقليدياً، من نقص في الجمهور القارئ. واقعاً، ظلّ «الجمهور القارئ»، أي طائفة من السكان تستطيع قراءة نص بصورة مستقلة، ضيقاً جداً حتى القرن العشرين. فهو كان منحصراً برجال الدين ووجهاء ملاكي الأراضي. وهكذا فإن أحد أندر المؤلفات ذات القيمة الأدبية في الزمن العثماني، مم وزين لأحمد خاني لم يقرأه إلّا حوالى مئة قارئ[1]. وقد دامت هذه الحالة طويلاً في كردستان إلى أن تم فرض التعليم الإلزامي وبناء المدارس في الأرياف. ففي تركيا، حسب إحصاء عام 1927، لم يكن عدد من يعرف القراءة في المناطق ذات الأكثرية الكردية يتجاوز 3.4 %[2]:

محافظة	غير قادر على القراءة %	يقرأ %	كامل السكان
بيازير	97.4	2.5	194586
بتليس	98.2	1.7	90631
دياربكر	96.5	3.4	194316
هكّاري	98.6	1.3	24980
ماردين	97.8	2.1	183471
سيرّت	96.5	3.4	102433
فان	98.7	1.3	75329

جدول رقم (5) نسبة المتعلمين في شرق تركيا عام (1927)

---

(1) BRUINEESEN Marin van, «Ehmedî Zanî's Mem û Zîn and Its Role in the Emergence of Kurdish National Awareness», in: *Essays on the Orgins of Kurdish Nationalism, op. cit.*, P. 46.

(2) HASSANPOUR Amir, *nationalism and Language in Kurdistan, 1918-1985, op. cit.*, P. 442.

نظراً لأن معظم الكرد اللاجئين المقيمين في الشمال السوري هم من ماردين وسيرت وهكّاري، نستطيع الاستنتاج بأن نسبة الأمية بين السكان متشابهة. وتستمر هذه الحالة بسبب نقص المدارس في المناطق الريفية الكردية. فضلاً عن أن الكرد لا يذهبون إلى المدارس الموجودة في مدن مثل القامشلي والحسكة، لأسباب عديدة.

أولاً، إنشاء المدن في الجزيرة لا يمكنه أن ينسي بأن الظروف التي يعيشها فلاحو الجزيرة العليا لا تزال بائسة[1]، فالملكيات الزراعية الصغيرة نادرة والآغوات يسيطرون على الاستثمارات الزراعية الكبيرة، ويسيطرون اجتماعياً، بفضل ذلك، على القرويين. ولا وجود في المناطق الريفية لمؤسسات عامة مثل المستشفيات، والمدارس. وغالباً ما تعرّض الشمال السوري للأمراض الخاصة بالمناطق المتخلفة مثل الملاريا، والتيفوس والكوليرا. كما أن الأزمة العالمية أصابت سوريا والجزيرة. كان الكرد في لبنان يعملون موسميين وباعة متجولين، أما في دمشق فإن وضعهم الاجتماعي والاقتصادي كان يتغير حسب درجة اندماجهم. وبدا واضحاً نتيجة لهذه الظروف، إن اللغة الكردية لم تكن أولوية، لدى السكان من أصل تركي بين عامي 1920–1930. كان البقاء المادي هو الأساس.

وانطلاقاً من هذه الملاحظات أكد بيير روندو أن رفض الحكومة إدخال اللغة الكردية في برامج المدارس هو سبب آخر لامتناع القرويين الكرد عن الذهاب إليها[2]. وانعكس هذا الامتناع عن الذهاب إلى المدارس الرسمية في دمشق. إننا نعلم من شكوى تقدم بها معلم في المدرسة الرسمية للصبيان في

---

(1) Voir USIF Noureddin, «Perîshanî» («La misère»), *Hawar*, nº 35, 1941, P. 841-852.

(2) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie.* Rapport manuscrit de Pierre Rondot sur les droits scolaires kurdes, *doc. cit.*, P. 2.

دمشق، يحتج على النشاط السياسي لبعض الطلاب الكرد، أن حوالى عشرين تلميذاً كردياً كانوا في هذه المدرسة في بداية سنوات 1940 [1].

إن ضآلة الأوساط المثقفة الكردية ووجود كتلة جماهيرية كردية كبيرة من الأميين، الذين يصعب عليهم استخدام اللاتينية، شكلا عائقاً أمام المشاريع الثقافية التي مثلتها المجلات الكردية. فهذه المجلات تصل بالبريد إلى قراء منفردين أو إلى مؤسسات مثل الجمعية الخيرية الكردية في الجزيرة، لكنها غير موجودة في أمكنة التوزيع التجارية لعدم وجود مشترين. ولم يتحسن الوضع الاقتصادي للمجلات الكردية خلال الحرب العالمية الثانية، ما دفع ناشريها إلى تكرار النداءات لدعمها المالي، وحتى نشر أسماء ومبالغ العطاءات لممارسة الضغط على الواهبين[2].

كما أن العدد المحدود لأوساط المتعلمين بالكردية حد من توسيع وظيفة اللغة. مع أن المجلات التي أصدرها آل بدرخان حاولت طرق مختلف الأنواع الأدبية واللغوية (ترجمة، تعليقات سياسية وعلمية، قصص، وأمثال..) لم يكن في بلدي المشرق مؤسسات عامة لمتابعة عمل آل بدرخان في موضوع اللغة. وواقعاً، كانت الأعمال في علم الكردية (كرديولجي) في المعهد الفرنسي في دمشق موجهة إلى الغربين، وليست لتوسيع تعليم الكردية. أخيراً، نشر الكرد، إلى جانب المجلات، خلال أكثر من عشرين سنة من الانتداب على المشرق، 31 كتاباً بينها كراريس «مكتبة هاوار» مكتوب بعضها بالتركية والزازائية والفرنسية والألمانية.

---

(1) *CADN, Fonds Beyrouth, Cabinet Politique*, n° 572. Le Directeur des Etudes françaises au Lycée officiel des garçons de Damas à M. le Conseiller pour l'Instruction Publique auprès de la République syrienne. Damas, le 30 décembre 1939, P. 1-2.

(2) Voir *Hawar*, n° 43, 1942, P. 996-997.

إن التنميط مرهون باستخدام اللغة في الإعلام الجماهيري، والمدرسة، من قِبل جميع العاملين في الحقل الثقافي. كما أن انخراط الإدارات في التنميط هو أساسي أيضاً من أجل ضمان استخدام اللغة في نطاق أوسع من النطاق الخاص. ولم تتعد جهود آل بدرخان مرحلة وضع المعيار، لعدم حصولهم على دعم سياسي واضح، ولعدم وجود جمهور يذكر من القُراء. وقد أثرت كل العوائق، التي ذكرناها، بقوة، في تطور عملية تنميط الكردية الكرمانجية.

أولاً، ظلّت قواعد اللغة، والألفباء بالحروف اللاتينية محصورة بأقلية من المتعلمين القريبين من الأوساط القومية. وثانياً، كانت اللغة الكردية مقتصرة على وسط خاص، وعلى استخدام شفهي. وأخيراً، ظلّت النشاطات الخاصة بمراحل صياغة اللغة النمطية وتأصيلها، موصدة. ورغم عمل آل بدرخان في إعداد قاموس كردي فرنسي[1]، وكتاب قواعد للتعليم، فإن هذين المشروعين لم يتحققا بسبب عدم إدراج الكردية في المدارس بالذات.

وفي كل حال، جاءت الصعوبات في توسيع معرفة اللغة النمطية، من الأوساط الكردية المتعلمة، أيضاً، والمحدودة جداً لتستطيع تجاوز العقبات القانونية أمام تعليم اللغة الكردية. فالمدارس القرآنية وأساتذة دروس المساء

---

(1) Le dictionnaire, à la réalisation duquel Roger Lescot participe aussi, existe en version dactylographiée. La Bibliothèque de l'Institut Français de Damas (devenu Institut Français du Proche-Oient) possède en effet au moins une copie de ce dictionnaire qui pourtant n'a jamais été imprimé. Pour les détails techniques de ce dictionnaire, voir *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie*, «Note au sujet d'un dictionnaire kurde». Délégation Générale de la France Combattante du Levant. Beyrouth, Le 22 mars 1946, P. 1.

كان في حوزتهم القليل من أدوات التعليم ودفاتر آل بدرخان في بداية ونهاية سنوات 1930 كانت غير كافية[1].

لقد انتقلت إلى الكرد المنفيين إلى أوروبا عام 1970، مهمة إكمال العمل على اللغة الذي بدأه آل بدرخان. كان الكرد، من أصل تركي وسوري، شديدو النشاط في السويد، حيث كانت الظروف السياسية مؤاتية جداً، فأسسوا جمعيات للكتاب الكرد، وخطوا خطوة كبيرة إلى الأمام في عملية التنميط الشاملة للكردية الكرمانجية. لكن القبول بذلك ظل مقتصراً على المجتمع الكردي في المنفى لأن تعليم الكردية ظل ممنوعاً في المدارس الرسمية في تركيا وسوريا.

واقعاً، تمثل سلسلة الإصلاحات التي أقرها البرلمان التركي في 3 آب/ أغسطس 2002، كالسماح بالتعليم الخاص بالكردية، وبث البرامج الإذاعية والتلفزيونية بهذه اللغة، بعض التغيرات الهامة ولا يزال تطبيقها موضع شك حتى الآن[2].

كما أن تنميط اللغة الكردية الكرمانجية لا يزال إلى يومنا هذا عملية غير مكتملة.

3 ـ ولادة علم الكردية الفرنسي

ظل كردستان، حتى أعوام 1930 أرضاً تدرس، خاصة، من بريطانيين

(1) *SAULCHOIR, Série Djézireh, Dossier no 74*. Lettre de Memdouh Selim à Thomas Bois. Déraa, le 18 janvier 1945, P. 3.

(2) Voir AKIN Salih, «Les lois du 3 août 2002 du Parlement turc sur l'autorisation de l'enseignement privé du kurde et des émissions audiovisuelles en kurde», *Etudes Kurdes*, n° 5, 2003, P. 57-62.

وروس. فكردستان، وبلاد ما بين النهرين، وفارس كان يعتبرها البريطانيون، جزءاً تابعاً للهند على صعد ثلاثة: ممرات، وتجارة وجيوستراتيجيا. وعزز الانتداب على العراق اهتمام البريطانيين بالسكان المقيمين في هذا البلد. وفي وقت قصير توالت الأعمال التاريخية، واللغوية، وعلم الأناسة عن الكرد. بالمقابل جاءت صلات فرنسا مع سكان كردستان متأخرة. كان اكتشاف فائدة الكرد في السياسة الانتدابية منذ نهاية 1920، وخاصة، في الجزيرة العليا، قد دفع بالفرنسيين إلى الاهتمام أكثر بهؤلاء السكان المجهولين بصورة واسعة في فرنسا، عن طريق المعهد الفرنسي في دمشق.

سمي المعهد الفرنسي لعلم الآثار والفن الإسلامي عند تأسيسه عام 1922، وأعيدت تسميته بالمعهد الفرنسي في دمشق، عام 1930 [1]. وقد أقيم في قصر العظم وهو يضم قسمين علميين بنوعين من العمل مختلفين. فريقان من الباحثين من أصول واهتمامات وعقليات مختلفة، يتعايشون: من جهة الجامعيون ومن الجهة الأخرى العسكريون أو المنتسبون الجدد بتشجيع من مدير المعهد روبير مونتانيه.

بيد أن الفرق بين بريطانيا وفرنسا، حسب رأي إدوار سعيد، هو «عجز الفرنسيين عن المساواة مع الإنكليز، بنوعية باحثيهم وبمستوى نفوذهم السياسي». فباستثناء لويس ماسينيون، ليس لدى فرنسا أمثال لورنس، ومارك سايكس، وجرترود بل[2]. وكان روبير مونتانيه مدير المعهد يقر بذلك:

---

(1) Pour plus de renseignemens sur l'I.F.D., voir AVEZ Renaud, *L'Institut Français de Damas au Palais azem (1922-1946) à tracers les archives*, Collection Témoignages et Documents n° 1, Institut Français de Damas, Damas, 1993.

(2) SAID Edward W., *L'Orientalisme. L'Orient créé par l'Occident*. Traduit de l'américan par Catherine Malamoud. Préface de Tzvetan Todorov. Postface de =

إنهم (الفرنسيون) يجهلون لغة البلاد، وأكثر من ذلك، موقع دول المشرق في الشرق الحديث، ووجود وقوة الحركة السياسية والثقافية التي تتفاعل في كامل شبه الجزيرة[1].

إن علماء الكردية الفرنسيين المعاصرين الذين دفع بهم المعهد الفرنسي في دمشق، قد نشأوا في ظروف خاصة: ظروف المستشرقين الغربيين بين الحربين. فحتى القرن العشرين تكلم المستشرقون عن الشرق، وترجموا نصوصاً، وشرحوا مدنيات، وأدياناً، وسلالات، كما تحدثوا عن مواضيع جامعية. فمهمة المستشرق في المجتمع كانت وصف الشرق لمواطنيه. يبقى المستشرق، إذن، خارج الشرق، محافظاً على مسافة ثقافية، وزمنية، وجغرافية مع موضوع دراسته. لكن نشوء الاستعمار والحرب العالمية الأولى قصرت، تدريجياً، المسافة بين الشرق والغرب. صار الخبراء الجدد في قضايا الشرق ناشطين يعملون لمصلحة الامبراطورية. فالتلاقي بين المستشرق الكامن (يقينية غير واعية) والمستشرق القائم (يقينية واعية) يعود، حسب إدوار سعيد، إلى هذا التحول. وقد بانت نتائج التلاقي بين النظرية الاستشراقية الكامنة، والتجربة الاستشراقية الظاهرة، بكل عمقها عندما تحضرت بريطانيا العظمى وفرنسا علمياً لتقسيم الامبراطورية العثمانية. هذا التوجه استمر في عهد الانتداب حيث صار الشرق التزاماً إدارياً حقيقياً. وهكذا حين قربت نهاية الانتداب، ظهرت شكوك بتطور كرد المشرق، وبدورهم في «القضية الكردية». رغم نصيحة بيير روندو بالحفاظ على حلفاء ومخبرين: من المفيد أن نكملّ دراسة العالم الكردي لتتوافر لنا إمكانيات، إن لم يكن للفعل، أقله لمعرفة ما

= l'auteur traduite par Claude Wauthier, Paris, Edition du Seuil, 1997, P. 257.

(1) MONTAGNE Robert, «La politique de la Grande-Bretagne dans les *pays arabes*», *Politique Etrangère*, nº 5, 1946, P. 494.

يعمل الآخرون، ولكي نقول كلمتنا إن سنحت الفرصة، ولنلعب، أيضاً، دورنا الصغير»[1]. إن نظرة روندو تلتقي، واقعاً، مع طريقة روبير مونتانيه، أي على علم اجتماع مرتبط بهموم الإدارة، حكومة أناسية (أنتروبولوجست)، أكثر قرباً وأكثر صدقاً مع المجتمعات الأصلية، واهتماماً بفهمهم ومراقبتهم بصورة أفضل، كي نقوم بتقويمهم بصورة أجدى، من الداخل»[2].

في كل حال، ظلّ موقف المعهد الفرنسية في دمشق غامضاً. فقد أراد مونتانيه تطوير الدراسات الميدانية حول المجتمع المعاصر في المشرق من أجل السماح بنشوء دولة «عصرية»، لكنه جاهد لتحرير المكتب الفرنسي في دمشق من سلطة المفوضية العليا، وجعله تحت إشراف سلطة ثقافية وجامعية من نوع بيير روندو وروجيه لسكوت.

بيير روندو وروجيه لسكوت وتوماس بوا

وُلِد بيير روندو عام 1904 ودخل مدرسة سان سير العسكرية عام 1922، والتحق بالفرقة الأجنبية عام 1926. وتم ضمه عام 1928 إلى أجهزة مخابرات المفوضية العليا، وعين في قسم دراسات المشرق في بيروت، حيث كلف بالصلات مع البطاركة. والتقى روبير مونتانيه عام 1929، المهتم بتنسيب مساعدين مهمتين بالدراسات المعاصرة، فتوجه وجهة دراسة الكرد. والتقى في إطار عمله البحثي، جلادت وكاميران بدرخان. بعد بضعة أشهر «كلفه»

---

(1) *FONDS RONDOT, Dossier articles*, «Les Kurdes II», document élaboré pour le CHEAM, 2 mai 1938, P. 16.

(2) POUILLON François & RIVET Daniel, «Présentation», in: *La sociologie musulmane de Robert Montagne*, Paris, Maisonneuve & Larose, 2000, P. 11.

بيير تربي بآل بدرخان، فصاروا، بعد مدة، «أصدق الأصحاب»[1]. تعلم الكردية وأجرى تحقيقات حول حياة كرد سوريا[2].

وقد عمل روندو مع آل بدرخان، وبصورة غير رسمية، في التصحيح والإشراف على مجلة هاوار، خاصة في القسم الفرنسي[3]. لكن المراسلات بين الأخوين بدرخان وروندو تدلنا على مسألة أخرى من عمل روندو في حقل الكردية. لقد صحح روندو الأعمال الأولية لجلادت بدرخان على الألفباء الكردية بالأحرف اللاتينية، المخصصة للتدريس بالكردية للضباط والفرنسيين. وكما عمل توفيق وهبي بالتعاون مع س.ج.أدموندز على مشروع لتنئة الكردية السورانية في العراق، تبادل جلادت بدرخان وروندو وجهتا نظرهما حول الضوابط الضرورية لإنجاز هذا الهدف بصورة جيدة. هذه

---

(1) RONDOT Pierre, «Syrie 1929, itinéraire d'un officier», in: *Damas. Miroir brisé d'un Orient arabe*, Anne-Marie Bianquis (dir.), avec la collaboration d'Elizabeth Picard, Paris, Editions Autrement, 1993, P. 98-99.

(2) Parmi les nombreux travaux de Pierre Rondot sur les Kurdes, nous pouvons citer: «Trois essais de latinisation de l'alphabet kurde: Iraq, Syrie, URSS», *Bulletin d'Etudes Orientales*, t. V, 1935; «Les tribus montagnardes de l'Asie antérieure. Quelques aspects sociaux des populations kurdes et assyriennes», *Bulletin d'Etudes Orientales,* t. VI, 1937; «Les Kurdes de Syrie», *France Méditerranéenne et Africaine*, fascicule I, 1939; «Les Kurdes et l'action de l'URSS en Orient», *CHEAM*, fascicule I, 1940; «Les revendications nationales kurdes», *En Terre d'Islam*, 2ème semestre, 1946; L a nation kurde en face des mouvements arabes "*Revue d'Orient*, n° 7:1958, «Vêture masculine et artisanat du vêtement chez les Kurdes de la Haute Djézireh syrienne», *Bulletin d'Etudes Orientales*, t. XXV, 1972.

(3) Voir la correspondance entre Pierre Rondot et les frères Bedir Khan publiée par *Etudes Kurdes* notamment dans le n° 3, 2001, P. 80 et n° 4, 2002, P. 84-85, 89-90.

الفرضية أكدها روندو في مقالة عام 1935: ثلاث محاولات للتتنة الألفباء الكردية: العراق، سوريا، الاتحاد السوفياتي. ففي هذا المقال يعرض الضابط الفرنسي «شروط صياغة ألفباء لاتينية» صارت، واقعاً، في الشروط التي احترمها الأخوان بدرخان في صياغة الألفباء الكردية بالأحرف اللاتينية(1).

وعمل روندو على وضع كتاب قواعد لغة كردية لتسهيل تعليم الكردية للمستشرقين والعسكريين الفرنسيين. وأضاف روندو لدعم مشروع آل بدرخان مساعدة اقتصادية منتظمة، وتدخل شخصياً لمساعدة شخصيات قريبة من آل بدرخان(2).

وُلِد روجيه لسكوت عام 1914، مجاز بالآداب، ثم نال شهادة بالآداب العربية والشرقية عام 1935. ونال شهادة باللغة التركية وباللغة الفارسية. كلف منذ عام 1935 بمهمة في المعهد الفرنسي في دمشق حيث صار مقيماً متفرغاً من عام 1938 إلى عام 1944. دعي إلى الجندية عام 1939 و1940، والتحق في حزيران/ يونيو 1942 بقوات فرنسا الحرة.

بدأ عام 1935 دراسة الكردية متبعاً الطريق التي شقها روندو، وقرر آنذاك كتابة أطروحة عن الكرد. وذهب مرتين عند يزيديي الشمال السوري عام 1936، وأعد، في الحقبة نفسها، تحقيقاً حول شيعة لبنان الجنوبي. ولسكوت هو مؤلف كتاب قواعد باللغة الكردية صدر في مجموعة المعهد العالي العربي

---

(1) RONDOT Pierre, «Trois essais de latinisation de l'alphabet kurde: Iraq, Syrie, URSS», *Bulletin d'Etudes Orientales*, t. V, 1935, P. 29.

(2) Concernant les demandes d'aide financière voir la correspondance publiée dans *Etudes Kurdes*, n° 3, 2001, P. 89-90, 89; *Etudes*, n° 5, 2003, P. 66-67.
Concernant certaines demandes en faveur d'autres Kurdes de Syrie, voir la correspondance publiée dans Etudes Kurds, n° 3, 2001, P.84.

في دمشق وأعيد نشره في باريس عام 1991 [1]. واشترك مع كرمان بدرخان في إعداد قاموس كردي فرنسي لم ينشر حتى الآن[2].

إلّا أن تعاون لسكوت مع آل بدرخان تجاوز الحقل الثقافي الخاص. فقد أعد في كانون الثاني/ يناير 1940 تقريراً بعنوان: أساس محتمل لسياسة كردية، يقترح فيه مزيداً من الدعم للحركة الثقافية الكردية لشل الدعاية التي يقوم بها السوفياتيون، بصورة عامة في كردستان. فالحقوق الثقافية المعطاة لكرد أرمينيا السوفياتية قادرة، حسب لسكوت، على كسب عطف كرد المشرق، المنخرطين منذ عام 1932 في نشاطات ثقافية. واقترح لسكوت، حينئذ، إعادة إعطاء الدروس التي كانت تعطيها الأندية، كما كان الوضع في الجزيرة ودمشق قبل الحرب، وتشجيع إصدار الكتب المدرسية، وإصدار جريدة، ومجلة إن أمكن[3]. وكما رأينا، وجه كاميران بدرخان، بعد ثلاثة أشهر، طلباً للمفوضية العليا بدعم فرنسا للحركة الثقافية الكردية في المشرق مستخدماً البراهين نفسها. ولا يمكن إلّا أن نرى في المسعيين المتوازيين ستراتيجية مشتركة للدفع بالنشاطات الثقافية الكردية.

من الأكيد أن تقرير لسكوت الذي يقترح مساعدات للكرد هو لمراقبتهم بصورة أفضل. فروجيه لسكوت، شأنه شأن روبير مونتانيه، هو عالم وخادم

---

(1) LESCOT Roger, *Textes kurdes,* Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Vol.1 (1940), Vol II (1942). LESCOT Roger, *Enquête sur les Yézidiz de Syrie et du Djebel Sindjar*, Beyrouth, Librairie du Liban, 1975; LESCOT Roger et BEDIR KHAN Djeladet, *Grammaire kurdes*, Paris Librairie d'Amérique et d'Orient, 1991.

(2) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie.* «Note au sujet d'un dictionnaire kurde». Délégation Générale de la France Combattante au Levant, Beyrouth, le 22 mars 1946, P. 1.

(3) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie.* «Bases éventuelles d'une politique kurde», document élaboré par Roger Lescot en janvier 1940, P. 2.

أمين للانتداب على حد سواء. هذا لم يحل دون تلقي المثقفين الكرد جواباً إيجابياً على طلبهم. فضلاً عن ذلك فإن «الخبير بالشؤون الكردية البصير» الذي عليه التسلل إلى الأوساط الكردية هو روجيه لسكوت بالذات[1]. وقد أتاحت، هذه المرحلة الجديدة لروجيه لسكوت المشاركة بصورة نشطة في الحركة الثقافية الكردية: فنشر العديد من المقالات بالفرنسية في مجلات هاوار، ورووناهي ورووژانو باسمه أو باسم مستعار «طاووس بارز» (حامي الملاك طاووس)، راجعاً إلى لغة اليزيديين، وإلى روبير سوريي (Surieu). ونشر فيها ترجماته لأقاصيص وأساطير، منها «مامي الآن» الملحمة التي استمدّ منها أحمد خاني «مم أوزين».

في عام 1944 انضم لسكوت إلى وزارة الخارجية. ثم صار أستاذاً في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية بين 1945 و1946. وأنهى عمله الدبلوماسي بصفته وزيراً مفوضاً فوق العادة من الدرجة الأولى.

الأب توماس بوا، وُلِد عام 1900، والتحق بالجيل الجديد من الاختصاصيين بالكرد في فرنسا في فترة ما بين الحربين. وقد قبل بوا في رهبانية الأخوة الوعاظ للقديس دومينيك عام 1919، ورسم كاهناً عام 1925. وبعد سنتين وصل إلى الموصل حيث عُيِّن رئيساً لدير مار يعقوب، وهو أحد مركزين للآباء الدومينيكانيين في الموصل. دعي توماس بوا عام 1936 لتنشيط الإرسالية الدومينيكانية في الجزيرة العليا التي يرأسها الأب فرنسوا درابيي (Drapier). وقد كلف المرسلون الدومينيكانيون توماس القيام بدراسات حول

(1) *FONDS RONDOT, Dossier Kurdes de Syrie.* Note nº 98/SS/VI pour M. le Délégué du Haut Commissaire. Services Spéciaux. Mohafazat Damas, Hauran. Damas, le 10 janvier 1941, P. 1-2.

النسطوريين والكرد، من أجل أن يؤسس، فيما بعد، إرسالية عندهم[1]، فاتصل ببيير روندو وروجيه لسكوت وصار مثل هذا الأخير صديقاً للكرد، ومن أنصار بقاء الانتداب الفرنسي في المشرق. وغادر الجزيرة عام 1940، حيث كان قد تعاون، بعض الوقت، مع ممدوح سليم. وعندما أصبح أستاذاً للفلسفة عند أخوة المدارس المسيحية في طرابلس، لم يقطع الصلة مع الأوساط الكردية وكتب مقالات في روزانو[2] وقد تعزز هذا التعاون قبل فترة قصيرة من توقف المجلة، بعد وصول توماس بوا إلى بيروت وتعيينه مرشداً روحياً في الكرمل سان جوزف كان يقيم علاقات منتظمة مع كاميران بدرخان. وباشر هذا الأخير يملي عليه مذكراته[3]. وقد وفّر المثقف الكردي لتوماس بوا وثائق سمحت له، باسم لوسيان «رامبو» (Ramboo) المستعار أن ينشر عام 1947 كتابه: الكرد والحق، وهو المؤلف الدومينيكاني الأكثر انخراطاً سياسياً في مصلحة الكرد. ومن ذلك التاريخ كتب بوا عدداً كبيراً من الكتب عن كل العلوم الكردية، لغة، وديناً، وفولكلوراً، وتاريخاً وعلم اجتماع[4]. وشارك مع

---

(1) *SAULCHOIR, Série Djézireh, Dossier no 44.* «Les Kurdes». Correspondance de P. Drapier au P. Tunmer, 16 novembre 1938, P. 1.

(2) Voir les aricles «Cigerxwîn, poète Kurde» (n° 53, 1945); «Le djebel Sindjar au début du XIXe siècel» (n° 56, 1954); «La citadelle de Khurs» (n° 60, 1945).

(3) BLAU Joyce, «Mémoires de l'émir Kamuran Bedir Jhan», *Etudes Kurdes*, n° 1, 2000, P. 71-90.

(4) Pour plus de détails sur la vie de Thomas Bois et sur la liste complète de ses nombreux ouvrages sur les Kurdes, voir BLAU Joyce, «Vie et oeuvre de Thomas Bois», *The Journal of Kurdish Studies*, vol. I, 1995, P. 85-96. Parmi ses ouvrages nous pouvons souligner «L'âme des Kurdes à la lumière de leur folklore», *Cahiers de l'Est*, no et 6, 1946; *Les Kurdes et le droit*, Paris, Editions du Cerf, 1947; *Connaissance des Kurdes*, Beyrouth, Khayats, 1965; «Kurdes et Kurdistan», *Encyclopédie de l'Islam*, t.V, Paris, 1986 (oeuvre posthume).

كاميران بدرخان وروجيه لسكوت في وضع قاموس كردي فرنسي.

إن الكرديولوجيين الفرنسيين الثلاثة، رغم مسيراتهم المختلفة امتلكوا مميزات تقربهم من بعضهم. أولاً، تم اتصالهم بالكرد لعدم وجود دراسات عن العالم الكردي. وثانياً، تجاوز روندو ولسكوت وبوا نطاق مهمتهم (العلمية والعسكرية، والدينية) وقدموا مساعدة ثمينة لمفكري الحركة القومية الكردية الأخوين بدرخان. ويعترف بيير روندو في يومياته الخاصة بقوله: لعبت لعبتهم، وحافظت على سرهم، وكنت شريكهم. إن شهادتهم هي اليوم عرفاناً بجميلي[5]. الثلاثة حافظوا على علاقات صداقة مع الزعماء الكرد بعد نهاية الانتداب الفرنسي في المشرق عام 1946، ما يعطي طابعاً صادقاً، سياسياً على الأقل، لدعمهم بعد الانتداب[6].

الارتباط الكردي الفرنسي

إن استشراق ما بين الحربين تأثر بالتيارات المنهجية للعلوم الإنسانية مثل البحث عن «شخصية نمطية» وهو بالتالي، عملية تحليلية، وطريقة لاعتبار الأشياء المعتادة من زاوية جديدة. وعليه ابتدع المستشرقون مفاهيم مثل «الشخصية الشرقية»، و«الشخصية الغربية»، أو «الشخصية الكردية». وكان يتم البحث عن اللون المحلي، والروح الخاصة بكل شعب من أجل فهمه بصورة أفضل. ومن أجل إنجاز ذلك شجع المعهد الفرنسي في دمشق نشر دراسات أحادية الموضوع.

---

(5) BLAU Joyce, «Pierre Rondot (2 juin 1904-6 avril 2000)», *Etudes Kurdes*, n° 2, 2000, P. 101.

(6) *SAULCHOIR, Série Djézireh, Dossier no 74.* Letter de Kamuran Bedir Khan à Thomas Bois, Paris, le 14 janvier 1967 et texte de l'Appel signé par différentes personnalités françaises.

وتم، بين المواضيع الشرقية، تفضيل مواضيع الأقليات في العالم الإسلامي (مسيحيون، يهود، شيع إسلامية) مؤدين بذلك إلى نوع من «تهميش الإسلام في أرضه الخاصة»[1]. اهتم بيير روندو بالكرد، وأيضاً، باللاجئين المسيحيين إلى الجزيرة. ودرس روجيه لسكوت، بخاصة، الكرد اليزيديين، الأقلية بين الأكثرية الكردية المسلمة السنية. وأخيراً، حين كتب توماس بوا عن دين الكرد، كرس جزءاً مهماً في مقالاته للأقليات الدينية، مثل اليزيدية وأهل الحق.

لقد التقى علماء الكردية الفرنسيون زملاءً، ومخبرين، وحلفاءً، أي شركاء مستعدين للتعاون معهم. وكان هذا التعاون يرتكز في البداية، إلى مبدأين. من جهة، «التواصل الفرنسي»، يمكن فقط بين متشابهين. إن سعي علماء الكردية الفرنسيين إلى علاقات صداقة مع النخب الكردية، المعتبرة أوساطاً «متطورة»، الأكثر تعلماً أمكن أن تُقام معهم علاقات مديدة ومفيدة للجميع. ونظراً لأن النخب الكردية والمستشرقين الفرنسيين كانوا يؤمنون معاً بالعمل التمديني للغرب، وبالخطاب الاستشراقي نفسه الذي يؤكد، بالأساس، تفوق الغرب على الشرق، بدا الاتصال بين الفريقين في بناء الهوية القومية الكردية أكثر سهولة للفهم.

من جهة ثانية، أعتقد آل بدرخان كما علماء الكردية الفرنسيون، أن خلاص الشعب الكردي السياسي والمعنوي والمادي لا يمكن أن يأتي إلّا من الغربيين. وفي حين كانت الأندية الكردية، مع اقتراب نهاية الامبراطورية،

---

(1) DJAÏ Hichem, «Dimensions de l'orientalisme islamisant», in: *Le mal de voir*, Pierre Bourdieu & Maxime Rodinson & Olivier Carré (dir.), Paris, Union Générale d'Editions, 1976, P. 261

تأمل الحصول على دعم بريطانيا العظمى لقيام كردستان مستقل ذاتياً، كان المثقفون الكرد المنفيون في المشرق يأملون في دعم دولة غربية كبرى، فرنسا أو بريطانيا العظمى عندما يسمح الوضع الدولي بذلك.

من حينه أصبح زعماء الحركة القومية الكردية على استعداد للتعاون مع المستشرقين الفرنسيين من أجل خلق تيار تعاطف مع الكرد في أوساط كبار رجال الدبلوماسية الفرنسية، وفي أوساط الرأي العام الفرنسي أيضاً. وقد نشرت بعض دور النشر في فرنسا مؤلفات عن الشعر والفولكلور الكرديين باللغة الفرنسية. وفي الوقت الذي نشر فيه كاميران بدرخان الأمثال الكردية، تمكن لسكوت من نشر مجلدين من الأمثال والقصص والأحاجي الكردية. وألف عسكري محترف آخر، أندريه برونيل (Brunel) كتاب كوليزار، وأقاصيص وأساطير كردستان. أما توماس بوا فقد أراد من جهته، أن يبرهن روح الكرد من خلال فولكلورهم[1]. وكتب بيير روندو العديد من المقالات في مجلات الاستشراق أو السياسة الخارجية الفرنسية حيث أظهر فيها التعاطف مع الكرد.

ثمرة الاتصال الكردي الفرنسي

لم تكن معالم الهوية الكردية قد رسمت جيداً حتى تفتت الامبراطورية العثمانية. ولم يكن بناء الهوية الكردية في مواجهة التركية ممكناً إلّا منذ

(1) PAUL-MARGUERITE Lucie & BEDIR KHAN Kamuran,. *Proverbes kurdes.* Précédés d'une étude sur la poésie kurde, Paris, Editions Berger-Levrault, 1937; LESCOT Roger, *Textes kurdes*, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, vol. I (1940) et vol II (1942); BRUNEL André, *Gulusar. Contes et légendes du Kurdistan*, Paris, SFELT, 1946; BOIS Thomas, «L'âme des Kurdes à la lumière de leur folklore», *Cahiers de l'Est*, nº 5-6, Beyrouth, 1946.

تأسيس الجمهورية الكمالية، وبعد القمع الدامي لانتفاضة الشيخ سعيد، بصورة خاصة. وقد أسهمت خويبون بكراريسها المخصصة للدعاية بتأكيد الفرق بين الكردية وعدوتها الأبدية التركية «البربرية». لكن خويبون لم تحدد الهوية الكردية. فالكرد هم «ضحايا» القمع التركي لكن بمعزل عن الصورة التي تحاول إثارة التعاطف، فلم تكن الكردية بذاتها، ذات معنى.

في المقابل، فإن التعاون بين أوائل علماء الكردية الفرنسيين الحديثين وبين المثقفين الكرد أدى إلى نتيجة كبرى هي الإضفاء المتعاظم للإثنية على الهوية الكردية. واقعاً شجع الاتصال بين المثقفين الكرد والمشترقين الفرنسيين الأول على القيام بعلم البحث عن الفولكلور الكردي (قصص، أساطير، أغان، تقاليد) لتبيان خصوصية الهوية الكردية أو «روح الكرد».

فالأمر إذن، يقع على عاتق الحركة الثقافية الكردية التي يقودها آل بدرخان ليردموا هذه «الهوة» بتحديد «الشخصية الكردية» في مواجهة «الشخصية التركية»، وأيضاً، «الشخصية العربية»، وأمكن لتحليل جون هوتشنسون (Hotchnson)[1] حول القومية الثقافية الكردية أن يكون مفيداً لفهم أفضل للعمل الذي قام به آل بدرخان منذ سنوات 1930. ورأى هوتشنسون، خلافاً لأرنست جلّنر (Gellner) وهانس كوهن (Kohn)، أن القومية الثقافية لعبت دوراً أكثر إيجابية في عملية التحديث، لأنها لا تدافع عن رؤية بدائية للجماعة بل عن رؤية تطويرية. فالعودة إلى الفولكلور ليست عودة إلى البساطة الريفية المعزولة كما يدعي جلنر وكوهن، بل العكس هو الصحيح. كان، وراء

---

(1) HUTCHINSON John, «Cultural Nationalism and Moral Regeneration», in: *Nationalism*, John Hutchinson & A.D. Smith (dir.), Oxford & New York University Press, 1994, P. 127-129.

استحضار التقاليد، رؤية ديناميكية للأمة كحضارة سامية، ذات موقع خاص في تطور البشرية. فالعودة إلى الفولكلور هي، إذن، محاولة لإيجاد التوازن للتوتر بين الطموح إلى الحداثة والبقاء في الحال ذاتها[1].

إن عملية فولكلورية الثقافة المسمّاة قومية في أوروبا وفرت وقائع للنخب الشرقية ومثالاً يحتذى. فكلما احتاج البناء القومي، في تطوره، العودة إلى الرموز، كلما كانت العادات الفلاحية عديدة. وكلما كانت «الريفية» «معاشة» فعلاً، نصبح في مواجهة «ريفية» مفكرة، تنمو في فضاء مديني بفعل رجال سياسة، ومؤرخين، وفولكلوريين، وعلماء لغة، إلخ... رغم أننا نواجه مفارقة. كون الأمة في أوروبا الغربية تتمظهر بالحداثة الليبيرالية، والسياسية، والاقتصادية، فإن شرعيتها تستند إلى قدم موغل في التاريخ، وإرادة مطلقة. ويُستخدم الفلاحون، في هذه الحالة، لتأكيد أن الأمة ثابتة رغم كل المتغيّرات التي يمكن ملاحظتها[2].

تفسر التقاليد العلمية للاستشراق الأوروبي، المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستعمار، هذا الاهتمام بالفولكلور، وبالألوان المحلية، أو بخصوصية الجماعات الأقلوية أو غير النمطية. فقد وفرت تحقيقات روجيه لسكوت لناشري هاوار وروزانو مواد هامة في علم الأعراق، قصصاً وأمثالاً، توفر للمثقفين الكرد «بطاقة تعريف بالشعب الكردي للرأي العام الغربي»[3].

بهذه الطريقة صار في مقدور الشعب الكردي أن يندرج في العالمية

---

(1) BEDIR KHAN Djeladet, «Notices sur la littérature, moeurs et coutumes kurdes», *Hawar*, n° 1, 1932, P. 32-33.

(2) THIESSE Anne-Marie, *La création des identités nationales. Europe XVIIe-XXE siècle*, Paris, Seuil, 1999, P. 161-162.

(3) BEDIR KHAN Sureya, *La littérature populaire et classique kurde,* Bruxelles, Imprimerie Médicale et Scientifique, 1936.

لأنه، بعملية إسقاط، يتمكن من اكتشاف ذاته، بفضل غنى فولكلوره، مساوياً للأوروبيين. إن نشر مجموعات الفولكلور الكردي في نهاية القرن التاسع عشر، مضافاً إلى أعمال علماء الكردية الأوروبيين في مطلع القرن العشرين، عوض نقص ثقافات كردية رفيعة، كما عوض عن التخلي عن الثقافة العالمية (التركية، والعربية، والفارسية). وبعيداً عن الفولكلور أسس المثقفون الكرد شعراً، تميّز رغم ارتباطه بالتقليد، بصورة كبيرة عن الشعر الشعبي. فقد اختاروا أساليب ومواضيع التيارات الأدبية في عصرهم[1]. بهذا المعنى يمكننا متابعة قول أرنست جلنر:

> قامت القومية بفتحها باسم ثقافة شعبية وهمية. واختارت رموزها في القوة، والنقاء، من الحياة التي يعيشها الفلاحون، الشعب [...] وعندما ازدهرت القومية ألغت الثقافة الأجنبية، لكنها لم تستبدلها بالثقافة القديمة الأدنى، بل أحيت أو ابتدعت ثقافة عالية محلية هي ملكها الخاص (زودت بالأحرف وتم نقلها من خلال اختصاصيين)، حتى مع التسليم بأنها «ثقافة ذات علاقة مع أنواع من اللهجات الريفية المحلية الموجودة قبلها[2].

المهم هو أن الخطاب عن الهوية الكردية قد حصل على شرعيته وانتشر من قِبل علماء الكردية أولاً، ثم من الباحثين والصحفيين والعاطفين على القضية الكردية. وهكذا استعان توماس بوا بالمؤلفين الإنكليز الذين عملوا قريباً من الكرد لتغيير القالب السلبي الموجود في المخيلة الغربية عن «الشخص الكردي».

(1) Kamuran Bedir Khan et Kadri Djan écrivent, par exemple, des poèmes en vers libres.

(2) GELLNER Ernest, *Nations et nationalisme, op. cit.*, P. 88-89.

إذا ما ظهر البعض قساة إلى حد اعتبار الكردي شخصاً ناقصاً.
فإن هناك من هم أكثر عدداً، ولا يقلون موضوعية، يسعدون بالاعتراف بصفاتهم. وأن بعض من اقترب منهم مثل سوان (Soane)[1] وهيّ[2] (Hay) وهاملتون[3] (Hamilton) مثلًا، ويمكننا الاسترسال باللائحة، ما كانوا يخافون القول بأنهم يعتبرونهم متقدمين على جيرانهم العرب، والترك، والفرس، ويتنبأون لهم بمستقبل جميل[4].

وفي الاتجاه نفسه، يوم كانت المجلات الدورية الكردية في الزمن العثماني تشكو من تأخر الكرد، وتشكو بنوع خاص من وضع المرأة الكردية، ادعت الصحف التي كان ينشرها آل بدرخان بأن المرأة الكردية أكثر تحرراً من مثيلاتها في الشرق الأوسط... وقد ساند علماء الكردية الفرنسيين هذا الخطاب الهادف إلى أن يظهر للجمهور الغربي الشعب الكردي كشعب «متحضّر». فيؤكد توماس بوا بأن «المرأة عند الكرد متحررة أكثر بكثير مما هي عليه عند الشعوب الإسلامية الأخرى[5]. وقد استخدم المثقفون هذا الخطاب، الإستشراقي، الذي لا يطبع الثقافة الشعبية الكردية بطابع التخلف، بل يعتبرها كنزاً ينبغي الحفاظ عليه لاستخدامه في إصداراتهم من أجل كسب

---

(1) SOANE E.B., *To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise*, Londres, Murray, 1926.

(2) HAY w.r., *Two years in Kurdistan; experiences of a political officer, 1918-1920*, Londres, Sidgwick & Jackson Ltd., 1921.

(3) HAMILTON A.M., *Ma route à travers le Kurdistan irakien. Récit d'un ingénieur néo-zélandais en Irak*. Traduit de l'anglais par Thomas Bois. Paris, L'Harmattan, 1994, P. 237-238.

(4) BOIS Thomas, «la vie sociale des Kurdes», *Al-Machriq*, juillet/octobre, 1962, P. 639.

(5) BOIS Thomas, *Connaissance des Kurdes, op. cit.*, P. 43 et 52.

عطف القُراء الغربيين[1]. وهو كان جزءاً مكوناً من الخطاب القومي الكردي. إن الصيغ المتبادلة بين العاملين على تحديد الكردية، هي، إذن، متعددة. فالكردية هي موضوع بناء متعدد يقوم به المثقفون الكرد في مواجهة التريك، ويقوم به أيضاً علماء الكردية والمستشرقين.

واقعاً، في وسعنا الكلام عن نظرية توافق شبه عائلي بين الكردية والمثقفين الكرد، لدرجة يصبح من الصعب معرفة من كان في أصل خطاب الهوية الذي يحاول تشريع طموح القوميين الكرد إلى إنشاء دولة أمة منذ عام 1919، تحتل موقعاً مساوياً في قلب المجتمع الدولي.

(1) Voir «Les Kurdes et leur pays», *Roja Nû*, n° 56, 1945, P. 1, et n° 58, 1945, P. 1-4.

الخلاصة

أطلق انهيار الامبراطورية العثمانية، كما رأينا على امتداد هذا الكتاب، عملية ظهور هويات قومية تقوم على اللغة أو الإثنية؛ ولعبت النخب الغربية دوراً أساساً في هذا التطور. كان الطموح إلى التغرب والتمدن (بمفهوم أرنست جلنر)، أي «بتقسيم العمل المتشعب»، لا يمكن أن يُلبى إلّا بخلق دولة ـ أمة الوسيلة الوحيدة للدخول في التاريخ. من حينه تحولت النخب المتغربة إلى النطق باسم مجتمعات متخيلة أكثر مما هي حقيقية. وبتحول النخب إلى «محترفين سياسيين» يملكون الأدوات الثقافية الضرورية وحدهم، باشروا في صياغة الإشارات، والشعارات، والرموز التي يعتقد أنها تمتلك مميزات الجماعة القومية. إن هذه المهمة الواسعة التأثير، الطويلة والجماعية في أوروبا، تمت في الشرق الأوسط في مرجلة زمنية قصيرة جداً، يعود جزء من مصيرها إلى تسارع الأحداث التاريخية التي نتجت من انهيار الامبراطورية العثمانية. وهي أيضاً، من صنع حلقة اجتماعية ضيقة جداً.

والمفارقة، إن التخطيط لذلك هو، كما حصل في أوروبا، قومي وعابر للقومية. هذا لا يعني وجود تشاور مسبق وتقسيم عمل، بيد أن كل جماعة قومية تبدو شديدة الانتباه لما تقوم به مثيلاتها ومنافساتها. والحال، إن نتيجة البناء الجماعي للهويات القومية ليست نموذجاً، بل هي بالأكثر سلسلة ميول في الروح القومية، ومجموعة من العمليات الضرورية لصياغتها.

وفي الوقت الذي نجحت فيه معظم الشعوب التي كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية في الحصول على دولها الخاصة، وجد القوميون الكرد أن الأرض التي كانت في صلب مشروعهم لإقامة دولة، قد صارت مضمومة لثلاث دول جديدة، هي كلها دول قومية: العراق، سوريا، تركيا. إن العمل على قومية الهوية الإثنية الكردية، تمت، إذن، في وضع سياسي واجتماعي غير مؤاتٍ بالإطلاق. وهذا حقيقي، خاصة، بالنسبة للقوميين الكرد في تركيا، لأن برنامجهم السياسي اصطدم بمشروع البناء القومي الدمجي للنخب الكمالية، الرامي إلى خلط هويات الأقليات بهوية الدولة المحددة بالهوية التركية.

لقد شرّعت النخبة الكمالية التمدين القسري للبلاد، حتى مع استخدام وسائل قوية بما في ذلك العنف الجسدي، باسم قضية كبرى: الوصول إلى الحضارة الغربية. فأنصار الحضارة، كما كانت معتبرة في أوساط القيادة التركية، يفسحون في المجال لاستثنائيات هامشية. فضلاً عن ذلك فقد اعتبرت كل إشارات الكردية (اللغة، والتنظيم الاجتماعي، والأسواق الاقتصادية البعيدة عن المركز، إلخ) ليس فقط ظاهرة تخلف بل ضارة، وتهدد، بالتالي، مشروع البناء الوطني للنخب الكمالية. من حينه منع كل عمل ثقافي كردي، وأجبرت النخب الكردية إما على الخلود إلى الصمت، أو النفي الذاتي لمتابعة مهمة إضفاء الطابع القومي على الهوية الكردية. وقد خلقت الأساليب الكمالية الجائرة، إضافة إلى أقلية مجتمعية في داخل البلاد (الجماعة الكردية)، نواة من المنفيين الكرد تنظمت لاحقاً حول قطب سياسي نجح، في بعض الحالات، في تحدي شرعية الدولة التركية باعتبارها المرجع الوحيد.

ووفّر الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان الشروط الاجتماعية السياسية المثالية لتمكين القوميين الكرد القادمين من تركيا من متابعة نشاطاتهم السياسية والثقافية التي كانت نتيجتها الأبرز توطيد النظرية القومية الكردية

باللهجة الكرمانجية. ولم تكن الحماية التي وفرتها السلطات الفرنسية للمثقفين الكرد خالية، بالطبع، من بعض المصالح السياسية والاقتصادية. فـ«السياسة الكردية» التي انتهجتها المفوضية العليا ولدت بفعل توافر عوامل عديدة. فمن جهة، هدفت إلى إرضاء السكان الكرد في الشمال السوري الذين صاروا مفيدين لمشاريع إعمار الجزيرة العليا، وصار العامل الكردي، وزعماء القبائل، على الأخص، بيادق هامة في اللعبة السياسية التي تلعبها فرنسا في إطار المفاوضات حول ترسيم الحدود التركية السورية.

وأخيراً جرى اعتبار استقبال سوريا لألوف من اللاجئين الكرد والمسيحيين، كعامل يمكن أن يعدل في وزن مختلف الإثنيات في البلاد على حساب الأكثرية العربية السنية التي تتحدى نخبها السلطة المنتدبة. من جانب آخر، يسمح العون، المعطى للمثقفين الكرد، للفرنسيين برقابة وتوجيه نشاطات القوميين الكرد إلى هذا الحد أو ذاك. وكانت سلطات الانتداب تعتقد أن الدعاية القومية الكردية الموجهة إلى اللاجئين الكرد وإلى كرد تركيا، على حد سواء، يمكن أن تكون مفيدة في حال حصول نزاع دبلوماسي مع حكومة أنقرة، كوسيلة لتأمين نوع من وضع اليد على مصير الشرق الأوسط، في الحرب العالمية الثانية على الأخص.

رغم ذلك، عرفت العلاقات بين القوميين الكرد والسلطات المنتدبة حالات صعود وحالات هبوط، حسب تقلبات السياسة الدولية، والمواقف التي يتخذها الموظفون المحليون. كانت الفترة الممتدة من عام 1925 إلى عام 1935 حاسمة في نشوء «سياسة كردية» تلبي مصالح الجماعة الكردية، بمن في ذلك زعماء القبائل والمثقفين الكرد. وقد فتح، بالمقابل، توقيع المعاهدة

الفرنسية السورية عام 1936 مرحلة تراجع في سياسية المفوضية العليا الكردية واستمر ذلك حتى الحرب العالمية الثانية.

لقد بيّنا سابقاً أن تأسيس رابطة خويبون عام 1927 ونموها وانخراطها العسكري عام 1930 بانتفاضة أرارات، ما كان لها أن تتم دون غض طرف متعاطف من السلطات الانتدابية. كان رجال أجهزة المخابرات يعلمون بنشاطات الرابطة ويعرفون أسماء أعضائها، وعلى معرفة بالعلاقات التي يعتمدونها مع الأعضاء والآخرين في المعارضة المعادية للكمالية. وكان دعاة رابطة خويبون ورجال حزب الطاشناق الأرمني يتجولون بحرية ليس فقط في البلدان الخاضعة للانتداب الفرنسي بل، أيضاً، في الخارج، في العراق، وإيران، وفرنسا، وإيطاليا والولايات المتحدة.

بهذا المعنى كان التحالف بين خويبون والطاشناق مفيداً، بصورة خاصة، للقادة الكرد. إن التحالف مع الطاشناق أتاح لهم، وهم لم يكونوا يملكون شبكة تنظيمية هامة، لا في الشرق الأوسط ولا في أوروبا، استخدام البنية التحتية الأرمنية لتوجيه حركة المنتفضين حول جبل أرارات، وللعمل لمكتب الدعاية. وتمكنت خويبون بذلك، جزئياً، من أن تعقلن انتفاضة قامت بها المعارضة القبلية في مواجهة بسط السلطة على كردستان التركية بنقل بعض زعماء القبائل بالقوة نحو غرب البلاد. بيد أنه كان كما حصل مع انتفاضة الشيخ سعيد عام 1925، عجز القادة القوميون عن توسيع حركة الانتفاضة إلى خارج المناطق الريفية، التي تعمل فيها القبائل والطرق الدينية بدينامية الجماعة الخاصة، ولا تلبي في الغالب، نداء الداعين إلى التعبئة باسم الأمة الكردية.

لقد أحدث فشل انتفاضة أرارات أزمة عميقة في أوساط القوميين الكرد. وظهرت إلى العلن الانقسامات الداخلية ونضوب البرنامج السياسي للنخبة المتغربة.

فاستدار الأخوان جلادت وكاميران بدرخان، مستلهمين مثال الجمعيات الكردية العثمانية، وتجربة الأحزاب الأرمنية في المنفى، منذ سنوات 1930، إلى النشاطات الثقافية من أجل وضع أسس حركة نهضة قومية، بعد أن اقتنعوا باستحالة تحقيق استقلال كردستان بالسلاح.

ورغم أن مبادرة الأخوين بدرخان في النشاطات الثقافية، كانت حاسمة، فلا بدَّ من وضع حركة النهضة الثقافية للغة الكردية في المشرق في إطار السياسة الانتدابية. وواقعاً، دفعت المفوضية العليا القادة القوميين الكرد إلى التفرغ، حصراً، للنشاطات الثقافية. مقابل ذلك، تعهدت الدولة المنتدبة بواسطة المعهد الفرنسي في دمشق، أولاً، ثم المفوضية العليا، بتقديم مساعدات اقتصادية ومادية للنشاطات الثقافية للأخوين بدرخان. وقد سمح التعاون بين المثقفين الكرد والسلطات الانتدابية، للأول، بتنميط اللغة الكردية باللهجة الكرمانجية. وتسريع عملية إحياء الثقافة الشعبية الكردية (أغان، قصائد، ملاحم تقاليد) بواسطة النشر في المجلات والكراريس.

إن عمل الأخوين بدرخان، بعد، أكثر من عشر سنوات من انطلاقه، ورغم دعم سلطات الانتداب للنشاطات الثقافية الكردية، كان مصيره التجمّد. ومع توصله إلى وضع الأسس اللازمة لتنميط اللغة الكردية (اختيار لهجة، مرجعية، توثيق، الألفباء، وانتقاء المعيار) فإن الظروف الاجتماعية والسياسية لبلدي المشرق ومعارضة الحكومة التركية التامة لإعطاء بعض الحقوق اللغوية للسكان الكرد في شرق البلاد، سدت السبل على عملية وضع المعيار الذي صاغه المثقفان الكرديان، موضع التنفيذ. نتكلم، إذن، عن عملية تنميط للغة الكردية باللهجة الكرمانجية، كانت واعدة دون شك، لكنها لم تلق صدى كبيراً بين السكان.

لقد تمكنت حلقة المثقفين الكرد النشطة في المشرق، المحدودة العدد،

من إقامة شبكة ثقافية اخترقت حدود الدول والجماعة الكردية. وهكذا تمكنت رموز الحركة الثقافية الكردية من تبادل المشاريع والأعمال مع مثقفين نشطاء كرد في أرمينيا السوفياتية والعراق. وبموازاة ذلك، نجح الاخوان بدرخان بأن يصبحا مرجعاً لعلماء الكردية والمستشرقين الأوروبيين. وكانت الصلات بين المثقفين الكرد وعلماء الكردية الفرنسيين شديدة النشاط بطبيعة الحال. ورغم أن بداية التعاون بين القطبين، اندرجت في سياسة متأثرة باهتمام الإدارة، فإنها تطورت مع التباسات من هذه الجهة أو تلك. ولم تمنع الصداقة التي توثقت بين الأخوين بدرخان، من جهة، وبين بيير روندو وروجيه لسكوت، من جهة ثانية، السير باتجاهات متعاكسة أحياناً: تعزيز الشعور القومي بالنسبة للأولين، وإفشال كل مبادرة سياسية أو عسكرية من شأنها الضرر بمصالح فرنسا، بالنسبة للآخرين.

فضلاً عن أن التبادل الثقافي بين النخبة الكردية وعلماء الكردية الفرنسيين ولدت نوعاً من النظرية القومية التوافقية. وهي تقوم على بعض المبادئ المضمرة. أولاً، يتشارك المثقفون الكرد الذين نشأوا في اسطنبول مع علماء الكردية الفرنسيين بالإيمان نفسه بالمدنية الغربية، وبالتقدم العلمي اللذين يمثلان الطريق التي يجب أن يسلكها الكرد والمجتمعات الإسلامية للخلاص من التأخر. إن استعادة نظام اجتماعي يستند في الواقع إلى الاستعارة والقياس الذي يتواصل حول صياغة استعمارية استطرادية منذ قرن فيما يتعلق بشمال أفريقيا: تطور ملجوم، شرق وجمود، شرق يكبح كل فكرة تتصل بالغرب، عبقرية العرق إلخ... إن كلمة الأجناس هي الاستعارة الأساسية للتكون الاستدلالي السائد الذي يجمع بين «تقدم» عصر الأنوار والحاجة الوضعية.

نجد هنا، باختصار العلاقات المميزة لخطاب معروف يجعل من الشرق الوجه العكسي للغرب.

على الكردي أن يتقرب مادياً ومعنوياً من الغربي، مع احتفاظه بخصوصية الإثنية. حقيقةً، توجد هنا ثلاثة تناقضات: الغربي، الشرقي، وما بينهما الكردي. إن خصوصيته التي لم تمس يمكن أن تنقذه بشرط أن يعود إلى نفسه وإلى الغرب. واقعاً، حسب هذه الرؤية، إن الكرد، على مثال البربر في المغرب، يشكلون في الشرق الأوسط الجماعة الإثنية الأكثر قدرة على استيعاب الحضارة الغربية بسبب أصولها الهندوأوروبية، وقدرتها على التكيف بحرية مع الإسلام، ومزاياها القومية القريبة جداً من الأمم الأوروبية. يمكن للكرد إذن، أن ينتسبوا إلى الحضارة الغربية بمساعدة دولة كبرى غربية، فرنسا مثلاً. الأمر هنا يتعلق بتطور منطقي. واقعاً، الاستغراب والاستشراق هما وجهان لعملة واحدة: فكلاهما يؤكدان تفوق العالم الغربي على الشرق. لذلك استولت النخب الكردية المتغربة على الخطاب الاستشراقي، الشديد الوثاق بالاستعمار، الذي يشرّع العمل التمديني للغرب في الشرق، وأعادت تكراره.

إنطلاقاً من هذا الاعتقاد المشترك، صاغ المثقفون الكرد، والاختصاصيون الفرنسيون بالكردية، الهوية القومية الكردية في سنوات 1930 و1940. وكانت جملة من الأساطير والرموز قد اختلقتها الجمعيات الكردية العثمانية. في كل حال، توطدت قومية الهوية الكردية بالاستخدام الكثيف والتبني لنمطية الاستدلال التي كانت دارجة في استشراق بداية القرن العشرين، وأيضاً من خلال إشكال فكرة الثقافة التي ثبت نجاحها في الغرب، ومن خلال الشرعية

التي أضفاها اختصاصيو الكردية الفرنسيون والمستشرقون الأوروبيون على خطاب النخب الكردية حول الهوية.

إن هذه النظرية التوافقية قد تم استخدامها من المثقفين الكرد ومن الاختصاصيين الفرنسيين بالكردية، فأدى تكرار بعض البراهين في كراريس الدعاية القومية وفي المقالات العلمية إلى إعطائها ما يشبه الموضوعية، بتتابع أجيال عديدة، لدى الأكراد والغربيين. ومذّاك قادنا الدور النشيط للنخب الكردية في بناء الكردي حسب القواعد الغربية إلى الإشارة لضرورة تجاوز الرؤية الجامدة، بعض الشيء، التي يدافع عندها إدوار سعيد في كتابه الكلاسيكي، \الاستشراق. لنعدل تعبيره الشهير: الغرب ليس وحده من بنى الشرق. فالنخب الشرقية الطامحة إلى تغريب جماعاتها الإثنية، والحاملة للتمثيل المضاد قد أسهمت بنشاط في هذا البناء الأيديولوجي.

لكن بناء الهوية القومية الكردية، هو أيضاً، جواب على الإذعانات المفروضة في الخارج. الأمر يتعلق، واقعاً، بمحاولة تمايز مع تحديد الهوية التركية، ومع الخطاب الرسمي التركي حول الكردية. بمواجهة النموذج السلبي الذي ينشره النظام الكمالي عن الهوية الكردية، أراد المثقفون الكرد دحض البراهين، وخلق وجه إيجابي للكردي، وضرورة تقديم براهين لإثارة احترام الذات في الوسط الكردي. إن تحديد النموذج الإيجابي أو السلبي كان في متناول يد المثقفين الكرد والترك لأنهما يعملان في ذات «الإطار» المتأثر بالداروينية الاجتماعية التي توحي بالبحث عن أشخاص وأشكال وراثية، وبتعبير آخر، عن أنواع تحمل في ذاتها قيماً فطرية، أساسية، غير تاريخية، تتوالد بمعزل عن أي تأثير اجتماعي.

بهذا المعنى لا تختلف الهوية الكردية عن الهوية التركية كثيراً. وبكلام آخر، تعارض القومية الكردية والتركية إلزام منظري الفريقين على التكييف الدائم لخطاب كل منهما مع الآخر، لدرجة قيام تماثل بحدين، بين «المسيطَر والمسيطِر عليه». وهكذا فإن الأخوين بدرخان اعتقدا أن الكرد مثل ترك النخب الكمالية أقل تأثراً بالدين من جيرانهم، ويحفظون مقاماً خاصاً للمرأة في مجتمعهم، ويبدون شجاعة مثالية عند الحاجة، ولغتهم قريبة من اللغات الغربية، إلخ. رغم أن هذا الخطاب مؤات للفهم عند النخب الكردية والتركية، فإن فيه نواقص كبيرة.

في حين تستطيع النخبة التركية الاعتماد على الأدوات اللازمة ـ دولة ـ كل المؤسسات المرتبطة بها، مثل المدرسة والجيش لإنجاز عملها في الحقل الاجتماعي، فإن المثقفين الكرد لا يمكنهم إيجاد سوى بعض فضاءات لنهضة ثقافية، تمت، دون دعم رسمي من دولة كبرى، في ظروف هشة مادياً وزمنياً. وإذ عملت نخب الفريقين لأهداف متشابهة، فإن القادة الكماليين تمكنوا من تحقيقها، في وقت كان البرنامج السياسي للقوميين الكرد، بما في ذلك الوعود بغد مادي أفضل، يشكو من نقص في المصداقية والقوة.

إن الكلام عن نقاء نظرية قومية لا يعني عدم وجود هوامش، ومساحات رخوة تستطيع هذه النظرية، من خلالها، التكيف مع مختلف الظروف الاجتماعية والسياسية. بهذا المعنى توفر لنا مطالب حركة الاستقلال الذاتي في الجزيرة، ومطالب الحركة القومية الكردية، أثناء الحرب العالمية الثانية مثلين جيدين.

إن التحالف الستراتيجي بين زعماء القبائل الكردية والزعماء الدينيين

المسيحيين ولّد خطاب هوية ذات طابع محلي: «قومية السهب». فحاول خطاب الهوية الجديد، نظراً لاختلاط سكان الجزيرة (عرب، كرد، آشوريين، يعقوبيين، كلدان، وأرمن، إلخ)، في خلال سنوات 1930، أن يعكس هذا التعدد بواسطة رموز دامجة مثل العَلم، والنشيد المناطقيين. وتم ترك الزعماء الكرد، الموجودين في المنطقة القومية الكردية في المرتبة الثانية. المفارقة، إن هذه التعبئة بالذات في سبيل هوية مناطقية، قد سورنت الجماعة الكردية، ذلك أن الزعماء الاستقلاليين الذاتيين والقوميين الذين حاولوا الحصول على المزيد من الموارد الحقيقية أو الرمزية، كان اعتراف السلطة القائمة بهم ضروري كممثلين شرعيين لفضاء سياسي كردي في إطار دولتي محدد.إن نشوب الحرب العالمية الثانية أثار آمالاً جديدة لدى المثقفين الكرد في رؤية ولادة دولة كردية بفضل دعم دولة كبرى عالمية عملاً بالمبادئ التي أعلنها الحلفاء عن حق الشعوب في تقرير مصيرها. وقد أعاد الزعماء القوميون المقيمون في المشرق، تنشيط النظرية القومية الجاري بناؤها. إن ثنائية وقت الأمة ـ بناء دولة كردية، شرّع معاودة الاتصالات الدبلوماسية مع كل القوى التي يمكن أن تقدم دعماً ملموساً للزعماء الكرد بمعزل عن أية اعتبارات أخرى مثل التعاطف السياسي، ومع الاستعداد لقبول «تضحيات» تتعلق ببرنامج الحد الأعلى لكردستان الكبير.

وكان من شأن الاتصالات بين النخبة الكردية وبين الممثلين السوفياتيين في المشرق أن يفتح الباب لتغيير المقياس لدى القوميين الكرد. فالجيل الجديد من القوميين الكرد ألهبته الشيوعية ولغة حركات التحرر، على أمل القبول به على الصعيد الكوني. لكن انطلاق المرحلة الثانية لدى القوميين الكرد التي تنتشر فيها الشيوعية في أوساط المثقفين، لم تؤد إلى نسيان عمل البناء القومي الذي أنجزته النخبة المتغربة، وخاصة، الأخوان بدرخان. فمعظم

أساطير ورموز النظرية القومية الكردية التي تم وضعها في النصف الأول من القرن العشرين، تشكل تراثاً ثقافياً وسياسياً يمكن تنشيطه على الدوام مع تكييفه لحاجات كل لحظة تلبية لحاجات القضية.



نبذة تاريخية

1514: الأمراء الكرد تحالفوا مع السلطان العثماني سليم الأول ضد الفرس الذين هزموا أمام التحالف الكردي-التركي. اعترف السلطان باستقلال الأمراء الكرد.

القرن التاسع عشر: مارست السلطنة العثمانية سياسة مركزية وحاولت الحد من الاستقلال الذاتي الكردي الذي قاد من 1806 إلى 1880 سلسلة من الانتفاضات تم سحقها وتم القضاء على الإمارات الكردية.

1894-1895: تأليف لجنة الوحدة والتقدم، هذه الحركة المعارضة الرامية إلى تطوير الدولة العثمانية والعودة إلى دستور 1876 الذي سنّه الليبراليون العثمانيون.

1898: صدور أول صحيفة كردية «كردستان».

1909: المنتدى الوحدوي تجمع، لعدة منظمات كردية تم منعها سريعاً.

9-16-أيار/ مايو 1916: توقيع اتفاقية سايكس بيكو في لندن التي قسمت الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ بين فرنسا وبريطانيا العظمى.

3 تشرين الأول/ أوكتوبر 1918: الدخول الرسمي للملك فيصل إلى دمشق.

30 تشرين أول/ أوكتوبر 1918: هدنة مودروس (Moudros) واستسلام السلطنة العثمانية، واحتلال بريطانيا بلاد ما بين النهرين، وفرنسا سوريا.

1919: مؤتمر لأنصار مصطفى كمال في أرزرومَ وفي سيفاس (سيواس).

25 تموز/ يوليو 1920: دخول القوات الفرنسية إلى دمشق.

10 آب/ أغسطس 1920: معاهدة سيفر ما بين السلطنة العثمانية والمنتصرين في الحرب، هذه المعاهدة التي لم تطبق وكانت توصي بدولة أرمنية وأخرى تركية.

23 آب/ أغسطس 1921: تتويج فيصل ملكاً على العراق.

20 تشرين أول/ أوكتوبر 1921: اتفاق تركي-فرنسي في أنقرة. فرنسا تلحق بسوريا مناطق الجزيرة وكرد داغ.

24 تموز/ يوليو 1922: أصدرت عصبة الأمم ميثاق الانتداب على سوريا ولبنان.

24 تموز/ يوليو 1923: معاهدة لوزان بين تركيا والحلفاء تجعل معاهدة سيفر باطلة. وتعترف بالسيادة التركية على الجزء الأكبر من كردستان.

29 تشرين أول/ أوكتوبر 1923: إعلان الدولة التركية.

3 آذار/ مارس 1924: منع المدارس والجمعيات والمنشورات الكردية في تركيا.

شباط/ فبراير-نيسان/ أبريل 1925: ثورة الشيخ سعيد في تركيا تهدد النظام الكمالي الذي بدأ بإقامة إدارة عسكرية في المناطق الكردية.

16 كانون الأول/ ديسمبر 1925: بطلب من بريطانيا العظمى سمحت عصبة الأمم للعراق بضم الموصل.

30 أيار/ مايو 1926: اتفاق صداقة وحسن جوار بين تركيا وسوريا.

تشرين الأول/ أوكتوبر 1927: مؤتمر تأسيس لجنة خويبون لبنان.

1930: الحركة الكردية تثور في منطقة جبال أرارات بقيادة خويبون.

22 أيار/ مايو 1931: المفوض السامي هنري بونسو يصدر النظام الأساسي لدول المشرق تحت الانتداب الفرنسي.

30 آذار/ مارس – 6 نيسان/ أبريل 1932: انتخابات تكميلية في سوريا.
أيار/ مايو 1932: تركيا تصدر قانون ترحيل وتشتيت الأكراد نحو غرب البلاد.
15 أيار/ مايو 1932: ظهور أول عدد من مجلة هاوار التي أصدرها جلادت بدرخان.
30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1936: انتخابات سوريا تؤكد انتصار القوميين. في كانون الأول/ ديسمبر تصديق المعاهدة الفرنسية–السورية في البرلمان السوري. بالمقابل نجاح المرشحون المستقلون في الجزيرة.
1936–1938: ثورة الأكراد في «Dersim» في تركيا.
تموز/ يوليو 1937: ثورة الجزيرة.
15 كانون الأول/ ديسمبر 1938: عصمت أونونو يخلف مصطفى كمال في تركيا.
2 أيلول/ سبتمبر 1939: بداية الحرب العالمية الثانية. إعلان حالة الطوارئ في المشرق.
17 حزيران/ يونيو 1940: إقامة حكومة «بيتان»، وطلب الهدنة.
8 حزيران/ يونيو 1941: دخول القوات البريطانية وقوات فرنسا الحرة إلى سوريا وبداية حرب المشرق.
11 تموز/ يوليو 1941: الهدنة الفرنسية البريطانية في عكا.
27 أيلول/ سبتمبر 1941: الجنرال كاترو يعلن استقلال سوريا.
26 تموز/ يوليو 1943: نجاح الكتلة الوطنية في الانتخابات التشريعية في سوريا.
1943–1945: ثورة أكراد العراق تحت قيادة مصطفى البرازي الذي أسس عام 1946 الحزب الديمقراطي لأكراد العراق.

22 كانون الثاني/ يناير-15 كانون الأول/ ديسمبر 1946: إقامة دولة كردية في منطقة مهاباد في إيران. بدعم من الاتحاد السوفياتي وانسحاب القوات السوفياتية التي دخلت عام 1941 وضع نهاية لهذه الدولة. وإعدام غازي محمد في آذار/ مارس 1947.

30 نيسان/ أبريل 1946: جلاء آخر الجنود الفرنسيين عن سوريا.

31 كانون الأول/ ديسمبر 1946: جلاء آخر الجنود الفرنسيين من لبنان.

Bibliographie

Sources d'Archives et périodiques d'époque

CADN (Centre des Archives Diplomatiques de Nantes), ministère des Affaires Etrangères, Nantes, France.
- Bureau diplomatique: Mandat Syrie-Liban, 1er versement, bureau diplomatique.
- Cabinet Politique: Mandat Syrie-Liban, 1er versement, cabinet politique.
- Petits fonds politiques et administratifs: Mandat Syrie-Liban, 1er versement, petits fonds politiques et administratifs.
- Renseignements et presse: Mandat Syrie-Liban, 1er versement, renseignement et presse.
- Services Spéciaux: Mandat Syrie-Liban, 1er versement, services spéciaux.
- Sûreté Générale: Mandat Syrie-Liban, 1er versement, sûreté générale.
- Fonds Ankara (non inventoriés).

SHAT (Service Historique de l'Armée de terre), ministère de la Défense, Vincennes, France: Archives du Levant, sous-série 4H (1917-1946); Série N, sous-série 7N (1920-1940).

MAE (Ministère des Affaires étrangères), Paris, France.
- Série Levant 1918-1940: Levant 1918-1940/ Syrie-Liban.

AN (Archives Nationales), Paris.
- Série F7, Police Générale, Territoire d'outre-mer et sous mandat: Syrie (1918-1919).

PRO (Public Record Office), Kew, Grande-Bretagne.
- FO (Foreign Office), série 371 (1920-1946): Political Eastern-Turkey, 1923; 1927; 1928; 1929; 1930; 1931; 1934; Political Eastern-Syria, 1937; 1938; 1939; 1943; 1945; 1946; 1949.
- AIR (Air Ministry), série 23/Cartons, 90; 92; 94; 96; 97; 157; 170; 182; 238; 240; 241; 242; 243; 279; 290; 389; 407; 411; 412; 413; 414; 415; 416; 418.
- CO (Colonial Office), série 730.

SAULCHOIR (Archives dominicaines de Mossoul), Bibliothèque du Saulchoir, Paris.
- Fonds Djézireh (1935-1946).

SDN (Société des Nations), Palais des Nations, Genève, Suisse.
- Section Mandats (1926-1938).
- Section politique (1921-1925).

IKP (Institut kurde de Paris), Paris, France.
- Fonds Rondot (papiers privés du capitaine Pierre Rondot légués à l'Institut kurde de Paris, non inventoriés).

CHEAM (Centre de Haute Etudes Administratives sur l'Afrique et l'Asie), Paris.

Journaux et périodiques

Bulletin du centre d'études kurdes, périodique en français; les années 1940 (Paris);
JÎN, revue kurde: les années 1918-1919 (nouvelle édition préparée par M.E. Bozarslan, 5 Vol., Uppsala, Deng, 1985);
Hawar, revue kurde: les années 1930-1940 (Damas, nouvelle édition préparée par Firat Cewerî, 2 Vol., Stockholm, Nûdem, 1998);
L'Asie française, périodique français: les années 1920-1930 (Paris);
L'Europe Nouvelle, périodique français: les années 1920-1930 (Paris);
Mercure de France, périodique français: 1921 (Paris);
Oriente Moderno, revue italienne: les années 1930-1940;
Roja Nû, revue kurde: les années 1940 (Beyrouth, nouvelle édition préparée par Jîna Nû, Uppsala, Jîna Nû, 1986);
Ronahî, revue kurde: les années 1940 (Damas, nouvelle édition préparée par Jîna Nû, Uppsala, Jîna Nû, 1985);
Stêr, revue kurde: les années 1940 (Damas).

Source orale

Entretien réalisé avec Ismet Chérif Vanly, homme politique kurde originaire de Damas proche des milieux nationalistes kurdes en Syrie durant le Mandat français. Lausanne (Suisse), le 12 octobre 2001 (1 k7, 60 minutes).

Bibliographie sélective

Ouvrages

ALAKOM Rohat, *Hoybûn örgütü ve Agri ayaklanmasi*, Istanbul, Avesta, 1998.
ALBERT Jean-Pierre, «Sens et enjeux du martyre: de la religion à la politique», in: *Saints, sainteté et martyre. La fabrication de l'exemplarité*. Pierre Centlivres (dir.), Editions de l'Institut d'ethnologie, Neuchâtel et Editions de la Maison des sciences de l'homme, Paris, 2001.
ANDERSON Benedict, *Language and Power. Exploring Political Cultures in Indonesia*, Ithaca & Londres, Cornell University Press, (1990) 1992.
–, *L'imaginaire social. Réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme*. Traduit de l'anglais par Pierre-Emmanuel Dauzat, Paris, La Découverte, 1996.
ANDREWS Peter Alford, *Ethnic Groups in the Republic of Turkey*, Wiesbaden, Ludwig Reichert Verlag, 1989.

APTER David E., *Pour l'Etat, contre l'Etat*. Préface de Bertrand Badie, Paris, Economica, 1988.
AVEZ Renaud, *L'Institut Français de Damas au Palais Azem (1922-1946) à travers les archives*, Collection Témoignages et Documents n° 1, Institut Français de Damas, Damas, 1993.
AZIZAN Herekol (Celadet Bedir Khan), *De la question kurde. La loi de déportation et de dispersion des Kurdes*, Damas, 1934.
BACZKO Bronislaw, *Les imaginaires sociaux. Mémoires et espoirs collectifs*, Paris, Payot, 1984.
BADIE Bertrand, *La fin des territoires. Essai sur le désordre international et sur l'utilité sociale du respect*, Paris, Fayard, 1995.
BARTH Fredrik (dir.), *Ethnic Groups and Boundaries. The Social Organization of Culture Differences*, Oslo, Université de Forlaget, 1969.
BAYRAK Mehmed, *Açik-Gizli, Resmi-Gayriresmi Kürdoloji Belgeleri*. Edité par Mehmed Bayrak, Ankara, Öz-Ge, 1994.
BEDIR KHAN Celadet, *Günlük Notlar (1922-1925)*. Edité par Malmîsanj, Istanbul, Avesta, 1997.
–, *Gazi Mustafa Kemal Pasha Hazretlerine Açik Mektup*. Edité par Nouri Dersimi, s.l., (1934) 1973.
BEDIR KHAN Kamuran & OERTEL Herbert, *Der Adler von Kurdistan*, Postdam, Ludwig Voggenreiter, 1937.
BEDIR KHAN Kamuran, *Xwendina kurdî*, Bibliothèque Hawar, n° 10, Damas, 1938.
–, *Dersên Sherîetê*, Bibliothèque Hawar, n° 12, Damas, 1938.
–, *La question kurde*, Paris, s.d.
BEDIR KHAN Sureya, *The Case of Kurdistan against Turkey*, Philadelphia, 1928.
BEDLÎSÎ Sherefxanê, *Sherefname. Tarîxa Kurdistanê ya kevn*. Traduit du persan au kurmandji par Zîya Avci, Spanga, APEC, 1998.
BESSON Yves, *Identités et conflits au Proche-Orient*. Paris, L'Harmattan, 1990.
BILLIG Michael, *Banal Nationalism*, Londres & New Delhi, Sage Publications, 1995.
BODIN Louis, *Les intellectuels*, Paris, P.U.F., 1962.
BOIS Thomas, «Les littératures mineures», in: *Islamologie*, F.M. Pareja (dir.), Beyrouth, Imprimerie catholique, 1964.
–, *Connaissance des Kurdes*, Beyrouth, Khayats, 1965.
–, «Kurdes et Kurdistan», in: *Encyclopédie de l'Islam*, Paris, 1986.
BOKOVA Lenka, *La confrontation franco-syrienne à l'époque du mandat, 1925-1927*, Paris, L'Harmattan, 1990.
BOURDIEU Pierre, *Le sens pratique*, Paris, Editions de Minuit, 1980.
–, *Choses dites*, Paris, Editions de Minuit, 1987.
–, *Langage et pouvoir symbolique*, Préface de John B. Thompson. Paris, Editions du Seuil, 2001.
BOZARSLAN Hamit, *La question kurde. Etats et minorités au Moyen-Orient*, Paris, Presses de Sciences PO, 1997.

–, «Histoire des relations kurdo-arméniennes» in: *Kurdistan und Europa*, Hans-Lukas Kieser (dir.), Zurich, Chronos, 1997.

BREUILLY John, *Nationalism and the State*, Manchester, Manchester University Press, (2e édition) 1993.

BRUINESSEN Martin van, *Agha, Shaikh and State. On the Social and Political organization of Kurdistan*, Londres & New Jersey, Zed Books, 1992.

–, *Kurdish Ethno-Nationalism versus Nation-Building States*, Martin Van Bruinessen, Collected articles, Istanbul, The Isis Press, 2000.

–, «Ehmedî Xanî's Mem û Zin and Its Role in the Emergence of Kurdish National Awareness», in: *Essays on the Origins of Kurdish Nationalism*, Abbas Vali (dir.), California, Mazda Publishers, 2003.

CELIL Celîlê, *Jiyana rewshenbîrî û sîyasî ya Kurdan (Di Dawîya Sedsala 19'a û Destpêka Sedsala 20'a de)*, Uppsala, Jina Nû, 1985.

CEMIL PACHA Ekrem, *Muhtasar Hayatim*, Bruxelles, Institut kurde de Bruxelles, 2e édition 1991.

Cemil Pacha Kadri (Zinar Silopî), *Doza Kurdistan. Kürt Milletinin 60 Yillik Esaretten Kurtulush Savashi Hatiralari*, Ankara, Öz-Ge, 2e édition, 1991.

CHABRY Laurent & CHABRY Annie, *Politique et minorités au Proche-Orient. Les raisons d'une explosion*, Paris, Maisonneuve, 1984.

CHALIAND Gérard (dir.), *Les Kurdes et le Kurdistan*, Paris, Maspéro, 1978.

CHERIF Pacha, *Mémorandum sur les revendications du peuple kurde*, Paris, Imprimerie A-G. L'Hoir, 1919.

CHIRGUH Bletch (Sureya Bedir Khan), *La question kurde, ses origines et ses causes*, Le Caire, 1930.

CIGERXWÎN, *Jînenîgariya min*, *Spanga*, Apec, 1995.

COBARRUBIAS Juan, «Language Planning: The State of the Art», in: *Progress in language Planning. International perspectives*, Joshua A. Fishman & Juan Cobarrubias (dir.), New York & Berlin & Amsterdam, Mouton Publishers, 1983.

COPEAUX Etienne, *Espaces et temps de la nation turque*, Paris, CNRS, 1997.

DERSIMI Nuri, *Hatiratim. Dersim ve Kürt Milli Mücadelesine Dair*, Ankara, Öz-Ge, (2ème édition), 1992.

–, *Kürdistan tarihinde Dersim*, Cologne, Mezopotamien Verlag, 1999.

DEUTSCH Karl W., *Nationalism and Social Communication, An Inquiry into the foundations of Nationality*, Massachusetts, MIT Press, 1962.

EAGLETON William, *La République kurde de 1946*. Traduit de l'anglais par Catherine Ter-Sarkissian, Bruxelles, Complexe, 1991.

EHMED Mihemedê Mele, *Xoybûn. Civata «Serxwebûn» a Kurdî (1927-1946)*, Damas, Zanîn, 1993.

EHMED NAMÎ Sami, *Dîmenin ji dîroka winda*, Stockholm, APEC, 2000.

ENTESSAR Nader, *Kurdish Ethnonationalism*, Londres, Lynne Rienner Publishers, 1992.

FISHMAN Joshua A., *Language and Nationalism*, Massachusetts, Newbury House Publishers, 1972.

FOURNIE Pierre & RICCIOLI Jean-Louis, *La France et le Proche-Orient, 1916-1946. Une chronique photographique de la présence française en Syrie et au Liban, en Palestine, au Hedjaz et en Cilicie*, Tournai, Casterman, 1996.

FUCCARO Nelida, «Die Kurden Syriens: Anfänge der nationalen Mobilisierung unter französischer Herrschaft», in: *Ethnizität, Nationalismus, Religion und Politik in Kurdistan*, Carsten Borck & Eva Savelsberg & Siamend Hajo (dir.), Münster, LIT, 1997.

–, «Minorities and ethnic mobilisation: The Kurds in Northern Iraq and Syria», in: Nadine Méouchy & Peter Sluglett (dir.), *Les mandats français et anglais dans une perspective comparative*, Leiden & Londres, Brill, 2004.

GELLNER Ernest, *Nations et nationalisme*. Traduit de l'anglais par Bénédicte Pineau, Paris, Payot, 1999.

GIRARDET Raoul, *Mythes et mythologies politiques*, Paris, Seuil, 1986.

HASSANPOUR Amir, *Nationalism and language in Kurdistan, 1918-1985*, San Francisco, Mellen Research University Press, 1992.

HAUGEN Einar, «The Implementation of Corpus Planning: Theory and Practice», *Progress in Language Planning. International Perspectives*, Joshua A. Fishman & Juan Cobarrubias (dir.), New York & Berlin & Amsterdam, Mouton Publishers, 1983.

HOBSBAWM Eric, *The Invention of Tradition*, édition préparée par Eric Hobsbawm et Terence Ranger, Cambridge, Cambridge University Press, 1983.

–, *Nations and Nationalism since 1780. Programme, myth, reality*, Cambridge & New York & Melbourne, Cambridge University Press, (1990) 1995.

HOROWITZ Donald, *Ethnic Groups in Conflict*, Berkeley & Los Angeles, University of California Press, 1985.

HOURANI Albert (dir.), *The Emergence of the Modern Middle East*, Berkeley & Los Angeles, University of California Press, 1981.

HOYBOUN, *Les massacres kurdes en Turquie*, Le Caire, 1928.

HROCH Miroslav, *Social Preconditions of National Revival in Europe. A Comparative Analysis of the Social Composition of Patriotic Groups among the smaller European Nations*, Cambridge, Cambridge University Press, 1985.

HUTCHINSON John, «Cultural Nationalism and Moral Regeneration», in: *Nationalism*, John Hutchinson & A.D. Smith (dir.), Oxford & New York, Oxford University Press, 1994.

KEDOURIE Elie, *Nationalism*, Londres & Melbourne & Sydney, Hutchinson, 1986.

KHANÎ Ahmedê, *Mem û Zîn*. Traduit et annoté par Sandrine Alexie et Akif Hasan (Traduction établie à partir de la version kurde originale éditée par Mehmed Emin Bozarslan en 1968), Paris, L'Harmattan, 2001.

KHOURY Philip S., *Urban notables and Arab nationalism. The Politics of Damascus 1860-1920*, Cambridge & Londres & New York, Cambridge University Press, 1983.

–, *Syria and the French Mandate. The Politics of Arab nationalism, 1920-1945*. New Jersey, Princeton University Press, 1987.

KLEIN Janet, «En-Gendering Nationalism: The Woman Question in Kurdish Nationalist Discourse of the Late Ottoman Period», in: *Women of a non-state Nation. The Kurds*, Shahrzad Mojab (dir.), California, Mazda Publishers, 2001.

KOHN Hans, *The Idea of Nationalism. A Study in its Origins and Background*, New York, MacMillan Company, 1946.

KREYENBROEK Philip G., «On the Kurdish language», in: *The Kurds, A Contemporary Overview*, Philip G. Kreyenbroek (dir.), Londres & New York, Routledge, 1992.

KUTSCHERA Chris, *Le mouvement national kurde*, Paris, Flammarion, 1979.

LAPIDUS Ira M., «Tribes and State Formation in Islamic History», in: *Tribes and State formation in the Middle East*, Philip S. Khoury & Joseph Kostiner (dir.), Londres & New York, I. B. Tauris, 1990.

LAURENS Henry, *L'Orient arabe. Arabisme et islamisme de 1798 à 1945*, Paris, Armand Colin, 1993.

LESCOT Roger, *Textes kurdes*, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, vol. I (1940), vol. II (1942).

–, *Enquête sur les Yézidis de Syrie et du Djebel Sindjar*, Damas, Institut Français de Damas, 1975.

LUKITZ Liora, *Iraq. The Search for National Identity*, Londres, Frank Cass, 1995.

MALMÎSANIJ, *Cizira Botanli Bedirhaniler ve Bedirhan Ailesi Derneginin Tutanaklari*, Spanga, APEC, 1994.

McCRONE David, *The Sociology of Nationalism. Tomorrow's ancestors*, Londres & New York, Routledge, 1998.

McDOWALL David, *A Modern History of the Kurds*, Londres & New York, I.B. Tauris, 1996.

–, *The Kurds of Syria*, Londres, KHRP, 1998.

MÉOUCHY Nadine (dir.), *France et Liban 1918-1946. Les ambiguïtés et les dynamiques de la relation mandataire*, Damas, Institut Français d'Etudes Arabes de Damas, 2002.

MÉOUCHY Nadine & Sluglett Peter (dir.), *Les mandats français et anglais dans une perspective comparative*, Leiden & Londres, Brill, 2004.

MIZRAHI Jean-David, *Genèse de l'Etat mandataire. Service des Renseignements et bandes armées en Syrie et au Liban dans les années 1920*, Paris, Publications de la Sorbonne, 2003.

NIKITINE Basile, *Les Kurdes. Étude sociologique et historique*, Préface de M. Louis Massignon, Paris, Librairie C. Klincksieck, 1956.

NOURI PACHA Ihsan, *La révolte de l'Agri Dagh*. Introduction d'Ismet Chérif Vanly, édition présentée par Peresh, Genève, Editions kurdes, 1986.

OLSON Robert, *The Emergence of Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion, 1880-1925*, Austin, University of Texas Press, 1989.

RIVIÈRE Claude, *Les liturgies politiques*, Paris, P.U.F., 1988.

SAID Edward W., *L'Orientalisme. L'Orient créé par l'Occident.* Traduit de l'américain par Catherine Malamoud. Préface de Tzvetan Todorov. Postface de l'auteur traduite par Claude Wauthier, Paris, Edition du Seuil, 1997.

SEKBAN Chukru Mehmed, *La question kurde. Des problèmes. des minorités,* Paris, P.U.F., 1933.

SEURAT Michel, *L'Etat de la barbarie,* Paris, Seuil, 1989.

SIRINELLI Jean-François, «Les intellectuels», in: *Pour une histoire politique.* René Rémond (dir.), Paris, Seuil, 1988.

SMITH Anthony D., *The Ethnic Revival,* Cambridge & Londres & New York, Cambridge University Press, 1981.

–, «Nationalism, Ethnic Separatism and the Intelligentsia», in: *National Separatism,* Colin H. Williams (dir.), Cardiff, University of Wales Press, 1982.

–, *The Ethnic Origins of Nations,* Oxford, Basil Blackwell, 1986.

STROHMEIER Martin, *Crucial Images in the Presentation of a Kurdish National Identity,* Leiden & Boston, Brill, 2003.

TATCHJIAN Vahé, *La France en Cilicie et en Haute-Mésopotamie. Aux confins de la Turquie, de la Syrie et de l'Irak (1919-1933),* Paris, Karthala, 2004.

TER MINASSIAN Taline, *Colporteurs du Komintern. L'Union Soviétique et les minorités au Moyen-Orient,* Paris, Presses de Sciences PO, 1997.

TERNON Yves, *La cause arménienne,* Paris, Seuil, 1983.

VANLY Ismet Chérif, «The Kurds in Syria and Lebanon», in: *The Kurds. A contemporary overview,* Philip G. Kreyenbroek (dir.), Londres & New York, Routledge, 1992.

VELUD Christian, «La politique mandataire française à l'égard des tribus et des zones de steppe en Syrie: L'exemple de la Djézireh», in: *Steppes d'Arabie. Etats, pasteurs, agriculteurs et commerçants: le devenir des zones sèches,* Riccardo Bocco & Ronald Jaubert & Françoise Métral (dir.), Paris, P.U.F.,1993.

WIEVIORKA Michel, «Un nouveau paradigme de la violence?», in: *Un nouveau paradigme de la violence?,* Michel Wieviorka (dir.), Cultures et Conflits, Paris, L'Harmattan, 1997.

ZAZA Noureddine, *Ma vie de Kurde ou le cri du peuple kurde,* Lausanne, Favre, 1982.

ZÜRCHER Erik J., *Turkey. A Modern History,* Londres & New York, I. B. Tauris, 1997.

Articles de revues

ALAKOM Rohat, «Ji aliyê Kurdan de keshfkirina Amerîkayê (1915-1930)», *Nûdem,* n° 21, 1997, pp. 90-100.

ALI Othman, «The Kurdish Factor in the Struggle for Vilayet Mosul, 1921-1925», *The Journal of Kurdish Studies,* Vol. IV, 2001-2002, pp. 31-48.

BLAU Joyce, «Vie et œuvre de Thomas Bois», *The Journal of Kurdish Studies,* vol. I, 1995, pp. 85-96.

BOIS Thomas, «L'âme des Kurdes à la lumière de leur folklore», *Cahiers de l'Est*, n° 5-6, Beyrouth, 1946, pp. 1-57.

BOZARSLAN Hamit, «Remarques sur l'histoire des relations kurdo-arméniennes», *The Journal of Kurdish Studies*, Vol. I, 1995, pp. 55-76.

–, «Quelques remarques sur le discours historiographique kurde en Turquie: 1919-1980», *Asien, Afrika, Lateinamerika*, Vol. 29, 2001, pp. 47-71.

BRUINESSEN Martin van, «Nationalisme kurde et ethnicités intra-kurdes», *Peuples Méditerranéens*, n° 68-69, 1994, pp. 15-37.

DIECKHOFF Alain, «La déconstruction d'une illusion. L'introuvable opposition entre nationalisme politique et nationalisme culturel», *L'Année sociologique*, Vol. 46, n° 1, 1996, pp. 43-55.

DILLEMANN Louis, «Les Français en Haute Djézireh (1919-1939)», *Revue Française d'Histoire d'Outre-mer*, T. LXVI, 1979, pp. 53-66.

EDMONDS C.J., «Suggestions for the Use of Latin Character in the Writing of Kurdish», *Journal of the Royal Asiatic Society*, janvier 1931, pp. 27-46.

ESKANDER Saad, «Southern Kurdistan under Britain's Mesopotamian Mandate: From Separation to Incorporation, 1920-1923», *Middle Eastern Studies*, Vol. 37, n° 2, 2001, pp. 153-180.

FUCCARO Nelida, «Communalism and the State in Iraq: The Yazidi Kurds, 1869-1940», *Middle Eastern Studies*, Vol. 35, n° 2, 1999, pp. 1-26.

–, «Ethnicity and the city: the Kurdish quarter of Damascus between Ottoman and French rule, c. 1724-1946», *Urban History*, Vol. 30, n° 2, 2003, pp. 206-224.

GALLETTI Mirella, «Deux lettres de Chérif Pacha à Benito Mussolini», *Etudes kurdes*, n° 2, 2000, pp. 65-82.

HAKIM Halkawt, «Le nationalisme du poète Koyî (1817-897)», *Confluences Méditerranéennes*, n° 34, 2000, pp. 21-26.

HAUGEN Einar, «Dialect, Language, Nation», *American Anthropologist*, Vol. 68, n° 6, 1966, pp. 922-935.

HIRSCHLER Konrad, «Defining the Nation: Kurdish Historiography in Turkey in the 1990s», *Middle Eastern Studies*, Vol. 37, n° 3, 2001, pp. 145-166.

KIESER Hans-Lukas, «Les Kurdes alévis et la question identitaire: le soulèvement du Koçgiri-Dersim (1919-21)», *Les Annales de l'Autre Islam*, n° 5, 1998, pp. 279-316.

LUST-OKAR Ellen Marie, «Failure of Collaboration: Armenian Refugees in Syria», *Middle Eastern Studies*, Vol. 32, n° 1, 1996, pp. 53-68.

MANGO Andrew, «Atatürk and the Kurds», *Middle Eastern Studies*, Vol. 35, n° 4, 1999, pp. 1-25.

MÉOUCHY Nadine, «La presse de Syrie et du Liban entre les deux guerres (1918-1938)», *R.E.M.M.M*, n° 95-98, 2002, pp. 55-70.

MINORSKY Vladimir, «Livres scolaires en kurde», *Revue des Etudes Islamiques*, t. IV, cahier I, 1930-1931, pp. 157-160.

–, «Remarks on the Romanized Kurdish Alphabet», *Journal of the Royal Asiatic Society*, juillet 1933, pp. 643-650.

MIZRAHI Jean-David, «Le nationalisme de la frontière turco-syrienne au début des années 1920», *Vingtième siècle*, n° 78, avril-juin 2003, pp. 19-34.

–, «La répression du banditisme sur les confins de la Syrie mandataire: nouveaux Etats et nouvelles frontières dans le Moyen-Orient des années 1920», *Relations internationales*, n° 114, juillet-août 2003, pp. 173-187.

MONTAGNE Robert, «Quelques aspects du peuplement de la Haute-Djeziré», *Bulletin d'études orientales*, T.II, fasc. I, 1932, pp. 53-66.

O'SHEA Maria T., «Between the Map and the Reality. Some fundamental Myths of Kurdish Nationalism», *Peuples Méditerranéens*, n° 68-69, 1994, pp. 165-183.

ÖZOGLU Hakan, «Nationalism and Kurdish Notables in the late Ottoman-early Republican Era», *International Journal of Middle East Studies*, n° 33, 2001, pp. 383-409.

RABINOVICH Itamar, «The Compact Minorities and the Syrian State», *Journal of Contemporary History*, Vol. 14, n° 1-4, 1979, pp. 693-711.

RONDOT Pierre, «Publication kurde en caractères latins», *Bulletin d'Etudes Orientales*, t. II, fasc. II, 1932, pp. 300-304.

–, «L'alphabet kurde en caractères latins d'Arménie soviétique», *Revue des Etudes Islamiques*, cahier III, 1933, pp. 411-417.

–, «Trois essais de latinisation de l'alphabet kurde: Iraq, Syrie, URSS», *Bulletin d'Etudes Orientales*, t. V, 1935, pp. 1-31.

–, «L'adoption des caractères latins et le mouvement culturel chez les Kurdes de l'URSS», *Revue des Etudes Islamiques*, cahier I, 1935, pp. 87-96.

–, «Les tribus montagnardes de l'Asie antérieure. Quelques aspects sociaux des populations kurdes et assyriennes», *Bulletin d'études orientales*, T. VI, 1937, pp. 1-49.

–, «Les Kurdes de Syrie», *France Méditerranéenne et Africaine*, Vol. II, fasc. 1, 1939, pp. 81-126.

–, «Les revendications nationales kurdes», *En Terre d'Islam*, 2e semestre, 1946, pp. 114-120.

–, «L'expérience du mandat français en Syrie et au Liban (1918-1945)», *Revue générale de droit international public*, T. XIX, 1948, pp. 387-409.

TACHJIAN Vahé, «Le Khoyboun dans la Haute-Mésopotamie syrienne sous mandat français et le rapprochement kurdo-arménien», *Etudes kurdes*, n° 6, 2004, pp. 7-40.

THOMAS Martin C., «French Intelligence-Gathering in the Syrian Mandate, 1920-40», *Middle Eastern Studies*, Vol. 38, n° 1, 2002, pp. 1-32.

TEJEL Jordi, «Die kommunistische Bedrohung und Kamuran Bedir Khan», *Kurdische Studien*, Vol. I, n° 2, 2001, pp. 123-135.

–, «Le Khoyboun et la fabrication des premiers martyrs du nationalisme kurde», *Etudes kurdes*, n° 6, 2004, pp. 41-58.

VALI Abbas, «Genèse et structure du nationalisme kurde en Iran», *Peuples Méditerranéens*, n° 68-69, 1994, pp. 143-164.

–, «The Kurds and Their Others: Fragmented Identity and Fragmented Politics», *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, Vol. XVIII, 1998, pp. 82-95.

VELUD Christian, «Syrie. Etat mandataire, mouvement national et tribus (1920-1936)», *Maghreb-Machrek*, n° 147, 1995, pp. 48-69.

Sources non publiées

AMED Û ZÎN, *Welatparezê héja Apo (Osman Sebrî) wiha dipeyive. Hevpeyvînên salên (1984-1988)*, Paris, 1991.

BOZARSLAN Hamit, *Le problème national kurde en Turquie kémaliste*, Mémoire de Diplôme de l'EHESS sous la direction de Robert Paris, Paris, 1986.

JEMO Mamed, *Osman Sebrî, Apo. Analyse bio-bibliographique*, Diplôme d'Etudes Approfondies de l'Université de la Sorbonne Nouvelle, sous la direction de Charles-Henri de Fouchecour, Paris, 1990.

MAHMOUD Akil, *Le Mandat français et la politique des minorités en Syrie. Le cas Kurde (1918-1940)*. Mémoire de Diplôme de l'EHESS, sous la direction de M. Robert Paris, Paris, 1993.

TATCHJIAN Vahé, *Minorités, Etats-nation, expansionnisme occidental. La zone frontière turco-syrienne dans l'entre-deux-guerres*. Thèse de doctorat sous la direction de Lucette Valensi, Paris, EHESS, 2002.

VELUD Christian, *Une expérience d'administration régionale en Syrie durant le mandat français: conquête, colonisation et mise en valeur de la Gazîra, 1920-1936*. Thèse de doctorat, Université de Lyon 2, 1991.

المحتويات

هذا الكتاب هو مساهمة أساسية في تاريخ الحركة الوطنية الكردية، وأكراد سوريا لسنوات 1920-1940، يحلل الكاتب من خلاله عملية تكوين ما يسمى «كردستان سوريا»، ويُظهر كيف أنَّ التناقضات السياسية للانتداب الفرنسي مكّنت القادة الأكراد - ذوي الأصول الكردية - من فرض أنفسهم كوجهاء «مجتمعين» ومهندسين «للفضاءات السياسية الصغيرة».

هكذا، وبتقاطع ما بين التقليد العثماني والنمط «الشمال - افريقي» في الأراضي السورية، أطلق الانتداب الفرنسي ديناميات مقبولة بشكل جزئي، ولكنها ليست بالضرورة مسيطراً عليها...

لقد ارتكز هذا البحث على الأرشيف الدبلوماسي، العسكري والخاص، وكذلك على دراسات متخصصة، وأبحاث وكتابات تعود إلى ذلك العصر. وقد استحضر الكاتب الكثير من المعلومات المتنوعة والأصلية، خصوصاً عن الحركة الثقافية والفكرية المتمحورة حول khyboun وعلاقاتها مع الباحثين - الفرنسيين المختصين في الشؤون الكردية، كما مع إيران، والنّخب الكردية الإيرانية والطاشناق الأرمني.

يغذّي الكتاب أيضاً تحليلات متميزة ومعقدة وأحياناً متناقضة، حول المفاصل «المؤشكلة» ما بين الهويات القبلية (العشائرية)، المحلية والمناطقية والوطنية وولادة الوعي الأقلوي الكردي في مواجهة تصلّب القومية العربية في سوريا المنتدبة.


ISBN 978-9953-71-875-0